

نظريات الاتصال

في القرن الحادي والعشرين

أ. د. عبد الرزاق الدليمي

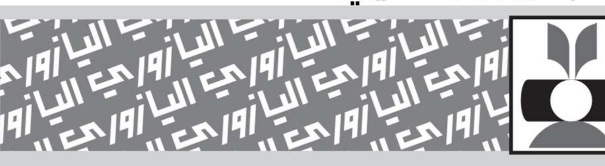


اليازوري

نظـريات الاتصال
في القرن الحادي والعشرين

نظريـــات الإتصـــال
في القرن الحادي والعشرين

أ.د/ عبدالرزاق محمد الدليمي



الطبعة العربية – 2016

رقم الإيـداع 2015/1/358

التحـــريـــر : هيئة تحـــريـــر
تصميم الغلاف : نضال جمهور
الصف والإخراج : سامي أبو سعدة
المطبعة : سمير منصور للطباعة



دار اليـــازوري العلمية للنشر والتوزيع
عمان – العبدلي – مقابل مجلس النواب
هاتف: 4626626 6 962+ تلفاكس: 4614185 6 962+
ص. ب: 520646 الرمز البريدي: 11152
info@yazori.com www.yazori.com

نظريات الاتصال

في القرن الحادي والعشرين

تأليف

الأستاذ الدكتور

عبدالرزاق محمد الدليمي



المقدمة

لقد كان الاتصال وسيظل هو النشاط الأهم في حياة الإنسان من خلاله يتفاعل مع الآخرين ويعبر عن أفكاره وحاجاته ومشاعره وأحلامه وبه يعبر عن شخصيته وثقافته وحريته وفكره وهو نشاط يمكن أن تتجسد فيه معاني الكرامة الإنسانية وقيمها .

لذا كان هذا النشاط من أكثر الأنشطة خضوعا لمختلف المعايير والضغوط والقوانين التي تشكل في جملتها تساؤلا أساسيا حول طبيعة الصلة بين الإعلام والأخلاق وباقي مناحي الحياة البشرية .

علم الاتصال استفاد وأفاد وتفاعل مع كافة العلوم والمعارف والمعطيات الإنسانية والتقنية وهذا العلم يوضح لنا في هذا الوقت لماذا تؤثر وسائل الاتصال الجماهيري في عقول الناس وما هو حجم هذا التأثير وكيف يتم التأثير .

لا أحد ينكر أهمية هذه النظريات الاتصالية التي شكلت علم الاتصال، والتي جربت في المجتمعات التي تبنتها وحاولت تطبيقها ونحن هنا نقوم بدراستها نظرا لأهميتها وكذلك لعدم قدرتنا التعامل مع وسائل الاتصال الجماهيرية بدون فهم النظريات والنماذج التي تنظم عمل هذه الوسائل وتحدد طرق التعامل معها وكيفية الاستفادة السليمة منها وتوظيفها في تطوير وتنوير مجتمعاتنا العربية .

خلال مدة العشرينيات من القرن الماضي وأوائل الثلاثينات تطور الاهتمام بوسائل الإعلام بوصفها موضوعات للبحث حيث بدأت الدراسات العلمية المنتظمة كأثر محتوى الاتصال على انواع معينة من الناس، حيث أخذت الأفكار والمعلومات والبيانات عن الاتصال الجماهيري تختبر بدقة لمعرفة صحة هذه الاكتشافات والمعلومات تجريبيا ومن ثم بدأ الاتصال الجماهيري يكتسب عديد متزايدأ من البيانات التي امكن فيها استنباط عديد من المفاهيم والافتراضات .

تعد وسـائل الإعلام من أكثر ما ينفق عليه المجتمعات البشـرية كما تـدل الأرقام وقد بدأت هذه الظاهرة بالإنتشار والتطور بعد أن بدأ أول بث تجاري لقناة راديو في نوفمبر سنة ١٩١٩، ويقول البعض أنـه قبل ذلك بعدة سـنوات، ومن ثـم التلفزيون في أوائـل الثلاثينات، بـدأت ظاهـرة التواصل الجماعـي في قسـم علم الإجتمـاع وأتباع مدرسـة نظريـة الخطابة لأرسـطو تأخذ منحنيـات جديدة في دراسـاتهم حـول المجتمـع والتواصـل الجماعي فقد كانت ثورة في فهم العلوم البشـرية وفي فهم السلوك الجماعي للمجتمعات، وكانت رؤيتهم بعيدة جدا إذ علموا أن وسائل الإعلام أصبحت أقوى وانها على أبواب عالم جديد .

اتفق العلماء أن الإعلام له أثر كبيـر وفعال في التأثير على المجتمـع وفي تغيير عاداته وصياغة طريقـة حياته، فبدأت نظريـات جديدة في التواصـل الجماعي تنشـأ لتقونن الإنتاج الإعلامي في إنشـاء رسـالة فعالة تحقق رد فعل جماهيري معين وانفصلـت تلك النظريات عن نظرية الخطابة لأرسـطو التـي قادت وسـائل الإعلام لسـنوات بعد اكتشـاف التلفزيون وظهرت نظريـة الإنبات للبرامـج التلفزيونية ونظريـة ترتيب الأولويات للإعـلام الإخباري ونظريـة دوامة الصمـت ونظرية البيئـة الإعلاميـة وغيرها من نظريـات التواصـل الجماعي، وأضيـف أيضا نظرية الاسـتخدامات والإشـباعات التـي وضع أسسـها إليو كاتز فـي أوائل السـتينات التي لمع نجمهـا في أوائل التسـعينات عنـد انتشـار الإنترنت، حيث تعـد النظرية الوحيـدة من بيـن كل نظريـات الميديـا التـي تناقش عكـس المفهوم العـام للنظريـات "أن الإعلام يؤثـر على الفـرد والمجتمع" بـل تعتبر الأفـراد هم من يؤثـر على وسـائل الإعلام حيث تعتبر أن المواد الإعلامية ما هي إلا منتجات يجب أن تتناسب مع أذواق المستهلكين "المشاهدين"، وكانت هذه النظرية سـببا في تغيير منهج وسـائل الإعلام ما يجعل عليهم رقابة اجتماعية بسـبب إمكانية كل فرد من الوصول والتقييم والتعليق على أي منتج إعلامي يستهلكه من شتى وسائل الإعلام .

تنفق الجامعات الأمريكية الملايين من الـدولارات بتمويل من الحكومة على بحوث التواصل الجماهيري فقد أعلنت الحكومة الأمريكية تخصيص ١٣,٣ مليار دولار أمريكي

لسـنة ٢٠١٤ لتقـدم للجامعات مـن أجل البحـث العلمـي وقـدر ب ٣ بالمئة مـن مجموع التمويل الحكومي من أصل ٥ ,٤٦٤ مليار أمريكي لسـنة ٢٠١٤ للأبحـاث العلمية قدمت لشتى المؤسسـات"رقم كبير جدا ولا أعتقد أننا سوف نشـم رائحته يوما ما في دولنا الشرق أوسـطية" ونحن ومع كل طبقاتنا من الطبقة العلمية والمثقفة والغنية حتى العامة لا نستطيع أن نفكر بالبحث العلمي حتى مجانا عن طريق محرك البحث *GOOGLE* .

هذا الكتاب محاولة للغـور في اعماق موضوعـات طالما كثر الاجتهـاد بها ولا نزعم اننا اتينا بما تأتي به الاوائل ولكن حسـبنا اننا اجتهدنا فان اصبنا وهذا ما ابتغيناه فلنا حسنتين وان لـم نصب فلنا حسـنة ولا يفوتني هنا الاشارة الى انني اسـتفدت كثيرا مما سبق لباحثين واسـاتذه اجلاء بما سـبقوني به في البحث في هذه المواضيع فقد انتفعـت من علمهم ومما افادوا به مكتبتنا العربية

ومن الله التوفيق.

المؤلف



في مفهوم النظرية

يمكن تصور النظرية بانها طائفة من الآراء التي تحاول تفسير الوقائع العلمية أو الظنية أو البحث في المشكلات القائمة على العلاقة بين الشخص والموضوع أو السبب والمسبب . وتعني النظرية في الدراسات الإنسانية التصورات أو الفروض التي توضح الظواهر الاجتماعية والإعلامية والتي تأثرت بالتجارب والأحداث والمذاهب الفكرية والبحوث العلمية التطبيقية . والنظرية عبارة عن مجموعة من المفاهيم والتعريفات والافتراضات التي تعطينا نظرة منظمة لظاهرة ما عن طريق تحديد العلاقات المختلفة بين المتغيرات الخاصة بتلك الظاهرة، بهدف تفسير تلك الظاهرة والتنبوء بها مستقبلاً .

والنظرية *Theory* لها عدد من المعاني المختلفة باختلاف الفرع التي تستخدم به هذه الكلمة . بشكل عام، تكون النظرية نوعا من التفسير لشرح كيفية حدوث ظاهرة طبيعية، بشرط تحقق حدوث هذه الظاهرة وعدم وجود نزاع في حدوثها، تأتي الآن النظرية لتشرح آلية حدوث هذه الظواهر وتكون بشكل عام عرضة للصواب والخطأ، لكن التماسك المنطقي والرياضي للنظرية ثم شرحها لأكبر عدد ممكن من النتائج التجريبية يدعم النظرية ويعطيها تأكيدا أكثر فأكثر .

تزداد النظرية صحة عندما تقدم تنبؤات بشأن ظواهر غير مثبتة بعد، ثم تأتي الأرصاد والتجارب بإثباتها، فنظرية النسبية العامة مثلا تنبأت بانحرافات دقيقة في مدار الكوكب عطارد لم تكن مرصودة بعد، وتم التحقق من ذلك بعد ظهور النظرية مما أعطاها مصداقية أكبر .

هناك فرق شاسع بين الاستعمال العلمي لكلمة نظرية والاستعمال العام لها . بشكل عام يقصد بكلمة نظرية أي رأي أو فرضية. في هذا المجال لا يتوجب ان تكون النظرية مبنية على حقائق . اما في المجال العلمي تشير النظرية إلى نموذج مقترح لشرح ظاهرة أو ظواهر معينة بإمكانها التنبؤ بأحداث مستقبلية ويمكن نقدها . ينتج من ذلك انه في المجال العلمي النظرية والحقيقة ليسا شيئين متضادين . مثلاً الحقيقة هي ان الأجسام تسقط إلى مركز الكرة الأرضية. والنظرية التي تشرح سبب هذا السقوط هي الجاذبية .

مثال على ذلك : خطأ نظرية أرسطو (مركزية الأرض) بأن الأرض هي مركز الكون وأن الكواكب والنجوم تدور حول الأرض، وثبوت صحة نظرية فيلاكوس كوبرنيكوس بأن الشمس هي المركز (مركزية الشمس). وتنطلق النظرية من مسلمات أو مبادئ متفق عليها وتكون أساسا لبناء النظرية وما يترتب عليها من نتائج.

النظرية العلمية يدل مفهومها في الإستعمال الشائع على الآراء والتخمينات والتأملات التي لا تستند في بنائها على الوقائع، فهي في أغلب الأحيان تكون بعيدة كل البعد عن الوصف الدقيق لما يجري في الواقع، والكثير ينظر على أنّ النظريّة العلميّة بنظرة إزدراء واحتقار، ولكن النظريّة فإنّها تدل في مجال العلم على نموذج أو مجموعة من الأفكار الذي يحكمهُ منطق قوي وصارم، وأحياناً تستعمل لوصف ظواهر إجتماعيّة أو طبيعيّة وتفسيرها وتطويرها في المستقبل البعيد، والنظرّة العلميّة تفرض نفسها باعتبارها بناء فكري ومفاهيم تدعمهُ التجارب، وهي تبنى على حكم تجربة معيّنة من خلالها تبنى النظريات العلمية.

وظائف النظرية والهدف منها

- الوصف : وهو أقل نقطة حيث يجب أن تحمل وصف لمعانيها ومصطلحاتها العلميّة.
- الشرح : وهي وظيفة أخرى للنظريّة، بمعنى جعل النظريّة أكثر وصوحاً وفهماُ، ويكون هذا التوصّل بالعلاقات بينهُ وبين المعرفة الحاليّة كإثبات نظريات في الرياضيات تستند الى أمور حقيقيّة لوصول الى نظريّة يمكن الإستنادُ عليها.
- التنبّؤ : فالنظريّة لا تكتفي على الشرح والتفسير فقط، بل تكون النظريّة لها القدرة تنبؤيّة مصتقبليّة، بمعنى آخر أن يتم إختبار النظريّة للتأكد من صحتها وكفائتها التنبؤيّة.
- دليل عمل : توجيه النظريّة الى المزيد من البحث والإعتماد عليها فمثلا مهندس البناء يعتمد على نظريات معينة قام بتطبيقها فعند إكتشاف نظريّة جديدة يجب تطبيقها حتّى تصبح أقرب الى الحقيقة.

النظريّة ليست في أمور العلم والفيزياء والرياضيات فقط، ولكن ممكن أن تدخل النظريّة العلميّة الى أمور أوسع وأشمل كالنظريّة في تربية الأطفال أو النظريّة في تعليم الطلاب هي أمور تستند الى أحكام وأهداف وعلم لتحقيق شيء معيّن من بعد دراستها ونتيجة تطبيقها على أرض الواقع ممّا يجعل الأمور أفضل وأوسع كلّما تقدّم الإنسان في العلم، والنظريّة لا تقوم على .

معايير صلاحيّة النظريّة:

- أن تكون النظريّة قادرة على وصف نموذج من الوقائع .
- قدرة النظريّة على التكهّن بالمستقبل .
- لا تكذّبها أي حقيقة علميّة أو شيء معروف .
- الإختبار الحقيقي للنظريّة هو إختبارها والتأكّد من صحّتها .
- صدق النظريّة : بمعنى قابليتها للتنفيذ أو الإختبار الذي يسعى الى تكذيبها، فمثلاً عندما يقول شخص أنّ جميع الحيوانات تحرّك فكها السفلي لتأكل سوف يجد الكثير من الحيوانات التي تدعم نظريّتهُ ويطمئن، ولكن عندما نجد التمساح يحرّك فكهُ العلوي ليأكل فهذا دليل على بطلان النظريّة وتضعف المعنى العلمي لها .

والنظرية العلمية تنتمي لفئة النظريات الاستقرائية *inductive theories*، وذلك من حيث أن محتواها (أي بياناتها الإمبريقية) يمكن التعبير عنه في إطار نسق من المنطق الشكلي الذي تؤخذ قواعده الابتدائية (أي قوانينه العلمية) كمسلّمات بديهية *axioms* . وفي أي نظرية استنتاجية *deductive*، أي عبارة تتبع منطقيًا واحدًا أو أكثر من هذه المسلّمات وتترتب عليها تكون هي الأخرى عبارة من عبارات هذه النظرية . وتزخر العلوم الإنسانية بنظريات لا يتناول موضوعها البيانات الإمبريقية (وحدها)، بل تتناول أفكارًا . وتنتمي هذه النظريات لمجال النظريات الفلسفية، وذلك تمييزًا لها عن مجال النظريات العلمية . والنظريات الفلسفية غير قابلة للضرورة للإثبات عن طريق إجراء التجارب

النظريات باعتبارها نماذج

كان الموقف المهمين في فلسفة العلوم هو الرؤية المتلقاة *received view* للنظريات – وقد ساد هذا الموقف في التجريبية المنطقية *logical empiricism* خلال النصف الثاني من القرن العشرين . بيد أن هذه الرؤية استبدلت لاحقًا بالرؤية السيمانطيقية *view semantic* والتي تربط بين النظريات العلمية بالنماذج وليس بالافتراضات . وتوضع النظريات في الغالب لكي تشرح وتصف الظواهر (مثل الجوامد غير الحية أو الأحداث أو سلوك الحيوان) وتتنبأ بها . ويمكن النظر للنظرية العلمية باعتبارها أحد النماذج التي تصف الواقع، كما يمكن النظر لعباراتها كمسلمات تنتمي لنظام مسلمات (أو بديهيات) معين . والهدف من وضع النظرية هو إنشاء نسق شكلي يكون الواقع هو النموذج الأوحد له . والعالم هو تفسير (أو نموذج) لهذه النظريات العلمية، ولكن بالقدر الذي تتسم فيه هذه العلوم بأنها صحيحة .

الوصف والتنبؤ أورد العالم الفيزيائي ستيفن هوكينج في كتابه (تاريخ موجز للزمان) تعريفًا يمثل صدى لأفكار للفيلسوف كارل بوبر مؤداه أن «أي نظرية هي نظرية جيدة إذا ما لبت شرطين : الأول أن تصف بدقة مجموعة هائلة من المشاهدات وذلك على أساس نموذج يتضمن أقل قدر ممكن من العناصر العشوائية، والثاني هو أن تضع تنبؤات حاسمة عن نتائج المشاهدات المستقبلية» . ثم يستطرد (هوكنج) قائلاً : «النظريات الفيزيائية تكون مؤقتة دائمًا، بمعنى أنها لا تعدو أن تكون مجرد فرضيات لا يمكن إثباتها أبدًا . ومهما بلغ عدد المرات التي اتفقت فيها نتائج التجارب مع نظرية معينة، فلا يمكنك التيقن أبدًا من أن النتيجة في المرة التالية ستأتي غير متعارضة مع النظرية . ومن جهة أخرى، يمكنك تفنيد أي نظرية إذا ما عثرت ولو على مشاهدة واحدة لا تتفق مع تنبؤات النظرية» . وعليه فإن كون النظريات «غير قابلة للإثبات وقابلة في الوقت ذاته للتكذيب» هو إحدى النتائج

أهمية الافتراضات في صياغة النظريات ويتبنى هذه الرؤية الكاتب المعروف إسحاق أسيموف . ففي كتابه (فهم الفيزياء)، تحدث أسيموف عن النظريات كـ «حجج منطقية» *arguments* يقوم المرء فيها باستنتاج «مخطط» أو نموذج . وتبدأ القضايا الجدلية أو

النظريات دومًا انطلاقًا من بعض المقدمات *premises* – والتي يصفها «هوكنج» بأنها «عناصر عشوائية»– والتي نصفها هنا بـ «الافتراضات». والافتراضات *assumption* – وفقاً لأسيموف – هي...

...شيء نقبله بدون برهان، وليس من قبيل الدقة أن نصف فرضية معينة بأنها صحيحة أو خاطئة؛ ذلك أنه لا توجد طريقة لإثبات كونها صحيحة أو خاطئة «فإن وجدت هذه الطريقة، فلا يجوز عندئذٍ اعتبارها افتراض». ومن الأفضل النظر للافتراضات باعتبارها مفيدة أو غير مفيدة، وذلك اعتمادًا على مدى توافق الاستدلالات المستخرجة منها مع حقائق الواقع... ومن جهة أخرى، يبدو واضحًا أن الافتراضات هي النقاط الأضعف في أي حجة منطقية، حيث يلزم قبولها بناءً على إيمان بفلسفة علوم تستمد فخرها من جذورها العقلانية *rationalism*. ولأننا ملزمون بالبحث عن نقطة انطلاق معينة، فلا سبيل أمامنا سوى هذه الافتراضات، مع ضرورة الحرص على الانطلاق من أقل عدد ممكن من الافتراضات قدر الإمكان.

مثال من نظرية النسبية الخاصةبوسعنا أن نرى مثالاً على استخدام الافتراضات في صوغ النظريات من الأسلوب الذي صاغ به ألبرت أينشتاين نظريته للنسبية الخاصة. حيث اتخذ ظاهرتين تم مشاهدتهما – الملاحظة الأولى أن «إضافة السرعات» أمر جائز «تحويل جاليليو»، وأن الضوء لا تنطبق عليه خاصية «إضافة السرعات» «تجربة ميكلسون ومورلي». وقد افترض «آينشتاين» صحة المشاهدتين، وصاغ نظريته بناء على هذه الافتراضات، وذلك بإجراء تغيير بسيط على تحويل جاليليو لاستيعاب غياب خاصية إضافة السرعات فيما يتعلق بسرعة الضوء. ومن ثم فإن النموذج الذي أنشأته هذه النظرية يقوم بالتالي على افتراض ثبات سرعة الضوء.

مثال من بطليموس يمكن أن نرى مثالاً آخر على كون النظريات نماذج من النظريات الخاصة بمنظومة دوران الكواكب. فقد صاغ الإغريق نظريات دوّنها العالم الفلكي «بطليموس. وكانت الأرض وفقًا للنموذج البطليموسي تشغل مركز المنظومة، فيما كانت

بقيـة الكواكب والشـمس تتخذ أفـلاكًا دائريـة حولها، أمـا النجـوم فكانت تتـوزع على قبة كروية تقع خارج أفلاك الكواكب والأرض. ووفق هذا النموذج، فسّـر «بطليموس» الحركة التراجعية للكواكب بأنهـا نتيجة وجود أفلاك دائرية أصغر للكواكـب الدائرة حول الأرض. ويمكن توضيح هذه النظرة كنموذج، بل ويمكن صياغتها حرفيًا. ويمكن وضع الحسـابات الرياضية التي تتنبأ على قدر كبير من الدقـة بالموضع الذي تتخذه الكواكب بعد زمن معين. وقد ظـل نمـوذج بطليموس هـو النمـوذج السـائد لقرابـة ١٥٠٠ عامًـا حتى مجـيء عصر كوبرنيكوس. وبذلك نرى أن النظرية هي عبارة عن «نموذج للواقع» يشـرح بعض الحقائق العلميـة المعينة؛ إلا أنها قـد لا تعطي رغم ذلك صـورة مرضية عن الواقع. فقد تنشـأ نظرية أخرى أكثـر مقبولية تحل محـل النموذج السـابق، على غـرار ما حدث عندمـا حلت نظرية كوبرنيكوس محل نظرية بطليموس. أو قد تُستخدم نظرية جديدة لتعديل نظرية أقدم، مثلما فعل «آينشتاين» عندما عدّل الميكانيكا النيوتونية «والتي لا تزال تُستخدم إلى اليوم لحساب أفلاك الكواكب أو وضع نماذج بمسارات السفن الفضائية» بنظريته النسبية.

الفروق بين النظرية والنموذج

ويقع فـي القلب من النماذج، مـن النماذج العامـة وحتى النماذج المقياسـية، توظيف عمليـة التمثيـل *representation* لكي تصـف جوانب معينة مـن إحدى الظواهر أو شـكل للتفاعل بيـن مجموعة مـن الظواهر. فمثـلاً، لا يمكن القول بأن النموذج المقياسـي سـواء لمنزل أو لمجموعة شمسـية هو نفسـه المنـزل أو النظام الشمسـي الحقيقـي؛ فالأصح منه أن نقول بـأن بعـض الجوانب الخاصـة بالمنـزل أو النظـام الشمسـي الفعلـي والممثلة في النموذج المقياسـي إنما تمثل فقط، وفـي إطار محدود معيـن، الكيان الفعلـي الواقعي. أما في إطار معظم الجوانب المهمة، فهذا النموذج المقياسـي للمنزل ليس هو المنزل الفعلي. وقد صرح عـدة معلقين وذلك في إطـار الحديث عن نمذجة السـلوك البشـري، أن الفارق الأكثـر أهميـة بين النظريـات والنمـاذج يكمن فـي أن الأولى تشـرح وتصـف، فيمـا الثانية يقتصر دورها فقط على التفسـير «بيد أنها تظل قادرة على التنبؤ وإن يكن بشـكل محدود».

أما النماذج والنظريات العامة، ووفقًا للفيلسـوف سـتيفن ببير والذي وضع هو الآخر تمييزًا بين النظريات والنماذج – يفتم التنبؤ بها بناء على استعارة جذرية *root hypothesis* تقوّض الكيفيـة التي يقوم بهـا العلماء بوضـع نظرياتهم ونمذجـة أي ظاهرة، والوصـول بذلك إلى فرضيات قابلـة للاختبار. وقد درجت العلوم الهندسـية على الفصل والتمييـز بين «النماذج الرياضيـة» و«النماذج الفيزيائية». وهذ ه المعايير الأساسـية إن أبرز ما يسـم أي نظرية علمية هو أنها تضـع تنبؤات قابلـة للتكذيب أو للاختبـار. وصحة هـذه التنبؤات ودقتهـا هي التي تحدد مدى فائدة النظرية. فأي نظرية لا تضع تنبؤات يمكن ملاحظتها ومشـاهدتها لا تكون نظرية مفيـدة. كذلك فالتنبـؤات التي لا تتنـاول جوانب محـددة يمكن إخضاعهـا للاختبار ليست مفيدة بالمثل. وفي كلا الحالتين، لا يجوز اسـتخدام مصطلح «نظرية». ومن الناحية التطبيقيـة، لا يطلق لفظ «نظريـة» على أي مجموعـة توصيفية من المعـارف إلا إذا تضمنت حدًا أدنى من الأسس الإمبريقية، وذلك وفقًا لمعايير معينة، وهي:

أن تحقق شرط الاتساق مع إحدى النظريات السـابقة، وإلى الحد الذي تكون فيه هذه النظرية مؤكـدة تجريبيًا، وذلك بالرغم من أن النظرية الجديدة سـتظهر فـي الغالـب عدم دقة النظرية القديمة.

أن تؤيدها الكثير من الأدلة، وليـس دليلاً واحدًا، وبما يضمن أنهـا تمثل مقاربة جيدًا، إن لم تكن صحيحة كليةً.

المعايير غير الأساسية أضف إلى ذلك، لا تؤخذ أي نظرية على محمل الجد إلا إذا:

كانت مؤقتـة وقابلة للتصحيـح وتتسـم بالدينامية من ناحيـة قدرتها على اسـتيعاب أي تغييرات جديدة مع تكشف المزيد من الحقائق، لا أن تدعي استحواذها على اليقين المطلق.

أن تكون من بين أكثر التفسـيرات شـحًا في التفاصيل وأكثرها بسـاطة أي تجتـاز اختبار نصل أوكام. نظرًا لعدم وجود تعريف موضوعي متفق عليه لمعنى كلمة «شُحْ» هنا، فليس هذا بمعيار صارم، ولكن هناك بصفة عامة بعض النظريات الأكثر اقتصادًا في التفاصيل من غيرها.

وتصح المعايير السابق على عدد من النظريات المشهورة مثل نظرية النسبية العامة والخاصة وميكانيكا الكم وحركة الصفائح التكتونية الخ. فالنظريات التي تُعد علمية تحقق على الأقل معظم، إن لم يكن كل، هذه المعايير. ولا يُشترط في النظريات أن تبلغ مستويات مثالية من الدقة لكي تكون مفيدة علميًا.

فمن المعروف أن التنبؤات التي تضعها الميكانيكا الكلاسيكية غير دقيقة، بيد أنها تمثل مقاربات جيّدة كافية في معظم الظروف وبما يجعلها تظل على فائدتها العظيمة واستخداماتها العريضة أمام النظريات الأكثر دقة ولكنها الأكثر صعوبة رياضيًا.

وفي الكيمياء، هناك الكثير من النظريات الخاصة بالأحماض والقواعد، والتي برغم أنها تقدم نظريات شديدة التباين حول الخصائص التي تجعل الأحماض أحماضًا والقواعد قواعد، إلا أنها ذات فائدة عظيمة للغاية في وصف الظواهر الخاصة ببعض التفاعلات الكيميائية المعينة والتي تندرج تحت مفهوم «التفاعل بين الأحماض والقواعد». ومن منظور معين، لا نجد تعريفًا دقيقًا لفكرة «التفاعلات العمومية بين الأحماض القواعد»، ومن ثم فإن النظريات التي أقيمت عليها كيمياء الأحماض والقواعد هي نظريات «غير دقيقة»؛ ولكنها برغم ذلك تظل نظريات علمية مُفيدة.

معايير وسمات النظرية العلمية على النحو التالي:

١. من السهل الحصول على تأكيدات أو براهين لكل النظريات تقريبًا – وذلك إذا كنا نفوسنا تتطلع لهذه التأكيدات.

٢. لا يكون للتأكيدات أهمية إلا إذا جاءت نتيجة لتنبؤات تتسم بالمجازفة؛ بمعنى أنه إذا لم تنر النظرية بصيرتنا بخصوص التوصل لنتائج معينة، كان علينا أن نتوقع حدثًا غير متوافق مع النظرية – أي حدث له أثره في تفنيد النظرية.

٣. إن كل نظرية علمية «جيدة» تحظر حدوث أشياء معينة، وكلما ازداد عدد الأشياء التي تحظرها النظرية، كلما كانت أفضل.

٤ . النظريات غير القابلة للتفنيد بواسطة حدث معين قابل للإدراك، فإنها تكون نظريات غير علمية . والتفنيد هنا ليس فضيلة للنظرية (كما يعتقد الناس) بل هو نقيصة .

٥ . كل محاولة اختبار أصيلة للنظرية هو محاولة لتكذيبها أو لتفنيدها . وهذه القابلية للاختبار *testability* هي نفسها القابلية للتكذيب *falsifiability*؛ بيد أن هناك درجات من القابلية للاختبار : فبعض النظريات تكون أكثر قابلية للاختبار وأكثر عُرضة للتفنيد عن نظريات أخرى؛ وبالتالي فإنها تتحمل مجازفات أكبر

٦ . لا تكون البراهين المؤكِّدة مهمة إلا إذا ترتبت على عملية اختبار أصيلة للنظرية؛ وهذا يعني أنه من الممكن طرحها كمحاولة جادة ولكن غير ناجحة لتكذيب النظرية .

٧ . بعض النظريات القابلة للاختبار يظل المعجبون بها على اعتناقهم لها حتى عندما يُكتشف أنها مزيفة – حيث يطرحون مثلاً افتراضات إضافية تواءم الوضع الجديد للنظرية، أو يعيدون تفسيرها أيضًا بما يتوافق مع الحقائق الجديدة، وبشكل يتلافى التفنيد . وهذا الإجراء يكون ممكنًا دائمًا، ولكنه ينقذ النظرية من التفنيد على حساب تدمير، أو على الأقل تقليل، وضعيتها العلمية . (وستجدوني أصف لاحقًا عملية الإنقاذ تلك بأنها محاولة التفاف أو خديعة لإثبات القديم) . ويمكن تلخيص كل سابق بالقول بأن بوبر يرى أن المعيار الذي يحدد الحالة العلمية لأي نظرية يكمن في قابليتها للتكذيب أو التفنيد أو الاختبار .

بيد أن عددًا من الفلاسفة ومؤرخي العلوم قد ذهبوا إلى خطأ تعريف (بوبر) للنظريات كمجموعة من العبارات القابلة للتكذيب، ومنهم فيليب كيتشر الذي علل ذلك بأنه إذا أخذ المرء رؤية (بوبر) لمعنى «النظرية » على محمل صارم، لأدت الملاحظات عن كوكب أورانوس عندما تم اكتشافه لأول مرة في ١٧٨١ إلى «تكذيب » ميكانيكا الأجرام السماوية لنيوتن . إلا أن ما حدث أن العلماء افترضوا أن ثمة كوكب آخر كان يؤثر على مدار أورانوس – وقد ثبتت صحة هذا التنبؤ في النهاية . إلا أن (كيتشر) يتفق مع (بوبر) في أن «من المؤكد أن هناك شيءًا من الصحة في فكرة أن أي علم لا يمكنه أن ينجح إلا إذا

كان بإمكانه أن يفشـل». كما أخذ في الاعتبـار أيضاً انتقادات «هيمبـل» و«كوين» لـ «بوبر»، والتي مؤداهـا أن النظريات العلمية تشـتمل على عبـارات لا يمكن تكذيبهـا «ربما تكون ما قصده هوكنج من حديثه عن ’العناصر العشـوائية‘»، وأن النظريـات الجيدة يجب كذلك أن تكون مبتكرة. ويصر «كيتشر» على أن تكون نظرتنا للنظريات العلمية كـ «مجموعة محكمة من العبارات»، والتـي بعضها غير قابل للتكذيـب، فيما البعض الآخـر – والتي يطلق عليها اسم «الفرضيات المسـاعدة» – هي كذلك. وفي ضوء أفكار «كيتشـر»، ينبغي أن تتوافر في النظريات العلمية الجيدة الخصائص الثلاث التالية:

١ - الوحـدة: «يجـب أن يكـون العلـم موحّـدًا... والنظريـات الجيـدة تتكـون مـن إسـتراتيجية واحـدة فقط للحـل، أو مجموعـة صغيرة مـن اسـتراتيجيات الحل، والتي يمكن أن تنطبق على مجموعة كبيرة من المشكلات».

٢ - الخصوبة والإثمـار: «أي نظرية علمية عظيمـة، مثل نظرية نيوتـن، تفتح مجالات جديدة للبحـث العلمـي... وذلـك لأن أي نظرية تقـدم طريقة جديـدة للنظر إلى العالم، ويمكن أن تقودنا إلى طرح أسـئلة جديدة، ومن ثم تدفعنا إلى العمل على فروع جديدة ومثمرة من البحـث العلمي... وعادة، يكـون أي علم مزدهر ناقصًا. ففي أي لحظة يطرح أي علم تسـاؤلات تفـوق قدرته على الإجابـة عليها. ولكن هذا النقص هنا ليس عيبًا. فعلى العكس نجده مصدرًا لخصوبة العلم وقدرته على الإنتاج... النظرية الجيدة يجب أن تكون منتجة؛ أي ينبغي أن تطرح أسئلة جديدة وتفترض إمكانية إجابة هذه التساؤلات بدون التخلي عن استراتيجياتها للحل».

٣ - الفرضيـات المسـاعدة القابلـة للاختبـار بشـكل مسـتقل: «ينبغـي أن تكـون أي فرضية مسـاعدة قابلة للاختبار بشكل مسـتقل عن المعضلة التي وضعت لحلها، وبشكل مسـتقل عن النظرية التي صُمّمت لإنقاذها» «مثلما أن الدليل على وجود نبتون مسـتقل عن الشـذوذ في مـدار أورانـوس». وعلى غـرار تعريفـات أخرى للنظريـات، ومنها تعريـف «بوبـر»، يوضح «كيتشـر» أن أي نظرية جيـدة تتضمن

عبارات لهـا «تبعات من ناحيـة الملاحظة»، على حـد تعبيره. ولكـن، على غرار أشـكال عدم الانتظام في مدار أورانوس، لا يعتبر التكذيب سوى واحد فقط من التبعات الممكنة للملاحظـة. ويعد إنتاج الفرضيات الجديـدة تبعة أخرى ممكنة للملاحظة – وعلى نفس الدرجة من الأهمية.

التعريـف التربـوي للنظريـات فـي المؤلفـات التعليميـة أو فـي الإعلانات الرسـمية للهيئات والمؤسسات العلمية، تنتشـر تعريفات للنظريات على غرار التعريف التالي: فوفقاً لأكاديمية العلوم الوطنية الأمريكية.

يختلف التعريف الرسـمي للنظرية تمامًا عن المعنى اليومي لهـا. حيث يُقصد بالكلمة أي تفسير شامل لظاهرة معينة من ظواهر الطبيعة وتؤيدها مجموعة كبيرة من الأدلة. وهناك الكثير من النظريات العلمية التي تتسـم برسـوخ هائل يجعل من غير المحتمل أن تظهر أدلة جديدة تؤدي لإدخال تعديلات هائلة فيها. فمثلاً، لا توجد أدلـة جديدة يمكنها أن تظهر أن الأرض لا تدور حول الشـمس (نظرية الشـمس المركزية) أو أن الكائنات الحية غير مكونة من خلايا (نظرية الخلية)، أو أن المادة لا تتألف من ذرّات، أو أن سـطح الأرض غير مقسم إلى صفائـح صلبة تحركت على مـدار فترات زمنيـة جيولوجية. ومن بين السـمات المفيدة للنظريات العلمية إمكانية اسـتخدامها لوضع تنبـؤات حول الأحـداث أو الظواهر الطبيعية التي لم تجـر ملاحظتها بعـد. وطبقًا لهـذا التعريف، يجب علـى أي نظريـة أن تؤيدها جيدًا مجموعة من الأدلة. كما أن كلمة «نظرية» لا تلائم وصـف الفرضيات غير المختبرة ولكنها معقدة، أو حتى وصـف النماذج العلمية. وقد يجد المعنيون بالعلوم التعريف السـابق مفيدًا عند تقييم صلاحية و/أو كفاءة نظرية من النظريات.

معنى كلمة (نظري) يُسـتخدم مصطلح نظري *theoretical* أحيانًا محل كلمة افتراضي *hypothetical* لوصف نتيجة تنبأت بها نظرية معينة ولكنها لم تُختبر بشـكل كاف من خلال الملاحظة أو التجربـة. وليس بغريب أن تضـع أي نظرية تنبؤات معينة تثبـت التجربة لاحقاً صحتها أو عـدم صحتها. والتنبـؤ الذي يثبـت بالتجربة عدم صحتـه يظهـر أن الفرضية غير

صحيحة . وهذا إما يعني أن النظرية غير صحيحة أو أن الفرضية التجريبية كانت خطأ وأن النظرية لم تتنبأ بالفرضية .

القوانين العلمية تشبه القوانين العلمية النظريات العلمية من حيث أنها قواعد يمكن استخدامها للتنبؤ بسلوك العالم الطبيعي . وكلا من القوانين العلمية والنظريات العلمية تأتي في العادة مدعومة بالملاحظات و /أو الأدلة التجريبية . وعادة ما تشير القوانين العلمية إلى القواعد التي تحكم سلوك الطبيعية تحت ظروف وشروط معينة أما النظريات العلمية فهي تفسيرات أكثر شمولية لطريقة عمل الطبيعة وتعليل السبب وراء إبداءها لخصائص معينة . ومن الاعتقادات الخاطئة الشائعة أن النظريات العلمية هي أفكار ابتدائية ستستقر في النهاية في صورة قوانين علمية بعدما تتوافر البيانات والدلائل الكافية عليها . ولكن النظريات لا تتحول إلى قوانين علمية لمجرد تراكم أدلة جديدة أو أدلة أفضل . فالنظرية ستظل نظرية

النماذج العلمية

النموذج : هو تمثيل مبسط، على شكل مخطط مثلا،حيث يمكن التعرف على مختلف العناصر المكونة للنظرية الممثلة، وتبين بدقة التأثيرات المتبادلة بين هذه العناصر، ويصف النتائج المحصل عليها .و يعتبر النموذج تقريريا (*Modele descriptif*) إذا كان يصف وضعية موجودة .

و يعتبر وصفيا (*Modele prescriptif*) عندما يمثل «حلا مثاليا» .

إن النموذج –*Le Model* . هو التمثل الذهني لشيء ما ولكيفية اشتغاله، وعندما نضع شيء ما في نموذج نستطيع أن نقلد اصطناعيا –*Simuler* . تصرف هذا الشيء وبالتالي الاستعداد لردوده . وهذا يعني أن النمذجة ليست إلا الفكر المنظم لتحقيق غاية عملية، ذلك أن النموذج هو نظرية موجهة نحو الفعل الذي نريد تحقيقه . ومن هذا المنطلق يمكننا القول أن كل إنسان «ينمذج» في حياته اليومية وفي كل لحظة، فهو يجمع كل

الكائنات التي تحيط به بصورة ذهنية، سواء تعلق الأمر بأشياء مادية أو بأشخاص أو حتى بمؤسسات، وهذه الصورة الذهنية تمكنه من تركيب وتقليد سلوك موضوعه اصطناعيا لتقييم نتائج قراراته ويختار ضمن القرارات الممكنة أفضلها، وإذا بدا له النموذج غير مناسب يغيره بآخر. وهكذا فإن سيرورة قرار التبضع أو سيرورة تقبل إعلام إشهاري هي مثلا سيرورات قابلة لأن تنمذج. يتعلق الأمر إذن بمحاولة حصر النسق المركب المدروس لاستباق ردود أفعاله بطريقة صورية ودون عودة إلى التجربة إلا في المستوى الافتراضي – *Virtuel*. وبالتالي يتعلق الأمر بوصف نسق واقي بطريقة صورية أي بالطريقة التي تجعلنا قادرين على معالجته بالحاسوب. فالنمذجة هي إذن، مبدأ أو تقنية تمكن الباحث من بناء نموذج لظاهرة أو لسلوك عبر إحصاء المتغيرات أو العوامل المفسرة لكل واحدة من هذه المتغيرات، فهي تمشي علمي يمكن من فهم الأنساق المركبة والمعقدة عبر خلق نموذج يكون بنية صورية تعيد إنتاج الواقع افتراضيا

إن النموذج وسيلة نظرية تبنى من أجل التفسير والتنبؤ بحوادث تخص العلوم والظواهر الاجتماعية. يسمح نموذج واحد بتفسير عدة ظواهر مختلفة ويقتصر كل نموذج على وصف جزء أصغر وأكثر دقة للواقع التجريبي وعلى عدد أصغر من الظواهر التي يمكن أن تظهر في عدد أقل من الوضعيات.

مميزات النموذج التجريبي الاجتماعي.

تكمن بعض مميزات النموذج التجريبي فيما يلي:

- الاستعانة بعدة تعابير ومنها الرسومات والبيانات والرموز.. من أجل تبسيط الواقع المعقد ووصفه.
- ترجمة الواقع المعقد باستخدام النماذج لوصف وتفسير الظواهر الاجتماعية.
- توظيف النموذج لتوضيح الربط بين مجموعة من العناصر يقوم كل واحد منها بوظيفة ما.

يلعب النموذج التجريبي دورين أساسيين :

١ . وصف وتفسير الظواهر الاجتماعية .

٢ . التنبؤ والتوقع بالحوادث .

يمكن الاستعانة بالنموذج التجريبي في حالة عدم توفر الأدوات، التي قد تكون كبيرة لا يمكن أن تتواجد في المخبر أو معقدة وذلك بتعويض الواقع المركب برسم أو مجسمات لفهم ووصف وتفسير الظواهر الاجتماعية .

أرسطو وعلم الإتصال

بدأت ملاحظة ظاهرة التواصل من الفيلسوف أرسطو، الذي ابتكر أوّل نظريّة للتواصل في التاريخ والتي تدعى بنظريّة الخطابة، وهي قائمة حتى الآن ولكن خلال القرن الماضي ومع بدأ انتشار وسائل الإعلام لمس الإنسان الحاجة في دراسة عمليّة الإتصال، وهو يتمّل بأمور كثيرة منها تواصل المدرّس مع طلّابه في الصّف، وتواصل الأبوين مع أولادهم، وتواصل المحاضر مع مجموعة كبيرة من الحضور، وتواصل القناة مع جمهورها وتواصل الممثل في المسرح مع المتفرّجين وتواصل الدولة مع الأمّة . هو أي عمليّة تتعلّق بإرسال معلومة ليكون لها رد فعل بعد ذلك من المتلقّين . وعلى هذا الأساس قسّم الإتصال إلى ثلاث أصعدة رئيسيّة وهي الإتصال الفردي والإتصال مع المجموعة وأخيرا الإتصال الجماهيري .

لكل من هذه الأقسام أعداد كبيرة من النظريّات التي تبيّن طريقة عملها وتدعى بنظريّات الإتصال . قام على وضع هذه النظريّات وتطويرها علماء في الإجتماع وعلماء النفس والمراقبون السياسيّن والحقوقيّون والإداريّون . وهي قسم مما يسمّى بالعلوم التي تختص بدراسة الإنسان والمجتمع كالقانون وعلم النفس . ولقد كانت أحد أسباب البحث وراء عمليّة الإتصال هي إتساع الشركات وإحتواء أعداد كبيرة من الموظفين مما أظهرت الحاجة إلى إنشاء نظريّات تتعلّق بالقيادة والإتصال مع المجموعات والعوام . ويوجد أكثر من عشر نظريّات في كل قسم من هذه الأقسام ولكنني سوف أذكر أهمها في عصرنا الحالي ومختصر عنها وسوف أقوم لاحقا بعمل تدوينة تختص بالشرح عن كل من هذه النظريّات

١ . الإتصال الجماهيري . وهو نوع التواصل الذي يوجه إهتمامه للجماهير عامّة. وهو حديث العهد. ويكون في أغلب الأحيان هذا التواصل عن طريق وسائل الإعلام .

- السيمائيّة أو علم المعاني "semiotics" لرولاند بارثاس .
- المنفعة والإشباع "Uses and Gratifications" لإليو كاتز .
- بيئة وسائل الإعلام "Media Ecology " لمارشال ماكلوان .
- نظريّة الإنبات "Cultivation Theory" لجورج جاربنر .
- نظريّة ترتيب الأولويّات "Agenda- Setting Theory" ماكسيل مكومبس ودونالد شو .

٢ . الإتصال مع المجموعة . وهو نوع التواصل الذي يأخذ شكلا أوسع. ويكون كعلاقة المدرس مع الطلاب. أو علاقة المدير بموظفيه. أو الكابتن مع فرقه . وهو يتألف أيضا من نظريّات كثيرة وسوف أناقش منها

- المنظور الوظيقي على إتخاذ القرار "Functional Perspective on Group Decision Making " لراندي هيروكاوا ودينيس جوران .
- النهج الثقافي للمنظمات "Cultural Approach to Organizations " كليفورد جريتز ومايكل باكانوسكي .
- الخطابة "The Rhetoric" لأرسطو .

٣ . الإتصال الفردي . وهو الإتصال على الصعيد الضيّق بين الفرد والفرد الآخر. حتى الآن تم تطوير أكثر من خمسة عشر نظريّة وسوف أقوم بذكر ثلاثة منها فقط. هذه النظريّات هي

- التأثر الرمزي أو "Symbolic Interactionism" لجورج هيربرت ميد .

- الإدارة المنسقة للمعنى "– *Coordinated Management of Meaning MMC*" لبارنيت بيارس وفيرنون كرونين.
- نظريّة معالجة المعلومات الإجتماعيّة "*Social Information Processing Theory*" لجوزيف والتر.

نموذج أرسطو

لسنين طويلة جدا، ظل علم الإتصال والذي كان قسما من دراسة الآداب اللغوية معتمدا على نظرية أساسية ترجع إلى ٣٠٠ عام قبل الميلاد، وتنبع منها جميع تطبيقات الإتصال وهي النظرية الخطابية لأرسطو.

عندما كان الإسكندر المقدوني صغيرا وفي رحلة استعداده ليرث الحكم عن أبيه، علّمه أرسطو نموذجا لخطابه أيا كان مضمون هذا الخطاب، فقد اعتبر أرسطو أن ما يجعل القائد يؤثر على مجموعة ما ويجعلهم ينصاعون لأوامره ما هي إلا فن في التواصل مع هؤلاء الأفراد، وكل من اطلع على تاريخ الإسكندر المقدوني يعلم جيدا قدرته الغير مسبوقة في أن يكون ملهما لجيشه مؤثرا على عاطفتهم في كل أمر يتلقونه.

تكون نموذج أرسطو في التواصل على خمسة عناصر أساسية وهي:

١. المتحدث

٢. الخطاب

٣- المناسبة

٤ – الجمهور

٥- التأثير

ويعتبر أرسطو أن ضرورة تعريف كل عنصر من هذه العناصر أمر ضروري ليتم تحديد كيف ستؤثر على المتلقين بالطريقة المرجوّة دون حدوث أي مشكلة في

الفهم، فهو يقترح أن على المتحدث أن يبني خطابه بما يتناسب مع طبيعة الجمهور في مناسبة معينة ليكون التأثير ناجحا.

ظلّت هذه النظرية معتمدة من جميع القيادات والدّول لاحقا وفي عصر النهضة الأوروبيّة في القرن الخامس عشر اعتبرت النظريّة من أهم فنون الإتصال وأن اللغة هي أساس النمو البشري الفكري والإتصال الثقافي بين الأمم وعلى أنها الوسيط الذي يفهم من خلاله الإنسان المعاني والعلوم. ومن هنا بدأت فكرة الإعلام تتبلور فطبق نموذج النظرية الخطابية في كل خطاب أو إعلان عام أو حملة انتخابية.

استمر علم الإتصال على هذه الحال حتى بداية القرن العشرين، وكانت بداية انشقاق علم الإتصال ليصبح مجال منفصل للدراسة في الجامعات، فقد بدأ مفهوم الإتصال الجماهيري يتطور ولوحظت أهميته في قيادة المجتمع والتأثير عليه في أصغر تفاصيل المعيشة. مع الرغم أن علم الإتصال يرجع إلى عصور قديمة جدا كما ذكرت، ولكن الأعمال المؤخرة من قبل تشارلز كولي ووالتر ليبمان وجون ديوي الذين لمعوا في أواسط القرن العشرين تعتبر ذات أهمية في المبدأ الأكاديمي في دراسة الرأي العام والإنتاج الإعلامي والصحافة والتلفزيون والتعامل مع الجماهير في الطريقة التي هي عليه اليوم.

إن أول دراسة علميّة إجتماعيّة واسعة النطاق لتأثير الحملات الدعائية كانت تحت عنوان "إختيار الجماهير" سنة ١٩٤٠ في الإنتخابات الرئاسيّة للولايات المتحدة بين الديموقراطي فرانكلين روزيفيلت والجمهوري ويندل بفريق من الباحثين تحت قيادة بول لازارسفلد في محاولة لمعرفة كيف يقرر الناخبون في أي المرشحين سوف يضعون أصوتهم. وجد الباحث لازارسفيلد أن الأشخاص الذين كانوا على اهتمام عالي في الحملة الإنتخابيّة والذين أعطوا اهتمامهم للتغطية الإعلامية لها كانوا الأقل تأثرا في الحملة. لماذا؟ لأنهم كانوا قد قرّروا مسبقا أي المرشحين هم يدعمون حتى من قبل بداية الحملة. وفي المقابل، الناخبين الذين قرروا في أخر دقيقة كانوا يلجؤون للأصدقاء والجيران الذين كانوا يتابعون الحملة في تحرّيهم عن المرشحين أكثر من وسائل الإعلام

ذاتها. بشكل عام، هم كانوا يلجؤون للأشخاص الذين يعرفونهم ممن كانوا على اطّلاع بالحملة والذين يثقون بهم، هؤلاء هم من أسماهم لازارسفلد "بقادة الرأي".

فقادة الرأي هم أفراد لهم تأثير على مجتمعهم، قد يكونوا من الأصدقاء أو أقرباء أو زملاء، يقضون وقتا كبيرا في متابعة وسائل الإعلام والإنخراط في القضايا التي يطرحها ومن هنا تمت تسمية نظرية "تدفق الإتصال ذو الخطوتين"، يقول لازارسفلد أن المعلومات من وسائل الإعلام تتدفق على خطوتين، الخطوة الأولى من وسائل الإعلام إلى قادة الرأي والخطوة الثانية من قادة الرأي إلى بقية العامّة. بكل بساطة هم أشخاص يتابعون وسائل الإعلام لمعرفة معلومات أكثر عن القضايا التي تحيط بمجتمعهم مما يجعل الناس من حولهم تعود إليهم واستشارتهم في قضاياهم وآرائهم. وتسمى استخدام هذه العملية اليوم ب"قيادة الرأي" وهم المؤسسات التي تستخدم نموذج التدفق ذو الخطوتين للتأثير على آراء العامّة.

لقد كان هذا الإستنتاج مفاجئا للازارسفلد وفريقه ولكثير من الباحثين في علوم الإتصال والإجتماع ذاك الوقت. ولكنه في هذا الوقت هو ليس غريبا لأنه من المعروف أن التأثير الشخصي المباشر بين الأفراد هو أكثر أهمية وفعّالية من وسائل الإعلام. فالفكرة باتت واضحة وبسيطة أنالأفراد في مجموعات يميلون دوما إلى التعبير عن آرائهم ومشاركتها مع الآخرين، ولكن عندما يريدون البحث وراء معلومات موثوقة فهم يذهبون نحو الأشخاص المطّعون حول هذه الأمور والذين يثقون بهم.

خطة دراسة إختيار الجماهير على ثلاثة محاور أساسية:

- الناخبون الذين يمتلكون وجهات نظر متينة ذو أساس قوي هم أقل الناخبين تأثرا في الحملات الانتخابية.
- الناخبون الذين يتابعون الحملات الدعائيّة الانتخابية هم أشخاص لديهم وجهات نظر متينة لذا الحملات الدعائيّة لن تؤثر عليهم.
- الناخبون الذين يسهل إقناعهم والتأثير عليهم هم الأشخاص الذين ليس لديهم

اهتمام عالي في القضايا السياسيّة فالتأثير عليهم يكون عن طريق قادة الرأي الذين بدورهم على إطّلاع بوسائل الإعلام.

لقد تفعل تأثير قادة الرأي في العصر الحديث لوسائل الإعلام، ففي الماضي كان تأثير قادة الرأي يقتصر على الخطابات والنقاشات على المستوى الشخصي، أما اليوم فقادة الرأي لديهم أكثر من منبر لكي يتحدثوا عن آرائهم وأفكارهم مما يجعل أصواتهم تصل إلى ما وراء البحار خلال أجزاء من الثانية وقد ساعد ذلك إلى ظهور ما يسمّى بصحافة الشارع أو صحافة المواطنة. وأصبح قادة الرأي اليوم يحصلون على تغطية إعلامية أكبر من غيرهم غيرهم ويكونوا غالبا مختصون في قضايا معينة، وهم يحظون بقبول من مجموعة كبيرة مما يعزز من وضعهم الاجتماعي، ويدعون أيضا بقادة الفكر.

ابن خلدون وارسطو والاتصال

يرجع لابن خلدون الفضل في جهوده لتطوير العملية الاتصالية فيما عرف بالنظام الخطي في الاتصال حيث وضع عناصر الاتصال بشكلها الحالي متقدما على ارسطو في تحديده لماهية هذه العناصر ففي حين كان ارسطو يطلق مصطلحات من مثل الخطيب والخطبة والجموع اطلق ابن خلدون مصطلحات المرسل والرسالة والجمهور أي انه اعطى مدلولا واقعيا للعملية الاتصالية

أنواع الاتصال:

أولاً: من حيث اللغة المستخدمة:

١. **الاتصال اللفظي** *Verbal Communication*

ويتم من خلال استخدام اللغة أو الألفاظ التي تحمل ذات المعاني لطرفي الاتصال ويتم استخدام الكلمات البسيطة الواضحة المعني المألوفة الجرس، والجمل القصيرة بقدر الإمكان لتحقيق الفهم المشترك.

٢. الاتصال غير اللفظي *Non verbal Communication*

وهو عبارة عن لغة الحركة، والإشارة، والألوان، والأشياء

ويمكن تقسيم الاتصال غير اللفظي إلي أربعة أنواع من الرموز :

- رموز الأداء : وتشمل حركات الجسد – تعبيرات الوجه – الإيماءات .
- رموز اصطناعية : مثل نوع الملابس – الديكور – الماكياج – المعمار .
- رموز إعلامية : مثل حجم البنط المستخدم في الطباعة، وموقع الخبر أو الموضوع، نوع الصور المستخدمة، الحجم، اللون، الظلال – أنواع اللقطات التليفزيونية – زوايا الكاميرا –الإضاءة .
- رموز ظرفية : تنبع من استخدامنا للوقت والمكان مثل ترتيب جلوس الزوار حسب أهميتهم .

ثانياً: من حيث حجم المشاركين في عملية الاتصال:

١ . الاتصال الذاتي *Intrapersonal Comm* . .

٢ . الاتصال الشخصي *Interpersonal Comm* . .

٣ . الاتصال الجمعي *Group Comm* . .

٤ . الاتصال العام *Public Comm* . .

٥ . الاتصال الوسطي *Medio Comm* . .

٦ . الاتصال الجماهيري *Mass Comm* . .

عناصر عملية الاتصال:

١ . المرسل *Sender* .

٢ . المستقبل *Receiver* .

٣ . الخبرة المشتركة *Field Experience* .

٤ . الرسائل *Messages* .

٥ . الوسائل *Channels* .

٦ . التشويش *Noise* .

٧ . الأثر *Effect* .

٨ . رجع الصدى *Feed back* .

٩ . السياق الاجتماعي والثقافي *Context* .

مكونات عملية الاتصال:

١ ، المرسل *Sender* : هو الشخص القائم بعملية الاتصال والذي يقوم بصياغة الرسالة بشكل جيد،فإذا نجح المرسل في صياغة رسالته نجح في عميلة الاتصال وان لم ينجح تفشل عملية الاتصال .

الشروط الأساسية الواجب توافرها في المرسل:-

أ ، مهارات الاتصال عند المصدر وتنقسم إلى خمس مهارات : مهارة الكتابة ومهارة التحدث ومهارة الاستماع ومهارة القراءة ومهارة القدرة على التفكير ووزن الأمور .

ب ، اتجاهات المصدر،إذا كان اتجاه المصدر نحو ذاته سلبيه سيؤثر ذالك على مدى إقناعه للجمهور المتلقين بالرسالة ولن يستطيع إقناعهم بها إما إذا كان اتجاه المصدر نحو ذاته ايجابي فسيكون أكثر إقناعاً للجمهور .

ت ـ مستوى معرفة المصدر .

ث ـ النظام الاجتماعي والثقافي .

٢ ـ المتلقي *Receiver* : هو الشخص الذي يتلقى الرسالة وأحيانا يكون المرسل هو المتلقي نفسه في حالة الاتصال الذاتي .

٣ ـ الخبرة المشتركة *Field of Experience* :كل فرد يحمل نطاقا واسعا من الخبرات والمعلومات، فكلما تقاربت المعلومات بين المرسل والمتلقي زادت فعالية الرسالة وكلما قلت انخفضت فعالية الرسالة .

٤ ـ الرسائل*Messages* : هو مضمون السلوك الاتصالي، و

هناك أمور يجب أن نأخذها في الاعتبار بالنسبة للرسالة :

أ ـ كود الرسالة المتمثل في الرموز المكونة للرسالة .

ب ـ مضمون الرسالة : مادة الرسالة التي يختارها المصدر للتعبير عن أهدافه .

ت ـ معالجة الرسالة : القرارات التي يتخذها المصدر بالنسبة للطريقة التي سيقدم بها الكود والمضمون .

٥ ـ الوسائل (القنوات) *Channels* : القنوات التي تصل من خلالها الرسالة إلى المتلقي مثال : السمع،النظر،الشم،والتذوق .

يتحكم في استخدام وسيلة الاتصال عوامل وهي :

أ ـ طبيعة الفكرة المطروحة .

ب ـ خصائص الجمهور المستهدف .

ت ـ تكاليف استخدام الوسيلة .

ث ـ أهمية عامل الوقت بالنسبة للموضوع الذي يتناوله الاتصال .

ج ـ مزايا كل وسيلة وما تحققه من تأثير على الجمهور المستهدف .

٦ ـ التشويش Noise: هو كل عائق يقف في طريق إرسال آو استقبال الرسالة.

وينقسم التشويش إلى:

أ ـ التشويش الميكانيكي.

ب ـ التشويش الدلالي.

٧ ـ رجع الصدى Feedback: إعادة المعلومات للمرسل حتى يستطيع ان يقرر ما إذا كانت الرسالة حققت أهدافها من عدمه.

هناك أربع طرق للنظر إلى رجع الصدى:

أ ـ قد يكون رجع الصدى ايجابيا أو سلبيا.

ب ـ قد يكون رجع الصدى داخليا أو خارجيا.

ت ـ قد يكون رجع الصدى فوريا أو مؤجلا.

ث ـ قد يكون رجع الصدى حرا آو مقيدا.

٨ ـ الأثر Effect: هي نتيجة الاتصال، والأثر التي تتركه الرسالة في نفس المتلقي والمرسل على حد سواء.

٩ ـ السياق (بيئة الاتصال) Context: هو البيئة الاجتماعية التي تمدنا بقواعد وأحكام للتفاعل معها.

عوامل فعالية الاتصال:

- المصدر.
- الرسالة.
- الوسيلة.
- الجمهور المستهدف.

عوامل فعالية المصدر:

- المصداقية*Credibility*
- الجاذبية*Attractiveness*
- السلطة (النفوذ) *Power*

نظريات بين الواقع والتطبيق

قدمت نظريات الاتصـال رؤى متعـددة لحركة مكونـات العملية الاعلاميـة والعملية الاتصالية واتجاهاتها بشكل عام .

اعتمدت هـذه النظريات فـي أفكارها وبنائهـا على دراسـات تطبيقيـة وميدانية عديدة ومتنوعـة إلا أن الظاهـرة الاعلاميـة المعاصـرة تـكاد تكون قـد اصطدمـت مـع الكثير من الاشـكاليات على صعيـد الفكـر والتطبيق خصوصـا إن وصـف الظاهرة بصورتهـا الحالية تتجاوز حدود وطاقات التجريب أو الاختبار بسبب تأثير مجموعة من العوامل من اهمها :

١ .التطـور التكنولوجـي المذهـل الـذي ميـز العصـر الحالـي علـى اسـاس ان تكنولوجيا الاتصـال والمعلومات اصبحت سـيدة مظاهـرة التطـور وخاصة ان وسـائل الاتصال والاعلام كانت اكثر المستفيدين من هذا التطور سواء في الحاجات البنيوية او التقنية .

٢ .اضحت العملية الاعلامية تعمل في اطار عصر المعلوماتية والذي يتصف بمفاهيم الوفرة، القوة، السـيادة، والسـيطرة حيـث اضحت وسـائل الاتصال تلعـب دورا هامـا في مجال المعلومات وتكنولوجيا الاتصال واضحى التعامل معها يندرج من خلال هذه المفاهيم .

٣ .مع انتشار مفاهيم العولمة والكوكبية والكونية اضحت وسائل الاعلام تحتل مكانة كبيرة في تصدير الافكار والسياسات الخاصة بهذة المفاهيم لأنها باختصار قادرة على عبور الحواجز والمسـافات وقدرتها على الاختراق للثقافـات والوعي العام من خلال تأثيرات التطور التكنولوجي الذي استفادت منه هذه الوسائل .

٤ .بفضل تطور وسـائل الاتصال والاعلام وزيادة تأثيراتهـا انتقلت الظاهرة الاعلامية من مجـال الاهتمـام الاكاديمي الى مجـال القـوى السياسـية والاقتصاديـة التي اصبحـت تنظر الى وسـائل الاتصـال والاعـلام باعتبارها قـوة لا يجـوز ان تترك مقاليد امورها في يد فئة واحدة فقط فكل فئات المجتمع تشترك في ادارتها .

٥ .استطاعت وسائل الاتصال والاعلام الاستفادة من البناء الرمزي للحقائق الاجتماعية من خلال رسم الصور والافكار والشخصيات في الوعي العام للشعوب والمجتمعات لخدمة مصالح القوى الفاعلة في هذه المجتمعات .

ان هذه العوامل تمثل بصفة خاصة مفهوم القوة والتأثير الذي ألقى بضلال الشك حول حدود استقلال الوسائل وحدود الوظائف والادوات التي تقوم بها وسائل الاعلام في السنوات الحالية

- مصداقية البحوث والدراسات الاعلامية التي واكبت سنوات التطور الطويلة أدت في نفس الوقت الى ان يتوقف الخبراء امام الكثير من الظواهر الاجتماعية والحالات التي تبدو واضحة على ارض الواقع وتتعارض كلية مع المفاهيم العلمية والنتائج مثل سيادة المفهوم الغربي عامة والامريكي خاصة في الفكر والتطبيق في الكثير من دول العالم .
- الشك في مصداقية الاهداف والوسائل يجعلنا نعترف بأن الدور الرئيسي لوسائل الاعلام في هذه السنوات هو التعامل مع المعرفة بشكل هادف يتفق مع سياسات واهداف اصحاب المصلحة والقوى الفاعلة سواء في المجتمعات المحلية أو الدولية .
- محتوى ومضمون العملية الاعلامية الذي يتم نشره أو إذاعته لا يزيد عن كونه تسويقا هادفا للمعرفة التي تتبناها وسائل الاعلام ويمكن الاستدلال على ذلك من خلال مناقشة الجوانب الخاصة بالاتجاهات الجارية نحو السيطرة على وسائل الاعلام واتجاهاتها ومحتواها

نظريات ونماذج الاتصال (اختلاف المسمى وتلاقي المفهوم والوظيفة)

لاتزال كثير من الدراسات العربية في علوم الاتصال تقدم لنا علم الاتصال في اطار فيه كثير من الخلط في بعض المفاهيم والمسميات وقد يكون ابرز الاسباب في ذلك الترجمة غير الدقيقة لهذه العلوم على يد فئة غير متخصصة ومؤهلة في مجال الاعلام والاتصال .

لذا ما زال الخلط قائم بين علم الاتصال وعلم الاعلام وبين النظريات والنماذج في العملية الاتصالية لكن بعد تعدد الدراسات في مجال الاعلام والاتصال وتطور دراسة الإعلام والاتصال في الجامعات والمعاهد في العالم الثالث وبعد حصول زيادة كبيرة في الحاصلين على شهادات عليا في الاعلام من الجامعات الغربية ظهر جيل جديد من علماء الاتصال قدموا لنا هذا العلم في اطاره الحقيقي حيث قاموا بالتفريق بين علم الاعلام وعلم الاتصال ووضحوا العلاقة بينهم ثم قدموا لنا النماذج والنظريات كلا على حدة وقاموا بالتفريق بينهم .

لماذا نماذج الاتصال ونظريات الاتصال:

أثبتت الدراسات العلمية الحديثة في مجال علم الاتصال أنه يوجد اختلاف حقيقي بين النظريات والنماذج ويمكن لنا تحديد هذا الاختلاف في النقاط الآتية :

- يوجد تداخل بين النظرية والنموذج حيث ان النموذج يفهم في سياق النظرية .
- النموذج يساعد النظرية في عملية البناء والفهم والتحليل .
- النظرية بناء كلي لعمل الإعلام بجزيئاته أما النموذج فهو بناء جزئي لعمل الاعلام .
- النظريات تركز على العلاقات الخارجية والمؤسسية أما النموذج فهو يركز على العمليات الداخلية الإدراكية للإنسان .
- النظريات أكثر توجها للمجتمع وعناصره المادية والعلاقات الدولية والمحلية النموذج أكثر توجها للانسان نفسه من خلال محاكاة أفعاله وتوجهاته .
- النظرية هي تصور بنيوي للعلاقات السببية أو نظام للملفات الوظيفية والبنائية للظواهر الاجتماعية .
- النموذج هو محاولة علمية شديدة الاهمية لفهم كيف يعمل الاعلام وهو أكثر ثباتا وأكثر قابلية للتعميم على الافراد .
- النظرية أكثر تغيرا وأقل قابلية على التعميم لارتباطها بالمجتمع والذي يتسم بقلة

التجارب والقواسم المشتركة على عكس الافراد .

- النظرية فـي المعاجم تعني قضيـة تثبت بالبرهـان أو طائفة من الآراء تفسـر الوقائع العلمية أو البحث في المشـكلات القائمة على العلاقة بين الاشخاص والمواضيع أو السبب والمسبب .
- النظرية هي نوع من التعميم للنشـاط المعرفي ونتائج الممارسـة من خلال التحقق من الواقع والعمل على تفسير هذه النتائج والتنبأ بالقوانين المنظمة .
- النظريـة تعنـي المبـادئ العامة ولاقوانيـن الحاكمـة لعلاقـات الاشـياء الظاهرة أو الكامنة الداخلية أو الخارجية وتعكس الواقع روحيا أو عقليا أو تجريبيا .



ابرز المدارس المهمة

مدرسة شيكاغو المعمارية

أطلقت هذه التسمية على الاتجاه المعماري الذي ساد في وسط وغرب الولايات المتحدة الأميركية، وبالذات في مدينة شيكاغو في أواخر القرن التاسع عشر، وتكمن أهمية هذه المدرسة في أنها قاربت الشقة بين الانشائيين والمعماريين والذين طبع تعاونهم كل المنشآت الجديدة في المدينة بعد أن كانت تفصل بينهم هوة واسعة في العصور الماضية، وقد مهدت مدرسة شيكاغو وبجرأة كبيرة الطريق نحو نقاء الأشكال ووحدة التعبير بين العمارة والانشاء.

مدرسة شيكاغو للاقتصاد (*Chicago school of economics*) تصف المدرسة الفكرية الاقتصاد الكلاسيكي الحديث في المجتمع الأكاديمي للاقتصاديين، بتركيز قوي حول طاقم تدريس جامعة شيكاغو، الذين بنى بعضهم وعمَّم مبادئها. ويشار إليها أحياناً بإسم مدرسة المياه العذبة *freshwater school* في الاقتصاد، بالمقارنة مع مدرسة المياه المالحة المتمركزة في الجامعات الساحلية (أبرزهم هارفرد، إم آي تي وبركلي). ويفتخر قسم الاقتصاد بجامعة شيكاغو، الذي يعتبر أحد أهم أقسام الاقتصاد في العالم، بتخريجه أكبر عدد من حائزي جائزة نوبل ومدالية جون بيتس كلارك في الاقتصاد مقارنة بأي جامعة أخرى. وقد رفضت المدرسة مبدأ الكينزية مفضلةً *monetarism* حتى عقد ١٩٨٠، عندما تحولت إلى فلسفة التوقعات العقلانية.

أشهر روادها

- فرانك نايت
- فريدريش فون هايك
- رونالد كوس
- جورج ستيجلر

- ملتون فريدمان
- روبرت فوجل
- جاري بكر
- ريتشارد پوزنر
- روبرت لوكاس
- يوجين فاما

مدرسة شيكاغو لعلم الاجتماع

أول قسم جامعي لعلم الاجتماع هوذلك الذي أنشىء في شيكا غو عام ١٨٩٢ ولا ينبغي الخلط بين هذه المدرسة ومدرسة شيكاغو لعلم النفس الإجتماعي ولابمدرسة شيكاغو للهندسة المعمارية الحديثة ' أومدرسة شيكاغوللانثروبولوجيا الإجتماعية' وإن كانت تلك المدارس تبين مدى القدرة الخلاقة التي ظهرت بشكل مكثف في حقبة تاريخية معينة. وقد ترأس القسم (ألبيون سمول) الذي كان متأثرابالتقليد السوسيولوجي التفسيري الآلماني. وقد خلف (سمول) في رئاسة القسم (روبرت بارك) حيث إشتهر بأْ سهامه النظري المعروف ب (الآيكولوجيا البشرية) ولكن الذي جعله أكثرشهرة هو إدخاله إسلوب الملاحظة بالمشاركة في مجال البحث الميداني لعلم الإجتماع . وقد جمع حوله مجموعة من الخريجين الذين اصبحت دراستهم في (شيكاغو)من الكلاسيكيات في مجالي علم الاجتماع الحضري وعلم الاجتماع الإنحرافي وهذه المجموعة التي شكلت مدرسة شيكاغو وعلى يديها تحققت أول دراسة أمبيريقية لها شأنها تحت عنوان (الفلآح البولندي في أوروبا وأمريكا ل (توماس زنانيكي) عام ١٩١٧ 'ثم بدأت في اصدار المجلة الامريكية لعلم الاجتماع عام ١٨٩٥' ثم إنشاء الجمعية الامريكية لعلم الاجتماع عام ١٩٠٥ كما تم إنشاء أول وأكبر قسم لعلم الاجتماع في العا لم ' بالإضافة الى إخراج أفضل نص إجتماعي لعدة سنوات وهو (مقدمة في علم الاجتماع)

إهتمامه منصبا على المجتمع، وكان ذلك عام ١٩٢١ كما إنصب على يد تلك المجموعة اوسع وأكثر البرامج البحثية في مجال علم الاجتماع وكانت «شيكاغو» تحبذ تناول البحوث الكمية والكيفية، ولم يكن الاهتمام ينصب فقط على الجوانب العملية، وإنما كان ينحو أيضا الى وضع نظريات أكثر رسمية، كذلك كان هناك إهتمام قوي بنماذج التنظيم الاجتماعي الذي لم يمنع في نفس الوقت من تطوير أول نظرية عن علم النفس الاجتماعي الخالص مثل نظرية «ميد» عن البحث الامبيريقي في مجالات مختلفة كالأجناس، والمناطق المغلقة،والإنتحار إلخ إلا إنه خلال الثلاثينيات بدأت هيمنة هذا القسم تتقلص مع ظهور «الوظيفية» بزعامة «تالكوت بارسونز» وخلال الاربعينيات كان هناك جيل جديد يتمرس وسط هؤلاء مثل جوفمان وإنسيام ستراوس ودافيد جولد ... وهؤلاء المجموعة من الدارسين أسهموا بدرجة كبيرة في إحياء الاهتمام بالتفا علية الرمزية والبحوث الكمية في الستينيات، وقد أطلق «دافيد ماتزا» على هؤلاء إسم مدرسة شيكاغوالجديدة.

ان دراسات المجتمع هي مجال أكاديمي يستند إلى علم الاجتماع وعلم الإنسان ومناهج البحث الاجتماعي لوصف الأعراق البشرية وملاحظة المشارك في دراسة المجتمع. في البيئات الأكاديمية حول العالم، تتخذ دراسات المجتمع وجوهًا مختلفة فهي إما تخصص فرعي لعلم الإنسان أو علم الاجتماع أو تخصص مستقل، كما أنه عادة ما يكون تخصصًا متداخلاً يتم تكييفه للاستخدام في تطبيقات معينة بدلاً من أن يظل آراء نظرية بحتة في بعض الأحيان، يتم ضم دراسات المجتمع إلى مجالات أخرى مثل "دراسات الحضر والمجتمع" أو "الصحة ودراسات المجتمع" أو "الأسرة ودراسات المجتمع

نظرية المعرفة

في أمريكا الشمالية، استلهمت دراسات المجتمع أفكارها من النصوص الكلاسيكية لعلم الاجتماع الحضري الذي أبدعته مدرسة شيكاغو مثل أعمال لويس ويرث وويليام فوت وايت. أما في بريطانيا، فتم تطوير دراسات المجتمع لمديري المستعمرات الذين يعملون في غرب إفريقيا لاسيما في كينيا، ثم شهدت مزيدًا من التطور في فترة ما بعد الحرب مع إنشاء

معهد دراسـات المجتمع على يد مايكل يونج في غرب لندن والدراسات التي نشرها المعهد مثل الأسرة والقرابة في غرب لندن (*Family and Kinship in East London*).

عـادة مـا تفتـرض دراسـات المجتمـع مثل علـم الإنسان الاستعمارية :الاسـتعماري وجود مجتمعـات قائمة بذاتهـا ومتجانسـة نسـبيًا تشـبه القبائل تقريبًا يمكن دراسـتها على اعتبارها كليات لا تتجزأ. ومن هـذا المنظور، كانت دراسـات المجتمع مؤثرًا رئيسـيًا على الطائفية والشيوعية بداية من النطاق المحلي إلى العالم وما بينهما.

المناهج

تتمحور مناهج دراسـات المجتمـع عـادة حـول "همـوم" المجتمـع، والتـي تتضمن الصحة العقلية والجسـدية والضغط والإدمـان ومرض الإيدز والعنصريـة والهجرة والإثنية والنوع والهويـة والحيـاة الجنسـية والبيئة والجريمـة والانحـراف والجنوح والمشـكلات الأسرية والكفاءة الاجتماعية والفقر والتشرد والجوانب النفسية والاجتماعية الأخرى. هذا ويعد فهم التكامل الاجتماعي والثقافي وتشـعبات علم الإنسـان للوصول إلى تحليل دقيق لصحة المجتمع مفتاحًا لمجال هذه الدراسات.

تركـز مناهـج دراسـات المجتمـع أيضًـا علـى علـم الإنسـان، لاسـيما علم الإنسـان الثقافي، حيث تحدد بعض البرامج كشـرط أساسـي لها معرفة خلفية المجتمع والسـياقات التاريخية له بالاستقاء من الاكتشافات الأثرية والأسس النظرية للوصول إلى معرفة التنظيم الاجتماعي وشـكل المجتمع فـي التاريخ القديـم وفترة ما قبـل التاريخ. وتمثـل النظريات المتصلة بما يعـرف بـ "الثـورة النيوليثية" مثالاً لدراسـة متعمقـة في كيفية نشـأة مجتمعات الصيد وجمع الثمار وأماكنها وأسبابها

وقد ارتبطت دراسـات المجتمع بأسـباب تحقيق العدالـة الاجتماعية وتعزيز السـلام ونبـذ العنـف والعمل علـى الوصول إلـى التغييـر الاجتماعـي والذي عـادة مـا يحدث في إطار النشطاء.

الكليات التي تركز على دراسات المجتمع

دراسات الحضر والمجتمع في جامعة كونيتيكت

برنامج دراسات المجتمع في جامعة كولورادو بولدر.

دراسات الحضر والمجتمع في معهد روتشستر للتكنولوجيا.

كلية المجتمع والخدمة العامة في جامعة ماساتشوستس في بوسطن

المقررات المتكاملة لمناهج دراسات الطفل والأسرة والمجتمع في كلية دوجلاس (كولومبيا البريطانية، كندا)

مركز دراسات المجتمع في كلية بيبودي -فاندربيلت

مركز دراسات الحضر والمجتمع في جامعة تورونتو

معهد الصحة ودراسات المجتمع في جامعة بورنموث (المملكة المتحدة)

المركز الأفريقي لدراسات المجتمع في جامعة أكرون

قسم سياسة التعليم ودراسات المجتمع في جامعة ويسكونسن ميلووكي.

التركيز التكاملي للدراسات - المجتمع في جامعة جورج ماسون

قسم دراسات المجتمع والزراعة والترفيه والمصادر في جامعة ولاية ميتشجان

قسم السياسة الاجتماعية والتعليم في كلية بيركبيك، جامعة لندن (المملكة المتحدة)

هي إحدى "مدارس" الاقتصاد الأمريكية الأكثر شهرة. إن مصطلح "مدرسة شيكاغو" مرتبط بصنف خاص من الاقتصاد الذي يتقيّد تماماً بنظرية الأسعار التقليدية الجديدة في تحليلها الاقتصادي وتحرُّر السوق من الكثير من العمل المتعلق بسياستها وبمنهجية تمقت نسبياً المبالغة في الشكليات الرياضية (الحسابية) وترغب في تجاهل الجدل المنطقي المتعلق بالتوازن العام الحذر لصالح تحليل التوازن الجزئي الموجه بالنتائج بشكل أكبر.

وفي السنوات الأخيرة، اقترنت "مدرسة شيكاغو" بتطبيق الجدل المنطقي الاقتصادي على حقول أخرى، كالعلوم السياسية، والنظرية القانونية، والتاريخ، وعلم الاجتماع.

لقد كان لمدرسة شيكاغو جوانب متعدّدة ذات مميّزات مختلفة تماماً. وبالرغم من ذلك، يبدو أن العامل الثابت الرئيسي يتمثل في أنها احتفظت دائماً بمكانة فريدة ومتميّزة ومؤثّرة في حقل الاقتصاد. وفي العصر الحديث، وتحت مظلّة "مدرسة شيكاغو"، فإننا نستطيع أن نحصي عدّة مدارس فكرية أخرى: فعلى سبيل المثال، النظرية القائلة بأن اقتصاد بلدٍ ما يتحدّد بشكل رئيسي بكميّة النقود أو الأموال المتوفرة (السياسة النقدية الاقتصادية) في عقد الستينيّات من القرن الماضي، والاقتصاد الشامل التقليدي الجديد والمتعلق بدورة الأعمال الحقيقيّة منذ عقد السبعينيّات من القرن الماضي وحتى يومنا هذا، وفي وقت أقرب،المؤسّساتية الجديدة، والاقتصاد التاريخي الجديد، والاقتصاد القانوني، وغيرها.

لقد حصلت جامعة شيكاغو على حصة الأسد من جوائز نوبل في الاقتصاد: ميلتون فريدمان، وثيودور شولتز، وجورج ستيجلر، ورونالد كوز، وجاري بيكر، وميرتون ميلر، وروبرت فوغل، وروبرت لوكاس، وجيمس هيكمان، كانوا جميعاً في كلية شيكاغو عندما حصلوا على جوائزهم. وإذا كنّا سنضيف رجال الاقتصاد الذين تدرّبوا في كلية شيكاغو، فإن قائمة الحاصلين على جوائز نوبل سوف تتوسّع لتشمل هيبرت سايمون، وجيمس بيوكانن، وهاري ماركوفيتس، وروبرت موندل، ومايرون سكولز.

مدرسة فرانكفورت

هو الاسم الذي اطلق علي معهد العلوم الاجتماعية المعاد فتحه في فرانكفورت في الخمسينات من القرن الماضي علي يد ماكس هوركهايمر بعد ان تم غلقه في الفترة النازية. ويسود خلط كبير في هذا السياق بين تسميات عدةومختلفة. ولرفع هذا اللبس ينبغي التمييز بين ثلاث مراحل رئيسية:

المرحلة الاولي:مرحلة التاسيس

في هذه المرحلة وتحديدا بداية من سنة١٩٢٣ وقع تاسيس معهد العلوم الاجتماعية في فراكفورت بألمانيا علي يد مجموعة من النشطاء الماركسين الذين يريدون اعادة احياء البعد النقدي في الفلسفة الماركسية ازاء الجمود الذي لحقها جراء تحولها الي ارثودوكسية جامدة عند اغلب المفكرين الالمان . اعادة الاحياء هذه تهدف الي تفعيل البعد النقدي التحرري في الفلسفة الماركسية باعتباره رافدا اساسيا للحركة الاجتماعية ومن هذا المنطلق يهدف المعهد الي بحث شروط الثورة «ثورة البروليتاريا» والعمل علي تحفيزها .

المرحلة الثانية:مرحلة المنفي

بصعود النازية للحكم وفي سياق ما عمدت اليه من «تطهير» فكري وبالنظر الي واقع ان كل المنمين للمعهد والفاعلين فيه هم من اليهود وقع ملاحقة مفكري المعهد الذين تفرقوا في الأمصار بداية من جنيف الي باريس وصولا الي الولايات المتحدة حيث استقر هوركهايمر ولحق به ادورنو وماركيز وغيرهم وواصلوا ابحاثهم ولكن بنفس تشاؤمي ويأس من امكانية الثورة الموعودة وانتهي بهم الامر الي يأس نهائي من الثورة ثم الحضارة ثم العقل في نهاية المطاف خاصة في الكتاب المشترك بين هوكهايمر وادرنو والمسمي في اصله الألماني «جدلية التنوير» وترجم الي الفرنسية تحت عنوان «جدلية العقلنة»

المرحلة الثالثة: اعادة التركيز

بانتهاء الحرب العالمية الثانية تولد مسعي سياسي أكاديمي الي اعادة الحياة في الفكر السابق للنازية وفي هذا السياق تم الاتصال بهوركهايمر للعودة الي فرانكفورت واعادة فتح المقر الاصلي للمعهد خاصة بعد بروز عديد الأسماء التي تحولت الي مراجع في عالم الفلسفة . وافق هوركهايمر في اطار صفقة يتم بموجبها توفير تمويل حكومي للمعهد وربطه بجامعة فرانكفورت وحث باقي الأعضاء للعودة للمعهد وفي المقابل يتخلي المعهد عن خطه الثوري الراديكالي . تم اعادة فتح المعهد في فراكفورت والتحق به طلبة من بينهم

هابرماس كباحث . وفعلا عمد هوركهايمر الي الغاء الخط الثوري للمعهد واخفاء كل المنشورات السابقةووجه البحث الي دراسة ظواهر اجتماعية ذات صلة بمنزلة الإنسان في المجتمع المعاصر ذي التركيبة الراسمالية . لكن الخط الأكاديمي هذا سرعان ما تحول الي دراسة رواسب النازية في الفكر والمجتمع الألماني وكيفية التصدي لها واصبح رهان المعهد هو رصد هذه النازية الثاوية في فكر الاكاديميين والطلبة الالمان ومحاربتها وهو الخط الذي شارك فيه هابرماس كباحث ولكن سرعان ما تخلي عنه وتصادم مع هوركهايمر بسبب تخلي هذا الأخير عن مشروع الثورة ولكنه ضل مع ذلك مساعدا لادرنو ومشاركا في تفكيك الايات الاغتراب والاستيلاب قي ضل الراسمالية المنفلة والمجتمع الاستهلاكي الذي ترعاه . هذه المرحلة الثالثة فقط يصح تسميتها بمدرسة فراكفورت وهو الاسم الذي اطلقه عليها خصومها ولكن سرعان ما تبناه اردنو بفخر رغم انه لم يكن يروق لهوركهايمر .

مدرسة فرانكفورت هي حركة فلسفية نشأت بمدينة فرانكفورت سنة ١٩٢٣ . بدأت الحركة في معهد الأبحاث الاجتماعية بالمدينة . وجمعت فلاسفة مثل ماكس هوركهايمر، والتر بنجامين، وهيربرت ماركوز، ويورغن هابرماس وهو الممثّل الأكثر شهرة للجيل الثاني للمدرسة . قد هاجرت الحركة إلى جنيف سنة ١٩٣٣ مع وصول هتلر للحكم في ألمانيا، ثمّ إلى الولايات المتّحدة أثناء الحرب، قبل أن تعود مجددًا إلى ألمانيا في بداية الخمسينيات . ارتبط اسم مدرسة فرانكفورت بالنظرية النقدية في معناها الفلسفي والذي ينبغي تمييزه بدقة عن الدلالة الرائجة في النقد الادبي . وينبغي التوضيح ان مدرسة فراكفورت متمايزة عن النظرية التقدية لكون الأولي هي حالة خاصة من النظرية النقدية ولكون هذه الأخيرة لا تقتصر علي مدرسة فراكفورت .

في الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، يستخدم مصطلح النظرية النقدية للإشارة إلى نظريتين مختلفتين تماما تاريخا ونشأة، الأولى نشات من النظرية الاجتماعية والأخرى من النقد الأدبي إلا ان التطورات اللاحقة في مناهج العلوم الاجتماعية والإنسانية قربت المجالين فمنذ السبعينات من القرن العشرين أصبح هناك تداخلا واضحا بين النقد الأدبي

الذي يدرس بنى النص ومكنوناته وبين دراسة المجتمعات البشرية وأنظمتها، كل هذا جعل من مصطلح النظرية النقدية شائعا جدا في الأكاديميا لكنه مصطلح واسع يغطي مجالا واسعا من النظريات العلمية التي تتناول منهجيات لدراسة العلاقات بين المكونات سواء كانت مكونات أدبية نصية أو مكونات اجتماعية أنثربولوجية وهي غالبا ما تدرج ضمن نظريات ما بعد الحداثة.

مدرسة فرانكفورت هى حركة فلسفية نشأت بمدينة فرانكفورت سنة ١٩٢٣. بدأت الحركة في معهد الأبحاث الإجتماعية بالمدينة، وجمعت فلاسفة مثل ماكس هوركهايمر، والتر بنجامين، وهربرت ماركوز، ويورگن هابرماس وهو الممثّل الأكثر شهرة للجيل الثاني للمدرسة. قد هاجرت الحركة إلى جنيف سنة ١٩٣٣ مع وصول هتلر للحكم في ألمانيا، ثمّ إلى الولايات المتّحدة أثناء الحرب، قبل أن تعود مجدّدا إلى ألمانيا في بداية الخمسينيات.

أسباب النشأة

نشأت مدرسة فرانكفورت عام ١٩٢٤ من مجموعة اساتذة عندما اسس كارل جرونبرج معهدا للعلوم الاجتماعية التابع لجامعة فرانكفورت التي اصبحت فيما بعد تيارا فكريا من بين اكثر ممثليه شهرة ماكس هوركهايمر (١٨٩٥-١٩٧٣)، وثيودر أدرنو (١٩٠٣-١٩٦٩)، وهربرت ماركوزه (١٨٩٨-١٩٧٨)، الذي برز نجمه اللامع في ستينيات القرن العشرين، كذلك إريك فروم (١٩٠٠-١٩٨٠)، وكثير غيرهم.

من أهم العوامل التي دفعت الى نشوء النظرية النقدية، التي تختلف تماماً عما كان سائداً في الجماعات الألمانية التقليدية، هو ما تركته الحرب العالمية الأولى من آثار اجتماعية واقتصادية ونفسية وخيمة وما سببته من موت وخراب ودمار، وما تبعها من أزمات اقتصادية حادة وتحولات سياسية كبرى كان في مقدمتها الثورة البولشڤيةعام ١٩١٧ وتأسيس أول دولة اشتراكية في أوروبا، وكذلك قيام جمهورية ڤايمار عام ١٩١٩ في ألمانيا وما تبعها من صراعات وانقسامات سياسية في صفوف اليسار الأوروبي التي خلقت موقفاً ثالثاً كان أساساً لتشكيل فكر نقدي جديد يدور حول العلاقة بين النظرية وممارستها في الواقع الاجتماعي

وكذلك تطوير معيار جديد يطعم الممارسة بإدراك نظري لكن من منطلق نقدي يوحد جدلياً النظرية بالممارسة بحيث يصبح النقد هدفاً لكل فعالية ثورية . كما ان فشل الحركات العمالية في أوروبا وتحولها عن أهدافها الطبقية كان عاملاً آخر قاد الى صعود النازية في ألمانيا . إن هذه العوامل وغيرها كونت اشكالية قامت على المسرح السياسي والفكري وشكلت «لعبة مأساوية» على حد تعبير هوركهايمر، دفعت بدورها الى تجمع «اليسار الجديد» في أوروبا، مثل اجدادهم «الهيگليين الشباب»، لمعالجة القضايا العميقة التي واجهتهم، وعقد ندوة «احياء الماركسية» التي شارك فيها كبار الفلاسفة والمفكرين، كان من بينهم لوكاش وڤيتفوگل وغيرهما وترافقت مع صدور كتاب لوكاش «التاريخ والوعي الطبقي»، الذي أثار سجالاً واسعاً وشديداً بسبب نقده للديالكتيك المادي لفردريك إنگلز، تلك السجالات الفكرية التي أثرت على تطور النظرية النقدية ودفعت في الأخير الى تأسيس معهد للبحث الاجتماعي في جامعة گوته بفرانكفورت الذي هدف الى مواصلة البحث والنقاش والدعوة الى تأسيس نظرية نقدية من الممكن ان تقف أمام النظريات الاجتماعية التقليدية التي لا تزال تسيطر على الفكر الاجتماعي والفلسفي في الجامعات الالمانية . وفي الحقيقة، فإن الأثر المباشر الذي احدثته النظرية النقدية آنذاك هو انشقاق في صفوف اليسار الأوروبي المثقف، وبخاصة في مواقفهم من الماركسية التقليدية .

النظرية النقدية

قدمت مدرسة فرانكفورت نظرية نقدية تناولت مختلف نماذج الوعي النظري والعملي وبالاخص للاديويولوجية الكونية «الشمولية» . وقد جمعت في ارائها بين الهيغلية والماركسية ومدارس علم الاجتماع والنفس بالشكل الذي جرى توظيفه في نقد نمطية الوعي والعقائد الجامدة . من هنا انتقادها للماركسية "الرسمية" التي جرى تحويلها الى نصوص مقدسة . من هنا محاولتها تجديدها لتلائم متطلبات العصر وتجاوز الماركسية الكلاسيكية . .

ماكس هوركهايمر الذي تمرد في شبابه على كل انواع الظلم تولى عمادة معهد الأبحاث الاجتماعية عام ١٩٣٠ وكانت دراسته في علم النفس . ووصل الى منصب استاذ

علم النفس الاجتماعي بجامعة فرانكفورت بعد ان طور أسس النظرية النقدية في مجموعة دراسات بعنوان «النظرية التقليدية والنظرية النقدية». فنراه يجدد البعد المادي للنزعة النقدية. حيث ينطلق من ان حياة المجتمع هي نتاج العمل. وحتى اذا كان تقسيم العمل في العالم الرأسمالي يجري بشكل سيء فذلك لا يسمح لنا أن نعتبر.

إن هذه القطاعات الخاصة للعلاقة الديناميكية التي يقيمها المجتمع مع الطبيعة وللمجهود الذي يبذله المجتمع من اجل الاستمرار كما هو. فلا بنية الانتاج الصناعي والزراعي ولا انقسام الوظائف الى قيادية واخرى تنفيذية امران ثابتان مؤسسان في الطبيعة.

كما انتقدت مدرسة فرانكفورت «التنوير». ففي كتاب «خسوف العقل» يذكر هوركهايمر، انه اذا كان المقصود بالتنوير والتقدم الفكري هو تحرير الانسان من الايمان الباطل بالقوى الشريرة وبالشياطين وبالحوريات والمصير الاعمى، أي اذا كان المقصود هو تحرير الانسان من الخوف، فعندئذ تصبح ادانة ما يسمى بالعقل اكبر خدمة تؤدي للانسان. لهذا نراه يعتبر التنوير فكرا برجوازيا.

بينما كان بنيامين شديد الاهتمام بالمادية الجدلية. وكان شديد التأثر والاعجاب ببرخت المؤلف المسرحي الالماني حيث صحبه عدة شهور بالدنمارك. فقد ترك بنيامبن اثرا واضحا في مدرسة فرانكفورت وبالاخص عبر فكرته القائلة، بأن معمار ووحدة وقوة اعمال بروست على الاقتاع لا تأتي اليه عبر الجهد والتصوف والزهد وانما هناك حركة تقوده غير ملفتة للنظر وتكاد ان تكون غير ارادية.

في حين يعتبر يورگن هابرمس الوريث الشرعي لمدرسة فرانكفورت بعد ان طور نظريته الخاصة حول العقلانية التقنية، التي وضعها في كتابه «التقنية والعلم كأيديولوجيا» كمحاولة للرد على آراء هربرت ماركيوزه.

اتجاهات مدرسة فرانكفورت المختلفة

تمثلت مدرسة فرانكفورت باتجاهات فلسفية واجتماعية مختلفة يمكننا إيجازها بما يلي :

١ ـ اتجاه هوركهايمر وأدورنو الـذي تمثل بالمنهج النقدي الجدلـي الذي يهدف الى توحيد النظرية بالممارسة العملية وتقديم نظرية نقدية للمجتمع تستطيع الوقوف امام فكرة التسـلط، العنف وتسـعى الى جعل الفكر النقدي ليبراليـا وغير ليبرالي في الوقت ذاته، وأن لا تخجل من الصـراع الاجتماعي الواقعي وأن لا تبخل عن أيـة مهادنة، مع أية سـلطة، ما دامـت تهدف الى الاسـتقلالية وإلى تحقيق سـلطة الانسان على حياته الذاتية، مثلما هي على الطبيعة .

٢ ـ اتجاه هربرت ماركوزه (١٨٩٨ ـ ١٩٨٤)، الذي تمثل في رفض المجتمع القمعي القائم والثورة عليه من خلال تأكيده على الدور الحاسم والثوري للعقل في حياة الانسان وعدم النظر الى المجتمع من رؤية ذات بعد واحد .

٣ ـ الاتجاه النفسي ـ التحليلي الذي يتمثل بآراء إريك فروم والفرويديين الجدد، وهو اتجاه يقوم على مقدمات ماركسية في التحليل النفسي .

٤ ـ اتجاه يورگـن هابرمـاس (١٩٢٩) وهـو اتجـاه فلسـفي انثروبولوجـي يؤكـد علـى دراسـة الرأسـمالية المتأخـرة كمجتمـع صناعـي عقلانـي ذي آيديولوجية تكنوقراطية، كمـا صاغها في نظريتـه في السـلوك الاتصالي . مما مـر ذكره أعلاه يلاحظ المرء أن النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت اتخذت في مسارها الطويل اتجاهات مختلفة، بسـبب الخلفيـات الاجتماعية لروادها من جهـة واهتماماتهم المختلفـة التـي ارتبطـت بأفـكار عصـر التنويـر، مـن مثالية كانتوهيگل الـى تأويلية ماكـس ڤبر وفينومينولوجية هوسـرل . ومع ذلـك فإن هناك مـا يجمع بين روادها، مـع اختلاف اتجاهاتهم، وهـو نقدهم للمجتمع الصناعي الشـمولي وما يفرزه من تناقضات، وبخاصة في ثقافة البرجوازية .

منتقدو مدرسة فرانكفورت

ومن المنتقدين البارزين الآخرين لمدرسة فرانكفورت: هنريك گروسمان، اومبرتو إكو ومايك گودمان.

أهم مفكري ودارسي مدرسة فرانكفورت

- المعهد *Institut* في فرانكفورت
- تيودور أدرنو
- والتر بنجامين
- إريك فروم
- يورگن هابرماس
- أكسل هونث
- ماكس هوركهايمر
- سيگفريد كراكاور
- اوتو كيرشهايمر
- ليو لوڤنتال
- هربرت ماركوزه
- اوسكار نگت
- فرانز نويمان
- فرانز اوپنهايمر
- فريدريش پولوك

- ألفريد شميت
- ألفريد زون -رثل
- كارل ڤيتفوگل

المقابلة التي أجريت مع المفكر هربرت ماركوزه

المحاور : بالعودة إلى مدرسة فرانكفورت، أود أن أسمع منك حول الأعضاء الفاعلين في هذه المدرسة، من هم وكيف كانوا .

ماركوزه : هوركهايمر (*Max Horkheimer*) كان مدير المعهد، عالم فلسفة واجتماع ذو معرفة واسعة، وبشكل غريب كان بارعاً في الأمور المالية، فقد كان يهتم بكافة الأمور المتعلقة بالمؤسسة في ألمانيا ولاحقاً في الولايات المتحدة . رجل فذ، شارك في مناقشة الكتابات الأولى للمعهد بمشاركة الأعضاء الآخرين .

أدورنو (*Theodor Adorno*)، يصح تسميته بالعبقري، متمكن من الفلسفة وعلم الإجتماع وعلم النفس والموسيقى . كان بإمكاننا طباعة حديثه بشكل مباشر ؛

هنالك من تمّ إهمالهم بشكل غير منصف : ليو لونتال (*Leo Lowenthal*)، الناقد الأدبي في المعهد . فرانز نيومان (*Franz Neumann*)، فيلسوف قانوني بارع . فريدريك بولوك (*Friedrich Pollock*)، ناقش في إحدى المطبوعات الأولى انه لا توجد أسباب داخلية واضحة لإنهيار الرأسمالية ؛ هنريك غروسمان (*Henryk Grossman*)، أكثر الإقتصاديين الماركسيين أرثودكسية ؛ والذي تنبأ بسقوط الرأسمالية في غضون سنة آنذاك ؛ واتضح عدم صحة تنبؤه كما هو واضح .

المحاور : واحدة من الأشياء التي كانت موجودة لديكم في العشرينات وأوائل الثلاثينيات هو الاهتمام بأعمال ماركس الأولى بدلاً من أعماله الأخيرة . تلك الأعمال المتأثرة بهيغل . إحدى أهم النقاط التي تمّ التركيز عليها هو مفهوم الاغتراب

(Alienation). الاغتراب الذي صاغه هيغل بمعناه الحديث، ركّزه ماركس بعده، سقط من القاموس الغربي لقرن من الزمن. لكنكم أعدتم الاهتمام به. أوّد أن أسمع منك حول هذا المفهوم المهم.

ماركوزه: حسب ماركس، الاغتراب مفهوم اجتماعي -اقتصادي. وعني، بشكل مختصر جداً، إنه بظل الرأسمالية، لا يستطيع الرجال والنساء تلبية رغباتهم وحاجاتهم الإنسانية خلال عملهم وذلك بسبب طريقة الإنتاج في الرأسمالية ولا يمكن علاجه إلا بواسطة تغيير هذا النمط الإنتاجي بحد ذاته.

اليوم، هذا المفهوم تمّ توسيعه بشكل أضاع المفهوم الأصلي وجعله غير ناضج وخاطئ.

المحاور: تحدثنا إلى الآن عن ما عارضته مدرسة فرانكفورت ونقدها للماركسية وللنظام الرأسمالي. ولكن على الصعيد الآخر، ما هي مساهمتها الإيجابية؟

ماركوزه: إحدى مساهماتها الأساسية هي التنبؤ بالفاشية قبل صعودها. ثانياً، ما اعتبره هوركهايمر ميزة، التوجه ذو التخصصات المتعددة للإشكاليات الاجتماعية والسياسية لتلك الفترة. أي الأخذ بالفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس في تحليل وتفسير الإشكاليات الراهنة.

المساهمة الأبرز في رأيي تكمن في محاولة الإجابة عن ماهية الأخطاء التي حصلت للمجتمع الغربي والتي أودت في ظل قمة التطور التقني إلى أزمة في التطور الإنساني (عدم إنسانية، وحشية، التعذيب كوسيلة للاستجواب، التطورات في المجال النووي، الخ...).

رجع هوركهايمر والآخرون إلى التاريخ الاجتماعي والنخبوي وحاولوا تعريف وتحديد الإسهامات بين المجالات التقدمية والرجعية، وبالتحديد في عصر التنوير والتي عادةً يتم تصويرها على أنها أكثر الفترات تقدمية في التاريخ. وقد استطاعت مدرسة فرانكفورت تحديد، في ظل هذا الجو التقدمي العام والميل التحرري، الميول نحو القمع والرجعية والتي استطاعت كبح جماح التقدم.

المحاور: هذه الصورة التي رسمتها لنا لمجموعة من الماركسيين المهووسين بالتساؤل حول الخطأ الذي حصل (يقصد سير تقدم المجتمع الغربي تحديداً) تشير لي إلى خيبة أمل اتجاه النظرية الماركسية وربما اتجاه الطبقة العاملة نفسها لفشلها بأن تكون أداة فعّالة للثورة. هل كان هنالك شيء من هذا القبيل في تصورك؟

ماركوزه: إذا كنت تقصد بخيبة الأمل اتجاه الطبقة العاملة فسيكون ردي بالنفي قطعاً. لا يحق لأيٍّ كان لوم الطبقة العاملة في ما تفعله أو لا تفعله. ولكن كان هنالك خيبة أمل من نوع آخر، بالنسبة لي موضوعياً، تتعلق بالثروة الاجتماعية الهائلة والتي هي نتاج حضارة بأكملها، خصوصاً في فترة الرأسمالية، تستخدم بشكل واسع النطاق للتدمير بدلاً من البناء، بناء مجتمع إنساني لائق.

المحاور: إحدى الموضوعات التي ركزت عليها مجموعة فرانكفورت هي الجماليات (*aesthetics*)، هذا مايُزُكم كمجموعة عن الفلسفات الأخرى، السياسية خاصة. وقد كتبت حول هذا الموضوع في السنوات الأخيرة. لماذا اعتبرتم الجماليات موضوعة مهمة في أعمالكم؟

ماركوزه: أدورنو كان يشاركني في هذه الجزئية. أعتقد أنّ الفن والأدب والموسيقى هي تعبيرات داخلية لا يمكن التعبير عنها باللغة الدارجة أو العادية. هذه التعبيرات ترسم صورة لبُعد جديد كلياً لموضوعات قد تُقمَع أو تُعتبَر تابوهات في الواقع المُعاش. صورة الوجود الإنساني والطبيعة لا يمكن لها أن تكون محصورة ضمن حدود قمع الواقع، يجب عليها أن تتحقق حتى لو كان ثمن ذلك القضاء عليها. حاولت توضيح ذلك بقولي أنّ رسالة الفن والأدب هي أنّ الواقع يجب أن يُعاش كما عاشه العشاق، كما عاشه كل من أنتوني وكليوبترا. بكلمات أخرى، تمزيق لوصفة المبادئ الموجودة وفي نفس الوقت استدعاء لصورة التحرر.

المحاور: ما تقوله الآن شبيه بما تفضلت به في بداية حديثنا، بأنّ الإشتراكية يجب أن تكون معنية بجودة مختلفة للحياة وليس فقط بالشيء المادي المحسوس. هذا يعني أنك ترى الأدب كمستودع لقيمة جديدة وليس فقط كناقد للمجتمع الموجود أو أداة ثورية ككثير من النقّاد الأدبيين الماركسيين.

ماركوزه: في الحقيقة أجدها، أي الأدب، في المكانين. في الأولى: هي نقد أو اتهام للمجتمع القائم، وفي الثانية وبشكل مرتبط، كصورة تحررية. لا أعتقد أنه في المستطاع إعطاء شرح واف لأي عمل أدبي بناءً على مفهوم الصراع الطبقي أو غيره بشكل حصري.

المحاور: ما هي المساحات الأخرى التي من الممكن أن تنتج فيها مدرسة فرانكفورت عملاً أصيلاً ومعاصراً؟

ماركوزه: أستطيع هنا الحديث عن نفسي، أجزم أنّ مسألة تحرر المرأة والنسوية، تحررها الجذري، ذات راهنية وأهمية. الهيمنة التي رأيناها خلال التاريخ المكتوب هي هيمنة بطرياركية. إذا أردنا أن نرى المساواة مع المرأة، ولا أقصد هنا المساواة أمام القانون، بل على مستوى نشر القيم النسوية في المجتمع: مثل اللاعنف والتقبّل والحنان. فإننا هنا نتحدث عن بداية لمجتمع متساوٍ من نوع آخر يتجاوز الهيمنة البطرياركية بما يصاحبها من عنف ووحشية. أوّد هنا التنويه إلى أنّ ما أسميته بالقيم النسوية مرتبط ومشروط اجتماعياً، أي نتاج حالة اجتماعية موجودة.

المحاور: أود التطرق إلى نقطة أخيرة في حديثنا حول مجموعة من الإنتقادات الموجهة إلى عملك. أولها تلك النقطة التي تطرقنا إليها سابقاً حول اعتبارك نفسك ماركسياً واعتبارك الماركسية صحيحة آخذين بعين الاعتبار تلك الإشارات الخاطئة في الماركسية التي ذكرناها. بالإضافة إلى ذلك، اليسار الجديد الذي تأثر بأعمالك، أجده بشكل رئيسي ينبع من الطبقة الوسطى ونخب تعتز بنفسها من ناحية، وبعيدة عن الطبقة العاملة حسب وصفك من ناحية أخرى. هؤلاء يعتبرون أنفسهم الأداة الرئيسية للثورة بشكل أجده أقرب إلى "موضة" أو تيار دارج إن صحّ التعبير، بدلاً من أن تكون الطبقة العاملة هي نفسها الأداة الثورية.

ماركوزه: التوصيف الذي ذكرته أتوافق معه إلى حد ما، بتعبير آخر يمكن وصف الظاهرة بماسوشية ذاتية موجودة في اليسار الجديد. هي ليست بنخبوية وإنما لدينا مجموعات، مجموعات محفزة، وبسبب مستوى تعليمها وتدريبها استطاعت بلورة نظرية ماكنة ولكنها

بعيدة عن تأثير عمليات الإنتاج. هذا لا يمكن تداركه أو علاجه إلا في خضم عملية التغيير نفسها. بالطبع هذه المجموعات لا يمكن أن تلعب دور الطبقة العاملة كأداة التغيير الثورية. بل إنّ دور هذه المجموعات الرئيسي يكمن في تطوير الوعي السائد، أي دور توعوي وتثقيفي، التثقيف السياسي. مجدداً، لا يمكن إستبدال الطبقة العاملة بهذه المجموعات.

المحاور: هنالك نقطة مهمة تطرقنا إليها قبل بدء هذا الحوار تتعلق باللغة والأسلوب المتبعين في كتابات مجموعة فرانكفورت، قد تبدو هذه الجزئية تافهة، ولكنها ليست كذلك: نجد أنّ الكتابات صعبة القراءة بل حتى بعض النصوص غامضة إلى حد ما. على سبيل المثال، أجد بعض كتابات أدورنو والذي وصفته بالعبقري غير مقروءة أو بالأحرى صعبة القراءة. هذا يولّد حاجزاً بين الأفكار التي تحاولون نشرها وجمهور القرّاء الذين تودون التأثير بهم. بالمقابل هنالك فلسفات أخرى مثل التحليلية يقوم الكتّاب بعرض الأفكار بشكل جيد، وكذلك الأمر مع الوجودية. لماذا؟

ماركوزه: أتفق معك بشكل كبير. هنالك بعض الأفكار التي طرحها أدورنو لم أفهمها شخصياً. ولكنّي أوّد التنويه إلى نقطة واحدة تتعلّق بتبرير أدورنو لذلك. إنّ اللغة العادية تمّ التأثير بها بشكل كبير بواسطة النظام كما تمّ التأثير على الفرد بواسطة بنية القوى. لذلك عليك باللغة التي تستخدمها الإشارة إلى تلك القطيعة وذلك بنقل هذه القطيعة إلى النص وبنيته والقواعد والمصطلحات المستخدمة. لا أدري إن كان ذلك مقبولاً ولكن يجب أن أذكر إلى أنّ التبسيط غير الناضج للمشكلات المناقشة له تأثير خطير كذلك.

المحاور: كخاتمة، أوّد طرح سؤال شخصي لك، ففي تجربتك في الحياة والتي أجدها نادرة في التاريخ، أجدك في معظم حياتك كأكاديمي محاط بمجموعة محدودة من زملائك ومنكّب على الكتابة، وعندما أصبحت في السبعين من عمرك، أكاد أقول إنه في يوم وليلة أصبحت رمزاً عالمياً وهذا شيء نادر الحدوث. ما كان عليه الأمر عندما حدث ذلك لك؟

ماكوزه: من ناحية، استمتعت بالأمر بشكل كبير. ومن ناحية أخرى، لم أجد نفسي أستحق ذلك. مرةً طُرِحَ عليّ السؤال ذاته، وكان ردّي بأنه يبدو أنّ الآخرين كانوا أكثر غباءً مني!

المحاور : ولكن هل توقعت يوماً ذلك؟

ماركوزه : لم أتوقع حدوث ذلك البتة .

يورغن هابرماس

فيلسوف وعالم اجتماع ألماني معاصر (١٨ -٠٦ -١٩٢٩ دسلدورف -) يعتبر من أهم علماء الاجتماع والسياسة في عالمنا المعاصر . ولد فيدوسلدورف، في ألمانيا وما زال يعيش بألمانيا .يعد من أهم منظري مدرسة فرانكفورت النقدية له ازيد من خمسين مؤلفا يتحدث عن مواضيع عديدة في الفلسفة وعلم الاجتماع وهو صاحب نظرية الفعل التواصلي .

وصل يورغن هابرماس إلى درجة من الشهرة والتأثير العالمي لم ينجح الرعيل الأول من ممثلي النظرية النقدية الاجتماعية والمعروفة في حقل الفلسفة المعاصرة بمدرسة فرانكفورت في الوصول إليها . فعلى الرغم من الثقل العلمي لأفكار الجيل الأول (هوركهيمر، أدورنو، ماركوزه، إريك فروم...)، إلا أن هابرماس هو الفيلسوف الوحيد الذي فرض نفسه على المشهد السياسي والثقافي في ألمانيا كـ"فيلسوف الجمهورية الألمانية الجديدة" وفقاً لتعبير وزير الخارجية الألماني يوشكا فيشر، وذلك منذ أكثر من خمسين عاماً .

انه بالفعل يعتبر الوريث الرئيسي المعاصر لتركة مدرسة فرانكفورت كما يعبر عن ذلك ايان كريب، وعلى الرغم من أن هناك افكارمشتركة واضحة بينه وبين أسلافه، فإنه نحا بهذه المدرسة منحى مختلفاً . واذا كان ما يجمع أعمال أدورنو وهوركهايمر وما ركوزه الاهتمام الشديد بحرية الإنسان مهما بعدت إمكانية وجود تلك الحرية عن أرض الواقع، فإن هابرماس أقل حماسا في هذا الجانب رغم وجوده .إنه يتحرر من التذبذب بين التفاؤل والتشاؤم ويركز جل تفكيره بدلاً من ذلك على تحليل الفعل والبنى الاجتماعية، ولا جدال في انتماء هابرماس إلى اليسار، إلا أنه، وربما بشكل غير متوقع ينتقد التقاليد الفكرية التي تنتمي إليها، الأمر الذي انتهى به إلى النأي بنفسه عن الحركة الطلابية التي ظهرت في الستينات . ويمكن النظر إليه، أولا، باعتباره متماسكا بتصور يزاوج بين البنية والفعل في

نظرية كلية واحدة. وثانيا، بوصفه مدافعاً عن مشـروع الحداثة، بالأخـص عن فكرتي العقل والاخـلاق الكليين. أما حجته في ذلك فهي أن مشـروع الحداثة لم يفشـل بـل بالأحرى لم يتجسـد ابداً،ولذا، فالحداثة لـم تنته بعد. ويظهـر أن هذا الموقف يضعه فـي اتجاه معارض تماماً مع أسـلافه بالنظر إلـى موقفهم من نقـد عقل التنويـر، إلا أن موقفـه يتضمن الإصرار على جـدل التنويـر، أي أن عملية التنويـر لها جانبـان: يتضمـن أحدهما فكر البنـاء الهرمي والاسـتبعاد، في حين يحمل الجانب الآخر إمكانية إقامة مجتمع حر يسـعد به الجميع على الأقل. إن نظرية ما بعد الحداثة تفتقد حسب هابرماس إلى هذا العنصر الأخير.

أمـا المصالـح المعرفيـة فتعني عنـد هابرمـاس أننـا دائمـا نطـور المعرفة لغـرض معين، وتحقيـق ذلـك الغـرض هـو أسـاس مصلحتنـا فـي تلـك المعرفـة، والمصالـح التي يناقشـها هابرماس هي مصالح مشـتركة بيـن الناس جميعـاً، بحكم أننا أعضـاء في المجتمع الإنسـاني، فيذهب هابرماس إلـى أن العمل ليـس وحده ما يميز البشـر عـن الحيوانات، بل واللغـة أيضاً، فالعمل يؤدي إلى ظهور المصلحة التقنية، وهي المتمثلة في السـيطرة علـى العمليات الطبيعية واستغلالها لمصلحتنا. وتؤدي اللغة، وهي الوسـيلة الأخرى التي يحوّل بواسطتها البشر بيئتهم إلى ظهـور ما يدعـوه هابرمـاس "المصلحـة العملية" وهـذه بدورها تـؤدي إلى ظهـور العلوم التأويلية. ويذهب هابرماس إلى أن المصلحة العملية تفضـي إلى نوع ثالث من المصلحة وهي مصلحة الانعتاق والتحرر، وهذه الأخيرة تسـعى لتخليص التفاعل والتواصل في العناصر التي تشوههاعن طريق إصلاحها ومصلحة الانعتاق والتحرر تؤدي إلى ظهور العلوم النقدية.

يتوجه هابرمـاس في أعماله الأخيـرة وبخاصة فـي" نظرية فعل التواصـل" (١٩٨٤ - ١٩٨٧) إلـى فلسـفة اللغة ابتغاء توسـيع أسـاس التظريـة النقدية وقـد قدم أطروحـة صعبة سنجملها في مراحل ثلاث:

١ - المرحلة الأولى: يدعو إلى ضرورة التحرر مما يدعوه "بفلسفة الوعي" التي يعني بها الفلسـفة التي ترى العلاقة بين اللغة والفعل كالعلاقة بيـن الذات والموضوع (أي التحرر من منظومة الفكر التجريبي).

٢ ـ المرحلة الثانية : يمكن أن يتخذ الفعل صورتين، الفعل الاستراتيجي وفعل التواصل . الأول يتضمن الفعل الغائي العقلاني، في حين أن فعل التواصل هو ذلك الفعل الذي يرمي للوصول إلى الفهم .

٣ ـ يترتب على فعل التواصل الأولي عدة أمور :

- أولاً، العقلانية بهذا المعنى ليس مثالا نقتنصه من السماء، بل هو موجود في لغتنا ذاتها، إن هذه العقلانية تستلزم نسقاً اجتماعياً ديمقراطياً لا يستبعد أحداً .
- ثانياً، ثمة نظام أخلاقي ضمني يحاول هابرماس الكشف عنه، وهو الأخلاق الكلية الذي لا يتوجه إلى تحليل مضمون المعايير بقدر توجهه إلى طريقة التوصل إليها، والتوصل إليها -حسب هابرماس- يكون عبر نقاش حر عقلاني .

ويمكن ملاحظة أن مناقشة هابرماس للرأسمالية الحديثة تفتقد للحماس الذي اتسمت به أعمال الرعيل الأول لمدرسة فرانكفورت . فهابرماس يرى في الرأسمالية، أساساً، مرحلة يمكن أن تنحرف فتؤدي إلى كارثة، لكنها عنده ليست شراً مستطيراً . ولقد ركز شأن الرعيل الأول على ظاهرة الهيمنة التقنية والعقل الأداتي السائد في هذا النظام . وحول ماركس يرى هابرماس أن الجزء المبدع لأعماله أصبح مدفوناً تحت خرسانة النزعة الأداتية والوصفية . ويرى هابرماس أن مسؤولية ذلك على عاتق ماركس نفسه، وعلى تركيزه تركيزاً شديداً على العمل باعتباره الخاصية المميزة للبشر .

لقد وجهت لهابر ماس مجموعة انتقادات أهمها اثنان:

١ ـ لم يثبت ولا يستطيع أن يثبت أولوية فعل التواصل على الفعل الاستراتيجي .

٢ – مرتبط بالنقد الأول، أن أطروحته حول الانعتاق والتحرر لم تثبت، ليس هذا فقط، بل إن محاولة إقامة النقد على التفرقة بين النقد والحياة اليومية تقوض وضع التحرر الذي يزعمه والمشكوك فيه أصلاً . وبذلك يظهر أن مشروع هابرماس يعاني بمجمله من تناقض في الأهداف، فإن أخذنا مشروعه الأكبر

بأوضـح معانيـه، فسـيظهر أن محاولـة تأمين أولويـة التواصـل في فلسـفة اللغة، تجهضها تلك التفرقة التـي يقيمها بين النسـق والحياة اليومية . وهكـذا إن إعطاء الأولوية لطرف على آخر في معادلة الفعل أو البنية تقوض النظرية من عروشها .

وإذ أقدم هـذه الترجمة لهابرماس أشـعر بثقل المهمة لصعوبة أبجديات الفلسـفة التي يطرحها، بالإضافة إلى المصطلحات التي صكّها والتي تحتاج منّا وضعها في سياقاتها التي أرادها لها صائغها . إنني أعتبر هابرماس نموذجاً للمثقف الديناميكي الذي يتفاعل مع حركة المجتمع والتاريخ، إيمانا منه أن النظرية تحتاج دائماً إلى أن تدلل على نفسـها كلما حاولت أن تطبق نفسها في ميدان أو آخر .

السيرة الذاتية لهابر ماس

ولد يورغـن هابر مـاس في دسـلدورف، شـمال الرايـن - ويسـتفاليا حاليـا *W* . عَمِل والده ايرنسـت هابرمـاس مديـراً تنفيذيـاً لغرفة الصناعـة والتجـارة، وقد وصفـه هابرماس الابن بأنـه متعاطـف مـع النازية . لقـد تربـى فـي أسـرة بروتسـتانتية، ودرس فـي جامعات جوتنجين (١٩٤٩ - ١٩٥٠) وزيـورخ *Zürich* (١٩٥٠ - ١٩٥١)، وبـون *Bonn* (١٩٥١ - ١٩٥٥)، ونـال درجـة الدكتـوراه في الفلسـفة مـن بـون عـامَ ١٩٥٤ بأطروحتـه " المطلق والتاريـخ؛ حـول التناقـض فـي فكـر شِـلينغ" *The absolute and history: on the contradiction in Schelling,s thought* . كان مـن بيـن لجنـة المشـرفين علـى أطروحتـه إريك روذاكير *Erich Rothacker* وأوسكار بيكر *Oskar Becker* .

في ١٩٥٦، درس الفلسـفة وعلم الاجتماع على يد المنظريـن النقديين مثل ماكس هوركهايمر وثيـودور أدورنو في معهد البحـث الاجتماعي (مدرسـة فرانكفورت)، لكن بسـبب خلافٍ بين الاثنين علـى أطروحته، بالإضافة إلى اعتقاده الشـخصي أن مدرسـة فرانكفـورت كانت قـد أَصبحـت مشـلولة بالشـكوكية *skepticism* والازدراء *disdain* السياسـي للثقافـة الحديثـة . أنهـى تأهيلـه فـي العلـوم السياسـية فـي جامعـة ماربورج *Marburg* إذ تتلمذ على يد الماركسـي ولفجانـج ابينـدروث *Wolfgang Abendroth* .

دراسته كانت قد عنونت " التحولات البنيوية للأوضاع الاجتماعية: تساؤلات ضمن أصناف المجتمع البرجوازي" *The Structural Transformation of the Public Sphere: an Inquiry into a Category of Bourgeois Society*. في ١٩٦١ أصبح أستاذاً في جامعة بورج. وبقرار غير معتاد بالنسبة للمشهد الأكاديمي الألماني في تلك المدة رُشِّح هابرماس ليكون أستاذاً استثنائياً (أستاذ بدون كرسي) للفلسفة في جامعة هيديلبيرج *Heidelberg* بتوصية من هانز جورج جادامر *Hans- Georg Gadamer* وكارل لويث *Karl Lwith*. في ١٩٦٤ عاد إلى مدرسة فرانكفرت مدعوماً من قبل أدورنو لتولي كرسيِ هوركهايمر في مجال الفلسفة وعلم الاجتماع.

تسلم منصب مدير معهد ماكس بلانك *Max Planck Institute* في ستيرنبيرج (قرب ميونخ) في ١٩٧١، وعمل هناك حتى ١٩٨٣، أي بعد سنتين من نشر رائعته، نظرية الفعل التواصلي *Theory of Communicative Action*. بعد ذلك عاد هابرماس إلى كرسيه في فرانكفورت مديراً لمعهد البحث الاجتماعي. منذ أن تقاعد من فرانكفورت في العام ١٩٩٣، واصل نشر أعماله ذات المواضيع واسعة النطاق. طرح خطابا حول تأهيل الدور العام للدين في السياق العلماني، بخصوص تطور الفصل بين الكنيسة والدولة من الحياد إلى العلمانية الحادّة.

تتلمذ على يديه العديد من الأساتذة المعروفين الآن. من أبرزهم: عالم الاجتماع السياسي كلوس أوفّ *Claus Offe*، الفيلسوف الاجتماعي يوهان أرناسون *Johann Arnason*، المنظّر الاجتماعي هانز جوس *Hans Joas*، منظّر التطور الاجتماعي كلاوس إيدير *Klaus Eder*، الفيلسوف الاجتماعي أكسل هونيث *Axel Honneth* (المدير الحالي لمعهد البحث الاجتماعي)، الفيلسوف الأمريكي توماس مكارثي *Thomas McCarthy*، الباحث الاجتماعي جيرمي *Jeremy*. شابيرو *Shapiro*، ورئيس الوزراء الصربي المغتاَل زوران ديديك *Zoran indic*.

النظرية الاجتماعية

بنى هابر ماس إطارا شاملا للنظرية الاجتماعية ورسم الفلسفة من خلال عدد من التقاليد الثقافية :

الفكر الفلسفي الألماني لإمانويل كانت *Kant*، فريدريك شيلينج *Schelling*، هيجل *Hegel*، إدموند هوسرل *Husserl*، وهانز جادمير *Gadamer*

التقاليد الماركسية *Marxian* نظرية كارل ماركس نفسه، بالإضافة إلى النظرية الماركسية الجديدة النقدية لمدرسة فرانكفورت، وبمعنى آخر : ماكس هوركهايمر *Horkheimer*، (تيودور أدورنو) *Adorno*، وهيربيرت ماركوس*Marcuse*...

النظريات الاجتماعية لماكس ويبر *Weber*، إميل دوركايم *Durkheim*، وجورج هيربيرت ميد *Mead*

الفلسفة اللغوية ونظريات الفعل الخطابي *speech act theories* (لودفيغ وتغنشتاين) *Wittgenstein*،أوستن *Austin*،ستراوسون *Strawson*، ستيفن تويلمين *Toulmin* وجون سيرل *Searle* .

علم نفس النمو*development psychology* لجين بياجيه *Piaget* ولورانس كولبيرج *Kohlberg*

التقاليد البراجمتية الأمريكيِة *American pragmatist* لتشارلز ساندرز بيرس *Peirce*، وجون ديوي *Dewey*

نظرية النظم الاجتماعيةِ لتالكوت بارسونز *Talcott Parsons*، ونيكلس لوهمان *Niklas Luhmann*

الفكر الكانتي الجديد *Neo-Kantian*

اعتبر هابرماس أن إنجازه الرئيسي تطوير مفهوم ونظرية العقلانية التواصلية *communicative rationality*،الذي يميزه عن التقليد العقلاني بتحديد العقلانية في

بنى الاتصال اللغوي الشخصي. تقدم هذه النظرية الاجتماعية أهداف الانعتاق أو التحرر الإنساني، بينما يبقى الإطار الأخلاقي الشامل.هذا الإطار يستند إلى حجّة تدعى البرجماتية الشاملة *universal pragmatics* . كل الأفعال الخطابية لَها نهاية متأصلة - وهي هدف الفهم المتبادل، وأن البشر يمتلكون القدرة التواصلية لجلب مثل هذا الفهم. بنى هابرماس إطارا خارج فلسفة الفعل الخطابي (لودفيغ وتغنشتاين) *Wittgenstein*، وأوستن، وجون سيرل *Searle*، والنظرية الاجتماعية للعرف الثقافي *interactional constitution* للعقل لجورج هربرت ميد، ونظريات التنمية الأخلاقية لجين بياجيه *Piaget* ولورانس كولبيرج *Kohlberg*، وأخلاقيات الخطاب لكارل هيديلبيرج . اوتو ابل *Otto Apel*. *Heidelberg colleague Karl*.

قدّم تقاليد كانت *Kant* والتنوير *Enlightenment* والاشتراكية الديمقراطية *democratic socialism* من خلال تأكيده على الإمكانية لتحويل العالم ووصوله إلى أكثر إنسانية، ومجتمع عادل من خلال إدراك الإمكانية البشرية للمنطق، جزئياً من خلال أخلاقيات الجدل. بينما اعترف هابرماس بأن التنوير "مشروع غير منتهي" نجده يجادل بأنه يجب أن يصحح ويتمم، وليس أن ينبذ. وهو في هذا أبعد نفسه عن مدرسة فرانكفورت، بل انتقدها، للتشاؤم المفرط والراديكاليات والمبالغات المضللة. بالإضافة إلى نقده معظم فكر ما بعد الحداثة *postmodernist*.

في سياق علم الاجتماع، مساهمة هابرماس الرئيسية كانت تطويرالنظرية الشاملة للتطور الاجتماعي الحضاريِ وتركيز الحداثة *modernization* على الاختلاف بين العقلانية . المذهب العقلي الذي يقول بأن العقل غير مسعف بالوحي الالهي، والعقل هو الهادي الوحيد إلى الحقيقة الدينية أو المعرفة . المترجم . والعقلانية التواصلية من ناحية إستراتيجية (العقلانية الأداتية. هذا يتضمن نقد من وجهة نظر صريحة لنظرية التفاضل أو التمايز *differentiation* . المؤسسة للنظم الاجتماعية المطورة من قبل نيكلاس لوهمان، وتالكوت.

دفاعـه عـن الحداثـة والمجتمـع المدنـي *modernity and civil society* كان مصدر إلهام للآخرين، واعتبر كبديل فلسفي رئيسي لتنويعات ما بعد البنيوية *poststructuralism*. وقد طرح أيضا تحليلا مؤثراً للرأسمالية المتأخرة.

رأى هابرمـاس فـي العقلانيـة، والأنسـنة *humanization*، ودمقرطـة المجتمـع مـن الناحيـة المؤسسـاتية *institutionalization* الإمكانيـة للعقلانيـة المتأصلـة فـي الفاعليـة التواصليـة *communicative competence* التي هـي حالة متفردة للنوع الإنسـاني. اعتقد هابرماس أن الفاعلية التواصلية طورت من خلال مسـار التطور، لكـن المجتمع المعاصر - الذي يقمـع في أغلـب الأحيان عـن طريق المجـالات الرئيسـية للحيـاة الاجتماعيـة، مثل السوق، الدولة، والمنظمات - سيطر عليه عن طريق العقلانية الإستراتيجِية، الأداتية.

إعادة بناء العلوم

يقدّم هابرماس مفهـوم " إعادة بنـاء العلـوم " *Reconstructive science* لهدف مزدوج: لوضع " نظرية عامة للمجتمع " بين الفلسـفة وعلم الاجتماع، ولرأب الصدع الحاصل بين " التنظيـر " *theorization* و" البحث الميدانـي " *empirical research*. نموذج " إعادة بناء العقلانية " يمثّل الخيط الرئيسـي للمسوح حول "بنى" عالم الحياة ("الثقافـة" و"المجتمـع" و"الشـخصية")، واسـتجاباتها "الوظيفيـة" الخاصـة (إعـادة الإنتاج الثقافـي، التكامل الاجتماعي والتنشـئة الاجتماعية). لهذا الهـدف، فإن الجدل حـول " التمثيـل الرمـزي " *symbolic representation* " يجِب أن يعتبـر الحاق البنى لكل عوالم الحياة (العلاقات الداخليـة) و" إعادة الإنتاج المـادي " للنظم الاجتماعية فـي تعقيداتهـا (" العلاقـات الخارجيـة " بيـن النظـم الاجتماعيـة والبيئة). يجـد هذا النموذج تطبيقاً، قبل كل شـيء، فـي " نظرية التطـور الاجتماعي "، بدءاً مـن إعادة بناء الشـروط الضروريـة للفيلوجينيـا *phylogeny* (التطور العرقـي) لصيغ الحيـاة الثقافية الاجتماعيـة ("الانسـنة") حتـى تحليل تطويـر " الصيـغ الاجتماعيـة "، التي يقسّـمها هابرماس لصيغ معاصرة وحديثة وتقليدية وبدائية.

هذا الطرح محاولة، أولاً، لصياغة نموذج " إعادة بناء منطق التطوير " " الصيغ الاجتماعية " لخصت من قبل هابرماس من خلال التفاضل أو التمايز بين العالم الحيوي والنظم الاجتماعية ، وضمّنها، من خلال " عقلنة عالم الحياة " و" النمو في تعقيدات النظم الاجتماعية " . ثانياً، يحاول البعض عرض التوضيحات المنهجية حول " تفسير الديناميكيات " " العمليات التأريخية "، وبشكل خاص، حول " المعاني النظرية " لمقترحات النظرية التطورية .

حواره مع بابا الفاتيكان بنيديكت السّادس عشر:

في أوائل ٢٠٠٧، صحيفة إجناتيوس *Ignatius* نشرت حوارا بين هابرماس وبابا الفاتيكان بنيديكت السادس عشر *Benedict XVI*، عنون ب"جدلية العلمانية" *Secularization* . عالج الأسئلة المعاصرة المهمة من مثل : هل الثقافة العامّة للمنطق والحرية المنظمة ممكنة في عصر ما بعد الميتافيزيقا؟ هل هذا الانحراف عن العقلانية يشير إلى أزمة عميقة للدين نفسه؟

في هذا النقاش، التغيير الأخير لهابرماس أصبح واضحاً . بشكل خاص التفكير ثانية بالدور العام للدين . تصريحات لعلماني صرف نصف قرن وهو يجادل ضد الحجّة الأخلاقية للدين، بعض تصريحاته كانت مدهشة، في مقالة ٢٠٠٤ المعنونة ب "عصر التحول" :

"المسيحية، ولا شيء ما عدا ذلك، المؤسسة النهائية للحرية، والضمير، وحقوق الإنسان، والديمقراطية . إلى يومنا هذا، نحن ليس لدينا خيارات أخرى . نواصل تغذية أنفسنا من هذا المصدر . كل شيء آخر ثرثرة ما بعد الحداثة" .

الأعمال الرئيسية

- التحولات البنيوية للأوضاع الاجتماعية (١٩٦٢)
- النظرية والممارسة (١٩٦٣)

- منطق العلوم الاجتماعية (١٩٦٧)
- نحو مجتمع عقلاني (١٩٦٧)
- التكنولوجيا والعلم كايديولوجية (١٩٦٨)
- المعرفة والمصالح البشرية (١٩٦٨)
- "الهوية الاجتماعية" (١٩٧٤)
- التواصل وتطور المجتمع (١٩٧٦)
- براجماتيات التفاعل الاجتماعي (١٩٧٦)
- نظرية الفعل الصريحة (١٩٨١)
- الوعي الأخلاقي والفعل التواصلي (١٩٨٣)
- لمحات فلسفية - سياسية (١٩٨٣)
- الخطاب الفلسفي للحداثة (١٩٨٥)
- المحافظيّة الجديدة (١٩٨٥)
- تفكير ما بعد الميتافيزيقا (١٩٨٨)
- التبرير والتطبيق (١٩٩١)
- بين الحقائق والمعايير: مساهمات لنظرية جدل القانون والديمقراطية (١٩٩٢)
- براجماتيات التواصل (١٩٩٢)
- تضمين الآخرين (١٩٩٦)
- جمهورية برلين (١٩٩٧)، مجموعة مقابلات مع هابرماس
- العقلانية والدين (١٩٩٨)

- الحقيقة والتبرير (١٩٩٨)
- مستقبل الطبيعة البشرية (٢٠٠٣)
- أوروبا القديمة، أوروبا الجديدة، قلب أوروبا (٢٠٠٥)
- الغرب المنقسم (٢٠٠٦)
- جدل العلمانية (٢٠٠٧)

يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت

يشير الباحث مازن لطيف علي الى ان الفيسلوف والمنظر الاجتماعي المعاصر يورغن هابرماس الذي يعمل في الاطار التقليدي للنظرية النقدية يشدد على أن الفعل الديمقراطي التواصلي لا يستطيع أن يحصل على مشروعية حقيقية قائمة على سلطة العقل إلا في إطار خطاب نقدي خال من الإلزامات والقيود السلطوية. فلا توجد أفكار معاصرة تشبه أفكار يورغن هابرماس من جانب بنائها المعماري وقدرتها على التعبير النقدي.. رصد فلاسفة وعلماء الاجتماع في مدرسة فرانكفورت مختلف الاعراض المرضية التي اصابت عصرنا كالتشيؤ والاغتراب والصنمية، مما حداهم ان يقيموا نقداً حاداً ليوتوبيا التقدم التقني والنظريات التبشيرية بعالم الأحلام الموعود، كما انتقدوا في حينه النزعة العلموية التي تتصور المعرفة كطبيعة موضوعية مجردة عن المصلحة.. في الكتاب الصادر حديثاً " النظرية النقدية التواصلية ـ يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت " عن المركز الثقافي العربي، مساهمة في التعريف بفكر هابرماس وقد كتب برهان غليون ان هناك ثلاثة عناصر تبرر الاهتمام بفكر هابرماس والحماس للتعرف به في بيئتنا العربية المعاصرة

الاول: هو الطابع التوجيهي الذي تتميز به فلسفة هابرماس وسعيه المستر إلى ربط النظرية بالممارسة..

والثاني: هو النظرية النقدية التي تبناها هابرماس وإعاد بناءها

الثالث : هـو مفهـوم الفضـاء العمومي ويشـكل هـذا المفهـوم الـذي هو مـن اختراع الفيلسوف الالماني كانت

مفتاح الممارسـة الديمقراطية في نظر هابرماس الذي عمم استخدامه منذ السبعينيات من القرن الماضي .. ان التعريف بمدرسة فرانكفورت وبناء نظرية اجتماعية نقدية ترتكز انه اذا كان ماكـس هوركهيمر ابرز مفكـري الاربعينيات فإن مرحلة الخمسـينيات والسـتينيات شهدت صعود تيودور ويزنغرود أدورنو (١٩٠٣_١٩٦٩) إلى الواجهة، فحتى تلك الحقبة قام نقـد المجتمع على اعتبـار التاريخ سـيرورة تقدم للعقل سـتحقق في الاشـتراكية، مادام أن واقع هـذه الديناميكية التاريخية ارتبط بطبقة اجتماعية تجسـد حلم البشـرية في الانتعاق وتغييـر النظام القائم .. سـيقترح كتاب هوركهيمر وأدرنـو «جدلية التنوير» وهـو بمثابة نقطة تحول بارزة في حياة مدرسـة فرانفكورت .. وبطيعة الحال فإذا كانت فلسفة كانط الاخلاقية تقول بأن شـعور الانسـان بواجبه صادر من اخلاقية فطرية وأن الاخلاق عامة وطلقة وكلية وعمومية، فـإن هابرماس حاول ايجاد بديـل بذلك . ان المهم عند هابرمـاس أحد أبرز رواد فلسـفة التواصل النقديـة أن معياريـة القوانين لاتسـتند إلـى وازع أخلاقي، وانمـا يجب أن تكون عقلنة للإرادة الانسـانية في عالم يلفها بالتعقيد والاحتمالية ـ غير المتوقعة ـ وسيطرة الأنساق، وفقط بفضل العقلنة اللغوية في تعابيرنا وسيادة العقل النقدي يمكن ان نطمح الى الكونية على اسـاس تداولي وقابل للتعميم .. اراد هابرماس البحث عن حل عقلاني للتقنية التي اطبقت على العالم المعيش واسـتفردت به منجميع الجهات، فهو يقر بأننا نعيش عصر الرأسـمالية المتقدمة والقائمة على التقنية، بل ان شـرعيتها أصبحت مسـتمدة منها .. ويعتبر ماركس بنظـر هابرماس أكبر داعيـة للتقنية، لكن تجدر الاشـارة إلى أنـه إذا كان ماركس قد ناصر التقنية كوسـيلة لتحرير الانسـان مـن الامراض الفاتكـة والاوبئة وجبـروت الطبيعة .. الخ، فإنه أشـار في مواطن متعـددة إلى الأخطار التـي تحدق بالطبيعة من جراء الاسـتغلال التقني الارعن لمواردهـا، ويقول : (إن كل تقدم فـي فن الزراعة الرأسـمالية ليس فقط تقدماً في نهب الارض، فكل تقدم في زيادة خصوبة الارض لوقت محدود من الزمن هو تقدم في

تخريب الموارد الدائمة لهـذه الخصوبة ». يفهم هابرماس العمل ك « نشـاط عقلاني موجُه لهدف وغايـة » وهو ينقسـم بدوره إلـى نوعين : فعـل أداتي يخضـع لقواعد تقانيـة واختيار عقلاني ينتظم وفقاً لسـتراتيجيات قائمة على معرفـة تحليلية . يشـخص هابرماس الحداثة الاوروبية في ضوء ماكس فيبر بأنها عقلانية أداتية،

ولخصها تحـت مفهوم العقلنة والعقلانيـة التي تجلت في ازدياد الحسـابية والبحث عن الربح والسـيطرة المنظمة على كل جوانب الحياة الانسـانية على أساس قواعد قللت من الاعتماد على القيـم التقليدية المتوارثة . ويلاحظ ان هابرمـاس قدم رؤية لفهم العالم المعاصر من خلال التعريف الجديد الذي يراه منشـطراً إلى عالمين : الاول يخص العالم المعيش الـذي تقـوم بنياته علـى اللغـة والتواصـل، والثاني يخـص عالم الانسـاق الذي يخضع بالاسـاس للعقلنة الحسـابية التي تتميز بالوظيفة والأداتية والفعالية . وهذه الفجوة تقسـمه إلـى شـطرين :عالم الأنسـاق والعالـم المعيشـي فاللغـة تلعـب دور التواصل في العالم المعيشـي، والنسـق مجال العقلنة الحسـابية والأداتية المحيطة به . فاللغة كالأرض تشـخيص لمأوى الوجود وعلى الرغم من أنها كانت دائما وسـيطا رمزيا بامتياز لايمكنها التنسـيق بين جميع الافعال الانسـانية لذلك حلت محلها الانسـاق في العديد من مناحي الحياة . ويرى هابرماس ان هذه الانسـاق تمتـاز بديناميكية انغلاق على نفسـها لكل منها عالمها الخـاص : فالسـلطة تحدد شـروط ممارسـتها والنقود تحدد قسـم العملـة بطريقة محض ذاتيـة . ويضيـف هابرمـاس أن معيارية الانسـاق مغلقة وغالبـاً ماتسـتعمل رموزاً مزدوجة ومصطلحـات تُحددُ بها من ينتمي إلى النسـق ومن لاينتمي إليه . فنسـقية القانون مثلاً تمر عبـر رمز مـزدوج : قانونـي / غيـر قانوني «وماعـدا ذلك فهـو خارج عن النسـق وغير معترف به ». لقد حاول حسـن مصدق في كتابه اسـتنتاج بعض الروابط ذات الصلة الوثيقـة بأخلاقيـات التواصـل وعلم السياسـة . وركـز علـى ان هابرماس يعبر عن نفسـه بمقتضى مبدأ خطابـي يقوم على البرهنة ولايضفي الشـرعية على المعاييـر التي تثير قبول وتوفق جميع المعنيين بها . فهابرماس يتصور اجراءات تكوين الإرادة العامة كشـبكة من

البراهين والحجج المتمايزة التي تتبارى فيما بينها حول الاخلاق والسياسة والاقتصاد.. ان دور فلسفة التواصل النقدي يكمن بوصفها الاندماج الحي بين التفكير الفلسفي وعلم الاجتماع في نقد الديمقراطية التمثيلية ومحاولة تحرير مجال الاتصال الانسانس من قبضة العقل الأداتي والتشيؤ والاغتراب والسلعية بالعودة إلى الحداثة ذاتها، وقد تم إعادته من تحريره من الذاتية والنزعة العلموية.

توجه هابرماس في أعماله وبخاصة في" نظرية فعل التواصل" (١٩٨٤- ١٩٨٧) إلى فلسفة اللغة ابتغاء توسيع أساس النظرية النقدية وقد قدم أطروحة صعبة سنجملها في مراحل ثلاث:

١- المرحلة الأولى: يدعو إلى ضرورة التحرر مما يدعوه "بفلسفة الوعي" التي يعني بها الفلسفة التي ترى العلاقة بين اللغة والفعل كالعلاقة بين الذات والموضوع (أي التحرر من منظومة الفكر التجريبي).

٢- المرحلة الثانية: يمكن أن يتخذ الفعل صورتين، الفعل الاستراتيجي وفعل التواصل. الأول يتضمن الفعل الغائي العقلاني، في حين أن فعل التواصل هو ذلك الفعل الذي يرمي للوصول إلى الفهم.

٣- يترتب على فعل التواصل الأولية عدة أمور:

- أولاً، العقلانية بهذا المعنى ليس مثالا نقتنصه من السماء، بل هو موجود في لغتنا ذاتها، إن هذه العقلانية تستلزم نسقاً اجتماعياً ديمقراطياً لا يستبعد أحداً.

- ثانياً، ثمة نظام أخلاقي ضمني يحاول هابرماس الكشف عنه، وهو الأخلاق الكلية الذي لا يتوجه إلى تحليل مضمون المعايير بقدر توجهه إلى طريقة التوصل إليها، والتوصل إليها -حسب هابرماس- يكون عبر نقاش حر عقلاني.

أكد في كتابه "ما بعد ماركس" أن الماركسية لم تستنفد كل طاقاتها وإمكاناتها التحفيزية بوصفها فلسفة تحررية؛ والمطلوب، في اعتقاده، هو جعلها تساير عصرها

ولا تتخلف عنه . أن هذا الأمر يعني بالنسبة لهابرماس إعادة تأهيل الماركسية لكي تساير متطلبات المجتمع الألماني ما بعد الحرب العالمية الثانية؛ وهو ما اقتضى تطعيمها بعدة مفاهيم مستقاة من نظرية الفعل التواصلي يقول :

"رغم أن نظرية التواصل وظيفة حل المسائل ذات الطابع الفلسفي والتي تهم ابستمولوجيا العلوم الاجتماعية وأسسها فلها علاقة وثيقة جدا بالمسائل التي تطرحها نظرية التطور الاجتماعي"

قام هابرماس بمحاورة ابرز الفلسفات الألمانية التي عاصرها . وفي هذا السياق قام بما اسماه إعادة البناء النقدي للمادية التاريخية مستلهما في ذلك التراث النقدي لمدرسة فرانكفورت، وتراث عصر الأنوار . وقد ضمن تلك العملية كتابا سماه : ما بعد ماركس

بعد كتاب نظرية الفعل التواصلي (١٩٨١) ثم بعد الانشغال بأخلاقيات النقاش سيصدر هابرماس كتاب الديمقراطية التشاورية وقد أراد منه أن يكون بديلا للديمقراطية الليبرالية التي دافع عنها رولز في كتاب نظرية العدالة .

في أوائل ٢٠٠٧، صحيفة إجناتيوس *Ignatius* نشرت حوارا بين هابرماس وبابا الفاتيكان بنيديكت السادس عشر *Benedict XVI*، عنون ب"جدلية العلمانية" *Secularization* . عالج الأسئلة المعاصرة المهمة من مثل : هل الثقافة العامّة للمنطق والحرية المنظمة ممكنة في عصر ما بعد الميتافيزيقا؟ هل هذا الانحراف عن العقلانية يشير إلى أزمة عميقة للدين نفسه؟

في هذا النقاش، التغيير الأخير لهابرماس أصبح واضحاً . بشكل خاص التفكير ثانية بالدور العام للدين . تصريحات لعلماني صرف نصف قرن وهو يجادل ضد الحجّة الأخلاقية للدين، بعض تصريحاته كانت مدهشة، ففي مقالة ٢٠٠٤ المعنونة بـ"عصر التحول" كرر :

"المسيحية، ولا شيء ما عدا ذلك، المؤسسة النهائية للحرية، والضمير، وحقوق الإنسان، والديمقراطية . إلى يومنا هذا، نحن ليس لدينا خيارات أخرى . نواصل تغذية أنفسنا من هذا المصدر . كل شيء آخر ثرثرة ما بعد الحداثة" (١)

فكره وفلسفته:

أطلق هابرماس الفلسفة من عقالها الميتافيزيقي وأخرجها إلى الفضاء العمومي . وهذا الأخير مفهوم جديد اهتم به هابرماس في كتاباته الفلسـفية كرديف ومرادف للممارسـة اي التأثير الذي يمكـن ان تقوم به الفلسـفة في الفضاء العـام والمجتمع المعاصـر لأنها مطالبة بان تلعب أدوارا مخالفة لتلك التي لعبتها في المجتمعات السـابقة . لم يعد بمقدور الفلسفة ادعاء الشـمولية أو التأسـيس (هيغل – كنط)؛ بل هي ملزمة بان تنخرط في هموم المجتمع كالديمقراطيـة إذ لا فضاء عمومي سـليم لا تعمـه الديمقراطية وأخلاقيات الحـوار ويتمتع بحقوق الإنسان كما ينبذ العنف .

اعتبـر هابرمـاس أن إنجـازه الرئيسـي تطويـر مفهـوم ونظريـة العقلانيـة التواصليـة *communicative rationality*، الـذي يميـزه عـن التقليـد العقلانـي بتحديـد العقلانية في بنى الاتصال اللغوي الشخصي . تقدم هذه النظرية الاجتماعية أهداف الانعتاق أو التحرر الإنساني، بينما يبقى الإطار الأخلاقي الشامل . هذا الإطار يستند إلى حجّة تدعى البرجماتية الشـاملة*universal pragmatics* – كل الأفعال الخطابية لَهـا نهاية متـأصلة – وهي هدف الفهم المتبادل، وأن البشـر يمتلكون القـدرة التواصلية لجلب مثـل هذا الفهم . بنى هابرمـاس إطارا خارج فلسـفة الفعـل الخطابـي لودفيـج ويتجينسـتين*Wittgenstein*، وأوسـتن، وجـون سـيرل *Searle*، والنظريـة الاجتماعيـة للعـرف الثقافـي *interactional constitution* للعقـل لجـورج هربـرت ميـد، ونظريـات التنميـة الأخلاقيـة لجيـن بياجيه *Piaget* ولورانـس كولبيـرج*Kohlberg*، وأخلاقيـات الخطاب لـكارل هيديلبيرج – اوتو ابل *Heidelberg colleague Karl- Otto Apel* .

مصادر فكره وفلسفته

بنى هابرماس إطـارا شـاملا للنظرية الاجتماعية ورسـم الفلسـفة من خـلال عدد من التقاليد الثقافية :

- الفكر الفلسفي الألماني لإمانويل كانت *Kant*، فريدريك سكيلينج *Schelling*،هيجل *Hegel*، فلهلم*Wilhelm*، إدموند هسرل *Husserl*، وهانز جادمير *Gadamer*

- التقاليد الماركسية *Marxian* نظرية كارل ماركس نفسه، بالإضافة إلى النظرية الماركسية الجديدة النقدية لمدرسة فرانكفورت، وبمعنى آخر : ماكس هوركهايمر *Horkheimer*، أدورنو *Adorno*، وهيربيرت ماركوس *Marcuse*...

- النظريات الاجتماعية لماكس ويبير *Weber*، اميل دوركايم *Durkheim*، وجورج هيربيرت مييد *Mead*

- الفلسفة اللغوية ونظريات الفعل الخطابي *speech act theories* لودفيج ويتجينستين *Wittgenstein*،أوستن*Austin*،ستراوسون *Strawson*، ستيفن تويلمين *Toulmin*وجون سيرل *Searle* .

- علم نفس النمو*development psychology* لجين بياجيه *Piaget* ولورانس كولبيرج *Kohlberg*

- التقاليد البراجمتية الأمريكِية *American pragmatist* لتشارلز ساندرز بيرس *Peirce*، وجون ديوي *Dewey*

- نظرية النظم الاجتماعيةِ لتالكوت بارسونز *Talcott Parsons*، ونيكلس لوهمان *Niklas Luhmann*

- الفكر الكانتي الجديد *Neo- Kantian*

ما المقصود بالعقلانية التواصلية؟

يعتبر هابرماس هذه العقلانية سمة من سمات الفكر ما بعد الميتافيزيقي؛ ويطلق عليها أحيانا العقلانية الإجرائية، أي المتجسدة في الممارسة الحجاجية .

يتصور يورجن هابرماس النظرية التواصلية، و"الوضع المثالي للكلام" في نطاق موقف فكري شامل، يستهدف بناء نظرية المعرفة والمجتمع معا. أي نظرية تبحث كيفية تحقيق الشروط التي يستطيع فيها المجتمع الحديث أن يرقي قواه بالمعرفة والتقنية على أساس من الحقيقة، ويرقي بنياته المعيارية الكونية على أساس من العدل، مما دفعه إلى رفض مسلمات الأيديولوجية الوضعية والميتافيزيقية:

"ورفض نموذج الوعي المرتبط بفلسفات الذات، مفضلا عليها نموذج التفاعل المستمر بين الذوات من خلال الفعل التواصلي"

إن هذا الانشغال الشامل بالحقيقة، والمعيار العادل، قد دفعه إلى نقد المذاهب (الجوهرية) الدينية، والميتافيزيقية والوضعية، وتجريدها من أي دور مستقبلي، لأنها أصبحت خارج الاهتمام الفلسفي للخطاب العقلاني الحديث... ولم يبق من بديل إلا العقل الإجرائي التواصلي "أي مجموعة القواعد والمعايير التي تضمن الطابع الديمقراطي الصارم للحوار" بين المذاهب والمواطنين والذي يعتمد على "الشروط الإجرائية المثالية للكلام" التي تحقق المجتمع كنظام منصف للتعاون بين المواطنين الأحرار حسب تعبير رولز. فالنظرية التواصلية تفتح الحوار بتخليصه مما أسماه هيجل بـ الكلية الأخلاقية ومن مقدمات فلسفة الوعي وتسمح للأفراد بالاندماج الاجتماعي الديمقراطي في المعايير الكونية للعدل والحقيقة من دون إكراه خارجي وفقا لأحسن الحجج.

الديمقراطية الصورية عند هابرماس

إذا كان التطور العلمي والمادي يوسع المنافع ويرفع من استقلالية وسيطرة المجتمع على الأشياء فإن تطور المشاركة الإجتماعية والإرادة الإندماجية للنسق الإجتماعية (كالديمقراطية) تضايق حركية النسق، وتقوي رفض الأفراد لقرارات مراكز الضبط والسلطة... بهذا يحاول هابرماس أن يتجاوز الطرح الذي أثاره هوركايمر وأدورنو وماركيوز الذين اكتفوا بإدانة العقلانية الأداتية التي وسعت سيطرة الإنسان على الطبيعة،

وأوقعته تحت أخيه الإنسان، فالمهمة أصبحت واضحة مع هابرماس وتتعلق بكيفية التغلب على الطبيعة الداخلية (الأنانية والعدوان الخ) وتطوير الحرية والديمقراطية.

إن هذه الغاية تتطلب إعادة صياغة بناء الإرادة السياسية وممارستها، والتمييز بين إطار السلطة التقنية وإطار السلطة الديمقراطية... والسلطة الديمقراطية هي الأشكال المؤسساتية المنبثقة عن التواصل العمومي والمكرسة لمبدأ كيف يستطيع الناس ويريدون العيش جماعيا؟ في إطار الشروط الموضوعية المحددة بالسلطة الهائلة التي يملكونها على الأشياء... وإن مؤسسات الدولة الديمقراطية (الشكلية) نفسها قد نظمت بشكل يسمح للأقلية البيروقراطية بأن تقرر بمعزل عن الدوافع الحقيقية للمواطنين "تمكنها من ذلك إيديولوجية التسويغ الشرعي الفضفاضة التي تطلق وعودا عامة وتضمن بها ولاء الجماهير عن طريق تفادي إشراكها السياسي في القرار" كما أن المجتمع المدني الذي حيد من دوره السياسي بدعوى أنه مجال للتبادل الحر بين الحقوق الخاصة، قد قل الإهتمام به من طرف الباحثين الذين تجاهلوا اعتباره "حقلا عموميا مستقلا عن الدولة وقابلا للتجاوب والتفاعل".

إن ما يميز الديمقراطية وإجراءات القرار التابعة لها، لا يتأسس على مبدأ الإجماع وإنما بالقبول بالصراعات والسجالات. فحتى إن أتاحت هذه الإجراءات اتخاذ قرارات جماعية ومؤقتة، فهي تفترض مسبقا وعلى الدوام وجاهة الجدل وشرعية الصراع المرتبط بالقيم أو المصالح – محل رهان – بالنسبة لإصدار معايير قانونية

وتظل التبريرات الشرعية للمعايير القانونية في ظل المجتمع الديمقراطي رهانا للنزاع والصراع المسموح له بهما، والذي يتم تجاوزهما بواسطة هدف التوافق المنشود.

والتصور الثابت عن الديمقراطية الكلاسيكية يقول بأن القرارات الجماعية داخلها ما هي إلا نتاج لركام من القرارات يتخذها كل فرد لحسابه

يضاف هذا إلى عجز الديمقراطية الحالية في المجتمعات المتقدمة التي أصابتها في مقتل، بحيث اضمحلت "كجوهر ثقافي للتضامن بين المواطنين، كما ترعرع في إطار الدولة الوطنية"

نظرية الديمقراطية التشاورية عند هابرماس:

هابرماس ينتمي إلى اتجاه اهتم منذ سنوات السبعينات من القرن الماضي بالإجابة عن التساؤل الآتي:

كيف يمكن للمواطنين في الدولة الديمقراطية أن يتعايشوا في شروط عادلة؟

ونظرية الديمقراطية التشاورية التي كرس لها هابرماس أعماله المتأخرة، ابتداء من التسعينات، تعد أهم إنجاز في ميدان الفلسفة السياسية المعاصرة. وتعد نظرية الديمقراطية التشاورية توسيعا لمجال الفعل التواصلي؛ إذ لا يمكن فصل التشاور عن هذا الفعل التواصلي الذي نظر له هابرماس قبل أخلاقيات النقاش.

بنى هابرماس نظريته حول "الديمقراطية التواصلية" على أنقاض نقد الدولة الرأسمالية وإيديولوجيتها التكنوقراطية

ويمكن ملاحظة أن مناقشة هابرماس للرأسمالية الحديثة تفتقد للحماس الذي اتسمت به أعمال الرعيل الأول لمدرسة فرانكفورت. فهابرماس يرى في الرأسمالية، أساساً، مرحلة يمكن أن تنحرف فتؤدي إلى كارثة، لكنها عنده ليست شراً مستطيراً. ولقد ركز شأن الرعيل الأول على ظاهرة الهيمنة التقنية والعقل الأداتي السائد في هذا النظام. وحول ماركس يرى هابرماس أن الجزء المبدع لأعماله أصبح مدفوناً تحت خرسانة النزعة الأداتية والوصفية. ويرى هابرماس أن مسؤولية ذلك على عاتق ماركس نفسه، وعلى تركيزه تركيزاً شديداً على العمل باعتباره الخاصية المميزة للبشر.

إن الفكرة المحورية لمشروع هابرماس في كتابه الديمقراطية التشاورية هي تأسيس الديمقراطية على أساس جماعة متواصلة خالية من أية هيمنة عدا هيمنة أفضل حجة. كما أن مفهوم التشاور المرتبط بأخلاقيات يعد مفهوما مركزيا لديه. ففي التشاور يعطى لكل عضو في الجماعة الحق في الكلام والفعل بخصوص القضايا السياسية و...المطروحة في الفضاء العمومي. وفي ظل ذلك النقاش العقلاني المؤسس يتشكل الرأي العام والإرادة

السياسية العامة للمواطنين في المجتمع الديمقراطي الذي يلعب فيه التشاور دورا مركزيا .

هكـذا تمثـل مسـاهمات هابرمـاس فـي مجـال الفلسـفة السياسـية وخاصـة فـي نظرية الديمقراطية التشاورية مساهمة نوعية تندرج في اطار نقد أشكال الأنظمة الشمولية كالنازية .

يقوم نموذج الديمقراطية التشاورية على الرغبة في تجاوز الليبرالية المتوحشة والنزعات الشمولية . فالتضامن هو أسـاس الاندماج الاجتماعي في الديمقراطية التشاورية بصفة أعضاء المجتمع مواطنين في الدولة اي أصحاب الحق الأحرار المتساوين أمام القانون .

فالنموذج ألتشـاوري للديمقراطية، هو في اعتقاد هابرماس نمـوذج تواصلي . في هذا المنظور مفهوم السـلطة . فإذا كان في كتاباته الأولى نحا على السـلطة باللائمـة معتبرا إياها مرادفا للهيمنة باعتبـار ركيزتها هي المال والإعلام؛ وهي كلها عوائـق أمام تحقيق التواصل الشـفاف في المجتمـع، فانـه فـي أعمالـه *COMMUNICATIVE POWER* المتأخرة عدل موقفه بان تحدث عن السـلطة التواصلية التي أصبحت مفهوما متداولا في آرائه بخصوص الديمقراطية التشـاورية . أن السـلطة التواصلية سـلطة غير قمعيـة وغير قهريـة؛ ليس قوامها الإكـراه والهيمنة، لأنهـا نابعة مـن الفعـل الجماعي . أنهـا التواصـل السياسـي عندما يغدو مؤسسات في دولة الحق والقانون

يعكس مفهوم السـلطة التواصلية محاولة من هابرماس لإعـادة صياغة وتحديد نظرية التعاقد الاجتماعي عند روسـو بجعل العلاقة بين السـلطة والمواطنين علاقـة أفقية بدل أن تكون عمودية، معتقدا بذلك أن هذا القلب هو ما يضمن أن تكون السيادة للفعل فعلا .

هكـذا نلاحـظ التحول الكبيـر الذي حصـل في فلسـفة التواصـل لـدى هابرماس من تأسـيس التواصل على اللغة إلى تأسيسـه سياسـيا؛ وهو تحول آتى في مطلع التسعينات من القرن المنصرم .

لقد وجهت لهابرماس مجموعة انتقادات أهمها اثنان :

١ . لم يثبت ولا يستطيع أن يثبت أولوية فعل التواصل على الفعل الاستراتيجي .

٢ – مرتبط بالنقد الأول، أن أطروحته حول الانعتاق والتحرر لم تثبت، ليس هذا فقط، بل إن محاولة إقامة النقد على التفرقة بين النقد والحياة اليومية تقوض وضع التحرر الذي يزعمه والمشكوك فيه أصلاً. وبذلك يظهر أن مشروع هابرماس يعاني بمجمله من تناقض في الأهداف، فإن أخذنا مشروعه الأكبر بأوضح معانيه، فسيظهر أن محاولة تأمين أولوية التواصل في فلسفة اللغة، تجهضها تلك التفرقة التي يقيمها بين النسق والحياة اليومية. وهكذا إن إعطاء الأولوية لطرف على آخر في معادلة الفعل أو البنية تقوض النظرية من عروشها.

ان اية دراسة حول هابرماس لمهمة صعبة تحتاج الى وضعها في سياقاتها التي أرادها لها هابرماس. لان هابرماس نموذجاً للمثقف الديناميكي الذي يتفاعل مع حركة المجتمع والتاريخ، إيمانا منه أن النظرية تحتاج دائماً إلى أن تدلل على نفسها كلما حاولت أن تطبق نفسها في ميدان أو آخر.

إدوارد هال وتاريخ الاتصال الفكري

نستعرض هنا دور عالم الانتروبولوجيا ادوارد هال في تأسيس الحقل التعليمي للاتصال الفكري خلال الفترة بين ١٩٥١ ـ ١٩٥٥، حين يعمل في معهد الخدمة الخارجي في وزارة الخارجية الأمريكية.

وقد كان الحقل العلمي للاتصال الفكري يديره أساتذة جامعيون مختصون في الاتصال في الولايات المتحدة واليابان والبلدان الأخرى. وهنا سيتم تحليل تطور الاتصال الفكري في الولايات المتحدة واليابان.

الدور المؤسس الذي قام به ادوارد هال:

١ ـ تطور النموذج الأصلي للاتصال الفكري و.

٢ ـ كيف ان هذا النموذج سار عليه علماء في الولايات المتحدة واليابان.

لقد استخدم ادوارد هال مصطلح " الاتصال الفكري في كتابة القيم (١٩٥٩،

والمعنون " اللغة الصامتة " . ويعتبر هال عموماً مؤسس هذا الميدان (انظر ليدز – هيرفتز ١٩٩٠ وروجرز وستاينفات ١٩٩٩).

ولد هال في سانت لويس لكنه ترعرع في الجزء الجنوبي الغربي من الولايات المتحدة، وفي شبابه في الثلاثينات عمل هال في الخدمة الخاصة بالهنود الحمر من خلال إنشاء الطرق والسدود مع فرق خاصة تابعة لكل من هوبز ونافاجورس (هال ١٩٩٢، ١٩٩٤).

حصل على الدكتوراه في الانثروبولوجيا في العام ١٩٤٢ من جامعة كولومبيا التي كانت تعتبر آنذاك أهم مركز في الانثروبولوجيا . وأثناء الحرب العالمية الثانية عمل بصفة ضابط مع الفرقة الأمريكية الأفريقية في أوروبا والمحيط الهادئ (هال، ١٩٤٧).

وبعد الحرب عاد هال الى جامعة كولومبيا لدراسة ما بعد الدكتوراه في الانثروبولوجيا الثقافية (كتغيير بسيط في سيرته العلمية السابقة).

وتطرق هال الى الإدارة الأمريكية ما بعد الحرب العالمية الثانية لجزيرة تريك في المحيط الهادئ (هال، ١٩٥٠) . ثم أعد دراسة حول علاقات الاعراق في دينفر بناء على طلب عمدة المدينة (هال، ١٩٩٠) وذلك أثناء عمله في التدريس في جامعة دينفر . وبعد التدريس في كلية بننغتون في فرمونت مع اريك فروم، وهو عالم نفس فرويدي، التحق هال بمعهد الخدمة كأستاذ للانثروبولوجيا في العام ١٩٥١ .

الجدول رقم (١) يوضح الأحداث المهمة في مسيرة هال وحياته:

١٩١٤	ولد في وبستر غروفز، ميسوري، وهي إحدى ضواحي سانت لويس.
١٩١٨ – ١٩٣٢	عاش في نيومكسيكو
١٩٣٣–١٩٣٧	عمل في محميات نفاجو وهوبي في الجزء الجنوبي الغربي من الولايات المتحدة.
١٩٣٦	حصل على درجة البكالوريوس في الانثروبولوجيا من جامعة دنفر.
١٩٣٨	حصل على درجة الماجستير في الانثروبولوجيا من جامعة اريزونا.
١٩٤٢	حصل على درجة الدكتوراه في الانثروبولوجيا من جامعة كولومبيا.

١٩٤٢ - ١٩٤٥	خدم في الحرب العالمية الثانية وقاد كتيبة أمريكية أفريقيا في أوروبا والفلبين.
١٩٤٦	درس ما بعد الدكتوراه في الانثروبولوجيا الثقافية وعلم الاجتماع في جامعة كولومبيا. وأعد بحثا حول الإدارة الحكومية الأمريكية العسكرية عن تريك.
١٩٤٦-١٩٤٨	رئيس قسم الانثروبولوجيا، جامعة دنفر، ودرس علاقات العنصر في دنفر.
١٩٤٨-١٩٥٠	قام بالتدريس في كلية بننغتون في فرمونت مع اريك فروم.
١٩٥٠-١٩٥٥	مدير برنامج التدريس رقم (٣) في معهد الخدمة الخارجية، واشنطن د.سي.
١٩٥٥	نشر انثروبولوجيا السلوك في مجلة " ساينس امريكان".
١٩٥٦	نشر " اللغة الصامتة "
١٩٦٠-١٩٦٣	التحق مرة أخرى بكلية واشنطن الخاصة بالدراسات النفسية.
١٩٦٣-١٩٦٧	استاذ الانثروبولوجيا، معهد الينوي التكنولوجي، شيكاغو، وأعد بحثا من تمويل مؤسسة *NIMH* عن المواجهات بين الاعراق المتداخلة والمتقاربة.
١٩٦٦	نشر كتاب " البعد الخفي ".
١٩٦٧-١٩٧٧	استاذ الانثروبولوجيا، جامعة نورث وستيرن حتى احالته على التقاعد في العام ١٩٧٧ وأعد بحثاً من تمويل مؤسسة *NIMH* عن المواجهات بين الأعراق المتداخلة والمتقاربة.
١٩٧٦	اشترك في مؤتمر حول الاتصال والتداخل الثقافي في الجامعة المسيحية الدولية، طوكيو.
١٩٧٦	نشر كتاب " ما وراء الثقافة ".
١٩٧٧	قدم ورقة بحثية في مؤتمر رابطة الاتصال الدولية في برلين (هال، ١٩٧٨).
١٩٧٧	قضى أيامه متقاعدا في سانتافي، نيومكسيكو، ويلقي محاضرات من حين لآخر في مؤتمرات *SIETAR* والمعهد الصيفي للاتصال بين الثقافات ويدرس في جامعة نيومكسيكو (١٩٩٧-١٩٩٩).

التأثيرات العلمية على هال:

ان النمـوذج الأصلي للاتصال بين الثقافـات تبلور في التطورات التـي طرحها كل من هال وآخرين فـي معهد الخدمـة الخارجي في أوائـل الخمسـينات . ما هي أبـرز المؤثرات الفكرية على هذا التطور؟

لقد كانت أبرز هذه المؤثرات تتلخص في تجارب هال الأولى حين ترعرع في الولاية المتباينة الثقافات في نيومكسيكو وقيادته لكتيبة امريكية افريقية في الحرب العالمية الثانية.

ويقول هال بانه من عمله مع الهوبي والنافاجو تعلم " مباشـرة عن تفاصيل وتعقيدات إحدى أهم مشكلات العالم " وهي العلاقات الثقافية المتداخلة

ان تجارب هال الشـخصية لفتت انتباهه الى مشـكلات الاتصال بين الثقافات، بيد ان التأثيـرات العلمية دفعت هـال الى تحـري عملية الاتصال بيـن الثقافات. ان دراسـات هال العليا في مجـال الانثروبولوجيا في جامعة كولومبيـا وعمله بوصفه باحثـاً انثروبولوجيا في معهد الخدمـة الخارجية جعله علـى تماس مـع العلماء الذين تركـوا أثراً علـى تصوره عن الاتصال بين الثقافات.

وقد حدد هال أربعة تأثيرات أساسية على عمله:

١. الانثروبولوجيا الثقافية.

٢. علم اللغة.

٣. علم الأعراق البشرية، دراسة السلوك الحيواني.

٤. نظرية فرويد الخاصة بتحليل النفس.

١- الانثروبولوجيا الثقافية:

تعمـل الانثروبولوجيا الثقافيـة كتأثير ايجابي وسـلبي معاً على تشـكيلة هـال لنموذج الاتصال بيـن الثقافات. ففي جامعـة كولومبيا كان هـال متأثرا بدرجة خاصة بـكل من فرانز بوس وروث بينيدكت

وفي كتاب " البعد المخفي" يقر هال بأن الصلة التـي عقدها بين الثقافة والاتصال في كتابه الشـهير " اللغـة الصامتة " كانت فـي بداياتها مسـتمدة من أفكار بوس الذي " أرسـى الأساس للفكرة القائلة بأن الاتصال يشكل جوهر الثقافة"

ان التركيز القوي على النسبية الثقافية من قبل بوس وبينيدكت يتضح في عمل هال، كذلك تأثر هال بكل من مارغريت ميد التي سبقته في مساعدة الحكومة الأمريكية على وضع الدراسات الانثروبولوجية موضع التطبيق وكذلك ريمون بيرد وسيل الذي تدرب في مجال الانثروبولوجيا الثقافية والذي كان أول من درس علم القرابة .

لم يقبل هال بعض النواحي المهمة من منظور انثروبولوجي، فالانثروبولوجيون عموما يركزون اهتمامهم على الدراسات ذات المستوى الأكبر والثقافة الواحدة ويدرسون الإنسان والنظم الدينية والحكومية والاقتصادية والقرابة لثقافة معينة . أما منهج هال في معهد الخدمة الخارجية، فقد ركز على السلوكيات التي تعتمد المستوى الأكبر للتفاعلات الثقافية بين شعوب من ثقافات مختلفة .

ان هذا المنهج الخاص بالتداخل او التنوع الثقافي جاء ثمرة لعمله التطبيقي في معهد الخدمة الخارجية حيث كان يدرس دورات وورش عمل معنونة "فهم الشعوب الأخرى" لطلبة الدبلوم الأمريكيين

٢- علم اللغة:

في معهد الخدمة الخارجية كان أبرز زملاء هال هو جورج ل . تريغر، وهو عالم لغة يحمل درجة علمية بعد الدكتوراه من جامعة بيل مع ادوار سابير وبنجامين لي وورف، من العام ١٩٣٦ الى العام ١٩٤١

ولعل تريغر كان أقرب الى وورف من أي عالم أخر . وقد اظهروا اهتمامات علمية في اللغات الأمريكية الأصلية

وهكذا تعرض هال الى مفهوم " النسبية اللغوية"، وهي العملية التي تؤثر بها اللغة على الفكر الإنساني والمعنى . وقال هال فيما بعد بأن ما فعله وورف بالنسبة لفهم تأثير اللغة على التفكير البشري، فإن هال نفسه قد انجزه على السلوك البشري من خلال دراسته للاتصال الذي لا يعتمد على الكلام .

٣- السلوك الحيواني:

لقد طور هال اهتماماً في البيولوجيا خلال فترة صباه (هال، ١٩٩٢). ان هذا الاهتمام تحديدا في السلوك الحيواني يتجلى في كتابه "البعد الخفي" (المتعلق بالتجمع الحيواني ومعالجة المكان) و" ما وراء الثقافة " (المتعلق بسلاسل الأفعال).

ان " خارطة الثقافة " في كتابه " اللغة الصامتة " متأصلة في البيولوجيا. وتصنيف هال للزمن (والثقافة) بوصفه شكليا وغير شكلي وتقنيا يستند الى نظرية بول ماكلين عن الدماغ بمراحله الزاحفة، واستخدام الأطراف وقشرة الدماغ

٤- نظرية التحليل النفسي الفرويدي:

ان المستوى اللاواعي للاتصال كان تأثيرا قويا على هال وزملائه في معهد الخدمة الأجنبية، خصوصاً تصورهم عن الاتصال غير اللفظي. لقد سبق وان ذكرنا:

(١) اشتراك هال في حلقة بحث بعد درجة الدكتوراه خاصة بالثقافة والشخصية قائمة على الانثروبولوجيا الثقافية ونظرية علم النفس التحليلي في جامعة كولومبيا في العام ١٩٤٦.

(٢) صداقته الفكرية مع ايريك فروح في كلية بننغتون، وأثناء تدريسه في معهد الخدمة الأجنبية فان هال كان على اتصال وثيق مع مدرسة واشنطن للعلم التحليلي النفسي التي كان يشرف عليها ويديرها هاري ستاك سليفان الذي لعب دورا رئيسياً في تقديم نظرية التحليل النفسي الفرويدي في الولايات المتحدة.

لقد كان مكتب هال في نفس المبنى الذي توجد فيه مدرسة واشنطن للعلم التحليلي النفسي وكان " يعرف كل شخص في المبنى"، وكانت زوجة هائل، مدريد، المسؤولة الإدارية الرئيسة لمدرسة التحليل النفسي، وكان هال يتولى الجانب التعليمي في الكلية. وقد دعا هال علماء التحليل النفسي مثل فريدا فروم ريشمان (زوجة فروم السابقة) الى جلسات التدريب الخاصة به في معهد الخدمة الأجنبية، لإثارة اهتمامهم بموضوع الاتصال عن طريق النماذج الثقافي (خصوصا الاتصال الذي لا يعتمد على الكلام).

وأمضى هال سبعة أعوام في علم التحليل النفسي عندما كان يعيش في واشنطن دي سي

في كتاب " اللغة الصامتة " أوضح هال " أن أحد أبرز إنجازات فرويد وأكثرها إثارة هو تحليله المسهب لدور اللاوعي . وبعد فرويد بات أمراً مألوفاً ان ننظر الى أنفسنا بوصفنا بشراً نعيش على عدد من المستويات المختلفة في وقت واحد " . ان هذا المستوى من اللاوعي للاتصال البشري (وهو مصطلح استخدمه هال ١٩٥٩، ص٦٢) والمنسوب الى هاري ستاك سوليفان ، قد قام بتدريسه الى طلبته المتدربين في معهد الخدمة الأجنبية وانعكس في العنوان الذي أختاره هال لكتابه (١٩٥٩) " اللغة الصامتة" .

يذكر هال بأن " فرويد استند بدرجة كبيرة أيضا على الأهمية الاتصالية لأفعالنا بدلا من كلماتنا . إذ ان فرويد لم يثق بالكلمة المنطوقة وان كماً كبيراً من تفكيره كان قائماً على الفرضية التي مفادها ان الكلمات تخفي أكثر مما تكشف " .

لم يتأثر هال عند صياغته للنموذج الخاص بالاتصال بالتداخل الثقافي بنظرية "جورج سيميل (١٩٠٨، ١٩٢١) عن القريب ولا ببحث شارلي دارون (١٨٧٢، ١٩٦٥) عن الاتصال غير اللفظي المتعلق بتعابير الوجه . ولم يظهر أي من هذين المصدرين في كتابات هال مع انهما يعتبران هذه الأيام الجذور الرئيسة للاتصال بالتداخل الثقافي .

وهي من المؤثرات الفكرية الرئيسة على تصور هال عن الاتصال الخاص بالتداخل الثقافي، والمؤثرات الأخرى التي طبقتها أعمال هال . ان هذه المؤثرات الرئيسة من الانثروبولوجيا الثقافية وعلم اللغة ومن نظرية التحليل النفسي الفرويدي كلها تجمعت عند هال عندما كان يدرس في معهد الخدمة الأجنبية .

معهد الخدمة الأجنبية:

يبين ليدز – هوروتز (١٩٩٠) بأن " قصة الاتصال عن طريق التداخل الثقافي تبدأ في معهد الخدمة الأجنبية " . وأن العديد من المفاهيم المستخدمة في هذه الأيام في حقل الاتصال الثقافي قد تمت صياغتها بعقود قبل الأوج الفكري لمعهد الخدمة الأجنبية بين

عامـي ١٩٥١ و١٩٥٥ . والأمثلة علـى ذلك هي مفهوم جـورج سـيميل (١٩٠٨ و١٩٢١) عن القريب ومفهوم وليـم غراهام سـمنر (١٩٤٦، ١٩٤٠) حول التمركز علـى عرق معين . والنظرية النسبية اللغوية التي طرحها بنجامين لي وورف (١٩٤٠) .

على أيه حـال في العـام ١٩٥١ فإن دراسـة الاتصـال عن طريـق التداخـل الثقافي لم تحمل أسـماً معيناً وأن تصورها عـن التداخل بين الثقافـة والاتصال لم يتحقـق آنذاك . وان دراسة الاتصال غير اللفظي بوصفها مكوناً للاتصال الثقافي الصامت لغوياً لم تتبلور بعد .

لقـد كان الاتصال الـذي يعتمـد التداخـل الثقافي فـي مرحلة تسـبق صياغـة النماذج (كوهن، ١٩٦٢، ١٩٧١) قبل العام ١٩٥٠ .

ما هو معهد الخدمة الخارجية، وكيف كان النموذج الأصلي بالنسـبة للحقل التعليمي الخاص بالاتصال القائم على التداخل الثقافي في معهد الخدمة الأجنبية؟

لقد برزت الولايـات المتحدة مـن الحـرب العالمية الثانيـة كقوة دوليـة عظمى . لكن الهيـكل الدبلوماسـي الأمريكـي لم يكن فاعـلا بدرجـة كبيـرة . فالدبلوماسـيون الأمريكان بالكاد يتعلمـون لغة أو ثقافة البلـد الذي يقيمون به . على سـبيل المثـال كان هناك ١١٥ من أصـل ٣٠٧٦ موظفـي الخدمـة الخارجية يعرفـون اللغـة اليابانيـة او الصينية . وفـي الوقت الذي كتب به كل مـن ليديـرو وبيـردك (١٩٥٨) كتابهما المهـم " الأمريكـي القبيح"، فإن السـفراء الأمريكان في كل من فرنسـا وايطاليا والمانيـا وبلجيكا وهولنـدا والنرويج وتركيا واليابان وكوريـا وتايلند وفيتنام واندونيسـيا لـم يتعلموا اللغـات الوطنية لـكل بلد يعملون به . وبالمقابل فإن ٩٠ ٪ من الطاقم الروسـي بأكملـه بما في ذلك الموظفون او السـكرتاريا والسواق يتحدثون باللغة السائدة في البلد الذي يعملون به .

وكما أوضح أحد دبلوماسيي وزارة الخارجية الأمريكية فإن اختيار وتدريب وترفيع موظفي الخدمة الخارجيـة على أسـاس المهارة فـي اتقـان اللغة الأجنبية يشـبه الى حـد ما اختيـار فتيات الكورس على أساس الغمازات في خدودهن او الشامات . اما من الشرفة فلا يبدو ذلك أمرا مهماً .

في العـام ١٩٤٦ أصـدر الكونغرس الأمريكـي التشـريع الخاص بالخدمـة الخارجية الذي جعل معهد الخدمـة الخارجية تابعاً لـوزارة الخارجية الأمريكية وبقيـة موظفي وزارة الخارجية مثل عمال التنمية الأمريكان .

لقد كانت إحدى وظائف معهد الخدمة الخارجية هي تعليـم مهارات اللغة وهي نمط من التدريب تم بنجاح كبير . إذ استأجر معهد الخدمة الخارجية عددا من علماء اللغة الكبار الذين زجـوا في برنامـج اللغة العسـكري خلال فتـرة الحرب العالميـة الثانية الـذي تم من خلال التنسيق مع رابطة اللغات الحديثة .

ومع مجـيء أسـاتذة اللغـات الى الجيـش وردت اسـتراتيجية اسـتخدام الأشـخاص الناطقين باللغة الأصلية وبالتالي قدم هذا أهمية للفهم الثقافي في عملية تعليم اللغة .

لقد لعـب العالم ت . هيـل في شـرح الميدان الجديـد للاتصـال القائم علـى النماذج الثقافي في معهد الخدمة الخارجية .

الثقافة والاتصال:

فـي البدايـة علّـم هـال وزمـلاؤه الآخـرون علمـاء الانثروبولوجيـا فـي كادر معهـد الخدمة الخارجي طلبتهم حول مفهـوم الثقافة وحول التفاصيل ذات المسـتوى العالي عن حضارات معينة مثل بينة القرابة والمؤسسات الاجتماعية ولم يبدي الدبلوماسيون والفنيون المعنيون بالتنمية الدارسـون فـي معهد الخدمة الخارجـي الكثير من الاهتمـام بهذا المنهج الانثروبولوجي التقليدي نوعا ما .

وقد ذكـر هال بأنـه " يبـدو انه لم تكـن هنـاك قاعة "عمليـة" تترتـب على مـا يقوم به الانثروبولوجي او ينجزه من اكتشافات .

وقد اشـتكى العديد من الذين تدربـوا الى هال عما قالـه الانثروبولوجيـون لهم حول العمل مع قبائـل نافاجو بأنـه عديم القيمـة بالنسـبة لهم لأن الولايـات المتحدة ليسـت لها سفارة في محمية نافاجو .

وقد أصر المتدربون في معهد الخدمة الخارجية بأنهم يحتاجون الى فهم كيف التواصل بشكل فاعل مع الأفراد الذين يحملون ثقافة مختلفة عنهم، وقد استنتج هال بأنه " على العموم، انه من العبث ان نتناول الثقافة على مستوى البعد".

بدأ هال بالالتقاء بجورج تريغر كل يوم بعد الظهر لمناقشة كيفية طرح تصور مفاهيمي للمنهاج الدراسي للانثروبولوجيا في معهد الخدمة الخارجية وبذلك جمع بين المنظورين الانثروبولوجي واللغوي بتوحيد فكري الذي بات يعرف لاحقاً بالاتصال عن طريق التداخل الثقافي.

ومن خلال عملهما المشترك فإن هال وتريغر كتبا في العام ١٩٥٣ كراساً يتعلق بالتدريب لمعهد الخدمة الخارجية بعنوان " تحليل الثقافة " والذي حاولا فيه ان يطرحا خارطة بقياس ١٠ × ١٠ تتعلق بثقافة معينة وفقاً لأبعاد معينة. وقد تم طرح هذه الخارطة في كتاب هال " اللغة الصامتة ".

لقد كان الاتصال أحد أهم الأبعاد، وكان التركيز في جهود هال وتريغر المشتركة يتمحور حول الاتصال بين ثقافات مختلفة، واستنتج هال بأن "الثقافة اتصال والاتصال ثقافة" وشدد هال على النواحي ذات المستوى المنخفض من الزمان والمكان لأنهما قد مراسا تأثيراً على ما يعرف هذه الأيام بالاتصال غير اللفظي.

وقد دّرس ريموند ل. بيردوسل في معهد الخدمة الخارجي في صيف عام ١٩٥٢ وكتب كراساً عن الحركة او حركات الجسد لطلبة معهد الخدمة الخارجي

ان تحليل الاتصال غير اللفظي في معهد الخدمة الخارجي تناول بشكل خاص السلوك الخاص بالاتصال غير الواعي، البعد غير المدرك وغير القابل للتحكم للاتصال بين الأشخاص وقد تأثر بمفهوم اللاوعي المستوحى من نظرية فرويد المتعلقة بتحليل النفس.

وقد كان متدربي معهد الخدمة الخارجي قد استجابوا بدرجة عالية الى النموذج الجديد للاتصال بين الثقافات المختلفة التي اوجدها كل من هال وتريغر.

ان المقرر الدراسـي الأساسـي الذي قـام هال بتدريسـه كان ورشـة مكونة مـن أربعة أسـابيع موجهة للدبلوماسـيين الذين امضوا نصف عمرهـم في المهنة وعمـل الدعم الفني وبعضهم اصطحب زوجاتهم معهم .

لقد كان نصف محتوى المقرر يخص تدريس اللغة والنصف الآخر نحو الاتصال بين الثقافات .

وقام هال بتدريب ٢٠٠٠ شـخص في معهد الخدمـة الخارجي على مـدار فترة زمنية امتـدت الى خمسـة أعـوام بدفعـات تبلـغ كل منهـا بيـن (٣٠) و (٣٥) شـخصا، وأن طرق التدريب كانت تقوم على المشاركة والتجربة .

ولـم يول هال اهتماماً كبيرا لمسـألة الإصغاء الى المحاضرات وقراءة الكتب كوسـيلة لفهم الاتصال بين الثقافات، إذ حصل هال على أمثلة صفية مفيدة في الاتصال بين الثقافات من الأشـخاص الذين دربهم، والعديـد من هؤلاء كانت لديـه تجربة دولية واسـعة . وقد تم الحصول علـى الاسـتبصارات والشـواهد التعليمية مـن خلال رحـلات هال الـى متدربيه السابقين في البلدان التي عملوا فيها .

لمـاذا انتهـى البرنامـج الفكـري الخـاص بالاتصال بيـن الثقافـات في معهـد الخدمة الخارجي في العام ١٩٥٥؟

لقد تم إلحـاق معهد الخدمـة الخارجي بـوزارة الخارجيـة الأمريكية لغـرض تدريب كادر الخدمة الخارجي . لقد كان معهد الخدمة الخارجي جزءاً من البيروقراطية الحكومية . وقد عانى علمـاء الانثروبولوجيا واللغة الذين كانوا يدرسـون في المعهـد من صعوبات في التعامل مع بعثة الولايات المتحدة .

وتذكـر وزارة الخارجيـة التـي كانت تشـك بقطـاع الأكاديميين الدارسـين فـي معهد الخدمـة الخارجي بـأن " رسـالتي كانت غالبـاً ما تتعـرض الى سـوء الفهـم ويقاومها بكل شراسة أغلب الإداريين وأعضاء السلك الخارجي" . وفي النهاية قررت وزارة الخارجية ان " تنظف كل المعنيين بالانثربولوجيا من معهد الخدمة الخارجي .

ومن خلال رحيل هال وتريغر والآخرين تم إغلاق نافذة صغيرة خاصة بالإبداع الأكاديمي ازدهرت في معهد الخدمة الخارجي في العام ١٩٥١ والعام ١٩٥٥.

وقد انتقل المركز الفكري للاتصال بين الثقافات الى مكان أخر ليستقر لاحقا (بعد مرور عقد او أكثر) الى الأقسام الجامعية التي تدرس مادة الاتصال.

ان إحدى أهم الوسائل الخاصة في نشر عناصر النموذج الأصلي للاتصال بين الثقافات الذي تم تطبيقه في معهد الخدمة الخارجي كان عن طريق هال (١٩٥٩) وكتابه المهم " اللغة الصامتة".

نموذج هال المتعلق بالاتصال بين الثقافات:

ما هي العناصر الأساسية للنموذج الذي تم تعريفه بأنه توصيف مفاهيمي يطرح مشكلات وطرق نموذجية للبحث لمجموعة من الباحثين للاتصال عبر الثقافات؟

ركز علماء معهد الخدمة الخارجي على الاتصال بين الثقافات المختلفة بدلا من دراسة ثقافة واحدة على مستوى كبير والتي درسها هال بالأساس (ودون احراز نجاح كبير) للمتدربين في معهد الخدمة الخارجي. ومع ان الاتصال بين الثقافات كانت له أصول في الانثروبولوجيا وعلم اللغة، إلا انه أصبح مختلفاً عن كل منها في العقود التي تلت العام ١٩٥٥.

١. ان الاتصال غير اللفظي الذي عرفه هال بأنه اتصال لا يتضمن استخدام وتبادل الكلمات. لقد قام هال وتريغر وبيردوسيل بدراسة تجريبية لأنواع مختلفة من الاتصال غير الكلامي (التقارب والحركة) وبذلك ارسوا دعائم النموذج الذي سيحتذى به للأجيال اللاحقة من الباحثين المعنيين بالاتصال غير الكلامي.

٢. ان التركيز وبالأخص في الاتصال غير الكلامي، كان على مستوى تبادل المعلومات غير الواعي، هنا يبرز تأثير فرويد على هال وكذلك ايريك فروم وهاري ستاك سوليفان وكذلك ريموند بيردوسيل.

٣ . ان المنهج الخاص بالاتصال بين الثقافات يتقبل الفروقات الثقافية ولا يصدر أي حكم عليها وبذلك يعكس منظورا من التدريب والبحث الانثروبولوجي . هنا يسير هال على خطى فرانز بـوس وروث بينيدكت من خلال دعم النسـبية الثقافية بكل قـوة، الاعتقاد بأن عنصرا معيناً من الثقافة يجب ان يحكم عليه على ضوء السياق الذي هو فيه .

٤ . ان طرائق المشـاركة للتدريـب كانت ضرورية لكـون الاتصال بيـن الثقافات كان يدُرس على شكل ورشات تقام يومياً في معهد الخدمة الخارجي للمتدربين ممن قضوا نصف خدمتهم عملياً والذين لديهم خبرة واسـعة في الميدان . لقد استخدم هال وزمـلاؤه في معهـد الخدمـة الخارجي ألعـاب التمثيـل والتماريـن والطرق الأخرى التي تتضمن المشاركة والتفاعل ذات التعليم القائم على التجربة .

٥ . بدأ الاتصال بين الثقافات باعتباره نمطاً تطبيقياً مـن طراز رفيع للتدريب، الغرض منه تعويض النقص في المهارات للدبلوماسيين الأمريكان والفنيين .

لقد كانت هذه العناصر السـتة للنمـوذج التي تم اتباعهـا في معهد الخدمـة الخارجي تميز عموماً ميدان الاتصال الثقافي هذه الأيام وحسـب ما تدرس فـي الجامعات الأمريكية واليابان الى حد ما .

اللغة الصامتة:

يعتبر كتاب اللغة الصامتة الوثيقة الأسـاس للميدان الجديد للاتصال بين الثقافات مع انه لم يكتب لهذه الغاية بل انه لم يكـن موجهاً لجمهور أكاديمي أصـلا، فالكتاب قد جرى تأليفه للجمهور القـراء بصورة عامة وأصبح مـن الكتب الرائجة الرئيسـة . كذلك كان له أثر كبير على الباحثين الأكاديميين .

ان محـرر مجلـة " الأمريكي العلمـي " كتب عدة رسـائل الـى هال في العـام ١٩٥٤ يطلب منه ان يكتب مقالة عنوانها " انثروبولوجيا السـلوك " القائمة على ما كان يدرسـه في معهد الخدمة الخارجية . وقام هال بتسليم هذه المقالة التي تم نشرها على الفور .

وفي الجـزء الثاني جرى الاستشـهاد به كثيرا في هـذه المقالة يصف هـال معالجة القضاء خلال هذه النقاشات " يقف الرجل الأمريكي على بعد ١٨ الى ٢٠ انج بعيدا حين يتحدث الى رجل اخـر لا يعرفه بدرجة كبيرة، أمـا اذا كان يتحدث الـى امرأة بظروف مشـابهة فانه يزيد هذه المسافة بحوالي (٤) انجات. ان المسافة التي تصل الى ٨ و٣ انج بين الرجلين تعتبر عدائية.

لكن فـي العديد من أجزاء من أمريكا اللاتينية والشـرق الأوسـط فإن المسـافات التي تعتبر جنسية تقريبا في دلالاتها فهي الوحيدة التي يعتبرها الناس مريحة للحديث".

وقد اسـتنتج هال بأن " إذا كنت فـي أمريكا اللاتينيـة وتتحدث الى شـخص من أمريكا الشمالية على المسافة التي يصر على إبقائها فإنه يشبه شخصا يحاول ان يتكلم عبر الغرفة ".

وبعد نشر مقالة هال ١٩٥٥ بفترة قصيرة، فإن كلاركسـون بوتر، المحرر المشارك في دار نشر دوبلدي طلب من هال ان يكتب كتاباً شـعبيا في اللغة عبر التقنية من خلال التوسع بمقالته المنشورة في مجلة " الأمريكي العلمي "، اقترح هال بأن الكتاب يؤلفه بمشاركة من زميله جورج تريغر وبعق موقع مع دوبلدي.

ومع ذلك فإنه بعد مرور عام وقبل الانتهاء من كتابة الجزء الأكبر من الكتاب، انسحب تريغر من مسـؤوليته حين ترك العمل فـي معهد الخدمـة الخارجية ليقبل العمـل في وظيفة اكاديمية في جامعة بفالو.

ولعب بوتر دورا بارزا في تشكل الكتاب وأكمل تحرير كتاب " اللغة الصامتة " كعمل من باب الحب بعد ان استقال من دار نشر دوبلدي ليصبح محررا في دار نشر أخرى.

ويقول هـال " بدت الكتابـة لكتابي الحقيقـي الأول، اللغة الصامتة، سـاعة واحدة في اليوم بين الخامسة والسادسـة في الصباح حيث لا يوجد هناك من يزعجني"، وقد خضعت مسـودة الكتاب الى عدة مراجعات وتعديلات فـي العنوان، بدءاً من " تحليـل الثقافة " الى "الثقافة" " الحدود الجديدة "، وأخيرا "للغة الصامتة".

لقد احتـوى كتـاب " اللغـة الصامتـة " على فصـول رئيسـية مثل " مـا هـي الثقافة"، و"الثقافة تعني الاتصال "، و"الزمن يتكلم " و"المكان يتحدث".

لقد وضع الكتاب اهتماماً كبيراً عن الاتصال غير اللفظي في حين (٢٠) بالمائة على الاقل من المحتوى مخصصة لهذا الموضوع، الى الرواج الخاص الذي حظي به كتاب "اللغة الصامتة" عند قراءه، كان ينحصر في إضاءته لابعاد لم تكن معروفة من قبل عن الاتصال البشري، وخصوصاً للكيفية الذي يؤثر بها المكان على الاتصال، وكذلك كيفية تأثير الزمان على الاتصال بين الناس، وقد تم طرح العديد من الأمثلة والشواهد من عدد كبير من الثقافات في الكتاب واغلبها مستوحاة من تجارب هال الواسعة مع هوبس ونافاجو في الثلاثينات، وكذلك تقييمه لبرنامج التنمية على جزيرة تريك في العام ١٩٤٦ وبالأخص تجارب الاتصال بين الثقافات التي مثلها المتدربون في معهد الخدمة الخارجي.

أثار كتاب اللغة الصامتة:

لقد اثر كتاب "اللغة الصامتة" على جمهور القراء، والمجتمع الأكاديمي وأوساط المفكرين وعلماء الاجتماع وكذلك سيرة حياة ادوارد هال. فقد كان كتاب "اللغة الصامتة" رائجاً الى أبعد حد ممكن، فقد بيعت منه (٥٠٥،٠٠٠) نسخة خلال الفترة بين ١٩٦١ و١٩٦٩.

بالإضافة الى ذلك، فإن مختارات من كتاب "اللغة الصامتة" قد أعيد طبعها في العديد من الكتاب التي حررها مؤلفون آخرون وفي المجلات والمنشورات الأخرى.

كذلك تمت ترجمة هذا الكتاب الى ستة لغات، بما في ذلك اللغة اليابانية في العام ١٩٦٦ (وقام بالترجمة كونهيرو وآخرون).

ان شعبية كتاب "اللغة الصامتة" وضعت هال في نمط سلوكي وطريقة معينة في التدريس وإلقاء المحاضرات والمقابلات التي أجريت معه في مجلة "علم النفس اليوم" و"بلي بوي" ومجموعة من الأصدقاء المقربين من أمثال مارشال ماكلوهن. ومارغريت ميد وديفيد رايسمان وبكنمستر فولر.

لقد أغنت نقاشات هال ومراسلاته مع هؤلاء المفكرين الرواد من تصوره عن الاتصال غير اللفظي والقائم على التداخل الثقافي كما يتضمن في الكتب التي جرى تأليفها لاحقا حول تأثير الزمان او المكان في الاتصال.

من معهد الخدمة الخارجية الى حقل الاتصال بين الثقافات:

على الرغم من الآثار الفكرية للنموذج الذي جرى تطويره في معهد الخدمة الخارجي، فإن هال " لم يحاول ان يخلق ميداناً جديداً يحمل تراثاً بحثياً جديداً" وإذا كان يدعم الأفكار التي تمت صياغتها في معهد الخدمة الخارجي من خلال مقالاته وكتبه من أمثال "اللغة الصامتة" فإن هال لم ينظر الى نفسه بوصفه المؤسس لهذا التخصص الأكاديمي . ودأب على النظر الى نفسه باعتبارها عالم انثروبولوجيا بدلاً من ان يكون عالم اتصال . واستمر هال في التمسك بهذا الرأي .

ومع ذلك فإن ادوارد هال هو الذي أسس موضوع "الاتصال بين الثقافات" وكتابه المعنون " اللغة الصامتة" هي الوثيقة المؤسسة لهذا الميدان، إذ ان هال هو الذي أرسى الأساس الفكري الذي بناه آخرون .

أما الباحثون اللاحقون فلم يكونوا علماء لغة، ربما لكون علم اللغة تركز على الاتصال اللفظي وليس الاتصال غير اللفظي .

لماذا وصلت دراسة الاتصال بين الناس من ثقافات مختلفة الى مستوى أقرب الى ان يكون فرعاً من دراسة الاتصال وليس الانثروبولوجيا؟

هناك احتمالان وراء ذلك :

١ . لم يسعى هال الى الترويج لجعل الاتصال الثقافي يحمل طابعاً مؤسسياً ضمن الانثروبولوجيا و .

٢ . افتقد هال خدمات اتباع له من حملة الدكتوراه في الانثربولوجيا .

لقد كان هال مؤسساً عابراً للميدان الجديد للاتصال بين الثقافات ولم يشجع جعله مؤسسياً في الجامعات الأمريكية . ومع ذلك فإن هال واصل البحث العلمي في الاتصال غير اللفظي خلال الفترة التي درّس فيها في معهد الينوي للتكنولوجيا

١٩٦٣ ـ ١٩٦٧) ، وجامعة نورث ويسترن (١٩٦٧ ـ ١٩٧٧) ، ويؤلف العديد من الكتب المهمة حول الاتصال القائم على الثقافة .

على أيه حال، إن قراءة لمراسلات هال الواسعة في أرشيف جامعة اريزونا تبين بأنه في الوقت الذي كان فيه باحثاً نشطاً في مجال الاتصال الثقافي، فإنه لم يكن ينظر الى دوره باعتباره مؤسساً لحقل الاتصال الثقافي، وتطوير حقل جديد في الدراسة، فهو كان بحاجة الى عدد من الطلبة من حملة الدكتوراه الذين يسيرون على خطاه في هذا الدرس .

لم يكن معهد الخدمة الخارجي يمنح شهادات علمية، وكان الطلبة في معهد الخدمة الخارجي مجموعة غير واعدة من المتطوعين في جماعة نظرية موحدة، وان كان اتجاه نحو بناء نظرية موحدة وتشكيل جماعة نظرية .

وكان الأمر متروكاً للباحثين في مجال الاتصال في الستينات والسبعينات لأن يستكشفوا في طريق الاتصال الثقافي الذي بدأه ادوارد هال في أواخر الخمسينات، فقد أحيل على التقاعد من التدريب والتفرغ العلمي في العام ١٩٧٧ وهذا أنهى عمليا فرصه للحصول على اتباع اكاديميين .

لقد ظهرت دراسة الاتصال الثقافي أول مرة كجزء من دراسة الاتصال في أواخر الستينات عن طريق كتب ألفها مؤلفون من أمثال الفريد سميث "الاتصال والثقافة " (١٩٦٦) ، ومن خلال المقررات الدراسية التي كانت تدرس في أقسام الاتصال .

الأحداث الرئيسة في تطور مسيرات الاتصال الثقافي

التاريخ	الأحداث
١٩٥٠ – ١٩٥٥	تطوير النموذج الأصلي للاتصال الثقافي من قبل ادوارد ت. هال وآخرين في معهد الخدمة الخارجي في واشنطن دي سي.
١٩٥٥	الطبعة الاولى حول الاتصال الثقافي لمقالة هال " انثروبولوجيا السلوك " في مجلة " الأمريكي العلمي ".

١٩٥٩	نشر كتاب " اللغة الصامتة " باللغة الانجليزية، وظهرت نسخة يابانية منه في العام ١٩٦٦.
أواخر الستينات	تطوير أول مقررات بالاتصال الثقافي في الجامعات مثل جامعة بستبيرغ ونشر كتاب الفريد سميث " الاتصال والثقافة " (١٩٦٦)
١٩٧٠	أسست رابطة الاتصال الثقافي قسماً للاتصال القائم على تداخل الثقافات.
١٩٧٢	الطبعة الأولى من الكتاب المعنون " الاتصال الثقافي ". المرشد الذي حرره كل من لاري أز سموفار وريتشارد بورتر.
١٩٧٣	نشر ل.س. هارمس كتاب " الاتصال بين الثقافات" في جامعة هاواي (الذي يعتبر أول كتاب منهجي حول الاتصال الثقافي).
١٩٧٤	النشر الأول لكتاب " حوليات الاتصال الثقافي والدولي " وتأسيس جمعية التعليم للاتصال الثقافي والتدريب والبحث.
١٩٧٥	نشر كتاب جون سي. كوندون وفلحي يوسف " مقدمة في الاتصال الثقافي " (ثاني كتاب منهجي في الاتصال الثقافي). وقامت رابطة الاتصال الثقافي الكلامي بإنشاء وحدة للاتصال الثقافي.
١٩٧٧	بدأت المجلة الدولية للعلاقات الثقافية بالنشر.
١٩٨٣ وحتى الوقت الحاضر	يتم التركيز على التطور المستمر للعلاقات الثقافية (على سبيل المثال، نشر مجلدات من مجلة " حوليات الاتصال الثقافي والدولي" حول نظرية الاتصال الثقافي.
١٩٩٨	تأسيس الأكاديمية الدولية للعلاقات الثقافية.

على مدار العقـود الأربعة الماضيـة لقد ازدهر حقـل الاتصال الثقافي داخل الأقسـام الدراسـية فـي الجامعـات المختصـة بالاتصـال، والعشـرات مـن الكتـب المنهجيـة حول الاتصال الثقافي قد ظهـرت . وطيلة كل هذا التطور الذي شـهده البحث في مجال الاتصال الثقافـي، كان عمل هـال الأبـرز والأكثر أهميـة . إذ ان كتـب وأعمـال هال ما تـزال موضع استشهاد واقتباس سواء داخل حقل الاتصال الثقافي أو خارجه .

ويتبوأ هال المركز الثاني فـي مجال الاقتباس من أعماله في الاتصـال الثقافي، وتعتبر ثلاثة من كتبـه الأكثر استشـهاداً في الاتصـال الثقافي اسـتناداً الى مؤشـر الاقتباس الخاص بالعلوم الاجتماعية من العام ١٩٧٢ والى ١٩٩٨.

كذلك يعتبر هال أبرز شخصية في مجال الاتصال الثقافي من خلال ردود المشمولين بالاسـتبانة فـي اعضـاء جمعيـة التربيـة الخاصـة بالاتصـال الثقافـي والتدريـب والبحـث الأمريكية.

الاتصال الثقافي في اليابان:

بدأ علماء الاتصـال الثقافي الأمريكان واليابانيون دراسـة سـلوك الاتصـال بين الولايات المتحدة واليابان في السبعينات، وهم يشددون على الفروقات في الحالات الفردية والجماعية والثقافات ذات السياق الواطئ والعالي، والكشف عن الذات وسائر القيم الأخرى.

ان البحث في الاتصال حول التفاعل الأمريكي الياباني الذي اشـرف عليه باحثون من الولايات المتحدة واليابـان في مجال الاتصـال الثقافي قد توسـع بدرجة كبيـرة في العقود اللاحقة. وفي هذه الأيام هناك الكثير من الدراسات في مجال الاتصال الياباني – الأمريكي أكثر من الاتصال القائم على التداخل الثقافي بين ثقافتين او اكثر.. لماذا؟

تعتبر الولايات المتحدة واليابـان أكثر قوتين اقتصاديتين في العالـم، وحجم كبير جداً من التجارة وتبادل الأفراد يتم بينهما.

بالإضافة الى ذلك، فإن العديـد من أوائل الباحثيـن البارزين في مجـال الاتصال مثل جون كوندون وويليم غوديكنسـت وكليفورد كلارك، كانت لديهم تجارب حياتية شخصية تشـمل الاتصال الأمريكـي – اليابانـي، التي أثـرت بدورها علـى بحوثهـم وكتاباتهم حول الاتصال الثقافي.

لقد دّرس كوندون أكثر من عشـرة أعوام في السـبعينات والثمانينات والتسـعينات في الجامعة المسـيحية الدولية في طوكيو. وعمل غوديكنسـت في القاعـدة البحرية الأمريكية

كمسؤول عن الاتصال الثقافي . أما كلارك وهو المؤسس للمعهد الصيفي في الاتصال الثقافي في جامعة ستانفورد (الذي يعقد سنوياً هذه الأيام بالقرب من بورتلاند في اوريغون)، وقد تربى على أيدي أبوين مبشرين في اليابان .

وقد عقدت العديد من المؤتمرات المهمة وورشات العمل حول الاتصال الثقافي في اليابان وتجلب العديد من الباحثين في الولايات المتحدة واليابان لتسليط الضوء على هذا الحقل الجديد والمتنامي .

وقد نظم كوندون وزميله في القسم متسوكو سايتو مؤتمرين مهمين حول الاتصال الثقافي الذي عقد في الجامعة المسيحية الدولية التي ظهرت عنها عدة كتب .

ومع ان المقررات الرئيسة في مجال التعليم الثقافي يجري تدريسها في كافة ارجاء العالم، عادة في الأقسام العلمية للجامعات، فإنه في اليابان تطرح هذه المقررات في الأقسام العلمية الخاصة باللغة الانجليزية في الجامعات، وكذلك كليات الأعمال .

ان أحد أسباب الشعبية المتنامية للاتصال الثقافي وموقع بعض المقررات في كليات الأعمال هو ان هذا الميدان يُنظر اليه في اليابان على انه مهارة نافعة جدا تستخدم في مجال الأعمال الدولية .

أثر هال على الاتصال الثقافي في اليابان:

لقد أسهم ادوارد هال بثلاث مجهودات لمجال الاتصال عن طريق الثقافة في اليابان :

١ . أوضح عمل هال مفهوم الاتصال في اليابان (وكذلك كان أحد أوائل الباحثين الذين استخدموا هذا المصطلح في الولايات المتحدة) وسيشدد على ان التفاعل مع الشعوب غير اليابانية يشتمل على أشياء أكثر من مجرد التبادل للكلمات . كذلك تضمن انساق ثقافية من المعتقدات والقيم والتصورات عن العالم . وحتى مجيء هال الى الساحة كان الكثير من الاهتمام منصباً على ما يسمى "تدويل" او " الاتصال الدولي" في اليابان على اتقان الـ "ايكبوا" (الحوار الانجليزي) .

ان اليابانيين قبل الستينات كانوا يعتقدون بأنه حالما يتعلم المرء الا يكبوا فإن ذلك الشخص سيكون قادرا على الاتصال الثقافي مع الآخرين . لذلك شعر المترجمون الفوريون الذين كانوا يعلمون ان الكثير ينبغي انجازه في مجال تحقيق الاتقان في التعامل مع الناس الناطقين باللغة الانجليزية، شعروا بالحاجة الى طرح هذه المفاهيم بوصفها اتصالا ثقافياً في اليابان .

ان ماسا وكوينهيرو الذي تخصص في الانثروبولوجيا في جامعة هاواي انتبه الى عمل هال في الاتصال الثقافي من أجل تلبية هذه الحاجة، وكما هو الحال في الولايات المتحدة الأمريكية، فإن عمل هال ساعد الباحثين اليابانيين على تحديد أطر البحث في مجال الاتصال الثقافي وترسيخ هذا الحقل في اليابان من خلال التركيز على دور الثقافة في الاتصال مع الناس من البلدان الناطقة باللغة الانجليزية .

ان إدخال مفهوم هال عن الاتصال الثقافي كذلك طرح عدة توجهات ذات مناهج تكاملية لموضوع التداخلات اليابانية مع اللغة اليابانية . تضمنت مؤتمرات الجامعة المسيحية الدولية جلب باحثين من اتجاهات واهتمامات مختلفة، وبضمنهم تاكي دوي وشين ناكان . وكان اثنان من ابرز الباحثين اليابانيين في مجال الاتصال الثقافي

(١) ماسا وكوينهيرو وهو استاذ جامعي ومشرع وقام بترجمة كتاب هال "اللغة الصامتة" بالمشاركة مع زميل أخر (شينموكو فوكوتوبا) الى اللغة اليابانية (بالتنسيق مع يوشيمي تاغاي ومتسوكو سايتو) الذين عملوا كقناة رئيسة في تقديم انموذج هال للساحة اليابانية

(٢) موتسوكو سايتو الذي يوصفه استاذا في الجامعة المسيحية الدولية ومترجما مشاركا لكتاب هال القيم ومؤلفاً مشاركاً مع جون كوندون، قام بتدريب المترجمين الفوريين .

لقد فهم هـؤلاء الباحثون بأن بعـض الكلمات في اللغـة الانجليزيـة تفتقر الى ما يكافؤها باللغة اليابانيـة والعكس صحيح. ان تفرد اللغـة اليابانية والصعوبات في ترجمـة الكلمات مثـل *amae* الـى الانجليزية وكلمات مثـل *love* الـى اليابانية، لفتت انتباه الباحثين فـي مجال الاتصال الثقافـي الياباني على سـبيل المثال يبين دوي *Doi* (١٩٧٤) بأن *amae* تعبير ياباني لسلوك الاتصال اللفظي وغير اللفظي يقصد منه انتزاع كلمات او افعال الحب، او اتمام خاص من الطرف الآخر.

٢. لقد لفت عمـل هال اهتمـام الباحثيـن اليابانيين ومعلمـي اللغة الـى النواحي غير الكلامية للاتصال بين الاشـخاص والثقافات من اليابانيين. وبتأثير من عمل هال وبدافع منه، فأنهم بدأوا بوصف الخصائص الثقافية للاتصال غير اللفظي الياباني ودراسة تأثير الاتصال غير الكلامي على الاتصال الثقافي الياباني، وبالأخص عن الناس الناطقين باللغة الانجليزية.

ان هـذه الدراسـات القائمـة علـى التداخـل الثقافـي وغيـر الكلامـي كانـت لها أبعاد لدراسـة الاتصال الثقافي في اليابان نظرا لأن الشـعب اليابانـي يعتقد بأنهم يعتمدون بدرجة أقل على الاتصـال اللفظي مما عليه الحال عنـد الناطقين باللغة الانجليزية (الذين يعانون من صعوبة بالغة في فهم وقراءة العقلية اليابانية).

ان عـدداً كبيـراً مـن الدراسـات التـي راجعهـا كل مـن ميكـي وإيشـي (١٩٩٧ و١٩٩٨) استشـهدوا بمقتبسـات مـن عمـل هـال ووظفوا إطـاره النظـري لفهم السلوك الياباني غير اللفظي من وجهات نظر ثقافية وشخصية.

ان دراسات الاتصال الثقافي في اليابان تطرقت الى موضوعات من قبل الصمت وتعابير الوجـه وحركات الأيـدي والانحنـاء والعلاقـات الترابطية والاحسـاس بالزمن. إن بعض هذه الموضوعات الخاصة بدراسة الاتصال الثقافي قد طرحها هـال (١٩٥٠) ثـم جـرى تطويرهـا بالبحـث حـول الفروقـات بيـن المجتمعين الأمريكي واليابانـي والتي أوضحت تفـرد الثقافة اليابانية وسـلوك الاتصال. لقد

درس هال (١٩٨٣) دور الـ (*wa*) و (الانسجام) في الثقافة اليابانية. لقد تأثرت دراسة الاتصال غير اللفظي في اليابان مباشرة بفكر هال، خصوصا في بواكير أعماله. ولو انه في الأعوام الأخيرة قام بعض الباحثين اليابانيين بانتقاد عناصر في نموذج هال الخاص بالاتصال الثقافي حسب تطبيقه في اليابان.

٣. لقد سهل منظور هال النظري، وبالأخص فيما يتعلق بالاتصال العالي السياق والمنخفض السياق، استكشاف المفاهيم الثقافية اليابانية حسب صلتها بالاتصال الثقافي والشخصي. وقد تناول هال (١٩٨٢، ١٩٨٣، ١٩٨٧) العديد من المفاهيم اليابانية الأصلية ذات السياق المرتفع، على سبيل المثال (*ame، ma، wa، nem، washi*) في عمله. كذلك شجع هال الباحثين اليابانيين على شرح هذه المفاهيم وقام هؤلاء الباحثون بنشر عمل هام حول هذا الموضوع (كوينشيرو، ١٩٧٣، ١٩٧٦) و (ماتسو بوتو،١٩٨٨). ان المفهوم الذي طرحه هال حول الاتصال في السياق المرتفع والمنخفض كان مفيدا للعديد من الباحثين اليابانيين في شرح الاتصال الياباني من خلال مثل هذه المفاهيم. واعتمد بعض الباحثين بدرجة كبيرة على هذه المفاهيم الرئيسة، في حين اكتفى بعض الباحثين باقتباس هذه المفاهيم لتعزيز نظرياتهم. ان هذا النمط من البحث الى جانب ما يسمى *Nishonjinron* (نقاشات الشعب الياباني) قد ازدهر واسهم في تطوير وترسيخ ميدان الاتصال الثقافي في اليابان. كذلك ساعدت هذه المحاولات حول صياغة أطر مفاهيمية أصلية الباحثين اليابانيين على تقديم مساهمات دولية من خلال التقاط علم نفس الاتصال الياباني والظواهر الأخرى التي لا يمكن فهمها في اللغة الانجليزية.

على الرغم من هذه المساهمات لأدوارد.ت هال لدراسات الاتصال الثقافي في اليابان، فإن الاحتفاء بنموذجيته جعل الباحثين اليابانيين ينسون بعض الموضوعات الثقافية المهمة بالنسبة لليابانيين.

١. كما هو الحال في بواكير البحث في الاتصال الثقافي الأمريكي، فإن البحث الياباني

الخاص بالاتصال الثقافي لم يولي اهتماماً مناسباً للعلاقات الثقافية "الداخلية" مع الأقليات الأخرى في المجتمع الياباني مثل الكوريين والصينيين. لقد كان كل البحث تقريبا يستند الى نظرية مفادها ان الاتصال الثقافية بالنسبة للشعب الياباني يعني الامتزاج او التفاعل مع الناس الناطقين باللغة الانجليزية وبالأخص الأمريكيين. ان هذا الفهم المحدود للاتصال الثقافي كان على هذا النحو لأن المترجمين الفوريين الذين قدموا إطار هال الى الشعب الياباني كانت لهم صلات قوية مع عالم *eikaiwa*. على سبيل المثال قام ماساو كوينشيرو بدعوة جون كوندون الى برنامج الحوار الانجليزي للتحدث عن عمل هال حول الاتصال غير الكلامي.

٢. ان البحث المتعلق بالاتصال الياباني غير اللفظي سار على منهج هال القائم على التركيز على الفروقات وذلك لمقارنة والتفريق بين سلوكيات الناس في المجتمعين الياباني والأمريكي في مجال الاتصال الثقافي. لقد أدى هذا التركيز القائم على المقارنة الى إلغاء حالات التشابه والى تعزيز متلازمة " الحالة اليابانية " باعتبارها فريدة من نوعها " والتي يقال انها عائق أصلي دون احتكاك اليابانيين بالثقافات الأخرى. ولم تبذل مساعي جدية حتى الآن لتحديد حالات التشابه الثقافية وخصصوا بين اليابانيين والآسيويين الآخرين. ان العديد من المفاهيم الثقافية اليابانية التي اصبحت مفاهيم معلومة بحمم صلتها بموضوع الاتصال الثقافي لا بد من مقارنتها مع المفاهيم المكافئة لها في الثقافات الآسيوية الأخرى.

٣. ان البحث في الاتصال الثقافي الياباني عموماً يتجاهل مواضيع القوة والامتياز في الاتصال الثقافي في المجتمع الياباني. ولم يقدم الاتصال الثقافي الياباني الا القليل من أجل تغيير الاحساس الياباني "العمودي" عن العلاقات الثقافية استنادا الى إحساسهم بالدونية نحو الشعوب ذات البشرة البيضاء من البلدان ذات الدخل العالي وإحساسهم بالتفوق نحو البلدان الذين ينحدرون من بلدان ذات دخل واطئ بصورة عامة، بما في ذلك البيض من اوروبا الشرقية والجنوبية وأمريكا اللاتينية. ان

هذا الاحساس العمودي الاشكالي للعلاقات الثقافية يعتبر مشكلة مستديمة لا بد من إيجاد حل لها من اجل جعل المجتمع الياباني يحمل صفة العالمية.

ان الاستنتاج العام للدراسات العديدة هو انه بينما العديد من نظريات وسلوكيات الاتصال الثقافي من ادوارد ت. هال وسائر الباحثين الأمريكيين تستطيع ان تطبق على اليابان بشكل ناجح ومفيد، فإن هناك نواحي فريدة عديدة للاتصال الثقافي الياباني. ان هذا الفروقات وحالات التشابه (والأخيرة أكثر من الأولى) قامت بتفعيل التصورات والمفاهيم والبحث. ويبقى الكثير من العمل الذي بحاجة الى من ينجزه.

لقد استنتج نشياما (٢٠٠١) " ان التحدث الجديد هو ايجاد مفاهيم جديدة للبحث والاستقصاء عن الكيفية التي يؤثر بها ناس من ثقافات مختلفة وناطقون بلغات مختلفة على بعضهم البعض في سياقات ثقافية محددة ".

لقد أرسى عالم الانثروبولوجيا ادوارد ت. هال بالتعاون مع العالم اللغوي جورج ل. تريغر، دعائم النموذج الأصلي للاتصال الثقافي المستوحة من:

١. نظرية وورف – سايبر المتعلقة بالنسبية اللغوية.

٢. نظرية التحليل النفسي الفرويدي.

لقد تعاون هال وتريغر في معهد تدريب حكومي يخص الدبلوماسيين وعمال الاسناد الفني في واشنطن دي سي للفترة الواقعة بين عامي ١٩٥١ و١٩٥٥. وقد انتقل الميدان الجديد للاتصال الثقافي الى الأقسام العلمية في الجامعات لدراسة الاتصال في جامعات الولايات المتحدة الأمريكية.

في اليابان تطرح أقسام الجامعات العديدة مقررات في الاتصال الثقافي لكن مثل هذا التعليم من المحتمل ان يدرس أيضا في كليات الأعمال وفي أقسام اللغة الانجليزية.

ان بداية الاتصال الثقافي في معهد الخدمة الخارجي في الخمسينات تؤثر على هذا الميدان في هذه الايام. على سبيل المثال، استخدمت طرق التدريب التي تعتمد على التشارك

في معهد الخدمـة الخارجي. ان العاب التمويـه والتمارين وطرق التجريب الأخرى تسـتخدم حاليا لتدريس عدة مقررات دراسية للاتصال الثقافي، لربما أكثر من أي اتصال أخرى.

شـدد هال علـى ان المتعلـم ان يقـوم بالاتصـال الثقافـي لا ان يتحدث عنـه فقط. ان الطبيعة التطبيقية والتحسـينية للاتصال الثقافـي تعتبر جزءاً من النمـوذج الذي تـم طرحه في أوائل الخمسينات في معهد الخدمة الخارجي.

ان العديد من الطلبة الذين يسـجلون في مقررات الاتصال الثقافي يريدون ان يتعلموا كيفية حل المشـكلات الصعبـة في الاتصـال الثقافي وهـذه الرغبة في اكتسـاب الكفاءة في الاتصـال الثقافي تنعكـس فـي الكتـب المنهجية المعاصـرة مثل كتـب غوديكنسـت وكيم (١٩٨٤/ ١٩٩٢/ ١٩٩٧) وروجرز وستاينفات (١٩٩٩)

ان حالـة ادوارد هـال والاتصـال الثقافي تقـدم بعض الفهـم لدور مؤسـس تخصص اكاديمي جديد. لربما مثل هال فإن مؤسـس الحقل العلمي يحتاج الـى ان يكون انتقائيا في اعتماد الأفكار الهجينة المسـتمدة من مصادر تكاملية مختلفة كما هي الحال في سيجموند فرويد ونظرية التحليل النفسي.

ان المجـدد العلمي كذلك قـد يتحفز لمواجهة مشـكلات الحيـاة اليوميـة التي يمكن حلها من خلال ايجاد منهج علمي جديد. في حال هال ان هذه الأزمة او الشـذوذ (كوهين، ١٩٦٢/ ١٩٧٠) حصلت في معهد الخدمة الخارجي حيـث كانت المحتويات والطرق في تدريس الانثروبولوجيا غير فعالة في تدريب الضباط للخدمة الخارجية للعمل الدولي.

وأخيرا هناك حاجة لعمل مؤسساتي من أجل:

١. الجمع بين العلماء الكبار الذين توصلوا الى حقل جديد.

٢. ودعم كادر تدريبي للطلبة من أجل التوسع بالنموذج الذي طرحه الرواد.

لقد عمل معهد الخدمة الخارجي بشكل رائع كنقطة تجمع ساهم فيها هال وتريغر وبيردزوسل وآخرون، بيد انه غير مناسب كمنظمة تحرص على تدريب كوادر من الاتباع الأكاديميين.

وبعـد تجربته فـي معهد الخدمـة الخارجي قـام هـال بالتدريس فـي الأقسـام العلمية للانثروبولوجيـا في معهـد إلينـوي للتكنولوجيا وفـي جامعة نورث ويسـترن وهـي هيئات مؤسسـاتيه لم تدعم تدريب المختصين في الاتصال الثقافي. ولربما بسـبب من هذا النقص في الدعم المؤسسـاتي، فـإن حقـل الاتصـال الثقافي تعاظـم نفوذه فـي أقسـام الجامعات الخاصة بالاتصال في الولايات المتحدة الأمريكية.

في اليابان بـدأ الاهتمام العلمـي في الاتصال الثقافـي في العام ١٩٦٦ مع نشـر كتاب هـال " اللغة الصامتـة " باللغة اليابانية واتسـع نطاقه بنشـر كتـاب "بارلند" الـذات الخاصة والعامة " (١٩٧٥) في اليابان والولايات المتحدة الامريكية. ومع نشـر المجلدات المهمة التي كتبها كوندون وسـايتو (١٩٧٤ و١٩٧٦) التي تمخضت عـن مؤتمرات حول الاتصال الثقافي عقدت في اليابان.

لقد تـم إنجاز كم اكبـر من الدراسـات في الاتصـال الثقافـي اليابانـي والامريكي مما هو موجود في أية ثنائية من الثقافات الأخرى، لربما بسـبب الاختلافـات الثقافية الصارخة وبسبب الاتصال المتعاظم بين اليابانيين والامريكان خصوصا في علاقات الأعمال.

لقد كان انموذج ادوارد ت. هـال يمثل تأثيرا فكريـا قويا على التصـورات المفاهيمية عن الاتصـال الثقافي فـي اليابـان وأكبر مـن ذلك، في تشـكيل حقـل الاتصـال الثقافي في اليابان.



النظريات والاتصال الجماهيري

يشير مصطلح الاتصال الجماهيري إلى دراسة سبل قيام الأفراد والكيانات بنقل المعلومات من خلال وسائل الإعلام إلى قطاعات كبيرة من الأشخاص في نفس الوقت. وعادةً ما يُفهم هذا المصطلح على أنه يرتبط بنشر الصحف، والمجلات، والكتب فضلًا عن الإذاعة، والتلفاز والأفلام، حيث تستخدم تلك الوسائط في نشر المعلومات، والأخبار والإعلانات. ويختلف الاتصال الجماهيري عن دراسات أشكال الاتصال الأخرى، كالاتصال المتبادل بين الأشخاص أو الاتصال التنظيمي، من حيث تركيزه على مصدر واحد لنقل المعلومات إلى مجموعة عريضة من المستقبلين. وتعني دراسة الاتصال الجماهيري في المقام الأول بكيف يمكن لمحتويات وسائل الاتصال الجماهيري أن تقنع أو بالأحرى تؤثر على سلوك الشخص أو الأشخاص المتلقين للمعلومات أو اتجاهاتهم، أو آرائهم أو مشاعرهم.

مجال الدراسة

إن الاتصال الجماهيري هي "العملية التي من خلالها يقوم شخص أو مجموعة من الأشخاص أو مؤسسة كبيرة بإنشاء رسالة ونقلها باستخدام نوع ما من الوسائط إلى مجموعة عريضة غير معروفة وغير متجانسة من الجماهير. وترتبط وسائل الاتصال الجماهيري بصورة منتظمة بـ تأثير الإعلام أو تأثيرات الإعلام، والدراسات الإعلامية. وتعد وسائل الاتصال الجماهيري أحد فروع العلوم الاجتماعية التي تنضوي تحت مظلة أكبر من دراسات الاتصال أو الاتصال.

ينتقل تاريخ الاتصال من أشكال الفن والكتابة التي ظهرت في فترة ما قبل التاريخ عبر استخدام وسائل الاتصال الحديثة مثل الإنترنت. وتعتبر وسائل الاتصال الجماهيري ملائمة عندما يصبح الأشخاص قادرين على نقل الرسائل من مصدر واحد إلى العديد من المستقبلين. لقد انتقلت وسائل الاتصال الجماهيري من نظريات مثل نموذج الإبرة تحت الجلد (أو نظرية الرصاصة الساحرة) إلى أكثر النظريات حداثة مثل الاتصالات عبر الحاسوب.

فـي الولايـات المتحـدة، كثيـرًا مـا ترتبـط دراسـة وسـائل الاتصـال الجماهيـري بالاسـتخدامات العملية لــ الصحافـة أو التلفـاز والإذاعـة أو الأفـلام أو العلاقـات العامة أو الإعـلان. فـي ظـل هـذا التنـوع الـذي تشـهده خيـارات الوسـائط الإعلامية، توسـعت دراسـة الاتصـال لتشـمل وسـائط التواصـل الاجتماعـي والإعـلام الجديـد، والتـي تتميز بنماذج اسـتجابة أقوى عن المصـادر الإعلامية التقليديـة. وفي حين يتميـز مجال الاتصال الجماهيـري بالتطـور المسـتمر، فتمثل المجـالات الأربعـة التالية بشـكل عـام المجالات الرئيسـية للدراسـة داخل وسـائل الاتصـال الجماهيري. فتـرد تلك المجالات في أشـكال وتكوينات مختلفة طبقًا لمدارس وجامعات مختلفة، ولكن يتم ممارسـتها (بشـكل ما) في معظم المؤسسات التي تختص بدراسة وسائل الاتصال الجماهيري.

الإعلان

يشـير الإعلان، فيما يتعلق بوسـائل الاتصال الجماهيري، إلى عملية تسـويق منتج أو خدمة ما بطريقة مقنعة تشـجع الجمهور على شـراء هـذا المنتج أو اسـتخدام تلك الخدمة. ونظرًا لأن الإعلان يتم من خلال بعض أشكال من وسائل إعلام، مثل تلفاز، نجد أن دراسة الآثار والأساليب المستخدمة في الإعلان ذات صلة بدارسة وسائل الاتصال الجماهيري.

الإذاعة

الإذاعة هي عملية نقل للمحتويات المسـموعة و/ أو المرئية من خلال وسيط اتصال، مثل المذياع أو التلفاز أو الأفلام. وفي مجال دراسـة وسـائل الاتصـال الجماهيري، يمكن أن يشـير مصطلح الإذاعة إلى الدراسـة العملية لكيفية إنتاج محتويات الاتصال، على سبيل المثال وسائل إنتاج البرامج التليفزيونية والإذاعية.

الصحافة

في إطار هذا المعنى، يشـير مصطلح الصحافة، إلى دراسـة محتويات الأخبار وعملية إنتاجهـا. وبهـذا، تتضمـن دراسـة الصحافـة معرفـة كيـف يتم إنتـاج الأخبـار، وكيـف يتم

نشـرها للجمهور من خلال اسـتخدام وسـائل الإعلام مثـل الصحف والقنـوات الإخبارية والمحطات الإذاعية والمحطـات التليفزيونية، وظهـر حديثًا، أجهزة القارئـات الإلكترونية والهواتف الذكية.

العلاقات العامة

العلاقات العامة هـي عمليـة توفير المعلومـات للجمهور مـن أجل طـرح وجهة نظر معينة حـول منتج مـا أو منظمـة معينـة. ويختلف مصطلـح العلاقـات العامة عـن مصطلح الإعلان من حيـث إنه أقل اسـتحواذًا، كمـا أنه يهـدف إلى توفيـر رأي أكثر شـمولية لقطاع عريض من الجمهور بهدف تكوين رأي عام.

أساليب الدراسة

يعكف الباحثون المتخصصون في مجال الاتصال على دراسـة الاتصال مسـتخدمين العديد من الأسـاليب التـي تـم التحقق منها مـن خـلال عمليات متكـررة وتراكميـة. ويتم اسـتخدام كل مـن الأسـاليب الكمية والنوعيـة عند دراسـة وسـائل الاتصـال الجماهيري. ويتمثل التركيز الأساسـي للأبحاث المتعلقة بوسـائل الاتصال الجماهيـري في تعلم كيف لمحتويات وسـائل الاتصـال الجماهيـري أن تؤثر على مواقف الأشـخاص الذيـن يتلقون الرسـائل وآراءهم ومشـاعرهم وفي نهاية المطاف سـلوكياتهم. ويوجد العديد من أساليب الدراسة البارزة وهي كالتالي:

لا يمكن دراسـة العلاقات بيـن السـبب والتأثير في مجـال الاتصال سـوى من خلال إجـراء تجربـة. ويتضمـن الأسـلوب الكمـي هـذا تعريض المشـاركين بشـكل منتظـم إلى محتويـات إعلاميـة متعـددة وتسـجيل ردود أفعالهـم بعدهـا. وحتـى يتمكـن الباحثـون المتخصصون في وسـائل الاتصـال الجماهيـري من عرض المسـببات، فعليهـم أن يعزلوا المتغيـرات التي يدرسـونها، وإثبـات وجود هـذا المتغير قبـل إدراك التأثيـر الملحوظ وأنه المتغير الوحيد الذي يمكن أن يتسبب في هذا التأثير الملحوظ.

تتضمن عملية المسح، وهي أسلوب كمي آخر، الطلب من الأفراد الإجابة على مجموعة من الأسئلة حتى يتم تعميم ردودهم تلك على قطاع أكبر من السكان.

يشير مصطلح تحليل المحتوى (يعرف في بعض الأحيان باسم التحليل النصي) إلى عملية تحديد الخصائص الفئوية لوسيلة من وسائل الاتصال، كـ مقالة منشورة في صحيفة أو كتاب أو برنامج تليفزيوني أو فيلم أو إذاعة نص إخباري. فتتيح هذه العملية للباحثين معرفة كيف تبدو محتويات الاتصال.

يتيح الأسلوب الكيفي، الذي يُعرف كذلك باسم وصف الأعراق البشرية، للباحثين أن يتشبعوا بثقافة ما لملاحظة مزايا الاتصال الموجودة بهذه الثقافة وتسجيلها.

المنظمات المهنية

تعد الرابطة المعنية بالتعليم في مجال الصحافة والاتصال الجماهيري أكبر منظمة قائمة على العضوية للأكاديميين في هذا المجال؛ حيث تقوم بعقد المؤتمرات الإقليمية والوطنية وطرح المنشورات العملية المحكّمة. كذلك تعد الرابطة الدولية للاتصالات والرابطة الوطنية للاتصالات (كانت تُعرف سابقًا باسم جمعية الاتصالات بالكلام) من المنظمات المهنية البارزة. وكانت كل منظمة تختص بنشر مجلة أكاديمية علمية محكّمة مختلفة عن مثيلاتها والتي تعبر عن البحث الذي يتم إجراؤه في مجال الاتصال الجماهيري

تاثير وسائل الإعلام على الجمهور

منذ بدايات القرن الماضي ومع بدايات ظهور وسائل الإعلام (الاذاعة والتلفزيون اضافة الى الصحافة الورقية) تغيرت النظرة إلى الجماهير، فقد كانت النظرة للجماهير متدنية سطحية باعتبارها كيان سهل يمكن معاملته كأنه فرد ومخاطبته على هذا الأساس، وقد كانت هذه أحد أهم الفوارق التي اختلف بها الرأسماليّون عن الشيوعيّون.

كانت فكرة تقسيم الجموع إلى أفراد، يمتاز كل منهم بصفات مختلفة عن الآخر، مرفوضة عند الشيوعيّين. فهي لطالما اعتبرت المجتمع على أنه كتلة واحدة لا يمكن تفتيتها أو تجزيئها

يشتركون بالأرض والموارد ولا يمكن لأحد أن يعلو على أحد، ولا يمكن التملك وتغذية الغرائز الفرديّة والأنانيّة. وقد كانت الحرب العالميّة الثانية هي المعركة التي أنهت هذا الفكر في أوروبا وانتشرت الرأسماليّة بنظامها الاجتماعي الذي يذهب لخطاب كل فرد على حدى على أنهكيان مستقل عن الآخر برغبات واحتياجات قد تتشابه مع أفراد أخرى وقد لا تتشابه.

ان النظرة الجديدة قادت التغيير في التعامل مع الجمهور إلى يومنا هذا، فالمؤسسات الإعلاميّة في البداية كانت تعاني من أن الجمهور بالنسبة لها كان مجهول الهويّة. وبفضل هذا التغيير كانت النتيجة أن اعتبر الجمهور هو عبارة عن أفراد معروفة الصفات حيث تتفاعل بحسب احتياجات كل فرد منها. وبمعنى آخر كانت النتيجة هي أنت عندما تنشر رأيك على *Facebook*، وعندما تضغط على "لم يعجبني" عندما تشاهد فيديو على *Youtube*، وعندما تطلب سيّارة بمواصفات خاصّة أو خليجيّة كي تتناسب مع بيئتك، تضع تقييمك لفندق زرته خلال عطلتك، وتشكّك بمصداقيّة خبر نشرته القنوات الإخباريّة.

يقول الاختصاصيون في علوم الاتصال سيما العلاقات العامّة والتسويق أن الأفراد تميل للتفاعل مع كل رسالة إعلاميّة بحسب وقت إرسالها بطريقة مختلفة عن الآخر. لذا فقد تم تقسيم الجماهير إلى عدّة شرائح تبعا ل:

١- المنطقة الجغرافيّة: أي بحسب سكن الأشخاص.

٢- الصفات الديموغرافيّة: الجنس، العمر، الدخل، العرق، الخلفيّة الثقافيّة، درجة التعليم.

٣- الصفات النفسيّة: وقد أضيفت مؤخّرا وتقوم بدراسة خليط بين الصفات الديموغرافيّة والنمطيّة الفرديّة. وهي بحاجة لمراقبة دائمة وتحليل من قبل دارسين في علوم النفس.

ملاحظة: تستخدم هذه التصنيفات ذاتها في التسويق من أجل تقسيم السوق إلى شرائح.

مثلا، عندما يشتري أحد الشباب لابتوب *Alienware* والمشهور بميّزاته المتطوّرة جدّا لهدف تحميل أحدث الألعاب عليه والإستمتاع باللعب بدقّة عالية جدّا، يختلف عن

شـاب يشـتري نفس اللابتوب ولكـن لهدف العمـل علـى برامـج كال ٣*dmax* وال *maya* والحصول على نتائج مرضية لعمله بوقت سريع.

مثال آخر، قد تجلس إحدى الفتيات أمام شاشة التلفزيون لتشاهد محطة معيّنة لمتابعة مسلسـل "حريم السـلطان". أو قـد تمضي الليـل مع والـدك علـى التلفزيون وهـو يحتجز الريموت كونترول ويقلّب بالمحطّات بشكل عشوائي حتّى يجد أخيرا ما قد يجلب انتباهه، وقد تجد نفسك تشـاهد فيلما وأنت تفكّر في شـيء حصل معك في عملك. جميعهم أفراد من ضمـن الجمهور، والجميع يحسـب له حسـاب عنـد المؤسّسـات الإعلاميّـة الضخمة ويتعاملون مع كل منهم بطريقة مختلفة.

هذه الجماهير هي أنتم.. وأنتم كل شيء بالنسبة للشركات الإعلاميّة الضخمة، وفي الواقع إن تثقيف الأفراد عن كيفيّة عمل وسـائل الإعلام سـوف يعطي السـلطة للأفـراد لتحديد مالذي سوف يتم طرحه على وسائل الإعلام.. سوف أعرض لاحقا نتائج دراسة قمت بها خلال تقديم رسـالة الماجسـتير في العلاقات العامّة والإتصال الجماهيري والتي تدور حول إحدى نظريّات الإتصال الجماهيري وهي "المنفعة والإشباع" *Uses & Gratifications Theory* والتي سوف أوضح بها كيف لنا نحن المستهلكون أن تكون لنا السلطة على وسائل الإعلام.

وهنا يبرز أثر الفرد على وسـائل الإعلام، بل ومعاكسـا للواقع الذي يعرفه الجميع أن الإعلام هو مـن يؤثر على الفـرد وليس العكس. المفهـوم العام صحيح جـدا، فالإعلام هو من يؤثر على الفرد، ولكـن من وجهة نظر أصبحت تقليدية اليـوم، فالتوجه العصري يبحث وراء نظرية فريدة من نوعها بين نظريـات الإعلام والاتصال الجماعي وهو نموذج "المنفعة والإشباع" لإليو كاتز والذي يعتقد أن الفرد هو من يؤثر على الإعلام لا العكس.

ظهرت الفكرة لأول مرة في الأربعينات من القرن الماضي عندما كانت هيرتا هيرزوغ مهتمة في معرفة "لماذا يسـتمع الناس إلى الراديو؟" وكان لها الفضل في نشوء تلك النظرة المعاكسـة التي سـوف تغير طريقة تعاطي الأفـراد إلى الإعلام كما سـنرى لاحقـا، ولكنها لم تضع نموذجـا ثابتا لذلك التأثير. تبعا لكتـاب "نظريات الإتصال الجماهيري: الأسـس،

التأثير، المستقبل" كانت هيرزوغ تريد أن تعرف لماذا تستمع السيدات للدراما الإذاعية، أي مسلسلات الراديو. قابلت حوالي المئة من مستمعات الدراما الإذاعية واستطاعت أن تقسم ثلاث احتياجات أساسية تجعل السيدات يتابعن الدراما الإذاعية، الحاجة الأولى هي أنهن استمعن إليها كوسيلة لإطلاق سراح عواطفهن، والحاجة الثانية هي أنهن يستمتعن في تخيل مجريات القصة أو بمعنى آخر أحلام اليقظة، وأما الثالثة والتي كانت مفاجئة هي أنهن يحصلون على المشورة من تلك المسلسلات ويطبقنها في حياتهن الخاصة.

اكتملت الفكرة عام ١٩٧٤ ليصبح لها نموذج أكاديمي طرحه الباحث إليو كاتز، حيث قلب السؤال الشهير كيف تؤثر وسائل الإعلام على الناس؟ ليصبح كيف يؤثر الناس على وسائل الإعلام؟، تقول النظرية أن الجماهير نشطة وعلى دراية ووعي في اختيارها لنوع الإعلام الذي يريدون أن يستهلكوه، وأن الجمهور دوما يبحث عن إرضاء حاجاته ورغباته تجاه نوع معين من وسائل الإعلام. وقد قدمت المدوّنة فتيحة بوغازي على مدونتها شرح مطول حول هذا النموذج بعنوان **التأثير ونظرية الإستخدام والإشباع**

ما هي تطبيقات نموذج الإستخدام والإشباع اليوم؟ الجواب هو كل ما يدور حولنا من وسائل الإعلام هو تابع للنموذج وخصيصا على شبكة الإنترنت، فمواقع التواصل الإجتماعي كالفيسبوك ويوتيوب وتويتر. وإمكانية إنشاء تطبيقات على أجهزة المحمول الذكية والتعليق عليها وتقييمها. وحتى المدونات والموقع الإخبارية وخيار تقييم كل مقالة تحرر. جميعها جعلت كل فرد جزء من حراك إعلامي عالمي. هذا التطبيق الجماهيري للمشاركة في وسائل الإعلام أمال كفة القوة في الإعلام لصالح الجمهور، فقد أصبح الجمهور هو المركزية التي يدور حولها الإعلام وليس العكس، وأحد من إمكانية الشركات الإعلامية في الكذب والتلفيق والتلاعب في الرأي العام.

ان درجة وعي الأفراد عن ماهية وسائل الإعلام، وكيف تعمل، وما الرسائل التي يتم تقديمها، وما الدور الذي تلعبه في المجتمع، وكيفية استجابة الأفراد إلى الرسائل الإعلامية. يقول جيمس بوتر الباحث في وسائل الإعلام والتواصل الجماعي أن الأفراد

الذين يتمتعون بمستوى عالي من الوعي الإعلامي يمتلكون القدرة على فهم العالم من خلال وسائل الإعلام بموضوعية أكثر، وباستطاعتهم أن يفهموا مالذي تعنيه تلك الرسائل التي تبث من خلال وسائل الإعلام.

على سبيل المثال، مستهلكو الإعلام الإخباري الذين يقضون معظم أوقاتهم في متابعة الأخبار يصبح العالم بالنسبة إليهم مليء بالمخاطر والمآسي وأن الإنسان في طريقه نحو الأسوأ، وخاصة أن مستهلكو الإعلام الإخباري في الشرق الأوسط قد تضاعفت أعدادهم منذ اندلاع الثورة في تونس ومن بعدها الأزمات في الشرق الأوسط. وفي الجهة المقابلة من متابعي الأفلام الوثائقية العلمية دوما ما يشعرون أن الإنسان في تقدم دائم وازدهار لن يتوقفا. ثم يردف جيمس بوتر أن الآثار السلبية للإعلام تختلف على الأشخاص بحسب درجة وعيهم بكيفية عمل الإعلام بشتى أنواعه.

لنذهب بعيدا عن الإعلام الإخباري ونضع عينا نحو مثالين هامّين جدًا. الأول هو في المسلسلات التلفزيونية بصفتها أحد أنواع الإعلام الهامّة في مجتمعنا. في رمضان سنة ٢٠١٠ تم انتاج مسلسل "ما ملكت أيمانكم" بإخراج نجدة أنزور والذي صوّر عدة قضايا اجتماعية لا يستطيع أي من شاهد المسلسل إنكار وجودها، ولكن الهجوم والانتقاد الذي تعرض له نجدة أنزور بسبب عنوان المادة الإعلاميّة كمسلسل رمضاني والصورة التي ظهرت فيها الشخصيّة المتطرفة دينيًا في المسلسل كان لاذعا، إذ أن الأغلبية اعتبرها هجوما مباشرا على الدين الإسلامي وأن فيها اتهام للدين الإسلامي بمعتقدات ليست موجودة.

والمثال الثاني نجده في التوجهات الناشئة على الشبكة الاجتماعيّة كالباحثين السوريّين وزايتجايست، التي تواجه الكثير من الانتقادات على مواضيعهم العلميّة. فعندما يتحدثون عن الأدلة العلميّة لنظرية التطوّر وأصل الإنسان الحيواني يعترض الكثيرين على أنها دعوات للإلحاد وللوقوف ضد الدين الإسلامي، وفي الواقع أن القائمين على كتابة وتحرير ونشر هذه المقالات من خلفيات دينيّة واجتماعية مختلفة. ولكن ينظر البعض لهم على أنهم أدوات لنشر الشر والكفر.

نظريات الصحافة الكلاسيكية

في تفسير علاقة الصحافة، بالسلطة، في المجتمع، عبر التاريخ، ظهرت مجموعة من النظريات التي تفسر تطور الصحافة، ودورها في المجتمع، وعلاقتها بالسلطة الحاكمة، أو فلسفة الصحافة بشكل عام، ومن أبرز هذه النظريات:

١. نظرية السلطة، أو النظرية السلطوية *Authoritarian*

نشأت هذه النظرية في القرنين السادس عشر، والسابع عشر، في إنجلترا وتستند إلى فلسفة السلطة المطلقة للحاكم، أو لحكومته، أو لكلاهما معاً، ويظهر ذلك في نظريات أفلاطون، وأرسطو، وميكيافيلي، وهيجل. وغرضها الرئيسي هو حماية وتوطيد سياسة الحكومة، القابضة على زمام الحكم، وخدمة الدولة. ويعمل، في الصحف، ويصدرها، من يستطيع الحصول على ترخيص، من الحاكم، وتشرف الحكومة على الصحف، وتفرض الرقابة عليها. ويحظر، في إطار هذه النظرية، نقد الجهاز السياسي، والموظفين الرسميين. وملكية الصحف قد تكون خاصة أو عامة، وتكون أداة لترويج سياسات الحكومة ودعمها. وترى النظرية، أن الصفوة، التي تحكم الدولة، هي التي تملك أن توجه العامة، التي لا تعد مؤهلة، لاتخاذ القرارات السياسية. وأن الشخص، الذي يعمل بالصحافة، يكون عمله هذا، بمثابة امتياز خاص، يمنحه إياه القائد، لذلك فهو مدين بالالتزام للقائد وحكومته. وحرية وسائل الإعلام في ظل هذه النظرية تتحدد بالقدر الذي تسمح به القيادة الوطنية في أي وقت.

٢. نظرية الحرية أو النظرية الليبرالية *Libertarian*

تعود هذه النظرية، بشكل أساسي، إلى عصر النهضة الأوروبية، وبالتحديد، القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، إذ بلور عدد من المفكرين الأوربيين، كثيراً من المبادئ، التي تحدت الأفكار السلطوية، التي سادت، حتى بداية عصر النهضة الأوروبية. وكان، من أبرزهم، المفكر الإنجليزي جون ميلتون، الذي كتب، عام ١٦٦٤، يقول: "إن حرية النشر، بأي واسطة، ومن قبل أي شخص، مهما كان اتجاهه الفكري، حق من الحقوق الطبيعية،

لجميع البشر، ولا نستطيع أن نقلل من حرية النشر، بأي شكل، وتحت أي عذر".

أمَّا جون لوك، فقد عرّف الحرية بأنها "الحق في فعل، أي شيء، تسمح به القوانين". وكان لوك قد قَدَّم إلى البرلمان الإنجليزي، عام ١٩٦٥، بياناً هاجم، فيه، تقييد حرية الصحافة، واضطر البرلمان، في ذلك الوقت، إلى إلغاء قانونه بفرض الرقابة الوقائية على الصحف أسهمت النظرية الليبرالية، بشكل كبير، في تحرير الصحافة، من سيطرة الدولة، فأنهت وجود الكثير، من القيود، التي تفرضها السلطة على الصحافة، واستطاعت دول الشمال (أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية) أن تتمتع، خلال القرن التاسع عشر، وحتى منتصف القرن العشرين، بقدر كبير، من التعددية، والتنوع، في مجال الصحافة وقد لعب تزايد الاتجاه، إلى الاحتكار، والتركيز في ملكية الصحافة، دوراً أساسياً في تعريض هذه النظرية للنقد، من كافة الاتجاهات السياسية. وبرزت رؤية أخرى، حتى من جانب المؤمنين بهذه النظرية تقول: "إن حرية الصحافة وحرية التعبير، لا يمكن ضمانها، إلاّ في حالة ما يكون إنتاج الأفكار وتوزيعها، بعيداً عن السيطرة الرأسمالية من ناحية، والسيطرة البيروقراطية السياسية، من ناحية أخرى

٣. نظرية المسؤولية الاجتماعية Social Responsibility

بدأت المراجعات النقدية للنظرية الليبرالية للصحافة، ابتداء من العقد الثاني، من القرن العشرين، ولكنها بلغت ذروتها، بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، عندما تشكلت لجنة حرية الصحافة من اثني عشر أستاذاً أكاديمياً، يرأسهم البروفيسير روبرت هوتشنز. وضمت، بين أعضائها أبرز نقاد الصحافة الأمريكية مثل وليم ديفرز وتيودور بترسون.

أجرت اللجنة دراستها على الصحافة الأمريكية، بتمويل من مجلة تايم الأمريكية، ودائرة المعارف البريطانية، وقدمت تقريرها، في كتاب أعدته اللجنة كاملة، عام ١٩٤٧، بعنوان: " صحافة حرة مسؤولة".

ولقيت دعوة اللجنة إلى صحافة حرة ومسؤولة، صدى داخل الولايات المتحدة

وخارجها، في بلدان أوروبا، وعلى رأسها المملكة المتحدة فتشكلت اللجنة الملكية الأولى للصحافة، عام ١٩٤٩، ودعت إلى التزام العاملين، في الصحافة، بمسؤوليتهم الاجتماعية، وتشكيل مجلس للصحافة.

ونص تقرير لجنة حرية الصحافة، لعام ١٩٤٧، على أن صناعة الإعلام، في الولايات المتحدة، يجب أن تستمر، في يد القطاع الخاص، واضعة في اعتبارها، المصلحة العامة، ووضعت اللجنة مجموعة تصورات، حول وظائف الصحافة، في المجتمع الحديث

ويلخص دينيس ماكويل المبادئ الأساسية، لنظرية المسؤولية الاجتماعية، في الجوانب التالية:

أ. إن الصحافة، وكذلك وسائل الإعلام الأخرى، يجب أن تقبل، وأن تنفذ التزامات معينة، تجاه المجتمع.

ب. يمكن تنفيذ هذه الالتزامات، من خلال الالتزام بالمعايير المهنية، لنقل المعلومات، مثل الحقيقة والدقة، والموضوعية والتوازن.

ج. لتنفيذ هذه الالتزامات يجب أن تنظم الصحافة نفسها بشكل ذاتي.

د. إن الصحافة يجب أن تتجنب نشر ما يمكن أن يؤدي إلى الجريمة، والعنف والفوضى الاجتماعية، أو توجيه أية إهانات إلى الأقليات.

هـ. إن الصحافة يجب أن تكون متعددة، وتعكس تنوع الآراء، وتلتزم بحق الرد.

و. إن للمجتمع حقاً، على الصحافة، فيأن تلتزم بمعايير رفيعة، في أدائها لوظائفها.

ز. إن التدخل العام يمكن أن يكون مبرراً لتحقيق المصلحة العامة.

ويلاحظ أن هذه النظرية قد طرحت بعض الحلول، التي تتمثل، في تنظيم مهنة الصحافة، من خلال إصدار مواثيق شرف مهنية، لحماية حرية التحرير الصحفي، والممارسة الصحفية، وإصدار قوانين للحد من الاحتكار، وإنشاء مجالس للصحافة، وإنشاء نظام لتقديم إعانات للصحف.

٤. النظرية الشيوعية Communist

شـهد الربع الأول، من القرن العشـرين، ميـلاد نظرية الصحافـة الشـيوعية. والتي يُعدّ كارل ماركـس الأب الروحي لهـا، النظريـة متأثراً بفلسـفة زميلـه الألماني، جـورج هيجل. وترتكز هـذه النظرية علـى أن وظائف وسـائل الإعلام، في المجتمع الشـيوعي، هي نفسـها وظائف الجهـاز الحاكم، أي دعم بقاء وتوسـع النظام الاشـتراكي، وأن هذه الوسـائل يجب أن توجد، لنشر السياسة الاشتراكية، وليس لها أن تبحث عن الحقيقة. وفي ظل هذه النظرية، فإن وسائل الإعلام الجماهيرية تعد أدوات للحكومة، وجزءاً، لا يتجزأ، من الدولة، والدولة تملك وتقوم بتشـغيل هذه الوسـائل، والحزب الشـيوعي هو الذي يقوم بالتوجيه، وتسـمح النظرية الشيوعية بالنقد الذاتي (مثل الحديث عن الفشل في تحقيق الأهداف الشيوعية).

تفتـرض النظرية الشـيوعية، أن الجماهيـر أضعف، وأجهـل من أن تحـاط علماً، بكل ما تقوم به الحكومة، ووسـائل الإعلام يجـب أن تعمل دائماً من أجـل الأفضل، والأفضل، عادة، هو ما تقوله القيـادة ويتفق، بطبيعة الحـال، مع خط النظرية الماركسـية، ومن ثم، فإن كل ما تفعله وسـائل الإعلام كـي تدعم، وتسـاهم في، إنجاح الشـيوعية، يعـد أخلاقياً، في حيـن، أن كل ما تفعلـه لعرقلـة الإنجاز الشـيوعي، يعـد غير أخلاقـي. اسـتخدمت النظرية الشـيوعية مفردات كثيرة للدعايـة، أكثر منهـا، للتنظير العلمي، كشـعارات تكافـؤ الفرص، والمسـاواة والعدالـة الاجتماعيـة والتقـدم الثقافـي ورفع الاسـتغلال عن طبقات الشـعب العامـل. وبانهيـار الشـيوعية، وسـقوط الاتحـاد السـوفيتي، عـام ١٩٨٩، على يـد الرئيس السوفيتي، ميخائيل جورباتشوف، تهاوت النظرية الشيوعية، في الإعلام، كذلك.

٥. نظرية المسؤولية العالمية والدولية للصحافة

قدم الدكتور مختار التهامي، عام ١٩٥٨، مشروع دسـتور دولي للصحافة يمثل نظرية جديدة من نظريات الإعلام، يطلق عليها اسـم نظرية المسـؤولية العالمية، والدولية، مضيفاً بذلك، نظرية خامسـة، إلى نظريات الإعلام الأربع، المعروفة وقتها، وهي: نظرية السـلطة، والنظرية الليبرالية، ونظرية المسؤولية الاجتماعية، والنظرية الاشتراكية.

وتقوم نظرية المسؤولية العالمية والدولية للصحافة، على مطلب أساسي، وهو أن تخلع الصحافة رداء السلبية عنها، وأن تدخل ميدان المعركة الدولية الكبرى، بين أعداء الإنسانية، وأصدقائها، لكي تلعب الدور الإيجابي، الذي يحتمه عليها الارتباط الوثيق، بين تاريخ الصحافة، وكفاح الشعوب، وتقدمها في مدارج الديموقراطية الحقيقية. وتلقي النظرية على كواهل الأسرة الصحفية العالمية، مسؤولية ضخمة، وتطالبها، باسم شرف المهنة الصحفية، وباسم الإنسانية، وباسم الشعوب التي وثقت فيها، واعتمدت عليها، ألاّ تخون هذه الشعوب، في هذه المرحلة الحرجة، من تاريخ المجتمع الدولي الحديث، بل من تاريخ الجنس البشري، بأجمعه، وأن تتقدم إليها، بالحقيقة كاملة عن الأوضاع والتيارات، التي تسيطر على مجتمعنا الدولي المعاصر، وتتحكم في حياة الملايين ورفاهيتهم وطمأنتهم، دون مجاملة لأحد، أو ضغط من أحد.

وأُطلق على هذا المشروع نظرية المسؤولية العالمية والدولية، وهو ينقسم إلى أربعة أقسام:

- أولاً: تصريح صحفي عالمي، إلى جميع شعوب العالم، يدعوها إلى اتخاذ مواقف إيجابية مشتركة معينة، لتأكيد السلام والرفاهية العالمية، وهذا التصريح يستمد وجوده، من دراسة الحقائق السياسية والاقتصادية والنفسية الدولية المعاصرة.
- ثانياً: ميثاق شرف دولي، يرتبط به الصحفيون أنفسهم، ويستقي مواده، من هدي التصريح سالف الذكر، ومن هدي البحث الذي قدمه.
- ثالثاً: مشروع اتفاقية دولية، ترتبط بها حكومات العالم، لتأمين حرية الصحافة.
- رابعاً: مجموعة من التوصيات مقدمة، إلى الأمم المتحدة، وفروعها.

٦. نظرية صحافة التنمية أو النظرية التنموية

لا تزال هذه النظرية عبارة عن مجموعة من الآراء والتوصيات، الملائمة لكافة وسائل الإعلام ووظائفها، في الدول النامية. وتكتسب هذه النظرية وجودها المستقل عن نظريات الصحافة الأخرى، من اعترافها وقبولها للتنمية، وتأكيدها على هوية الأمة، ووحدتها وتماسكها، ورفضها التبعية والسلطوية المتعسفة.

وصحافة التنمية، كما يعرفها ليونارد سوسمان، هي تركيز الصحفيين الموضوعيين، على أخبار أحدث التطورات، في مجالات التنمية المختلفة، الأمر الذي يؤدي إلى نجاح التنمية الاقتصادية، وتحقيق الوحدة الوطنية، أو هي: "استخدام الحكومة لمنافذ الاتصال، لتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية". وتتطلب صحافة التنمية من الصحف، أن تتفحص بعين ناقدة، وتقيم وتكتب، عن مدى ارتباط المشروع التنموي، بالحاجات المختلفة والقومية، وتتفحص الاختلافات بين الخطة وتطبيقها، والاختلاف، بين آثارها على الناس، في تصريحات المسئولين، وبين آثارها الفعلية.

ويلاحظ التناقض بين الاستخدام الحكومي للصحافة، في خدمة التنمية، وبين الدور الرقابي للصحافة؛ ففي ظل السيطرة الحكومية، يتراجع النقد وتتحول أخبار التنمية، إلى دعامة سياسية للحكومة وقيادتها. ولعل هذا التناقض هو الذي دعي المفكر الإعلامي الإنجليزي، أنتوني سميث، إلى التأكيد على ضرورة التفرقة، بين صحافة التنمية والاتصال في خدمة التنمية، إلاّ أنه يرى أن المفهومين يتداخلان، في إطار السيطرة الحكومية. وهو ما يؤكده، كالريب راميال، مشيراً إلى تساند مفاهيم "صحافة التنمية"، و"الصحافة الموجهة"، و" الاتصال في خدمة التنمية.

ووفق النظرية التنموية، تتلخص مهام وسائل الإعلام، في عملية التنمية، في النقاط التالية:

- تشكيل اتجاهات الشعب، وتنمية هويته الوطنية.
- مساعدة المواطنين، على إدراك، أن الدولة الجديدة قد قامت بالفعل.
- انتهاج سياسات، تقررها الحكومة، بهدف المساعدة، في تحقيق التنمية الوطنية.
- تشجيع المواطنين، على الثقة بالمؤسسات، والسياسات الحكومية، مما يضفي الشرعية على السلطة السياسية، ويقوى مركزها.
- الإسهام في تحقيق التكامل السياسي والاجتماعي، من خلال بحث الصراعات السياسية والاجتماعية، وإحباط أصوات التشرذم والتفرقة، والتخفيف من التناقضات، في القيم والاتجاهات، بين الجماعات المتباينة.

- المساعدة في الاستقرار، والوحدة الوطنية، وتغليب المصلحة الوطنية على المصلحة الذاتية.
- إبراز الإيجابيات، وتجاهل السلبيات، وتقليل حجم النقد إلى أدنى حد.

٧. نظرية المشاركة الديمقراطية ***Participant Democratic***

تعد هذه النظرية أحدث إضافة إلى نظريات الصحافة، وأضعفها تحديداً، فهي تفتقر، حتى الآن، إلى وجود حقيقي، في الممارسات المختلفة، للمؤسسات الإعلامية، فضلاً عن أن بعض سياساتها تتضمنها نظريات الصحافة الأخرى.

برزت هذه النظرية من واقع الخبرة العملية، كاتجاه إيجابي، نحو ضرورة وجود أشكال جديدة، في تنظيم وسائل الإعلام، كما نشأت كذلك، كرد فعل مضاد للطابع التجاري، والاحتكاري لوسائل الإعلام المملوكة، ملكية خاصة، وتوجد هذه النظرية في المجتمعات الليبرالية المتقدمة، على الرغم من ارتباطها ببعض العناصر، التي تطرحها النظرية التنموية، خاصة ما يتعلق منها بالتأكيد على أسس المجتمع، والاهتمام بالاتصال الأفقي، بدلاً من الاتصال الرأسي، من أعلى إلى أسفل، والذي يعني سلبية مشاركة المتلقي، في عملية الاتصال، وهو اتجاه واضح تماماً، في الدول الأوروبية، خاصة دول الاسكندنافية، وبعض الدول الأوروبية الأخرى.

ترى هذه النظرية أن الصحافة الحرة فاشلة، بسبب خضوعها لاعتبارات السوق، التي تفرغها من محتواها. وترى أن نظرية المسؤولية الاجتماعية غير ملائمة بسبب ارتباطها ببيروقراطية الدولة. وترى أن التنظيم الذاتي، لوسائل الإعلام، لم يمنع نمو مؤسسات إعلامية، تمارس سيطرتها، من مراكز قوة في المجتمع. وفشلت وسائل الإعلام، في مهمتها، وهي تلبية الاحتياجات الناشئة من الحياة اليومية للمواطن.

وهكذا فإن الفكرة الأساسية، في نظرية المشاركة الديمقراطية، تكمن في احتياجات ومصالح وآمال جمهور متلق نشط، في مجتمع سياسي، وحق المواطن، في استخدام

وسائل الاتصال، من أجل التفاعل والمشاركة، على نطاق صغير في مجتمعه. ويعتقد مؤيدوها أن وسائل الإعلام، التي تنشأ، في ظل هذه النظرية، سوف تُعني أكثر بالحياة الاجتماعية، وتخضع لسيطرة مباشرة، من جمهورها، وتقدم فرصاً للمشاركة، على أسس، يحددها مستخدموها، بدلاً من المسيطرين عليها.

وتتلخص المبادئ الأساسية لهذه النظرية، في الأمور التالية:

- إن للمواطن الفرد، ولجماعات الأقليات، حق الوصول إلى وسائل الإعلام، واستخدامها، ولهم كذلك، الحق في أن تخدمهم وسائل الإعلام، طبقاً للاحتياجات، التي يحددونها هم.
- إن تنظيم وسائل الإعلام، ومحتواها، لا ينبغي أن يكون خاضعاً لسيطرة بيروقراطية حكومية، أو سياسية مركزية.
- ينبغي أن توجد وسائل الإعلام، أصلاً، لخدمة جمهورها، وليس من أجل المنظمات، التي تصدر هذه الوسائل، أو المهنيين العاملين بها، أو عملائها، أو جمهورها.
- إن الجماعات والمنظمات والتجمعات المحلية، ينبغي أن يكون لها وسائلها الإعلامية.
- إن وسائل الإعلام، صغيرة الحجم، التي تتسم بالتفاعل والمشاركة، أفضل من وسائل الإعلام المهنية الضخمة، التي ينساب محتواها، في اتجاه واحد.
- إن الاتصال أهم من أن يترك للمهنيين.

ويتمثل الوجود الفعلي لهذه النظرية، في الصحافة السرية، وما أُطلق عليه محطات راديو القراصنة، والتليفزيون اللاسلكي، في التجمعات المحلية ووسائل الإعلام، في التجمعات الريفية، ومنشورات الشوارع، والملصقات السياسية.

ويتوقع البعض أن تفتح التطورات التكنولوجية آفاقاً أرحب، أمام هذه النظرية، من

خلال إتاحة أجهزة النسخ، بأسعار منخفضة، والوصول إلى مزيد من قنوات الاتصال الإلكترونية، ويتوقع أن يظل تأثير هذه القنوات الجديدة، على أوضاع وسائل الإعلام، القائمة الآن، هامشياً، خلال المستقبل المنظور.

٨- نظرية التبعية الإعلامية:

ظهرت هذه النظرية في دول أمريكا اللاتينية، في حقبة ما بعد الاستقلال، كرد فعل لإخفاق نظريات التحديث الغربية في تفسير أسباب التخلف في الدول النامية، وتتلخص في أن ما تقدمه الدول الصناعية من تكنولوجيا إعلامية وأنظمة وممارسات مهنية إعلامية ومواد وبرامج إعلامية للدول النامية لاستهلاكها يعمل على صنع وتعميق التبعية الإعلامية لهذه الدول، وزيادة اعتمادها على الدول الصناعية المتقدمة ويقول أهم منظري هذه النظرية "شيلر وماتلارات وبويد باريت" أن هذه التكنولوجيا والأنظمة والممارسات الإعلامية المنقولة من دول العالم المتقدم تعمل على تشويه البنيات الثقافية في دول العالم النامي، وتسهم في إحداث سلبيات عديدة مثل خلق الثقافة المهجنة والتغريب الثقافي والغزو الثقافي، وفي هذا الإطار جاءت جهود منظمة اليونسكو التي أسهمت في تقديم منظور نقدي يتميز بالشمول والموضوعية في محاولة لتجاوز الرؤى الجزئية التي تسعى إلى تسييد الرؤية الغربية في الإعلام والاتصال، مما ترتب عليه تجاهل وإغفال الحقوق الاتصالية لشعوب الجنوب، ولقد حرصت لجنة "ماكبرايد" على طرح تصور شامل يتضمن رؤية ومطالب دول الجنوب في مجال الاتصال والإعلام حيث أبرز تقريرها ضرورة المبادرة إلى تطوير المفهوم التقليدي السائد عن سياسات الاتصال والعمل على تغيير الهياكل الاتصالية السائدة والأخذ بالنظام المفتوح في الاتصال الذي يتيح إشراك الجماهير في العملية الاتصالية، وتكشف لنا النظرة المتعمقة لتجارب العالم الثالث حقيقة الدور الذي تقوم به وسائل الإعلام في تشكيل اتجاهات الرأي العام بصورة خادعة ومضللة ومستهدفة في الأساس إضفاء الشرعية على السياسات الاستبدادية للسلطات السياسية الحاكمة، واعتمادها على تكنولوجيا الاتصال والمعلومات التي تتحكم فيها الشركات متعددة الجنسيات، إلى جانب القوى المحلية ذات النفوذ السياسي والاقتصادي.

نخلص مما سبق إلى أن نظرية التبعية الإعلامية قد أعطت اهتماماً متزايداً للأبعاد الثقافية والتاريخية والدولية في تفسيرها للعلاقة بين وسائل الإعلام والسلطة السياسية ودورها في إطار التبعية الإعلامية والغزو الثقافي.

إلا أنه يؤخذ عليها مبالغتها في تقدير أهمية المتغيرات الخارجية وتأثيرها في الأنظمة والسياسات الاتصالية لدول العالم الثالث، الأمر الذي يقلل كثيراً من أهمية المتغيرات الداخلية فبالرغم مما تمثله الضغوط الدولية من أهمية إلا أن صياغة السياسات الإعلامية مسؤولية وطنية في المقام الأول ويفترض فيها أن تعكس الإرادة الشعبية تصون الذاتية الثقافية.

وأياً كأن الأمر فإن نظرية التبعية الإعلامية في حاجة إلى جهود جديدة لمراجعتها على ضوء المتغيرات الدولية التي برزت في أواخر الثمانينيات، ابتداءً بانهيار الشيوعية وسقوط القطبية الثنائية ومروراً بالنظام العالمي الجديد، وما سمي بعولمة الاقتصاد والسياسة، وانتهاءً بالثورة التكنولوجيا في عالم الاتصال، والحديث عن عولمة الثقافة وصراع الحضارات.

ويمكننا أن نحدد الأنظمة الإعلامية السائدة في العالم الثالث على النحو التالي:

١ - نظام إعلامي يقع تحت سيطرة الدولة في إطار مفهومي التنمية والوحدة الوطنية والرقابة تكون صارمة على المضمون.

٢ - نظام إعلامي موجه من الدولة: تكون الوظيفة الأساسية للصحافة تعبئة الجماهير من أجل التنمية وتدعيم الوحدة الوطنية فتحل المسؤولية القومية محل المسؤولية الاجتماعية.

٣ - نظام إعلامي مستقل تتمتع فيه الصحافة بقدر من الحرية بعيداً عن التدخل المباشر للحكومة وتستطيع الصحافة في ظله أن تظهر استقلالية عنيفة في مواجهة الضغوط الحكومية.

ولعل هذا التصنيف أكثر مرونة في تصنيف الأنظمة الإعلامية في العالم الثالث، فمن الصعب إخضاعها لتصنيفات جامدة نظراً لما تتضمنه من تناقضات وتعقيدات.

٩- نحو نظرية إسلامية

يمكن تحديد الرؤية الإسلامية للافتراضات الأساسية، للنظريات السابقة، من خلال الأمور التالية:

أ. إن الثواب والعقاب الإلهي يشكلان الأساس الأخلاقي، للممارسات الاجتماعية، لوسائل الإعلام، أو لغيرها، ولأن المسؤولية الاجتماعية هي مفهوم نسبي، يرتبط بالتقاليد، والأعراف الاجتماعية السائدة، حتى وإن كانت مخالفة للشريعة الإسلامية، فإن هذا المفهوم يكتسب بعداً آخر، في الدولة الإسلامية، يختلف كثيراً عنه في المجتمعات الأخرى، فالمسؤولية الاجتماعية تظل هي الأخرى مرتبطة بالثواب والعقاب الإلهي، الوازع الأساسي للأخلاق الإسلامية، على مستوى الفرد، أو وسائل الإعلام.

ب. إن تحديد الرؤية الإسلامية، لعمل وسائل الإعلام، يعتمد على نفي ما يخالف العقيدة ويلحق الضرر بالمجتمع الإسلامي، أكثر مما يعتمد على إثبات وتحديد كل ما هو صالح.

ج. إن النظرية الإسلامية لا تحدد نمطاً معيناً لملكية وسائل الإعلام، ولا تحدد مصادر، بعينها، لتمويل هذه الوسائل. ولكنها معنية بالتأثيرات المختلفة، التي قد تمارسها هذه العوامل على أداء وسائل الإعلام للوظائف المنوطة بها، في المجتمع الإسلامي.

أن اهتمام النظرية الليبرالية بالربط المحكم، بين حرية وسائل الإعلام، والملكية الخاصة لهذه الوسائل، قد أدَى إلى استبدال سيطرة أصحاب المصالح بالسيطرة الحكومية. وكذلك فإن إصرار النظرية الشيوعية على الملكية العامة لوسائل الإعلام، قد أدى إلى دكتاتورية حزبية، باعتبار الحزب هو الممثل الوحيد للشعب، وبما أن وسائل الإعلام ملك للشعب؛ فإن الملكية تؤول في النهاية، إلى الحزب، وكذلك

فإن حرية الشعب في التعبير عن رأيه، التي تنص عليها الدساتير الشيوعية، تصبح في النهاية، هي حرية الحزب الحاكم، في التعبير عن آرائه ".

فالنظرية الإسلامية، في الإعلام، لا تنبثق من ثنائية القيد والحرية، ولكنها تعتمد كلية، على ثنائية أخرى، وهي: الحلال والحرام. والفارق الأساسي، بين هاتين الثنائيتين، يكمن في سيطرة الضمير الفردي، والمسؤولية الاجتماعية، على العلاقة، بين ما هو مقيد وما هو حر، وارتباط العلاقة بين الحلال والحرام بالثواب والعقاب الإلهي، وفي ظل الثنائية الأخيرة، فإن الحرية تصبح التزاما.

الأبعاد الاجتماعية والسياسة والاقتصادية لنظريات وسائل الاتصال

يجمع الكثير من المفكرين العاملين في العلوم الاجتماعية،وبخاصة المهتم منهم بالإنتاج المعرفي والثقافي للمؤسسة الإعلامية، أنه يتعذر علينا فهم طبيعة هذه المضمون دون ربطه بالنظام الاقتصادي والاجتماعي والسياسي الذي تعمل فيه هذه المؤسسة. وقد قدم الباحثون في هذا الصدد العديد من النظريات، سنقوم باستعراض لأهم الافتراضات والمسلمات التي استندت إليها كل نظرية منها في محاولتها فهم طبيعة المضمون الثقافي والمعرفي للمؤسسة الإعلامية.

نظرية المجتمع الجماهيري:

تعد نظرية المجتمع الجماهيري(من اول نظريات الاتصال،ظهرت في بداية القرن العشرين حيث تغيرت صورة المجتمع الذي كان سائداً في القرن التاسع عشر(مجتمع تقليدي يرتبط فيه الناس ارتباطا وثيقا الى مجتمع يتميز بتعقيد اكبر حيث يتسم افراده بالعزلة النفية عن الاخرين ويود انعدام المشاعر الشخصية عن التفاعل مع الآخرين حيث يتحررون فيه من الالتزامات الاجتماعية)

بعد الحرب العالمية الثانية بدأت تظهر الرغبة في إنشاء علم للاتصال مستقلا عن باقي العلوم الإنسانية الأخرى (علم الاجتماع، علم النفس،....) حيث انقسم

الباحثيـن المهتميـن بعلـم الاتصـال الـى مدرسـتين فكريتيـن كبيرتين للاتصـال هما المدرسة الامبريقية والمدرسة النقدية.

تسـتند هذه النظرية في تفسـيرها لمضمـون المؤسسـة الإعلامية إلى عـدة افتراضات أو مسـلمات تتعلق فـي معظمها بفهمهـا لطبيعة الجمهـور المتلقي لهذا المحتـوى؛ إذ يرى المدافعون عنهـا (ميلز، وكرونهاوسـر، وبراسـون، ويـل) أن الجمهـور المسـتهلك للمادة الثقافية لهذه المؤسسـة هو جمهور كبيـر ومتنوع الثقافـات ومختلف الميـول والاتجاهات ولا تربطه ببعضه أيـة روابط. فهـو من هذا المنطلق "فريسـة سـهلة الصيـد" للقائمين على المؤسسة الإعلامية وبخاصة في المجتمعات الصناعية المعقدة البناء الاجتماعي.

وأما فيما يتعلق بوظيفة المضمون الذي تقدمه المؤسسة الإعلامية، فانه يخدم بالدرجة الأولى مصالـح القوى السياسـية والاقتصادية في المجتمـع؛ وعليه فـإن المدافعين عن هذه النظرية يولون أهمية خاصة لهذه المؤسسـة لأنها، برأيهم، أقوى المؤسسات دون منازع، في المحافظة على النظام الاجتماعي القائم؛ فما هذه المؤسسـة سـوى جزء لا يتجزأ من النظام القائم في المجتمع. وهنا تكمن أهميتها وهو إخضاع الأفراد لسلطة هذه النظا القائم.

وأما كيفيـة عمل هـذه المؤسسـة، فيـرى المدافعـون عنهـا، بأنها تقـوم بتزويـد أفراد المجتمـع برؤية محـددة للعالـم، غالبا مـا تكون رؤيـة مضللة، فما وسـائل الإعلام سـوى أدوات تضليـل بالغة القـوة والتأثير في يـد القوى السياسـية والاقتصادية. وفـي هذا الصدد يذهـب هربـرت شـيللر ليؤكـد الـدور التضليلـي الـذي تمارسـه المؤسسـة الإعلاميـة في المجتمعات الرأسمالية؛ إذ نجده يقول في مقدمة كتابه الشهير المتلاعبون بالعقول:

" يقـوم مديـرو أجهـزة الإعـلام فـي أمريـكا بوضـع أسـس عمليـة تـداول "الصـور والمعلومات" ويشـرفون علـى معالجتها وتنقيحهـا وإحكام السـيطرة عليهـا، تلك الصور والمعلومـات التي تحدد معتقداتنـا ومواقفنا، بل وتحدد سـلوكنا في النهايـة. وعندما يعمد مديرو أجهزة الإعلام إلى طرح أفكار وتوجهات لا تتطابـق مع حقائق الوجود الاجتماعي، فإنهم يتحولون إلى سائسـي عقـول. ذلك أن الأفـكار التي تنحـو عن عمد إلى اسـتحداث

معنى زائف، وإلى انتاج وعي لا يستطيع أن يستوعب بإرادته الشروط الفعلية للحياة القائمة أو أن يرفضها، سواء على المستوى الشخصي أو الاجتماعي، ليست في الواقع سوى أفكار مموهة أو مضللة. إن تضليل عقول البشر، على حد قول باولو فريـر، أداة للقهر " إنه يمثل إحدى الأدوات التي تسعى النخبة من خلالها إلى تطويع الجماهير لأهدافها الخاصة".

النظرية السياسية الاقتصادية لوسائل الإتصال:

يذهب المدافعون عن هـذه النظرية وبخاصـة (جرهام ميـردوك وبيتـر جولدنج) إلى القـول بأن المؤسسـة الإعلامية هـي في الأصل مؤسسـة اقتصادية منغمسـة في إنتاج سـلع اقتصاديـة وهـي مضامين المـواد الإعلاميـة، وترتبط هـذه المؤسسـة ارتباطا وثيقـا بالنظام السياسـي؛ لذا؛ فإن المنتج المعرفي لهذه المؤسسـة والمخصص للاسـتهلاك فـي غالبيته، كما يقول أهم المدافعين عن هذه النظريـة وهو جرنهام، يمكن عزوه إلـى تحقيق المصالح الاقتصاديـة المباشـرة للمالكين وصنـاع القرار فـي المؤسسـة الإعلامية والمتمثلة بشـكل رئيسي في الحاجة إلى الربح في العمليات الاقتصاديةنظرية الهيمنة:

خلافا للنظرية السـابقة التي تولي أهمية خاصة للبنى الاقتصادية للمؤسسة الإعلامية، وبشكل أكثر دقة ملكية هذه المؤسسـة والسـوق الذي تعمل فيه، فإن أصحاب هذه النظرية يهتمون اهتماما رئيسـيا بالدور الأيديولوجي الذي تقوم به المؤسسـة الإعلامية؛ حيث يرى غرامشي، والتوسير، وسـتيوارت هول، أن نشر وسـائل الإعلام لأيديولجيا الطبقة الحاكمة بالمجتمع بيـن الأفراد هي المهمة الأولى لهذه المؤسسـة وتشـكل الأيديولوجيـا باعتبارها شكلا من أشـكال التعريف المشـوه للحقيقة، وانعكاس للعلاقات الطبقية، وأشكال التعبير عنها وطـرق صياغتها فـي معاييـر ورمـوز ودلالات، إضافـة إلى الوسـائل التـي تحقق لها الديمومة والاسـتمرارية والنجاح في إبقاء الأفـراد خاضعين لهيمنة الطبقـة الحاكمة، حيث هو الاهتمام الرئيسي لهذه النظرية.

النظرية الامبريقية:

(المدرسة الامبريقية بقيادة ج. لازر سفيلد وهي تتميز بالمنهج الكمي والوظيفي والوصفي، وتهتم بالجانب الاداري لعملية الاتصال وتركز على وظائف الاتصال وعلى مساعدة رجال الاعمال على فرض نفوذهم وخدمة الثقافات المهيمنة واهمالها للمحيط التاريخي والثقافي)

النظرية النقدية:

(المدرسة لنقدية بقيادة قدما مدرسة فرانكفوت الالمانية من امثال هور كايمر وادرنو وماركيوز وفروم وهذه المدرسة تعطي الاولوية في تحليلهم للمحيط الثقافي والاجتماعي الذي تتم فيه عملية الاتصال وقد تأثرت بالفكر الماركسي وهم يعتمدون على البحث النظري المجرد الخالي من المعطيات الموضوعية وقد تفرعت هذه المدرسة الى اتجاهات مختلفة منها اصحاب اتجاه الاقتصاد السياسي والاتجاه اللشمولي والاتجاه الثقافي النقدي والاتجاه الامبريالي الثقافي)

نظرية انتشار الابتكارات:

(وهي تفترض ان تدفق الاتصال يتم على مراحل وهو يسمح بالمزيد من الاحتمالات المعقدة لتدفق الاتصال اذا انه يرى ان تدفق المعلومات ينساب عبر افراد عديدين وان قنوات الاتصال تكون الكثر فعالية في زيادة المعرفة حول المبتكرات.)

نظرية مولس الثقافية:

وهي تعود الى افكار أ.مولس التي تعد طرحاً متميزاً حول العلاقة بين وسائل الاتصال والمجتمع،ويرى صاحبها بان وسائل الاتصال تحول الثقافة عن طريق ما يسميه (بالثقافيات) او الفسيفساء الثقافية،حيث تنتقل الثقافيات من المبدعون العلماء والادباء والفنانون، الذين يخترعون الافكار الجديدة المعبر عنها بالثقافيات تنتقل لاحقاً لمختلف الجماعات وتشمل قائمة لا متناهية تبدأ بوصفة طبخ وتنتهي باعقد الاكتشافات العلمية ويمثل كل ذلك قاعدة جماهيرية حيث تلعب وسائل الاتصال دوراً كبيراً في الثقافة الحديثة.

يعـود الفضل فـي تطور هـذه النظريـة وبلورتهـا إلـى إتجاه متماسـك في الدراسـات الاعلامية إلى تلـك الجهود التي بذلهـا فريق مركز الدراسـات الثقافية المعاصـرة في مدينة بيرمنجهام في بريطانيا (ويتميز هذا الإتجاه في الدراسات الإعلامية بفهم المضامين الثقافية التي تقدمها المؤسسـة الإعلامية، وبخاصـة الثقافة الجماهيرية، والإطـار الإجتماعي الذي يتم فيـه إنتاج هـذه المضامين واسـتهلاكها فـي المجتمع. وفي هـذا الصدد يقـول هول في دفاعه عن أهمية هذا الإتجاه، وضرورته في الدراسـات الإعلامية ما يلي: "أنه يعطي الثقافة والعمليات التثقيفية دوراً أساسـياً في المجتمع، على عكس كثير مـن النظريات المادية التي تعطيها دوراً هامشـياً ومحدداً. ففـي كثير من هـذه النظريات الماديـة يُنظر إلـى الثقافة بأنها وعاء يعكـس الترتيبات الإقتصاديـة والمادية في المجتمـع. والتعريف المعطـى للثقافة هنا يؤكد أن الثقافة متداخلـة في كل الأنشـطة الإجتماعية، وأن هذه الأنشـطة الإجتماعية تعتبر هي بدورها، أحد أبرز أشـكال النشـاط الإنسـاني العام ويعارض الإتجاه النظري هنا النظر إلى الثقافة بمنظـور العلاقة بين البنية الفوقيـة الفكرية، والبنية التحتيـة المادية والإقتصادية، حيث تُصور الثقافة علـى أنها جزء من النظام الفكري الذي يتحكم فيه بشـكل حتمي النظام الأقتصادي المادي للمجتمع. ويُعرّف هـذا الإتجاه الثقافة على أنها تمثل كلاً من الوسـائل والقيم التي تتبعها الجماعات والشـرائح والطبقات الإجتماعية المختلفـة – طبقاً لعلاقاتها وظروفها التاريخية، للمعايشة والتعامل والإستجابه مع واقع حياتها.

وهكذا يتضح من هذا الفهم لمعنى الثقافة، أن مؤسسي الأتجاه الثقافي في الدراسات الإعلاميـة، إنمـا يركـزون اهتمامهـم، بشـكل رئيسـي، علـى تحليـل المضاميـن الإعلامية (الرسـائل)، بهدف اسـتخراج المعاني الضمنية لهذه الرسـائل، وكشـف حقيقة انتظام هذه المعاني فيها من جهة، وعلى اسـتجابات الجماعات الاجتماعية على هذه المعاني من جهة أخرى. ويبدو، كما يقـول دينس ماكويل، أن هنـاك أتفاقاً بين معظم المؤيديـن لهذا الإتجاه على أن فهم العملية الثقافية يتطلب فهماً لعمل القوى المادية التاريخية في المجتمع، وعلى أن فهم القوة المادية يتطلب فهماً لدور الثقافة في المجتمع.

النظرية البنائية الوظيفية:

راجت هـذه النظريـة فـي السـتينيات والسـبعينيات ولا تزال تلقـى قبولا واسـعا لدى بعض العاملين في العلوم الاجتماعية، على الرغم مـن الانتقادات اللاذعة التي وجهت إلى مرتكزاتها النظرية وتوجهاتها الايديولوجية.

تقوم المؤسسـة الاعلامية، كما يـرى أحد أهـم المفكرين المدافعين عن هـذه النظرية وهو ميرتون،بوظائـف عديدة في المجتمع أهمها إشـباع حاجات محددة لأفـراده، والعمل على توفير التضامن والتكامل الداخلي بين أفراد المجتمع، إضافة إلى قيامها بوظيفة اشـباع المتطلبات والحاجات الفردية

نظرية ما بعد الحداثة:

يزعم مفكرو ما بعد الحداثة أن المسـلمات والافتراضات التي قامت عليها النظريات الاجتماعية السـابقة لم تعد تصلح لتفسير التغيرات التي تشـهدها مجتمعات ما بعد الحداثة وما تزال تشـهدها.فهي نظريات كانت صالحة لتفسـير المجتمعات ذات النظام الرأسـمالي الصناعي؛ أما المجتمعـات المعاصرة فقـد طرأت، تغيـرات جوهرية، برأيهم، علـى أبنيتها الاقتصاديـة والاجتماعية والثقافية والسياسـية لـم يعد يصلح في تفسـيرها تلـك النظريات الكلاسيكية السابقة.

إن علـوم الإعـلام والاتصال مـن العلـوم الجديـدة التي تبحـث لها عن هويـة خاصة بها، انطلاقا من أن نشـأتها كانت بعد تقاطع عـدة علوم كالعلوم السياسـية وعلم الاجتماع، والفلسـفة وعلـم النفـس.. إلا أنـه شـهد عـدة تنظيـرات منهـا مـا كان مسـتندا إلـى الفكـر الاجتماعي بصفـة عامة ومنهـا ما اسـتند إلى الممارسـة الإعلامية بشـكل خـاص ومنها ما اشـتغل أصحابها بالظاهرة الاتصالية على مسـتواها الكلي، ومنها ما جـزأ أصحابها نظرتهم إلى العملية الاتصالية إلى مستوياتها الضيقة.

ويقسم الباحثون النظريات الإعلامية إلى الأنواع التالية

أولا: النظريات المتعلقة بالجمهور

يرتبط هذا النوع من النظريـات بالجمهور المسـتخدم للمواد الإعلامية، ويقـوم هذا النوع من النظريات على أساس أن الجمهور يستخدم وسائل الإعلام بسبب دوافع نفسية أو اجتماعية.

ومن هذه النظريات ما يلي:

أ- نظرية الاسـتخدام والإشـباع: تفترض هذه النظرية أن الجمهور يسـتخدم المواد الإعلاميـة لإشـباع رغبـات -كامنـة لديـه، وأن دور وسـائل الإعـلام هـو تلبيـة الحاجات فقط

ب- نظريـة الاعتمـاد علـى وسـائل الإعـلام -: تعتمـد فكـرة هـذه النظريـة على أن استخدامنا لوسـائل الإعلام لا يتم بمعزل عن تأثير المجتمع الذي نعيش داخله، على أن قدرة وسـائل الإعلام على التأثير تزداد عندما تقوم هذه الوسـائل بوظيفة نقل المعلومات بشكل مميز ومكثف.

ثانيا: النظريات المتعلقة بالقائم بالاتصال:

تصنف بعـض النظريـات على أنهـا مرتبطـة بالمرسـل أو القائـم بالاتصـال ومن هذه النظريات ما يلي:

أ- نظرية الرصاصـة أو الحقنـة تحـت الجلد: تعتمـد هـذه النظرية على أن وسـائل الإعلام تؤثر تأثيرا مباشـرا وسـريعاً في الجمهور، وأن الاسـتجابة لهذه الرسائل مثل رصاصة البندقية تؤثر بعد انطلاقها مباشرة

ب- نظرية الغرس الثقافي: تفترض هذه النظرية أن الجمهور يتأثر بوسائل الإعلام في ادراك العالـم المحيط به وتزيد معارفهـم، خاصة الأفراد الذيـن يتعرضون بكثافة لوسائل الإعلام)

ج- نظرية ترتيب الأولويات: تصنّف هذه النظرية على أنها من نظريات القائم بالاتصال، ذلك لافتراض هذه النظرية أن وسائل الإعلام هي من يقوم بترتيب اهتمامات الجمهور من خلال إبراز القضايا التي تستحق

وإهمال قضايا أخرى، فيبدي الجمهور اهتمامه بهذه القضايا دون غيرها.

ثالثا: النظريات المتعلقة بنوع التأثير الإعلامي الذي تحدثه وسائل الإعلام في الجمهور، وهي على ثلاثة أنواع

أ- نظريات - التأثير المباشر)قصير المدى(يرى هذا النوع من النظريات، التأثير المباشر لوسائل الإعلام في الجمهور، ومن هذه النظريات نظرية الرصاصة الإعلامية.

ب- نظريات التأثير التراكمي)طويل المدى(: يرى هذا النوع من النظريات أن تأثير وسائل الإعلام لا يظهر مباشرة، وإنما بعد فترة زمنية طويلة من خلال تراكم المتابعة الإعلامية. ومن أمثلة هذا النوع نظرية دوامة الصمت القائمة على فرضية: أن قيام وسائل الإعلام بعرض أ ري الأغلبية، يقلل من تأثير أفراد الرأي المعارض

ج- نظريات التأثير المعتدل لوسائل الإعلام: يرى المنظرون لهذا التصنيف أن وسائل الإعلام تعمل داخل -نظام اجتماعي فتراعي الخصائص النفسية والاجتماعية للجمهور،وأنه ينبغي مراعاة جميع ظروف وعناصر الاتصال

بعض نظريات تأثير وسائل الإعلام

على الرغم من الصعوبات الكثيرة التي تواجه الباحثين عند محاولتهم تقصي تأثيرات وسائل الاتصال الجماهيرية، إلا أن مثل هذه المحاولة تبقى ضرورية عند محاولتنا التعرف على مدى شدة هذه التأثيرات على الأفراد والمجتمعات في حالة الخوف والذعر الذي تسببه هذه الوسائل من خلال ما تقدمه من أخبار (*News*). لذا، سنقوم باستعراض موجز لأهم النظريات التي حاولت تقصي طبيعة تأثيرات وسائل الإعلام والاتصال الجماهيرية بدءا بنظرية التأثير القوي لهذه الوسائل ومرورا بنظرية التأثير المحدود ثم المعتدل، وانتهاء بالنظرية الثقافية.

نظرية التأثير القوي:

تعتبر (هـذه النظريـة (*Approach*) (مـن وجهة النظـر التاريخيـة أقـدم المداخل التي حاولت تقديم تفسير لمسألة تأثير وسـائل الاتصال الجماهيرية على الأفراد؛ حيث ساد في مطلع العشـرينيات والثلاثينيات من القرن المنصرم اعتقاد بقوة هذه الوسائل ذهب بعضهم إلى تشبيهه بالطلقة السحرية (*Magic bullet*) ومن هنا جاء اسم المدخل.

ويعتقد دعاة هـذه النظرية أن وسـائل الاتصـال الجماهيرية تتمتع بنفوذ قوي ومباشـر وفوري علـى الأفراد. إذ لديها القـدرة على حملهم علـى تغيير آرائهـم واتجاهاتهم الوجهة التي يرغبها القائم بالاتصال ولقد بنى أصحاب هذا المدخل اعتقادهم بقوة وسائل الاتصال الجماهيرية في التأثير على الأفراد، على بعض الافتراضات النفسية والاجتماعية المستمدة من علمي النفس والاجتماع السـائدة آنذاك. ففي المجال النفسي سـاد الاعتقاد بأن الأفراد إنما تحركهـم عواطفهم و"غرائزهـم" التي ليس بمقدورهم السيطرة عليها بشـكل إرادي، فإذا مـا اسـتطاعت وسـائل الاتصـال حقنهـم بمعلومـات معينـة تخاطـب هـذه "الغرائز" والمشاعر فإنهم سيتأثرون مباشرة بهذه الحقنة الاتصالية وسيستجيبون لها فوراً.

وأما علـى المسـتوى الاجتماعي، فقد سـاد اعتقاد أيضاً بـأن الأفراد فـي المجتمعات الجماهيرية الصناعية هم مخلوقات سـلبية ومعزولـة عن بعضها البعض نفسـياً واجتماعياً، ولا توجـد بينهـم روابط قويـة تجمعهم فـي هـذه المجتمعـات. لذا، فهم فريسـة سـهلة لا يوجد من يحميها أمام ما تمارسـه وسـائل الاتصال عليهم من تأثيرات بغيـاب هذه الروابط والعلاقات الاجتماعية.

نظرية التأثير المحدود

وأما النظرية الثانية فهي تلك المسـماة بنظرية "التأثير المحـدود" أوالتعرض الانتقائي (*Selective Exposure*). ويستند الفهم الجديد لتأثيرات وسائل الاتصال الجماهيرية على الجمهورإلى مسـلمات نفسـية واجتماعية مختلفة تماماً عن تلك الافتراضات والمسلمات

التي استند إليها الباحثون السابقون، كما يعكس أيضاً تقدماً في أساليب البحث العلمي المتبعة في تلك المرحلة لقياس هذه التأثيرات.

وينضوي تحت هذه النظرية نماذج أو مداخل مختلفة أهمها:

مدخل الفروق الفردية: يركز أصحاب هذا المدخل على دور عملية التعليم والتعلم كمصدر من مصادر الفروق بين الأفراد في استجاباتهم لوسائل الاتصال الجماهيرية، وعلى دور الأفراد في إنتقاء وسائل الاتصال الجماهيرية التي يودون التعرض لها؛ فالتأثير الذي تحدثه هذه الوسائل عليهم، إنما يخضع لظروف الفرد الذاتية، ولسماته الشخصية.

النظرية الثقافية النقدية

تفترض النظريات النقدية أن وظيفة وسائل الاعلام هي مساعدة أصحاب السلطة في المجتمع على فرض نفوذهم، والعمل على دعم الوضع القائم.

تتفق الدراسات النقدية في تحديد علاقة وسائل الاعلام بالقوى الاجتماعية والسياسية على النحو التالي:

١- محتوى وسائل الاعلام يروج اهتمامات الجماعات المهيمنة في المجتمع.

٢- تحليل المعاني الرمزية للمحتوى الذي تروجه المصالح الرأسمالية لجذب اهتمام الطبقات العاملة.

٣- فضح أسطورة حياد الدراسات الاعلامية الأمريكية التي يملوها كبار رجال الأعمال لخدمة الثقافات المهيمنة.

تنتمي النظريات النقدية إلى الفكر الماركسي، وتستمد هذه النظريات أفكارها من مدرسة فرانكفورت وأعضائها البارزين (هورخيمر)، (أدورنو)،(ماركوزي). وكانت المدرسة قد بدأت نشاطها في ألمانيا ثم هاجرت الى الولايات المتحدة في أعقاب تولى النازي الحكم في ألمانيا.

يقسم محمد عبدالحميد النظريات النقدية الى اتجاهين رئيسين:

- الأول: يستعير من الماركسية مفهوم الصراع من أجل بقاء الوضع كما هو، سيطرة الطبقات أو أصحاب المصالح المسيطرة، ويتبنى هذا الاتجاه أصحاب مدرسة فرانكفورت والنظرة الثقافية النقدية.
- الثاني: يربط بين الثورة أو الجانب الاقتصادي والسيطرة على وسائل الاعلام من خلال الاقتصاد السياسي.

١) مدرسة فرانكفورت:

قامت على فكرة الماركسية الجديدة. وقد تأسس في عام ١٩٢٣ معهد الدراسات الاجتماعية بفرانكفورت، من قبل مجموعة من المفكرين الالمان، وأهمهم الفيلسوف ماكس هورخيمر *Max Horkheimer* وتيودور أدورنو. ترى أفكار هذه وخلاصتها أن المجتمع يعاني من ظلم وهيمنة مالكي وسائل الاعلام.

٢) النظرية الثقافية النقدية:

تسود هذه النظرية في إنجلترا ومن روادها (ستيوارت هول) وتهتم بالتحليل الثقافي لتسجيل مدى ارتباط ماتقدمه وسائل الإعلام بحياة الناس، وترى أن الهيمنة هي الأسلوب المناسب والسائد للعلاقة بين من يملكون ومن لا يملكون.

ويعتقد هول أن وظيفة وسائل الإعلام هي دعم الهيمنة لمن هم في مراكز القوة، ويرفض التفسير الماركسي الاقتصادي.

٣) نظرية الاقتصاد السياسي:

نظرية ماركسية خالصة يتبناها الذين درسوا سيطرة الصفوة على المؤسسات الاقتصادية، وحاولوا أن يصلوا إلى تفسيرات خاصة بطرق سيطرة الاقتصاد على المؤسسات الاجتماعية ومنها وسائل الإعلام.

يرى محمد عبدالحميد أن النظريات النقدية السابقة تتميز بالسمات التالية:

١- تأكيد حق الفرد في الحرية والاختيار.

٢- السياق الاجتماعي هو المجال الذي يوضح صيغة العلاقات بين وسائل الإعلام والقوى المسيطرة في المجتمع.

٣- تهتم معظم الدراسات النقدية بدراسة علاقات وسائل الاعلام من خلال مخرجاتها، والنظر كبناء لغوي من الرموز التي يتم اختيارها بعناية.

٤- تتسم البحوث النقدية في نظرتها إلى جمهور المتلقين بالتفائل.

الاهتمام بالمستوى الأوسع لايعني إغفال المستويات الأصغر.

أساليب التأثير الإعلامي

اعتقد (كلابر ١٩٦٠).إن لوسائل الاتصال الجماهيري (الإعلام) تأثيراً محدوداً على الناس، وأن الأمر لا يعدو أن يكون استعداداً فطرياً لدي المستقبِل. بمعني أن وسائل الإعلام لا تدفع الناس لسلوك معين، إلا إذا كان لديهم الاستعداد لممارسة هذا السلوك

فالإعلام بكافة نظرياته يؤكد على التأثير واسع المدى على الناس، في سلوكياتهم ومعتقداتهم وأنماط معيشتهم، وان اختلف مستوى التأثير من شخص لآخر ومن مجتمع لآخر ومن بيئة لأخرى، وحسب وسيلة الإعلام محل التأثير، وطرقها المستخدمة للتأثير على المستقبل.

أساليب التأثير ونظرياته

١- نظرية الرصاصة (الحقنة) أو التأثير قصير المدى

وتؤكد هذه النظرية أن الرسالة الإعلامية تؤثر تأثيراً آنياً كما لو أنه أطلقت على المستقبِل رصاصة أو حقن بمخدر. ولاشك أن هذه النظرية ضعيفة ومتهافتة، وهذه المغالاة في تأثير وسيلة الإعلام مرُدها إلى أحداث معينة وقعت في ظروف خاصة، ما استدعى تأطيرها وتأصيلها نظرياً.

مثال على ذلك ما حدث في أمريكا عام ١٩٣٩ عندما انتاب الهلع الناس وخرجوا إلى الشوارع متوقعين غزوا من المريخ، تأثراً بتمثلية في الإذاعة باسم حرب الكواكب، والتي تم استخدام الكثير من المؤثرات الصوتية فيها، وذلك في ظل حالة من الإحباط لدى الناس وبدء الحرب العالمية الثانية والتوجس والترقب، فكانوا مهيئين لمثل هذا السلوك، متأثرين بوسيلة الإعلام آنياً.

٢- نظرية التأثير طويل الأمد (التراكمي)

تؤكد هذه النظرية على أهمية الزمن في إحداث التأثير المطلوب بوسيلة الإعلام على الناس، بمعني أن التأثير تراكمي (بعكس نظرية الرصاصة). ويحدث التأثير نظراً لتعرض الإنسان لمصادر معلومات وثقافة غير تلك التي نشأ عليها. ونظراً للفترة الزمنية الكبيرة والتنوع في الرسالة الإعلامية، فإن الكثير من القناعات والقيم والسلوك ستتغير لدي الإنسان. ويتأكد الأمر عند تكرر الرسالة الإعلامية وتنوعها في قوالب مشوقة ومحببة لدى المستقِبل.

٣- نظرية التطعيم (التلقيح)

تقوم هذه النظرية على مبدأ أن الإنسان عندما يتعرض لجرعات من الرسائل الإعلامية المتتالية، يصبح لدية حصانة (سلبية) تجاه ما يتعرض اليه، بمعني أنه يشعر بالتبلد واللامبالاة فلا يقوم برد فعل إيجابي ضد ما يعرض عليه، فمن يتعرض للكثير من مشاهد العنف والجريمة مثلاً يصبح لديه الأمر عادياً ولا غرابة فيه. ويتأكد الأمر مع الوقت الذي يعطيه لمشاهدة الرسائل الإعلامية.

وبهذا تصبح الكثير من المنكرات (من منطق الإسلام) من العاديات. بل من المعروف أحياناً ان يكون الرافض لها متشددا ومتزمتا. وهذا الأمر معلوم ومشاهد لمن وقعوا أسرى هذه الوسائل الإعلامية، بل ان الأمر يزداد استفحالاً مع مستوى المادة المقدمة له، فهو ابتداء يرفض مشاهد التبرج ثم يقبلها، ويرفض مشاهد القبلات ثم يتقبلها، وهكذا تصبح الأمور لديه عادية ومألوفة.

٤- نظرية التأثير على مرحلتين:

- المرحلة الأولى: ما تبثه وسائل الإعلام للجمهور.
- المرحلة الثانية: تأثير قادة الرأي والأشخاص البارزين القريبين من الإنسان الذين يتلقون نفس الرسالة الإعلامية، ثم يشرحونها (لمن حولهم)، ويؤصلونها ويؤكدونها ويدللون عليها، بل ويضيفون عليها، مما يتسبب في وصول الرسالة الإعلامية إلى أعماق الإنسان.

فلو افترضنا أن طفلاً شاهد إعلاناً عن الحلوى، يكون قد مر بالمرحلة الأولى من التأثير، فإذا التقى بإقرانه أو من يفوقونه سناً وبدءوا بالحديث عن هذه الحلوى وميزاتها عن غيرها، وأكد أحدهم أنه سبق له تجربتها وأضاف الآخر بعض التحسينات عليها، فإن الطفل - لاشك - ستتأكد لديه الرسالة الإعلانية ويبادر إلى اقتناء هذه الحلوى أو إقناع والديه لاقتنائها له. والأمر ينسحب على الأفكار والمبادي والسلوكيات التي تعوض في وسائل الإعلام، ويعلق عليها البعض ويشرحها البعض الآخر ويؤكدها آخرون، حتى تصبح من المسلمات لدى جمهور المستقبلين.

لا يعني هذا أن عملية التأثير بوسائل الإعلام حتمية سواء تعرض الفرد أو لم يفعل، فالإنسان ليس إسفنجه سلبيا دائماً يتأثر بمن حوله إن لم يتأثر بوسائل الإعلام. لا شك في أثر وسائل الإعلام، وكذلك أثر الرفقة والأصدقاء وقادة الرأي والموجهين، لكن الإنسان (الحكيم) يستطيع أن يصنع لنفسه حاجزاً يقيه وأسرته من تأثيرات وسائل الإعلام. وهذا الحاجز يتمثل في اختيار الرسائل الإعلامية المناسبة ودفع ما عداها، وليس الانعزال الكلي عن وسائل الإعلام فهذا محال (إلا أن ينعزل عن المجتمع بالكلية ويفر إلى البرية).

٥- نظرية جدول الإعمال (الأجندة)

وتسمى أيضاً نظرية الأولويات، حيث تقوم وسائل الإعلام بتحديد الأوليات من المواد الإعلامية للمستقبل الذي لاخيار له فيها. ويتمثل ذلك بإعطاء أهمية لأحداث أوأشخاص أو

بيئات معينه، وإطلاق العنان حوله مـن مقابلات وتحقيقات وتعليقات، ممـا يعطي لدى الفرد قناعة بأهمية هذا الشـيء. فالممثلون والرياضيون شـخصيات هامة في المجتمـع، نظراً لكثرة ما يقدّمون من خلال وسـائل الإعلام، حتى يتأكد ذلك لدى الفـرد ويصدقه. وهذه الأولويات لدى وسائل الإعلام لا علاقة لها بحاجة الأفراد والمجتمعات وقيمة وبيئته.

٦- نظرية حارس البوابة

تعتمد هذه النظرية علـى مفهوم أن العاملين في وسـائل الإعلام (حـراس)، يتحكمون فيما يصل إلى الناس من رسـائل إعلاميـة فيحددون لهم ما يشـاهدون وما يقـرؤون، إضافة إلى ذلك يحرمونهـم مما يحتاجونـه أو ينفعهـم. وهذا الـدور خطير حيث تتشـكل عقليات الناس بناء على ما سيستقبلونه، فإذا أكد المسؤول الإعلامي أن ما يحدث في فلسطين قضية إرهاب ولاجئين ضـد دولة متحضرة وديمقراطيـة، ويحجب عنهم أفعـال اليهود وجرائمهم وتاريخهم في المنطقة، فإنه يكون بواباً منع حقائق هامة وسـمح بإيصال رسـائل مغرضة، ما يؤدي إلى حصول الأفراد على أفكارٍمغلوطة عن الواقع والمنطقة (الأفراد في الغرب مثلاً).

ان دور الحارس الإعلامي قد يكون بناء على سياسة إعلامية مقصودة تتبعها المؤسسة أو الدولة التـي ينطلق منهـا، أو قـد يكون نتيجـة لثقافة ونشـأة الحارس نفسـه. هـذا الدور الخطير قد يكون فيما يحجبه عنهم مما هو هام وضروري ونافع للأفراد، وما يقدمه لهم بناء على الاعتبارات السابقة الذكر، دون اهتمام لحاجة الأفراد وواقعهم.

٧- نظرية الإشباع

تنظر هـذه النظريـة للعلاقة بين مسـتقِبل الرسـالة الإعلامية ووسـائل الإعـلام بطريقةٍ مختلفة، مؤداها أن الجمهور يستخدم الوسيلة الإعلامية لإشباع رغباته الذاتية، فإن تيسرت من خلال وسـيلة معينة (العنف في التلفزيون)، فإنه يكتفي بها، وإلا ذهب للبحث عنها من خلال وسائل أخرى (الفيديو مثلاً).

وتعتمد هذه النظرية على أن الإعلام سـوق مفتوحة ينهل الإنسان منها ما شاء بحسب

حاجته الشـخصية ووقته وإمكاناته المادية، وبالتالي فإن التعرض هنا للإعلام اختياري، في ظل سوق مفتوحة للأفكار منطلقة من فلسفة مادية بحتة.

هذه النظرية (كما يرى البعض)، تكاد تكون محصورة في الغرب وأمريكا على وجه الخصوص، حيث حرية الإعلام على أوجها، وليست متاحة في البلدان الأخرى خصوصاً في العالم الثالث.

تحليل للنظريات الإعلامية في التأثير

نؤكد أولاً أن الأعلام يؤثر وبشـكل ملمـوس على الناس، والاختـلاف بين الناس هو في حجم التأثير وكيفيه التأثير ومداه.

من المؤكد أن الإعلام يؤثر على الأفراد بحسب جملة من العوامل منها:

١- نوع وسائل الإعلام المستخدمة والمتاحة في المجتمع.

٢- طبيعة الرسالة الإعلامية الموجهة للأفراد (في قالب فني راق أو متدنية، مباشرة أو بالإيحاء).

٣- ثقافة المجتمع ونسبة الأمية (يزداد التأثير مع ارتفاع الأمية خصوصاً من التلفاز).

٤- الإمكانات المادية (لاقتناء أدوات الإعلام).

٥- الخلفية العقائدية للمجتمع (إسلامية – وثني...).

٦- مستوى التدين لدى الناس (محافظ – منفلت – مستغرب).

٧- مستوى التمدن (الريف – مدن كبيره – بادية...).

الحرية الإعلامية (واسعة – منضبطة – مفقودة).

وعند تأمل النظريات الإعلامية يمكن ملاحظة الآتي:

١- نظرية الرصاصة شـاذة، وتقع أحيانـاً في ظروف محـدودة وبيئات محـدودة، ولا يمكن بأي حال تعميمها.

٢- نظرية الإشـباع تخص في بيئات مفتوحـة وتمثل تصوراً لجانب مـن الأمر. فحتى عندما يكون سوق الإعلام مفتوحاً والإنسان يبحث عن حاجاته خلاله، فإنه يتأثر بما تقدمه هذه الوسـائل. والإنسـان وإن كان لديه ميول معينـه أو رغبات خاصة، إلا أنه يسـتهويه أشـياء أخرى نظـراً لارتباطها ببيئتـه أو بحدث جديـد أو مصاغة بأسـلوب مبتكـر أو تذكره بتاريـخ معين، بمعنـى أنه لا بـد أن يتعـرض لأمور قد يقصدها برغبته الذاتية ولإشباع حاجاته الذاتية.

٣- بقية النظريات: كل نظرية تحاول أن تفسر جانباً من التأثير. فحارس البوابة موجود دائماً ولكنه يكون بصورة ملموسـة عندما تكون وسـائل الإعلام تحت السـيطرة الحكومية، وتكون الرسالة الإعلامية محددة سلفاً لا مجال لتجاوزها.

الأمر يتأكـد أيضاً عندما تسـيطر على وسـائل الإعلام شـبكاتٌ ضخمةٌأخطبوطيـة، فيكون الحارس هنا موجـوداً بكافة وسـائل الإعـلام المتاحة، وحيثما يفر الإنسـان فأنه لاشـك سـيجد الحارس أمام كل باب يطرقه يقول لهذه المادة انطلقي، ويقول لتلك مكانك الأرشيف أو الزبالة.

ونظرية الأثر التراكمي (نظريـة التأثير طويل المدى)، ملموسـة في كافـة المجتمعات سواء المنفتحة أو المغلقة، ويكون الإنسان أسـيرا لما يتعرض من وسائل الاعلام المختلفة خلال فترة طويلة.

والتأثير على مرحلتيـن يؤكد ويؤصل التأثير التراكمي ويعطيه بعـداً أكبر. حيث تتوالى مصادر الرسـالة الإعلامية وتتنوع. والحقيقة أنه حتى الأفراد وقادة الرأي هم بذاتهم وسائل إعلامية تؤكد أو تعارض غيرها من الوسـائل، وليسـوا شـيئاً منعزلاً أو منفرداً عن الوسـائل الإعلامية الأخرى.

أن نظرية جـدول الأعمـال (الأجندة) مكملـة لدور الحـارس الإعلامي لكـن بطريقة أخرى، حيـث يرتفع دور الحارس إلـى أن يكون مديـراً، يقدم ما يراه مهماً بحسـب مزاجه، مفضلاً له عن غيره.

أما عن نظرية التلقيح فهي لا تعدو أن تكون نظرية التأثيـر بعيد المدى، لكنها تعبر عن جانب من التأثير حين يفقد الإنسـان القدرة على الرفض، ويكون مجمل حاله قابلاً لكل ما يعرض عليه، مخدراً بتلـك الحقنة التي أعطيت له لكنها ليسـت إيجابية له، بـل تحذيراً كي يتقبل كافة ما يعرض دون اعتراض.

نظرية حارس البوابة الإعلامية

نشأة النظرية وتاريخها

أن أول دراسة تتناول بالشرح قطاعا من القائمين بالاتصال بالمعنى الذي نقصده، هي دراسـة روسـتن التي ظهرت في الولايات المتحدة تحت عنوان -مراسـلي واشـنطن- سنة ١٩٣٧ وتعتبر دراسة كلاسيكية عن سيكولوجية المراسـل الصحفي. ولكن في سنة ١٩٤١ نشـرت مجلة (الصحافة) ربع السـنوية التي تصدر في ولاية أيوا بالولايات المتحدة دراسة مهمة عن العامليـن بجريدة ملواكي. وكان من الممكن أن تفتح هذه الدراسـة الباب لإجراء دراسات مماثلة عن المؤسسات الإعلامية الأخرى، ولكن مضت فترة طويلة دون أن تظهر أبحاث تتناول بالدراسـة القائمين بالاتصال ومؤسسـاتهم، الى أن نشـر الباحـث الأمريكي ديفيد مانج وايت دراسته (حارس البوابة وانتقاء الأخبار) التي أعطت دفعة قوية للبحث في هذا المجال المهم.

ويرجع الفضل إلى عالـم النفس النمسـاوي الأصل، الأمريكي الجنسـية (كرت لوين في تطوير ما أصبـح يعرف بنظريـة (حارس البوابـة) الإعلامية. فدراسـات لويـن تعتبر من أفضل الدراسات المنهجية في مجال حراسة البوابة.

يقول لويـن: أنه علـى طـول الرحلـة التي تقطعهـا المـادة الإعلاميـة حتى تصـل إلى الجمهور، هناك نقاط أو (بوابات) يتـم فيها اتخاذ قرارات بما يدخل ومـا يخرج، وانه كلما طالت المراحـل التي تقطعها الأخبار حتى تظهر في وسـيلة الإعـلام، ازدادت المواقع التي يصبح فيها متاحاً لسـلطة فرد أو عدة أفراد تقرير ما إذا كانت الرسالة ستنتقل بنفس الشكل،

أو بعد إدخال بعض التغييـرات عليها، لهذا يصبح نفوذ من يديرون هـذه البوابات والقواعد التي تطبق عليها، والشخصيات التي تملك بحكم عملها سلطة التقرير، يصبح نفوذهم كبيراً في انتقال المعلومات. إن دراسـة (حارس البوابة) هـي في الواقع دراسـة تجريبية ومنتظمة لسلوك أولئك الأفراد الذين يسيطرون في نقاط مختلفة، على مصير القصص الإخبارية.

ولكن مـن هـم حـراس البوابـة. Gate Keepers؟ انهـم الصحفيون الذيـن يقومون بجمع الأنباء، وهـم مصادر الأنباء الذين يـزودون الصحفيين بالأنباء، وهـم أفراد الجمهور الذين يؤثرون علـى إدراك واهتمام أفراد آخرين من الجمهور للمـواد الإعلامية. كل أولئك حراس بوابة، في نقطة ما، أو مرحلة ما من المراحل التي تقطعها الأنباء.

ولقد كانت هناك دراسـات لــ " بريـد " و" كارتر " وغيرهم أشـارت إلى أن الرسـالة الإعلامية تمر بمراحـل عديدة وهي تنتقل من المصدر حتى تصل إلى الملتقى، وتشـبه هذه المراحل السلسـلة المكونة من عدة حلقات. فالاتصال هو مجرد سلسلة متصلة الحلقات، وأبسط أنواع السلاسل هي سلسلة الاتصال المواجهي بين فردين، ولكن هذه السلاسل في حالة الاتصال الجماهيري تكون طويلة جداً حيث تمر المعلومات بالعديد من الحلقات أو الأنظمة المتصلة كما هو الحال في الصحف والراديو

والتلفزيون. فالحدث الـذي يقع في الهند مثـلاً يمر بمراحل عديدة قبـل أن يصل إلى القارئ أو المسـتمع أو المشـاهد في مصر أو الولايـات المتحدة، وقـدر المعلومات الذي يخرج من بعض تلك الحلقات قد يكون أكبر مما يدخل فيها، وهذا ما يطلق عليه " شـانون " أجهزة التقوية.

ويقول " كيرت ليويـن " أن هناك في كل حلقة فرداً يقرر ما إذا كانت الرسـالة سـتمرر كما هي، أم سـيزيد عليها أو يحذف منها أو يلغيهـا تماماً. ومفهوم " حراسـة البوابة " يعني السـيطرة على مكان اسـتراتيجي في سلسـلة الاتصال بحيـث يصبح لحارس البوابة سـلطة اتخاذ القرار فيما سيمر من خلال بوابته.

مفهوم حارس البوابة

استعمل هذا المفهوم لأول مرة من قبل عالم النفس كيرت ليوين، وحراس البوابات هم أشخاص أو جماعات من الأشخاص الذين يتحكمون في سير المواد الإخبارية في قناة الإتصال.

وحارس البوابة يمكن أن يكون منتجا سينمائيا يقوم بقطع المشهد مثلا.ويعتبر القائم بالإتصال داخل المؤسسة الإعلامية أحد العناصر الفاعله في نظام العمل الذي يدين أولا إلى مجموعة من السياسات التي يرسمها اصحاب الملكية أو القائمون عليها، وتتفق مع اهدافهم من إنشاء هذه المؤسسات، ويعتبر التزامه بهذه السياسات ضرورة لاستمرار المؤسسة.

وظائف حارس البوابة

١. تحديد المعلومات، عن طريق تحرير هذه المعلومات قبل بثها.

٢. زيادة كمية المعلومات، عن طريق توسيع بيئتهاا الإعلامية.

٣. إعادة ترتيب، أو إعادة تفسير المعلومات.

وأشار ليوين إلى أن فهم وظيفة البوابة، يعني فهم المؤثرات او العوامل التي تتحكم في القرارات التي يصدرها حارس البوابة وفي احدى المصادر ذكر ان نظرية حارس النوابة هي طول الرحلة التي تقطعها المادة الإعلامية حتى تصل إلى الجمهورالمستهدف، حيث توجد نقاط، بوابات، يتم فيها اتخاذ القرار بما يدخل وما يخرج، وكلما طالت المراحل التي تقطعها الأخبار لتظهر في الوسيلة الإعلامية، تزداد المواقع التي يقرر فيها الفرد او عدة افراد عما إذا كانت الرسالة ستنقل ام لا؟

الخصائص التي يجب أن تتوافر لدى حارس البوابة

١. المصداقية: يعتمد قياس مصداقية القائم بالإتصال على عنصرين أساسيين هما:

أ- الخبرة

ب- زيادة الثقة بالقائم بالإتصال.

فالخبرة هي مدركات المتلقي عن معرفة القائم بالإتصال للاجابة الصحيحة، اما الثقة فهي ادراك المتلقي عن القائم بالإتصال بانه يشارك في لإتصال بشكل موضوعي دون تحيز.

٢. الجاذبية: هناك محددات خاصة لهذا المفهوم تتمثل في التشابه والتماثل.

٣. قوة المصدر: قد لا يملك البعض المصداقية أو الجاذبية، ولكن يظل لهم التأثير في تغيير اتجاهات الأفراد وسلوكياتهم، فهؤلاء يكون لديهم القوة.

الشروط الواجب توافرها في القائم بالإتصال

١. توافر مهارات الاتصال (الكتابة -المحادثة- القراءة- الإنصات).

٢. اتجاهات القائم بالإتصال نحو نفسه ونحو الموضوع ونحو المتلقي.

٣. مستوى معرفة المصدر وتخصصه بالموضوع.

٤. مركز القائم بالإتصال في إطار النظام الإقتصادي والثقافي وطبيعة الأدوار.

المعايير التي تؤثر على حارس البوابة

١. معايير المجتمع وقيمه وتقاليده.

٢. معايير ذاتية (عوامل التنشئة الاجتماعية والتعليم والاتجاهات والميول).

٣. معايير مهنيه (سياسة الوسيلة الاعلامية ومصادر الاخبار المتاحة وعلاقات العمل وضغوطه).

٤. معايير الجمهور.

مستويات العلاقة بين المصدر والقائم بالاتصال

١. المستوى الاول، الذي يعبر عن حالة الاستقلال الكامل بين النظم الاجتماعية المختلفة، فلا يوجد تأثير لأيهما على الأخر، ويتسم تدفق المعلومات من المصدر الى القائم بالاتصال بكونه رسميا.

٢. المستوى الثاني، الاعتماد المتبادل بينهم.

٣. المستوى الثالث، الاعتماد الكامل على المصدر.

ظهرت نظرية (حارس البوابة)، في النصف الثاني من القرن العشرين على يد *Kurt Lewin* عـام ١٩٧٧، فهو الذي طـوّر النظريّة، وأثبـت أن الرسـالة الإعلاميّة تتعرض خـلال رحلتها إلى الجمهور لنقاط تفتيش وتمحيص وتدقيق، وهي عملية تتأثر بالقوى المحيطة بحارس البوابة.

هذه النظريّـة جميلة جـدًا، وفاعلة جدًا، ومؤثـرة جـدًا، إذا كان (حـارس البوابة) يعي حجم المسؤوليّة الإعلاميّة، ويدرك أهمية (فلترتها) لتتوافق مع هوية الجمهور المستهدف، وتنسـجم مع قيمـه وثقافته. وهـي في المقابل تعيسـة جـدًا، وخطيرة جـدًا، إذا اسـتغل هذا (الحارس) وظيفته فـي تمرير أهوائـه، أو تحقيق مصالحـه، أو تطويع (البوابة) لتتسـلل من خلالها الأجسـام الغريبة، والأفكار الرديئة التي تقوّض المجتمع، وتنخر فـي بنائه الثقافي، وتهدّد هويته وفكره.

ان الرسـالة بما تحملة من معاني تمر بعـدة مراحل حتى تصل عنـد الجهور. وفي كل مرحلة من هذه المراحل هناك شخص يحدد ما الذي يعرض ويتم استبعاده، وهذا الشخص هو كحـارس للبوابة، وبالتالي ففي وسـائل الإعلام هناك مـن هو قيم عليهـا، ويحدد ما يتم عرضة أو ما يتم استبعاده وفق مقاييس الإعلامي أو المؤسسة الإعلامية، وبالتالي التأثير في المجتمع هو ناتج عـن التأثر بأفكار واختيـارات وقواعد وقيم حارس البوابـة لأنه هو الذي يحدد المواضيع المطروحة.

فتأثير هذه الوسـائل يأتي من خـلال دور حارس البوابة في سـماحه لهذه الرسـائل أو منعه لها. وهنـا يتشـابة دوره مع دور قائـد الرأي ولكنـه في حالة قـادة الرأي فـأن الإتصال جماهيري، ومن خلال وسائل الإعلام.

مثال:

تنتقل الرسـالة حسـب أهواء ونظرة حارس البوابة. فالمحرر ينقل الحدث حسب رأيه

الشـخصي، ويعطية لرئيس التحرير، وهذا يعرض ويمسح ما يناسـبه، ومالا يناسبه يلغيه أو يغيره. وفي هذه المراحل المختلفة يكون هناك عدة حراس للبوابة. والشـكل المسـموح به ليس فقط في كمية الرسـالة، ولكن أيضا في كيفية الرسـالة، وهذا هو مفهوم التأثير حسـب نظرية حارس البوابة.

أساسيات وقواعد نظرية حارس البوابة

العوامل التي تؤثر على حارس البوابة الإعلامية

-قيم المجتمع وتقاليده:

يؤثر النظـام الاجتماعي بقيمـه ومبادئه علـى القائميـن بالاتصال، فقد يضحـي القائم بالاتصال، او وسائل الإعلام أحياناًبالسبق الصحفي بسبب قيم المجتمع وتقاليده.

- المعايير الذاتية للقائم بالاتصال:

تلعب الخصائص والسمات الشخصية للقائم بالاتصال دوراً هاما مثل: النوع، العمر، والدخل، والطبقة الاجتماعية، والتعليم، والانتماءات الفكريـة أو العقائدية. ويؤثر الانتماء في طريقة التفكير واتخاذ القرارات

- المعايير المهنية للقائم بالاتصال:

يتعرض القائم بالاتصال للعديد مـن الضغوط المهنية التي تؤثر فـي عمله وتؤدي إلى توافقه مع سياسة المؤسسة الإعلامية التي ينتمي إليه،ا وذلك على النحو التالي:

سياسـة المؤسسـة الإعلامية: تتعـدد ضغوط المؤسسـة وتتمثـل في عوامـل خارجية (وجود محطات منافسـة) وداخليـة مثل (نمـط الملكية - والنظـم الإدارية). فلك لوسـيلة إعلامية سياساتها الخاصة، وتظهر هذه السياسة في اهمال او تحريف قصص معينة، ويتعلم العاملون في الوسـيلة الإعلامية السياسـة التحريرية عن طريق الاسـتيعاب التدريجي بدون تعليمات مباشرة.

ويتم ذلـك من خـلال: قـراءة الجريـدة، احاديـث الزملاء،عـن طريـق العاملين القدامى. وهناك العديد من الأسـباب التي تجعل الصحفي يخضع لسياسـة الوسـيلة الإعلاميـة منها توقـع المالك طاعتـه لانه يملـك العقاب، شـعور الصحفـي بان هذه الوسيلة عمله، تطلعات الصحفيين لتحقيق ارباح اكبر عن طريق الوسيلة، عدم وجود تكتل لمعارضة سياسة الوسيلة.

مصادر الأخبار:

أشارت أغلب الدراسات إلى إمكانية اسـتغناء القائم بالاتصال عن جمهوره، وصعوبة استغنائه عن مصادره. ويتمثل تأثير المصادر على القيم الإخبارية والمهنية فيما يلي:

- تقوم وكالات الأنباء بتوجيه الانتباه على أخبار معينة بطرق عديدة.
- تؤثـر وكالات الأنباء علـى طريقة توزيع وسـائل الاتصـال لمراسـليها وتقييمهم- تصدر وكالات الأنباء سجلاً يومياً بالأحداث المتوقع حدوثها.
- تقلد الصحف الصغرى الصحف الكبرى في أسلوب اختيار المضمون.

علاقات العمل وضغوطه:

يرتبط القائم بالاتصال مع زملائه في علاقات تفاعل، تخلق جماعة أولية.

ويتوحـدون فيما بينهـم ويعمـل الصحفـي على هـذه الجماعـة ودعمها، كمـا يتضح التنافس على السبق الصحفي وكسب الثقة.

- معايير الجمهور:

لاحظ الباحثان (شـولمان) و(إثيل) أن الجمهور يؤثر على القائـم بالاتصال والعكس صحيح. حيـث يؤثر الجمهـور بتقبلـه للخبر علـى القائـم بالاتصـال ونوعية الأخبـار التي يقدمها.

حراسة البوابة الإعلامية

وبموجب ما تقدم فان حراسة البوابات الإعلامية هي العملية التي من خلالها يتم تصفية المعلومات لإعلانها، سواء بالنشر أو الإذاعة أو الإنترنت أو من خلال أية وسيلة اتصال أخرى. ويتم استخدام النظرية الأكاديمية لحراسة البوابات الإعلامية في العديد من مجالات الدراسة، ومنها دراسات الاتصالات والصحافة والعلوم السياسية وعلم الاجتماع. وقد ركزت النظرية في الأصل على وسائل الإعلام التي تتسم بديناميكية قليلة إلى كثيرة، ولكنها تركز الآن على معالجة ال اتصال المباشر أيضًا، فضلاً عن العديد من العوامل الديناميكية المتأصلة في شبكة الإنترنت. وقد تم طرح النظرية للمرة الأولى على يد عالم النفس الاجتماعي كورت ليفين في عام ١٩٤٣. وتحدث حراسة البوابات الإعلامية على جميع مستويات هيكل وسائل الإعلام - بدءًا من اتخاذ المراسل القرار فيما يتعلق باختيار المصادر التي سيتم إدراجها في خبر ما، ومرورًا باتخاذ المحررين القرار فيما يتعلق بماهية الأخبار التي سيتم طباعتها أو تغطيتها، وتتضمن مالكي وسائل الإعلام والمعلنين أيضًا. كما قد يقوم الأفراد بدور في حراسة البوابات الإعلامية، عن طريق البت في المعلومات التي سيتم إدراجها في البريد الإلكتروني أو في مدونة، على الانترنيت

التعريف بحراسة البوابات الإعلامية

وفقًا لـ باميلا شوماكر وتيم فوس، فإن حراسة البوابات الإعلامية "هي عملية اختيار عدد لا يحصى من المعلومات وصياغتها في عدد محدود من الرسائل تصل إلى الناس كل يوم، وهذا هو محور دور الإعلام في الحياة العامة الحديثة. لا تحدد هذه العملية المعلومات التي يتم اختيارها فقط، ولكن أيضًا المحتوى وطبيعة الرسائل مثل الأخبار التي ستتم إذاعتها."

١) عند ممارسة وظيفة "المراقبة"، يكون لدى كل وكالة إخبارية عدد كبير جدًا من الأخبار التي يجذب انتباهنا إليها الصحفيون يوميًا، فضلاً عن وكالات الأنباء ومجموعة متنوعة من مصادر أخرى.

٢) نظرًا لعدد مـن الاعتبارات العملية، لا يوجد سـوى مقدار محـدود من الوقت أو المسـاحة المتوفرة في أي وسـيلة إعلام يتم اسـتخدامها في عروضها اليومية من الأخبار التـي تقدمها إلـى جمهورها. وما تبقى من المسـاحة يجـب أن يخصص للإعلان وغيره من المحتوى.

٣) في داخـل أي مؤسسـة إخبارية يوجـد منظـور إخبـاري، وثقافة داخليـة تتضمن مجموعة معقـدة من المعاييـر للحكم علـى قصة إخباريـة معينة – معايير تسـتند إلى الاحتياجات الاقتصادية للوسـيلة الإعلاميـة، فضلاً عن السياسـة التنظيمية، وتعريفات تتعلق بالأهميـة الإخبارية، ومفاهيم خاصة بطبيعـة الجمهور المعني، والمعتقدات حول واجبات السلطة الرابعة للصحفيين.

٤) يسـتخدم هذا المنظور الإخباري ومعاييـره المعقدة كل مـن المحررين ومديري الأخبار وغيرهم مـن الموظفين الذي يحـددون عدد الأخبار المحـدود لعرضها على الجمهور، وترميزها بطرق تلبي متطلبات وسيلة الإعلام وأذواق الجمهور.

٥) لذلـك يصبـح الموظفون فـي المؤسسـات الإخبارية حارسـي بوابـات إعلامية، حيث يسمحون بمرور بعض الأخبار ويمنعون أخرى، وبالتالي يتم تقييد ومراقبة وتشكيل معرفة العامة بحقيقة الحدث الذي يقع بالفعل.

معلومات تاريخية

وقـد تـم تنـاول نظريـة حراسـة البوابـات الإعلاميـة فـي الدراسـات بوصفهـا عملية إخبارية في وقـت مبكر منذ عـام ١٩٢٢، على الرغم مـن أنها لم تكن قد أعطيت بعد اسـم نظرية رسـمية. وفي كتابه "الصحافـة المهاجـرة" (*The Immigrant Press*)، يوضح بارك هـذه العملية قائلاً "مـن بين جميع الأحـداث التي تقع ويسـجلها المراسـلون والصحفيون ووكالات الأنبـاء يوميًا، يختار المحرر بعـض الأخبار التي يعتبرها أكثر أهميـة أو أكثر إثارة للاهتمام من غيرها للنشـر. وما يتبقـى يكون مصيره إلى النسـيان وسـلة المهملات. فهناك كمية هائلة من الأخبار "يتم إهمالها" كل يوم.

ورسميًا، تم تعريف نظرية حراسة البوابات الإعلامية في كتاب لوين (١٩٤٣) القوى وراء العادات الغذائية وطرق التغيير (*Forces Behind Food Habits and Methods of Change*). ومن خلال العمل أثناء الحرب العالمية الثانية، أجرى كورت لوين بحثًا ميدانيًا في البداية بين ربات البيوت في المنطقة الغربية الوسطى لتحديد الكيفية التي تغير بها نمط استهلاك أسرهم للغذاء خلال هذه الفترة من الحرب بفعالية.

وقد اكتشف لوين أنه حتى ينتقل الغذاءمن متجر أو حديقة إلى مائدة الطعام، فإنه قد مر بالعديد من عمليات صنع القرار المختلفة. ففي الوقت الذي كان يعتقد الرجال أنهم يسيطرون على جميع القرارات المنزلية، وجد لوين أن "الغذاء لا يتحرك بواسطة قوة دفع خاصة به. فدخول قناة أو عدم دخولها والانتقال من قسم لآخر يتأثر بنظرية 'حراسة البوابات الإعلامية'". وعادة يكون حارس البوابة الإعلامي في هذه الحالة ربة منزل، أو في بعض الأحيان الخادمة في المنازل الأكثر ثراءً.

وأظهرت أبحاث لوين أنه لا يتساوى جميع أفراد العائلة عند اتخاذ القرارات الخاصة بالطعام، وأن الزوجة التي عادة ما تشتري وتعد الطعام تتحكم في هذه البوابات وفقًا لاعتبارات متنوعة. وأصبحت دراسة لوين التي نشرت عام ١٩٤٣ دافعًا لكتابة مقالة أخرى عام ١٩٤٧ قدم خلالها فكرة التغذية الراجعة في عملية صنع القرار داخل المجموعة، والتي تُعقد دور حارس البوابة الإعلامي.

وتشير النتائج إلى أن مجموعة الاعتبارات التي يستخدمها حارس البوابة الإعلامي في صنع القرارات قد تتنوع اعتمادًا على اعتبارات المجموعة.

وفي عام ١٩٥٠، تم تطبيق نظرية حراسة البوابات الإعلامية رسميًا على الأخبار. وقد درس وايت العوامل التي يأخذها المحرر في اعتباره عند البت في أي الأخبار سوف تنشر وأيها لا ينشر. وقد اتصل وايت بمحرر، وهو رجل في منتصف الأربعينيات ويتمتع بخبرة ٢٥ عامًا كمحرر لصحيفة صباحية توزع ٣٠٠٠٠ عدد في مدينة تقع في الغرب الأوسط عدد سكانها ١٠٠٠٠٠ نسمة، ويُدعى السيد جيتس.

وقد احتفظ المحرر بجميع النسخ التي رفضها من الصحيفة. وبعد مناوبته، كتب ملاحظات حول سبب رفض هذه الأخبار، على افتراض أنه لا يزال يتذكر السبب.

وأراد وايت معرفة ما إذا كانت هذه القرارات شخصية تعتمد على مجموعة خبرات المحرر نفسه واتجاهاته وتوقعاته من عدمه. وجد وايت أن الرفض يمكن تصنيفه بطريقتين:

١) الرفض على أساس أنها غير جديرة بالنشر

٢) الرفض على أساس تكرار تقارير لنفس الشيء. وهذه الاعتبارات تتوافق مع ما نسميه قواعد الأخبار اليوم.

ومع ذلك، اعترف السيد جيتس بتفضيله الأخبار السياسية على غيرها من الأنواع، حيث يسعى إلى تجنب الإثارة، ولا يفضل نشر أخبار الانتحار، ويفضل بدلاً منها الأخبار التي تعتمد على السرد ولا تتضمن حقائق أو أرقامًا، كما أنه لم يكن يحب إعطاء مساحات لأخبار الفضائح التي كانت تتسبب في حدوثها الكنيسة الرومانية الكاثوليكية في ذلك الوقت.

نموذج حراسة البوابات الإعلامية

حدد لوين العديد من أجزاء عملية حراسة البوابات الإعلامية في مقالته عام ١٩٤٣.

١) تتحرك المعلومات خطوة بخطوة عبر القنوات. ويتباين عدد القنوات ومقدار الوقت في كل قناة.

٢) يجب أن تمر المعلومات من "بوابة" لتنتقل من قناة للتالية، وهكذا

٣) تتحكم القوى في القنوات. فقد تكون هناك قوات نفسية معارضة تسبب الصراع الذي يخلق مقاومة للحركة عبر القناة. وإضافة إلى ذلك

٤) قد يكون هناك العديد من القنوات التي تؤدي إلى نفس النتيجة النهائية.

٥) قد تتحكم عوامل مختلفة في القنوات وتكون بمثابة حراس في أوقات مختلفة.

حراسة البوابات الإعلامية في القرن الحادي والعشرين

بعد خمسين عامًا من دراسة وايت لحالة السيد جيتس في عام ٢٠٠١، قام شوميكر وإيكولز وكيم وورجلي بدراسة القوى في حراسة بوابات الأخبار فيما يتعلق بتغطية قوانين الكونجرس. وبشكل أكثر تحديدًا، كانوا مهتمين بفرضيتين:

١) ارتباط قوة حراسة البوابات الإعلامية المعتادة لتقييم استحقاق أخبار القوانين للنشر بالكيفية التي يتم تغطية القوانين بها.

٢) ارتباط قوات الصحفي الفردية (التعليم والأيديولوجية السياسية والخبرة في العمل والعرق والجنس والسلوك الانتخابي) بكيفية تناول مشروع قانون. كما أنهم تنبأوا بأن أحقية مشروع قانون بنشر أخباره سوف تكون أكثر أهمية من خصائص الصحفيين الشخصية. فالبحث حول الصحفيين (فيما يتعلق بخصائصهم الشخصية) والمحررين (لتقييم الأخبار التي تستحق النشر)، وجد شوميكر وزملاؤه أن أحقية الأخبار في النشر وحدها لها تأثير بارز على مقدار التغطية التي تعطى للقانون، وهكذا تم دعم أولى فرضياتهم وكذلك فكرة أن أحقية الأخبار للنشر تكون أكثر أهمية من الصفات الشخصية.

وفي الوقت الذي ركزت فيه دراسة شوميكر وآخرين على غرف الأخبار التقليدية، اهتمت سينجر بالكيفية التي من خلالها تتم ترجمة حراسة البوابات الإعلامية لاستخدام الصحف التقليدية لأدوات الإنترنت. في كل من الانتخابات الرئاسية لعامي ٢٠٠٠ و٢٠٠٤، درست كيف يمكن للإنترنت تغيير عملية معالجة الصحف، معتبرة أن "قوة حراس البوابات الإعلامية تبدو وكأنها تقل في مجتمع المعلومات الحديث. ويتحدى الإنترنت فكرة 'البوابة' بأكملها ويتحدى فكرة أن يتمكن الصحفيون (أو أي شخص آخر) أو ينبغي عليهم أن يحددوا ما يمر خلالها. وفي دراسة لتغطية عام ٢٠٠٤، طرحت سينجر الأسئلة البحثية التالية:

١) ما الأهداف التي وضعها محررو المواقع الإلكترونية الكبرى المرتبطة بالصحف الكبرى وما أكثر إنجازاتهم بروزًا في تغطية الحملة السياسية والانتخابات التي أجريت في عام ٢٠٠٤؟

٢) إلى أي مدى تخلى هؤلاء المحررون عن دور حراسة البوابة الإعلامية من خلال توفير فرص للمستخدمين لتقديم أو تخصيص المحتوى؟ وعلى نطاق أوسع،

٣) بأي طريقة تم من خلالها تغيير آراء محرري المواقع الإلكترونية التابعة لكبريات الصحف منذ عام ٢٠٠٠؟

وجدت سينجر أن المحتوى الذي يبدو على إصدارات الإنترنت الخاصة بالصحف يأتي في أغلبه من المحتوى الذي يظهر في الإصدار المطبوع.

ومع ذلك، كان المحررون أيضًا فخورين جدًا بالأدوات التفاعلية على مواقعهم على شبكة الإنترنت التي لا يمكن أن تكون في الصحيفة. وهدف المحررين في النهاية هو إعلام الجمهور.

وعلاوة على ذلك، بدأ الصحفيون في العودة خطوة إلى الوراء والتخلي عن دورهم التقليدي في حراسة البوابة الإعلامية، حيث إن العديد من المواقع الإلكترونية بها أقسام يقدم فيها الصحفيون معلومات أساسية، ويستطيع المستخدمون التحكم فيها وفقًا لاحتياجاتهم واهتماماتهم، مثل الخرائط التفاعلية وسيناريوهات الهيئة الانتخابية وأدوات بناء الاقتراع الانتخابي الذي يعتمد على الرموز البريدية.

وفي عام ٢٠٠٠، كان المحررون يتفاخرون بمدى السرعة التي يمكنهم بها نشر النتائج ليلة الانتخابات. وبحلول عام ٢٠٠٤، لم تعد هذه هي القضية، فقد أصبحت ممارسة عادية في ذلك الوقت. بل كان هدفهم المعلن لدورة انتخابات عام ٢٠٠٨ السماح للجمهور بتوجيه التغطية.

حراسة البوابة الإعلامية للجمهور

مع بيئة شبكة ٢,٠، أصبح للمستخدمين دور أكبر في إنتاج وإعادة توزيع القصص الإخبارية على شبكة الإنترنت من خلال شبكات التواصل الاجتماعي مثل تويتر وفيسبوك. وأطلق شوميكر وفوس (٢٠١١) على مثل هذه التصرفات "حراسة البوابات الإعلامية للجمهور". ووفقًا لما ذكروه (٢٠١١)، فإن حراسة الجمهور للبوابات الإعلامية هي عملية يقوم من خلالها المستخدمون "بنشر الأخبار الموجودة بالفعل والتعليق عليها" وفقًا لمعايير المستخدم الخاصة حول أهمية الخبر وأحقيته في النشر". وقد هيأ نون وآخرون (٢٠١٣) نظرية حراسة الجمهور للبوابات الإعلامية لاستكشاف القنوات التي يستخدمها جمهور تويتر بشكل رئيسي لتصفية محتوى الأخبار ومشاركته. وينسجم مفهوم حراسة الجمهور للبوابات الإعلامية مع مناقشة جود (٢٠٠٩) حول الصحافة البعدية، والتي يكون دور المستخدمين بمقتضاها في إعادة معالجة ونشر المحتوى الموجود على الإنترنت قد تم التأكيد عليه بوصفه العمل الأصلي للمستخدم في إطار تغذية صحافة المواطن، بحيث تعيد تشكيل نظام الصحافة الهرمي القائم. كما وجد نون وآخرون (٢٠١٣) أن الأخبار المعاد معالجتها بالمواقع ذات المحتوى الذي يصنعه المستخدم، أو وسائل التواصل الاجتماعية، من أكثر الأدوات التي يعتمدها مستخدمو تويتر مقارنة بالأخبار المباشرة التي يتم الحصول عليها من المؤسسات الإعلامية التقليدية، مؤكدًا على الدور القوي لمستخدمي الإنترنت العاديين في إعادة نشر وتوزيع الأخبار للعامة على شبكات التواصل الإلكترونية.

نحو نظرية حراسة بوابات الشبكات

كتبت بارزيلاي-ناهون عددًا من المقالات المعاصرة حول نظريات حراسة البوابات الإعلامية بين التخصصات العلمية. وفي عام ٢٠٠٨، اقترحت طريقة جديدة للنظر إلى حراسة البوابات الإعلامية، ودمج تخصصات الاتصالات وعلم المعلومات ووجهات نظر الإدارة في النظرية المنقحة لحراسة البوابات الإعلامية. وركزت نظرية حراسة البوابات الإعلامية في وسائل الاتصال التقليدية على الكيفية التي نحصل بها على الأخبار، على

الرغم من أن منهج بارزيلاي-ناهون ينطبق على جميع المعلومات.

كما أضافت بارزيلاي-ناهون مصطلحات جديدة وأعادت تعريف المصطلحات القديمة في إطار العمل:

البوابة - "الدخول إلى أو الخروج من الشبكة أو أقسامها."

حراسة البوابات الإعلامية - "عملية السيطرة على المعلومات وهي تتحرك عبر البوابة. وتشمل أنشطة مثل الاختيار والإضافة والحجب والعرض والتوجيه والتشكيل والتداول والتكرار والتوقيت والتعريب والتكامل والتجاهل واختيار المعلومات.

المرور من البوابة - "العنصر الذي تعرض لعملية حراسة البوابات الإعلامية"

آلية حراسة البوابات الإعلامية - "الأداة أو التقنية أو المنهجية المستخدمة لتنفيذ عملية حراسة البوابات الإعلامية"

حارس بوابة الشبكة - "الكيان (شخص، أو منظمة، أو حكومة) الذي لديه سلطة تقديرية لممارسة حراسة البوابة الإعلامية من خلال آلية حراسة البوابات في الشبكات، ويمكنه اختيار مدى ممارسته لهذا الحق وفقًا لموقف المرور من البوابات."

كما تطرح هذه النظرة المحدثة إلى حراسة البوابات الإعلامية عددًا من التصنيفات من بينها أسس حراسة البوابات الإعلامية، والآليات المستخدمة في حراسة بوابات الشبكة، وأنواع سلطة حراس بوابات الشبكات.

بالإضافة إلى ذلك، تقدم بارزيلاي-ناهون تصنيفًا لما مر من البوابات. ووفقًا لنهجها، فيمكن لما مر من البوابات أن يتميز بأربع سمات رئيسية على مختلف المستويات التي تحدد الكيفية التي يمكن أن تتفاعل بها مع البوابة. وهي:

- السلطة السياسية وعلاقتها بحارس البوابة الإعلامية،
- قدرة الإنتاج الإعلامي،

- العلاقة بحارس البوابة الإعلامية،
- البدائل في سياق حراسة البوابات الإعلامية.

بعد ذلك، يسمح تصنيف مجموعات هذه الخصائص بتقييم التفاعلات المحتملة بين حارس البوابة الإعلامية وما مر خلالها استنادًا إلى عدد ونوع السمات التي يتميز بها الفرد. وقد كان لمناقشتها حول "ما مر من البوابة" صدى مع الجمهور الذي يمارس حراسة البوابات الإعلامية، بحيث يمكّن كل منهما مستلمي الرسالة في عملية حراسة البوابات الإعلامية.

دراسات القائم بالاتصال (المرسل):

أصبحت المؤسسات الإعلامية في القرن الحادي والعشرين شبكات اتصال ضخمة تتصارع داخلها المصالح، كما أن كل مؤسسة هي في حد ذاتها نظام معقد للسلطة والنفوذ والمراكز. وحينما ندرس ما يحدث داخل الجريدة أو محطة الإذاعة أو محطة التليفزيون، نشعر بالدهشة من مدى تعقد وتشابك أعمالها. ففي داخل تلك المؤسسات الإعلامية تتُخذ يومياً، بل وفي كل دقيقة، قرارات مهمة وخطيرة. ونظراً لأهمية تلك القرارات بالنسبة للجماهير، يجب أن نعرف الأسلوب الذي يتم بمقتضاه اتخاذ القرارات، والمراكز أو المناصب التي تنفذ فعلاً تلك القرارات، وطبيعة القائم بالاتصال، والأمور التي تؤثر على اختيار المواد الإعلامية، والقيم والمستويات التي يعتنقها القائمون بالاتصال.

والواقع أنه من الصعب علينا أن نفسر السبب في إهمال الباحثين حتى وقت قريب لدراسة ما يحدث داخل المؤسسات الإعلامية، ودراسة القائمين بالاتصال. وعلينا أن نعترف عند تحديد تأثير الرسالة الإعلامية، بأن القائم بالاتصال لا يقل أهمية من مضمون الرسالة. ليس معنى هذا أن الباحثين لم يكتبوا عن رجال الأعلام القدامى، فالواقع أن تاريخ الصحافة حافل بتاريخ حياة أعلام الصحافة. كذلك تقوم الجامعات بتدريس ما يحدث داخل الجريدة أو أسلوب عملها لطلبة الصحافة. ولكن الذي نقصده هو القيام بتحليل وسائل الأعلام كمؤسسات لها وظيفة اجتماعية، ودراسة دور ومركز العامل بالجريدة،

أي الصحفي، والظروف أو العوامل التي تؤثـر على اختيار مضمون الصحف. فالأخبار هي ما يصنعه الصحفيـون، ولكن كيف يصنع أولئـك الصحفيون الأخبار؟ ومـا هي الالتزامات المهنية أو الأخلاقية التي يفرضها الصحفي على نفسه، وما هي طبيعة السيطرة البيروقراطية التي تفرض نفسها عليه من قبل المؤسسة التي يعمل في إطارها؟

وقد أُجريت في الخمسـينيات، مـن القرن العشـرين، سلسـلة من الدراسـات المهمة ركـزت على الجوانب الأساسـية لعمليـة حراسـة البوابة، دون أن تسـتخدم بالضـرورة هذا الاصطلاح. وقدمت تلك الدراسـات تحليلاً وظيفياً لأساليب السيطرة أو التحكم التنظيمي والاجتماعـي فـي حجـرة الأخبـار، والإدراك المتناقـض لـدور ومركـز أو وضـع العاملين بالجريدة ومصادر أخبارهم، والعوامل التي تؤثر على اختيار المحررين وعرضهم للأخبار. قام بهذه الدراسـات مجموعة من الباحثين الأمريكيين أمثال وارن بريـد جاد *Breed*، روي كارتر *Carter*، وسـتارك *Stark*، وجيبر *Gieber* وروبرت جـاد *Judd* ووايت *White*، وكن مكروري *Macrorie* وغيرهم.

ونشـر الباحث الأمريكي شـارنلي ميتشل في سـنة ١٩٥١ دراسـة عن حجرات الأخبار الإذاعية والأفراد الذين يعملون بها. كما نشـر الباحث سـابين دراسـة عن كتّاب الافتتاحيات في ولاية أوريجون. وقدم لورنس دراسة عن محرري كنساس. وقد لخص الباحث الأمريكي ولتر جيبر في مقالتـه (الأخبار هي مـا يجعلها الصحفيون أخبـاراً) نتائج الأبحاث الأساسـية التـي أُجريت علـى حـراس البوابة. كمـا قام سـنة ١٩٥٦ بعمل دراسـة عـن محـرري الأنباء الخارجية في ١٦ جريدة يومية بولاية وسكونسن، تستقبل أنباء وكالة أسوشيتدبرس فقط.

وقد أظهرت دراسـات جيبر أنه إذا كان المحرر يختـار عينة ممثلة ممـا يصله من أنباء، يمكن أن نقول أنه قد وُفِق في أداء عمله. وقال أنه يمكن، عن طريق ملاحظة الأسلوب الذي يختار بمقتضاه المحرر أنباءً لفترة لا تزيد عن أيام قليلة، أن نتنبأ بما قد يختاره في يوم آخر.

وكان الأمر المشترك بين جميع محرري الأنباءالذين لاحظهم جيبر، هو أن الضغوط التي يفرضها الواقع البيروقراطي، والعمل في حجرة الأخبـار يعتبر من أقوى العوامل تأثيرا. فمحرر

الأنباء الخارجيـة يعمل دائماً حسـاباً للضغوط الميكانيكيـة في عمله، أكثر مما تشـغله المعاني الاجتماعية ووقـع الأخبار. باختصار،كانت ظـروف إخراج الصحيفة، والروتيـن البيروقراطي، والعلاقات الشخصية داخل حجرة الأخبار، تؤثر أساساً على عمل ذلك المحرر.

وقد أظهرت دراسات جيبر حقيقتين تبعثان على القلق:

أولاً: أن محرر الأنباء الخارجية كأن في سلوكه الاتصالي سلبيا، ولا يلعب دورا فعالا كقائم بالاتصال. فهو لا يدرس بشكل انتقادي الأنباء التي تصله برقيا. وهناك بعض الدلائل التي تشـير إلـى أن محرر الأنبـاء الخارجيـة كصحفي يعمـل ملازمـا لمكتبه. وقـد تختلف دوافعه عـن المخبر الذي ينتقل مـن مكان إلى آخر لكـي يجمع الأخبار، ويؤثـر هذا بالتالي على ما يختاره ذلك المحرر من أنباء. وربما كان محرر الأنباء الخارجية كسـولاً، أو أصبح كسولاً لأن رؤساءه لا يشـجعونه على أن يصبح أكثر نشـاطاً. وبشـكل عام فهذا المحرر لا يختار برقياته بشكل يَظهر معه أنه يُقيّم ما يقدمه بشكلٍ نقدي.

ثانيـاً: أن محرر الأنبـاء الخارجية، كقائـم بالاتصال، ليـس لديـه إدراك حقيقي لطبيعة جمهوره، ولهذا فهو لا يتصل بذلك الجمهور في واقع الأمر. وإذا كانت المهمة الأساسـية للصحيفة هي تقديم تقرير هادف عن الظروف المحيطة من أجـل خدمة القارئ، فيمكن أن نقول أن هذه المهمة كانت تؤدى فقط بالصدفة.

فالصحيفة لـم تعد تـدرك أن هدفهـا الحقيقي هـو خدمة جمهـور معيـن أو الجمهور بشـكل عام، وذلك لأن المجموعة التي تقوم بجمـع الأخبار والنظـام البيروقراطي كثيراً ما تحدد الأهداف، أو تحدد ما يظهر في تلك الجريدة، لهذا يرى جيبر أنه بدون دراسـة القوى الاجتماعية التي تؤثرعلى عملية جمع الأخبار، لا نستطيع أن نفهم حقيقة تلك الأخبار.

ومن أعمق الدراسـات التي أجريت علـى القائمين بالاتصال والقـوى الاجتماعية التي تؤثر على العامليـن في الصحف، الدراسـة التـي قدمها واريـن بريد سـنة ١٩٥٥، فقد وجد بريد أن هناك أدلة تشير إلى وجود عملية تأثير يسـيطر أو يهيمن بمقتضاها مضمون الصحف الكبيرة- أو المحطات الإذاعية والتلفزيونية حالياً- ذات المركز المرموق (صحف الصفوة)

تؤثر على الطريقة التي تعالج بها الصحف الصغيرة، الأخبار والموضوعات المهمة،(أي أن الكبير يبتلع الصغير كما يقال في عالم البحار)، ولا شك أن هذا يحرم وسائل الإعلام الجماهيرية من التغيير والتنويع وتعدد الآراء الذي يساعد على تكوين رأي عام واع.

وقد استخدم بريد في دراسة أخرى التحليل الوظيفي ليظهر كيف تدفن أو تحذف الصحف الأخبار التي تهدد النظام الاجتماعي والثقافي أو تهاجمه،أو تهدد إيمان القائم بالاتصال بذلك النظام الاجتماعي والثقافي، ويقول بريد أن سياسة الناشر هي التي تطبق في العادة في أي جريدة، بالرغم من مظاهر الموضوعية في اختيار الأخبار. بالإضافة إلى ذلك فالجزاء الذي يناله الإعلامي في الجريدة مصدره ليس القراء الذين يُعتبرون عملاءه، ولكن مصدره زملاؤه من العاملين معه ورؤساؤه، لذلك يعيد المحرر في الجريدة تحديد وتشكيل قيمه بحيث تحقق له أكبر منفعة، ومن هذه الدراسة استنتج بريد أن الظروف الثقافية التي تحيط بالصحفي في حجرة الأخبار، لا تؤدي إلى نتائج تفي بالاحتياجات الأوسع للديمقراطية. وقد استخدم الباحث الأمريكي المشهور سوانسون أساليب الملاحظة المباشرة والاستفسار ليحصل على معلومات عن معتقدات العاملين في جريدة يومية صغيرة وخصائصهم الشخصية. كذلك درس بروس وستلي أيضاً محرري الأخبار الخارجية في صحف ولاية وسكونسن باستخدام سلّم (قياس القيم) الذي قارن به القيم التي يعتنقها أولئك المحررون، والتي تؤثر على اختيارهم للأخبار. وتعتبر دراسة بروس وستلي ومالكلوم ماكلين عن القائمين بالاتصال، والتفرقة بين أدوار الاتصال المختلفة، من الدراسات المهمة في هذا المجال.

والملاحظ أنه يوجد في كل هذه الدراسات عنصر واحد مشترك، وهو أنها تركز الاهتمام على التفاعل بين الأنماط والأخلاقيات الصحفية المثالية، والأساليب الاجتماعية والتنظيمية المقررة في المجتمع الأكبر، في ظروف متنوعة، وأوضاع مختلفة،،ولهذه الدراسات فوائد كثيرة لوسائل الأعلام والمهنيين لأنها تساعد على الوصول إلى أحكام أكثر ذكاء عن العاملين بالوسيلة الإعلامية، في الإطار الاجتماعي المباشر، كما تبرز كثيراً من الأسئلة المهمة التي يجب أن نتوصل إلى إجابات عليها.

نظرية الغرس الثقافي

مقدمة:

شكل إدراك الواقع التليفزيوني من قبل المشاهدين موضوعاً هاماً لباحثي الاتصال الجماهيري في العقود الثلاث الماضية. وتشير نظرية الغرس أو تحليل الغرس *Cultivation Analysis* إلى تضارب إدراك جمهور التليفزيون للواقع الاجتماعي، وصور الواقع الاجتماعي التي يقدمها التليفزيون. ويعد جورج جربنر الأب المؤسس لهذه النظرية، وقد كان مستشاراً لعديد من الأبحاث والدراسات الخاصة بحكومة الولايات المتحدة عن العنف التليفزيوني.

ونظرية الغرس من أهم النظريات التي يمكن أن تفسر التأثير الإعلامي لمشاهدة التليفزيون، وذلك انطلاقاً من الغرض الرئيسي للنظرية القائل بأن الأشخاص الذين يشاهدون برامج التليفزيون (كثيفي المشاهدة) يدركون الواقع بشكل مختلف عن أولئك الذين يقضون وقتاً أقل في المشاهدة.

وظهرت نظرية الغرس في الولايات المتحدة الأمريكية خلال السبعينات من القرن الماضي كمنظور جديد لدراسة أثر وسائل الإعلام ويمكن وصف عملية الغرس بأنها نوع من التعليم العرضي الناتج عن تراكم التعرض لوسائل الإعلام المختلفة بخاصة التليفزيون حيث يعرف المتلقي حقائق الواقع الاجتماعي من هذا التعرض المكثف لوسائل الإعلام.

هذا ويعد تأثير التليفزيون -بشكل خاص- في هذه النظرية تراكمي وفي المدى البعيد، ويتوافق هذا مع رفض نظريات الإبرة تحت الجلد، والأخذ في الاعتبارات الاجتماعية، ومع محاولات العلماء الاجتماعيين للبحث عن نظريات مختلفة تشرح تأثيرات وسائل الاتصال، فعملية الغرس تحدث بطريقة تراكمية على مدى فترات طويلة وقطرة بقطرة ويناصر جريند ولاري جروس ومرجان وسينوريلي ومنظرو الغرس ثلاث مقدمات أساسية:

- أصبح التليفزيون المسيطر على حكاية القصص في الولايات المتحدة ومعظم أنحاء العالم.
- مضمون التليفزيون متشابه نسبياً فيما يختص بالقيم والصور الذهنية التي يقدمها التليفزيون.
- مضمون برامج التليفزيون وخاصة الدراما يمثل وجهة نظر عن الواقع تختلف عن خبرة الناس في حياتهم اليومية.

تعريف الغرس الثقافي:

يعرف الغرس بأنه "ما تفعله الثقافة، وهو لا يعني السببية بالرغم من أن الثقافة هي الوسيلة الدراسية التي يعيش فيها الناس وفيها يتعلمون فالغرس نادراً ما يحدث تغيراً إلا بين الأجيال وأنماط الحياة فالغرس يعني المساهمة بالرغم من أنها عين معزولة، والمساهمة التي تنفذ وتنسق مع السيل الرمزي من الصور والأشكال التي ينقلها التليفزيون، ثم تحدث عمليات معقدة من التنشئة أو امتصاص ثقافة المجتمع.

تتناول نظرية الغرس الثقافي *Cultivation Theory* التأثير طويل المدى لوسائل الإعلام – خاصة التليفزيون – وتقوم فروض الغرس *Cultivation Hypothesis* لجيربنر *Gerbner*على أساس إن التليفزيون كوسيلة إعلامية اكتسب مكانة بارزة في حياتنا اليومية مما جعله يسيطر على ما يسمى بالبيئة الرمزية للمشاهدين *Symbolic Environment* ويجعلها تحل محل صورة الواقع من خلال خبراتنا الخاصة المكتسبة على العالم الذي نحيا به. حيث أصبح التليفزيون مصدرا رئيسيا لبناء تصورات الكثير منا عن الواقع الاجتماعي *social reality* والذي يعرف بأنه صورة لما هو موجود بالفعل ولما نعتبره صحيحا، ويرى جيربنر*Gerbner* إن الرسائل التليفزيونية تختلف عن الواقع من عدة جوانب والتعرض المستمر لهذة الرسائل تؤدى الى تبنى هذة الرؤية عن الواقع.

كما يرى جيربنر*Gerbner* إن المعلومات المكتسبة من وسائل الإعلام تدمج في تصورات الفرض للواقع الاجتماعي المعاش، وبالتالي تقود لتعلم الطفل ثم الراشد

الأفكار المكتسبة، ويكشف عن مدى إسهام التليفزيون في القيم والتصورات الجماعية المشتركة وأصبحت الواقعية الإعلامية المدركة *Percieved Mediated Reality* هي ما يعتمد الفرد عليه في تعامله مع الآخرين.

وترى نظرية الغرس الثقافي إن العالم الرمزي لوسائل الإعلام يشكل مفاهيم الجماهير عن العالم الواقعي ويؤكد مدركاتهم عن الواقع ويشكل التليفزيون بيئة رمزية مشتركة يولد فيها الأطفال وبذلك تتشابة مصادر التعرض اليومي للنماذج الثقافية لدى الأطفال عن طريق وجود التليفزيون المستمر في أغلب المنازل ومن ثم يصبح العالم الرمزي عالماً رئيسياً يقدم فيه العنف كشئ مألوف وأعتيادى حيث تستخدم معظم الشخصيات التليفزيونية العنف للفوز في صراع القوة ويتسرب العالم التليفزيوني الى وعى المشاهدين عن طريق هذة الشخصيات فيرون العالم الواقعي مشابهاً للعالم التليفزيوني.

حيث إن الافتراض بأن المضمون التليفزيوني يشكل أساساً لبناء الواقع الاجتماعي عند كثيفي المشاهدة قائم على فرضية الواقع المشوه الذي ينقله التليفزيون على إن الأفراد تشاهد بطريقة طقوسية أو تعودية.

كما ترى نظرية الغرس الثقافي أيضاًإن التليفزيون ينفرد دون وسائل الإعلام الأخرى باستخدام غير انتقائي للفرد حيث يمتص الأفراد – خاصة الأطفال – المعاني المتضمنة في عالم التليفزيون السحري بشكل غير واع تماما، كما أن التعرض التراكمي للمضامين التليفزيونية يعمل على غرس وجهات نظر معينه ليست حقيقة بل هي واقع تليفزيوني مصطنع ولا تهتم نظرية الغرس الثقافي كثيرا بالسلوك العدواني لدى الطفل قدر اهتماما الكبير بالمشاعر المصاحبة لمشاهدة ذلك السلوك العدواني عبر التليفزيون، مثل الخوف والاستثارة والقلق والانسحاب والاغتراب والعزلة التي يمكن أن يمارسها الأطفال المشاهدون لعالم غير واقعي يعتقدون من طول فترة تعرضهم بأنه واقعي "*real*

وبعبارة أخرى فالغرس: "يصف إسهامات التليفزيون المستقلة التي تقدم بها مشاهدة التليفزيون في مفاهيم وإدراك المشاهد للواقع الاجتماعي".

ويمكن تعريف الغرس الثقافي بأنه العملية التي تهتم باكتساب المعرفة والسلوك من خلال الوسيط الثقافي الذي يعيش فيه الإنسان ف البيئة الثقافية بأدواتها هي التي تقوم بعملية الإكساب والتشكيل والبناء للمفاهيم أو الرموز الثقافية في المجتمع ومن هذه الأدوات وسائل الإعلام التي احتلت مكاناً بارزاً في عالمنا الثقافي المعاصر بأدوارها وتأثيراتها.

وقد قام جربنر بتقسيم مشاهدي التليفزيون الى كثيفي المشاهدة *Heavy Viewers* هم الذين يشاهدون أربع ساعات يومياً فأكثر وإلى قليلي المشاهدة *Light Viewers* وهم الذين يشاهدون التليفزيون ساعتين يومياً على الأكثر، ويرى إن قليلي المشاهدة أكثر اختيارا للمواد الدرامية التي يشاهدونها حيث يفتحون جهاز التليفزيون لمشاهدة برنامج معين يفضلونه.

وتوصف عملية الغرس بأنها نوع من أنواع التعلم غير الحضاري الذي يتم نتاجاً لتراكم التعرض لوسائل التليفزيون حيث يتعرف المشاهد بدون وعي أو قصد على الحقائق الاجتماعية والدروس والبيئة التي يقدمها التليفزيون وتشكل هذه الحقائق الصور الذهنية والقيم التي يكتسبها المشاهد عن العالم الواقعي، وتأتي بعد ذلك مرحلة التعبير عن هذه القيم في صورة مستندات وتصورات وأحكام ونتائج نهائية تم استخلاصها من عالم التليفزيون.

ويؤكد منظور نظرية الغرس أنه على مدى الفترات الطويلة التي يقضيها الأفراد أمام التليفزيون، وخاصة الأفراد كثيفي المشاهدة للعنف التليفزيوني يصبح لديهم خوف من الجريمة، وتكون لديهم وجهات نظر مشوهة جداً عن الواقع أكثر من الأفراد قليلي المشاهدة واستنتجوا هذا بعد مسوح اجتماعية على الجمهور ومحتوى التليفزيون في وقت الذروة *Prime-time* وكان احد افتراضاتهم إن التليفزيون يقدم وجهة نظر مشوهة للواقع الاجتماعي.

كذلك أكد جربنر وجروس على إن عملية الغرس الثقافي عبارة عن تعلم عرضي وغير معتمد، حيث يكتسب مشاهدو التليفزيون وبدون وعي الحقائق التي تقدمها الدراما التليفزيونية وهذة الحقائق كما أكدها جربنر وزملاؤة تصبح أساسا للقيم والصور الذهنية عن العالم الواقعي.

وحاول جربنر اختبار فروض نظرية الغرس الثقافي التي تري إن كثيفي المشاهدة وهم المشـاهدون لكميات ضخمة من البرامج والمواد التليفزيونية يختلفون في إدراكهم للواقع الاجتماعي عن أولئك قليلي المشـاهدة وهم المشـاهدون لكميات قليلة مـن مواد وبرامج التليفزيون أو لا يشهدون، وان كثيفي المشـاهدة سيكون لديهم قدرة اكبر على إدراك الواقع المعاش بطريقة تتسـق مـع الصور الذهنيـة التي ينقلهـا عالـم التليفزيون حيـث تنمو لديهم اعتقادات عن العالم من حولهم انه هو عالم مروع ومخيف.

تعريف عملية الغرس:

إذا كانـت الثقافـة كمـا يحددها المنظـور المعرفي هـي الأفـكار والمعتقـدات وأنواع المعرفة بصفة عامة عند شعب من الشعوب، وان الثقافة ليست ظاهرة مادية، كما أنها ليست مجرد سـلوكيات وأشـياء وانفعالات، وإنما هي تنظيم لـكل هذة المكونـات بالإضافة الى ما يوجد في العقل من صور وأشـكال لهذة الأشـياء فان عملية التثقيـف تعنى بث المعارف والأفكار والقيـم والمعتقدات والمثل والاتجاهات المرتبطة بأنماط سـلوكية معينه تشـكل طريقة ما للحياة وذلك في ظل فلسفة محددة تميز مجتمعنا عن غيرة من المجتمعات.

ويفترض مؤيدو نظريـة الغـرس أن المعلومات المكتسـبة عن طريق وسـائل الإعلام خاصة التليفزيون تفيد في تشـكيل تصورات الفرد عن الواقع الاجتماعي وتقود بالتالي الى التعلم والسلوك وان تحليل العلاقة بين المشاهدة التليفزيونية وبين هذة التصورات يكشف عن إسهام التليفزيون في تكوين الصور الذهنية والاتجاهات لدى المشاهدين.

جذور وبدايات نظرية الغرس:

يرجع ملفيـن دي فلير بدايات وجـذور نظرية الغـرس الثقافي إلى مفهـوم والترليبمان للصورة الذهنيـة وحيث يري ليبمـان أن تصرفـات الناس تكـون حقيقية مبنيـة على الصور الذهنية التـي كونها عـن أنفسـهم وعن الآخريـن من خـلال وسـائل الاتصـال الجماهيرية ويقول ليبمان أن الصورة الذهنيـة التي تتكون في أذهان الجماهير بعيـدة عن الواقع، وذلك

لعدم وجود رقابة على المـواد الإعلامية من حيث أنها تؤدي إلى غموض الحقائق وتشـويه المعلومات باستخدام الدعاية مما يؤثر في الوضوح فنياً وسوء فهم للواقع.

وعلى هذا فتعتبر نظرية الغرس الثقافي المكون الثالث من مكونات مشروع المؤشرات الثقافية والذي قام به فريق من الباحثين بقيادة جورج جربنر وبهدف المشروع لدراسة:

- العمليات المؤسسية التي تتضمن: إنتاج محتوى وسائل الإعلام.
- الصور الذهنية التي يقدمها محتوى وسائل الإعلام.
- العلاقة بين التعرض لوسائل الإعلام ومعتقدات الجمهور وسلوكياته.

لقد نبعت هـذه النظرية من قلـق الجمهور الأمريكي على المسـتوى القومـي من تأثير العنف الذي تميزت به السـتينات والسـبعينات. وذلك إثـر اغتيال كل من ماركـن لوثركنج وكنيدي، عندما شـكلت اللجنة الوطنية لدراسـة أسباب العنف ووسـائل منع العنف وذلك لدراسـة العنف فـي المجتمع الأمريكـي بما فيهـا العنف فـي التليفزيون، وفي عـام ١٩٦٩ وقبل صدور تقرير اللجنة الوطنية لدراسـة أسباب العنف وأسـاليب المنع، قام الكونجرس بتخصيـص مليـون دولار لعقد لجنـة لدراسـة التليفزيـون والسـلوك الاجتماعـي وقد ركز مشـروع المؤشـرات الثقافية بصورة أساسـية على مضمون البرامج الدرامية التـي تقدم في عطلة نهاية الأسـبوع فـي وقت دورة المشـاهدة، وقد قـام فريق بحـث المؤشـرات الثقافية بدراسة المدى الذي تسهم به مشاهدة التليفزيون في تشكيل مدركات وسلوكيات الجمهور في بعض المجالات مثل الأدوار التي يقوم بها كل من الجنسين، والصور النمطية لدور كل مرحلة عمرية، والصحة والدين.

كيفية حدوث علمية الغرس الثقافي:

يحدث الغرس عندما يقوم الأفراد أولاً بتعليم عناصر من عالـم التليفزيون، ثم ثانياً حينما يسـتخدمون ما تعلموه في بناء صور ذهنية لديهم، وتشـكيل مفاهيمهم من عالم التليفزيون التي تم غرسـها أثناء المشـاهدة عن العالم الحقيقـي والحقائق التـي يتعلمونها من عالـم التليفزيون

تصبح هي الأساس الذي يبنون عليه نظرتهم عن العالم ككل، وبذلك فإن التليفزيون هو المصدر المهم للقيم والأيدلوجيات ووجهات النظر والأحكام والاقتراحات والمعتقدات.

وهناك عدة نقاط يجب مراعاتها خلال البحث في كيفية حدوث عملية الغرس:

- أولاً: أن أفراد المجتمع يختلفون، وذو فروق فردية، ذلك الفروق تجعلهم يتأثرون بما حولهم بطرق مختلفة.
- ثانياً: لا تعمل عملية الغرس في فراغ، ولكن هناك عوامل تؤثر على نوعية ومجال التأثير الذي يحدثه التليفزيون، ومنها العوامل الديموجرافية والاجتماعية والشخصية والإطار الثقافي.

ويذكر هاوكنز وبنجري أنه في مراجعتها للعديد من الدراسات الخاصة ببناء التليفزيون للواقع، وجدا دلائل متفرقة عن العلاقة المتوقعة بين التليفزيون وبناء الواقع الاجتماعي، وعلى الرغم من هذا فإنهم لم يجدا دليلاً حاسماً لاتجاه هذه العلاقة بين مشاهدة التليفزيون وبعض الأفكار عن الواقع الاجتماعي، ويذكران أن التليفزيون يمكن أن يعلم عن الواقع الاجتماعي، وأن العلاقة بين المشاهدة والواقع الاجتماعي المدرك يمكن أن تكون تبادلية بمعنى أن مشاهدة التليفزيون تتسبب في أن تبنى الواقع الاجتماعي بشكل معين، ولكن هذا البناء للواقع الاجتماعي ربما يتسبب أيضاً في أن يوجه سلوك المشاهدة.

عملية التعلم والبناء التي قدمها هاوكنز وبنجري

وطور بوتر نموذج كلاً من هاوكنز وبنجري وقدم في عام ١٩٩١م نموذجاً مقترحاً لعملية الغرس والعمليات الفرعية المقترحة التي تتداخل في النظرية وهي كالتالي:

التعلم:

يشير التعلم إلى العلاقة بين مشاهدة التليفزيون ومدركات العالم التليفزيوني، وقد حاولت دراسات عديدة تحديد هل توجد عملية فرعية داخل عملية الغرس؟ وخرجت هذه الدراسات بنتائج مختلفة، فبالنسبة للشباب الجامعي وجد بوتر أن هناك علاقة إيجابية بين

التعرض للتليفزيون وتقديرات أحداث العنف التليفزيوني، بينما لم تؤكد نتائج دراسات هاوكنز مثل هذه العلاقة بالنسبة للمراهقين لطلاب الثانوي، وبشكل عام فقد اعتبر الغرس نوعاً من التعلم العرضي وبلغة أكثر تحديداً فإن التعلم هو العلاقة بين التعرض للتليفزيون وما يتم إدراكه بالنسبة للواقع. فكثيفو المشاهدة الذين يرون أمثلة تليفزيونية عديدة يقبلون الصورة ا لتليفزيونية كممثل للعالم الحقيقي.

البناء:

يقصد به العلاقة بين مدركات العالم التليفزيوني ومدركات العالم الواقعي وبدون هذه العلاقة يصبح من الصعب الادعاء بوجود علاقة بين التعرض لتليفزيون وقياسات الغرس، لأن المشاهد يستخدم العالم التليفزيوني الذي يشاهده لبناء تصوراته عن الواقع الحقيقي الذي يعيشه.

التعميم:

يقصد به العلاقة بين معتقدات "القياس الأول" وهو قياس درجة تعلم المشاهد صفات وخصائص معينة يعرضها المضمون التليفزيوني والقياس الثقافي وهو اعتقادات المشاهدين عن الواقع "حول نفس الموضوع".

يعتبر مفهوم إدراك الواقع من أهم المفاهيم التي تقوم عليها نظرية الغرس وقد استنتجت بعض الدراسات إن المشاهدين عندما يدركون إن المضمون واقعي فإنهم يتأثرون أكثر من هؤلاء الذين يدركون انه خيالي، ولم تجد بعض الدراسات هذا الاختلاف مثل باندورا وروس وفيشباك بينما وجد البعض الأخر هذا الاختلاف مثل بيركويتز واليوت ونوبل وهيموليت واوبنهم وفانيس وخلاصة نتائج هاتين المجوعتين من الدراسات تشير الى إن إدراك الواقع مرتبط بالاختلافات الفردية أكثر من الرسالة نفسها.

الغرس:

ويتمثل في العلاقة بين مشاهدة التليفزيون، وقياسات العالم الواقعي، على المستويين الأول والثاني.

العمليات الفرعية للغرس وفق نموذج بوتر

وقد اتفق هذا النموذج مع ما قاله جيربنر عن تفسير كيفية حدوث الغرس إذ أن المشاهدين يتعلمون أنماط المحتوى ثم يكونون استدلالات، واستنتاجات من هذه الأنماط ثم يعممون هذه المعلومات في إدراكهم عن الواقع الاجتماعي.

وقد ظهرت بعض الدراسات التي حاولت توضيح العمليات الذهنية أو العقلية، والنفسية المفسرة، لغرس مفاهيم ومدركات الواقع الاجتماعي استكمالاً لمجهودات كل من هاركينز وبنجري بالاعتمادات على ميكانيزمات التقييم والتوازن وإذا اقترح أن الأفراد حينما يقومون بتكوين تقديرات عن الواقع الاجتماعي يستمدون المعلومات وثيقة الصلة بموضوعات الواقع الاجتماعي أولاً ثم تتم عملية التقييم والموازنة بين المعلومات وفقاً لصحتها ووقتها تمهيداً لتكوين الرأي النهائي.

كما قدم جربنر تفسيرين عن كيفية حدوث الغرس وهما الاتجاه السائد والرنين، وإن كان البعض يرى أن إضافة هذين المفهومين كان تفتيحاً لنظرية الغرس في ١٩٨٠.

أولاً: الاتجاه السائد:

يقصد بالاتجاه السائد ديناميكيات غرس المفاهيم العامة للواقع الاجتماعي لدى مشاهدة التليفزيون. حيث أنه عبارة عن مجموعة الأفكار والقيم والصور الذهنية التي يتم غرسها في الجمهور، وذلك من خلال التعرض المكثف والمتكرر للرسائل الإعلامية عبر وسائل الإعلام.

ويؤكد الاتجاة السائد أن كثيفي المشاهدة يتأثرون بهذه الكثافة في التعرض وتصبح لديهم وجهات نظر عن الواقع على العكس من قليلي المشاهدة حيث يخضعون لمؤشرات أخرى لذلك فهم يرون الواقع بشكل مختلف فالاتجاه السائد هو التقارب في المفاهيم والاتجاهات لدى كثيفي المشاهدة المشتركة في جوانب أخرى في التأثير على الأفراد

حيث يتكون الاتجاه السائد من خلال ثلاث خطوات تسمى *3BS* وتشمل:

- التلاشـي *Blurring*: حيـث أن التعـرض المكثـف للتليفزيـون يـؤدي إلـى اختيـار وذوبان وتلاشي الاختلافات التقليدية لوجهات النظر والصور الذهنية عن العالم.
- الدمج*Blending*: وهو فرج ودمج وانسـجام وتوافق صورة الواقع لدى الأفراد مع صورة ا لواقع كما يعرضها التليفزيون.
- التشكيل *Bending*: وهو تحول وتشـكيل وتوجيه المضامين الإعلامية وما تحمله من معـان مختلفة لكي تعبر عن سياسـات القائميـن بالاتصال، وكذلك سياسـات مؤسسات وسائل الإعلام ومنها التليفزيون وهو ما يعرف بالاتجاه السائد.

ويرى مورجان إن الاتجاة السـائد للتليفزيون يكمن في اسـتمرارية واستقرار رسائله، في منافسـة لجـذب اكبـر قـدر مـن المشـاهدين فيمدنـا التليفزيـون بمجموعة محـددة من الاختيارات والبدائل لعدد غير محدد من الاهتمامات لدى الجمهور مخترقا حواجز السـن والطبقة الاجتماعية والديـن، ومن خلال التيارات الثقافية المعقـدة والمتدفقة في اتجاهات مختلفة وبسرعات متباينة يقدم التليفزيون جرعة مسيطرة وعامة تشكل اتجاها سائدا.

ثانياً: الرنين:

يقصـد بالرنيـن أو التـردد التأثيـرات المضافة للمشـاهدة بجانـب الخبـرات الأصلية الموجودة فعـلاً لدى المشـاهدين، وبذلـك فإن المشـاهدة يمكـن أن تؤكد هـذه الخبرات من خلال اسـتدعائها بواسـطة الأعمال التليفزيونيـة التي يتعرض لها الأفـراد أصحاب هذه الخبرات بكثافة أعلى.

وكلما تم تكـرار الأحداث التـي يمر بها الأفراد فـي حياتهم وفي وسـائل الإعلام فإن ذلك يؤدي إلى مزيد من تأثيـرات الغرس، وهذا يعنـي أن الرنين يحدث عندمـا يكون تأثير الغرس مدعماً لدى مجموعة معينة من الأفراد.

ويعنى تضخم الأثر الذي تحدثه وسائل الإعلام، إن تعرض الأفراد الى واقع معين من خلال وسائل الإعلام يطابق الواقع الذي يعيشـونه، فإنهم يتعرضون بذلك لجريمة مزدوجة وهو ما يعمق من تأثير الغرس.

ولقد استنتجت دراسات الغرس الثقافي أن هناك تأثيراً للتليفزيون على إدراك ومعتقدات المشاهدين عن العالم الواقعي وهناك عدد قليل من الدراسات التي حاولت بحث اليات هذا التأثير وقدمت هذة الدراسات ثلاث أفكار هامة هي:

١. تنتج عملية الغرس من عمليات سابقة من التعلم والبناء.

٢. قد يختلف التأثير والغرس في مقياس الأسلوب الأول ومقاييس الأسلوب الثاني

٣. ليس كل الأفراد في مجال المشاهدة معرضين بشكل متساوٍ لتاثير الغرس

الغرس الثقافي والصورة:

ارجع "ملفين دي فليون" بدايات الغرس إلى مفهوم الغرس والتركيبات للصور الذهنية، حيث يرى ليبمان أن تصرفات الناس تكون في حقيقة الأمر مبنية على الصورة الذهنية التي كونوها عن أنفسهم وعن الآخرين من خلال وسائل الإعلام.

فالصورة التليفزيونية التي يعرضها القائمين بالاتصال في التليفزيون تحمل أيديولوجية معينة "قيم - أفكار - معتقدات" قد تكون واضحة، وقد تكون غير واضحة للمشاهد لهذه الصورة وعن طريق التراكم تصبح هذه الصورة التليفزيونية التي يتصرف المشاهد على أساسه والملاحظ أن الصورة عندما تصل إلى واقع تمر بمراحل عديدة تسمى هذه المراحل -الغرس- كما سبق وتحدثنا عن كيفية حدوث الغرس حيث تصبح صورة الواقع في التليفزيون واقع معاش، ويتضح ذلك في الشكل التالي:

المرتكزات والاعتبارات الأساسية لنظرية الغرس الثقافي:

أولاً: التليفزيون الوسيلة الإعلامية الأولى للغرس:

إن للتليفزيون القدرة على تحويل المجردات إلى محسوسات، مما يساعد على فهم الرسالة المقدمة عبر برامجه التليفزيونية المختلفة، والتليفزيون من أكثر الوسائل الإعلامية تدريجاً للصور الذهنية والثقافة الشعبية وهو يضيف إلى معلوماتنا عن الحياة

والناس والمجتمع والسلطة، كما أنه يعرض الجيد والسيئ، ويساهم في بناء معرفتنا بالواقع الاجتماعي ويساهم أيضاً في تكوين الأفكار والآراء والاتجاهات ولكنه وسيلة متميزة كما أنه وسيلة لنقل المعايير الثقافية الشائعة لكل أفراد المجتمع وكل هذه المزايا تجعل من التليفزيون وسيلة فريدة مسيطرة ويصعب التغلب عليها.

وتشير بعض الدراسات الى إن الأطفال الصغار لا يستطيعون التفرقة بين الواقع والخيال في التلفزيون، وتزداد قابلتيهم لإدراك الموضوعات المقدمة بالتلفزيون بوصفها أشياء حقيقة وليست تمثيلا، فقد قام بعض الباحثين بدراسة إدراك الواقع للطفل كمتغير وسيط في بحوث خاصة بكثافة المشاهدة وانتهت هذه الدراسة الى انه كلما زاد الحكم على إن ما يقدمه التلفزيون واقع حقيقي ازداد تأثيره على إدراك الأطفال للاتجاهات والسلوك.

وبذلك يجد الطفل نفسه مستغرقاً في بيئة التلفزيون منذ ولادته نظرا لتوفير عناصر الصوت والصورة والحركة واللون، حيث يقضى معظم أوقاته أمام التلفزيون نظرا لتوفيره في المنزل وسهولة استخدامه، وعلى ذلك خلاف وسائل الاتصال الأخرى فهو لا يحتاج للخروج من المنزل لمشاهدته كما في الحال في السينما، ولا يشترط معرفة القراءة كما في الصحف، ويتوفر في عنصر الصورة على خلاف الراديو.

ثانياً: الرسالة التليفزيونية تمثل الاتجاه والمعايير السائدة في ثقافة المجتمع:

تحمل الرسالة التليفزيونية أفكار ومعاني ومعتقدات عن رأي القائم بالاتصال في التليفزيون أو تعبر عن السياسة الإعلامية للقناة بل وفي أغلب الأحيان تعبر عن رأي السلطة القائمة والتي يندرج تحتها الإعلام في حالة الإعلام الحكومي.

ولذلك فإن كثرة التعرض للتليفزيون يمكن أن يساعد على تضييق الفروق في الاتجاهات والسلوك عن الوضع الاعتيادي الذي يحدث بسبب العوامل والتأثيرات الأخرى. حيث أن التعرض يميل إلى غرس صور ذهنية ثابتة للمجتمع والذات تعبر عن الاتجاه السائد في الثقافة.

وبذلك يستطيع التلفزيون أن يضيف الفروق في الاتجاهات والسلوك بين جماعات المشاهدين المختلفين في الظروف الثقافية والاجتماعية والسياسية، لذا يمكن للتلفزيون أن يقوم بدور كبير في جعل الفروق التي توجد بين الأفراد في جماعات المشاهدة المختلفة تقل أو تختفي لدي الأشخاص كثيفي المشاهدة.

ثالثاً: تحليل مضمون الرسالة التليفزيونية دليلاً على عملية الغرس:

يقوم الباحثين للتدليل على تأثير نظرية الغرس الثقافي على الناس بتحليل محتوى برامج التليفزيون لكي يثبتوا كيفية قيام الوسيلة بتقديم جواب مختلفة من المجتمع والحياة بطريقة منسجمة.

يستخدم الدارسون تحليل المحتوى للمضامين الإعلامية للتدليل على تأثير الغرس الثقافي على الأفراد كي يثبتوا قيام الوسيلة الإعلامية بتقديم جوانب الحياة بطريقة متسقة.

يجب إن تعكس أسئلة المسح المستخدمة في تحليل الغرس المضامين المختلفة الموجودة في الرسائل الإعلامية، ويضع الباحثون مجموعة من الاعتبارات التي يجب مراعاتها في صياغة أسئلة صحفية الاستبيان الخاصة بقياس الغرس الثقافي وأهمها:

- إن تهتم الأسئلة بقياس حجم المشاهدة الكلية.
- يجب إن تعكس اسئلة المسح الاتجاه السائد في الرسائل الإعلامية.
- أن يكون لكل سؤال في صحيفة الاستبيان بدائل بعضها مأخوذ من العالم الرمزي الذي تقدمة وسائل الإعلام والبعض الآخر مستمد من الإحصاءات والبيانات الواقعية.

هذا وتعكس أسئلة المسح المستخدمة في بحوث الغرس الثقافي الاتجاه السائد الذي تجسده رسائل التليفزيون لجرعات ضخمة من المشاهدين، وعلى فترات متباعدة، أما استخدام المعلومات التي تعيش أفضليات المشاهدة أو مقارنة إجابات المبحوثين عن تفضيل هذا أو ذاك من البرامج بدلاً من قياس حجم المشاهدة الكلية قد يؤدي على نتائج غامضة أو مضللة.

لذلك يجب أن تتجه الأسئلة نحو قياس المستوى الأول للغرس (الواقع الحقيقي) والذي يكشف عن نتائجه مهمة، ويجب أن تتجه الأسئلة نحو اعتبارات العالم الحقيقي.

رابعاً: يركز تحليل الغرس على مساهمة التليفزيون في نقل الصور الذهنية على المدى البعيد:

تختلف نظرية الغرس عن النظريات الإعلامية الأخرى في عدم الاعتماد على النماذج الخطية (مثير ـ استجابة) في دراسة العلاقة بين المحتوى والجمهور، وإنما تعتمد على نتائج التعرض التراكمي على المد البعيد، ويتم التواصل الى هذه النتائج عن طريق المقارنات والارتباطات بين كثيفي وقليلي التعرض في إطار تجانس نسبى، ويتم عقد مقارنة بين الإجابات التي أدلى بها المبحوثين والصور الرمزية الشائعة في عالم التلفزيون وبذلك فإن هذه النظرية تستخدم نتائج تراكم التعرض على المدى وليس الاستجابات الفورية قصيرة المدى.

حيث تهتم نظرية الغرس بالتغيير الذي يمكن إن تحدثه وسائل الإعلام ـ التلفزيون ـ على المدى البعيد بنقلها لصور إعلامية معينة، ذلك إن تهتم بالتأثير التراكمي والتدريجي وليس الفجائي والعاجل، وتستطيع وسال الإعلام ـ التلفزيون ـ في هذه الحالة إن تولد لدى المشاهدين ما يسمى بالاتجاه السائد، وخاصة لدى كثيفي المشاهدة الذين يستنبطون معاني مشتركة بدرجة أعلى من قليلي المشاهدة.

نظرية الغرس لا تستخدم النموذج الفوري قصير المدى الذي يعتمد على (مثير/ استجابة) في دراسة العلاقة بين محتوى وسائل الإعلام والجمهور، وإنما تستخدم بدلاً من ذلك تراكم التعرض على المدى البعيد لنظام من الوسائل يتسم بالثبات والتكرار، على أن تحليل الغرس يعتمد على قياس الأثر التدريجي بدلاً من التعرض الفجائي.

وأكدت إحدى الدراسات أن كثيفي المشاهدة للتليفزيون يتبنون نظرة سالبة تجاه العلم وذلك على عكس كثيفي التعرض للسجلات الذي يتبنون نظرية إيجابية عن العلم

بينما نجد أن كثيفي المشـاهدة التليفزيونية يشـاركون في الاتجاه السـائد في التليفزيون من حيث النظرة السلبية للعمل، ويعكس هذا التقارب في النظرة لدى كثيفي المشاهدة ما نطلق عليه الاتجاه السائد الذي يركز عليه التليفزيون.

خامساً: يركز على تحليل الغرس على نتائج تدعيم واستقرار المجتمع وتجانسه:

لما كانت الثقافة هي العملية الرمزية التي يتم من خلالها الغـرس فإن على التليفزيون أن يقوم بغرس مفاهيم وأنماط السـلوك المكونة للثقافة في المجتمع وأفـراده، ومن ثم فإن أهمية التليفزيون كما يراها جرينـر لا تأتي من قدرته على تكوين مجتمـع جماهيري ولكن من قدرته على تكوين بيئة مشتركة من المعاني يعيش خلالها ويفهمون الأحداث الجارية من حولهم.

وبذلك يعمـل التلفزيـون علـى ثبـات المجتمع واسـتقراره من خـلال صـورة العالم الرمزي الذي يقدمه، حيث تخلق الرسـائل التلفزيونية اتجاهاً ثقافياً سـائداً يعمل على تنمية التفاهم والتماسـك في المجتمـع، اى إن الرسـائل التلفزيونية تعمل علـى تحقيق التجانس داخل الفئات الاجتماعيـة المختلفة، ويلاحظ ذلك بوضوح عند كثيفي المشـاهدة وبدرجة أكبر من قليلي المشاهدة من نفس الجماعات.

فروض نظرية الغرس الثقافي:

تدور فـروض نظرية الغرس الثقافـي حول فرض أساسـي مفادة أن التعـرض المنتظم لوسـائل الإعلام منها التليفزيـون يؤدي تدريجيـاً إلى تبني صـور ذهنية وأفـكار ومعتقدات ووجهات نظر حـول الواقـع الاجتماعي يماثل الواقـع الذي تعرض له المشـاهد من خلال الوسيلة الإعلامية والتليفزيون.

وقد أكـد جربنر على أنـه كلما زاد الوقـت الذي يقضيه الفـرد في مشـاهدة التليفزيون أدرك الواقـع الاجتماعي بصورة أقرب إلـى النماذج والصور الذهنية والأفـكار التي يقدمها التليفزيون عن الواقع الاجتماعي أي أنه كلما زاد التعرض لوسائل الإعلام زاد الاعتقاد بأن العالم الحقيقي يعكس مضمون وسائل الإعلام.

هذا ويمكن أن تُلخص فروض نظرية الغرس الثقافي:

١- إن الناس فـي المجتمعـات المعاصرة، أصبحـوا أكثر اعتمـاداً على مصـادر غير شـخصية للخبرة، وأن صناعة الثقافـة الجماهيرية التي تربط عناصـر الوجود معاً وتكون الوعي المشترك، أصبحت منتجاً تقدمه وسائل الإعلام.

٢- إن التليفزيـون مقارنـة بالوسـائل الإعلاميـة الأخـرى، ينفـرد بالاسـتخدام غيـر الانتقائي مـن قبل الجمهـور، وإن النـاس يمتصـون المعاني المتضمنـة في عالم التليفزيون بشكل غير واعٍ.

٣- يدور الفرض الثالث حول التعرض التراكمـي للتليفزيون حيث أن خلق وجهات نظـر وغـرس معتقـدات لـدى آخريـن، يرجـع إلـى التعـرض التراكمـي الثابت والمتكرر لعالم التليفزيون.

٤- يرتبط هذا الغرض بتماثل وسائل التليفزيون حيث يقدم التليفزيون عالماً متماثلاً من الوسـائل الموحدة والصور المتكـررة إلى الحد الذي يعتقد معه المشـاهدين أن الواقع الاجتماعي يسير على الطريقة نفسها التي تصور من خلال التليفزيون.

٥- يوجـد ارتباط قـوي بين حجـم المشـاهدة ومعتقدات المشـاهدين حـول الواقع الاجتماعي بحيث تتشـابه إدراكات كثيفي المشـاهدة ويظهـرون ادراكات ترتبط بعالم التليفزيون أكثر ارتباطهم بالواقع الاجتماعي.

فروض نظرية الغرس الثقافي:

تنطلـق نظرية الغـرس الثقافي مـن فرض أساسـي صاغـه جيربنر وهو أن الاشـخاص كثيفي المشـاهدة وهـم الذين يقضـون وقتا طويلا فـي مشـاهدة التليفزيون يدركـون العالم الواقعي بشكل مختلف عن أولئك قليلي المشاهدة وهم الذين يقضون وقتا اقل في مشاهدة التليفزيون، ذلك إن كثيفي المشاهدة أكثر قدرة على إدراك العالم الواقعي بصورة اقرب الى العالـم التليفزيونـي اى بصورة تعكس الرسـائل والصور المتكـررة والشـائعة التي يعرضها

التليفزيون من أولئك قليلي المشاهدة، ويؤكد جربنر كلما زاد الوقت الذي يقضيه الفرد في مشاهدة التليفزيون أدرك الواقع الاجتماعي بصورة اقرب الى النماذج والصور الذهنية والأفكار التي يقدمها التليفزيون من الواقع التليفزيوني اى انه كلما زاد الفرد لوسائل الإعلام خاصة التلفزيون زاد الاعتقاد بأن العالم الحقيقي يعكس مضمون وسائل الإعلام.

كما يرى جيربنر وزملاؤه إن التلفزيون ينفرد دون وسائل الإعلام الأخرى باستخدام غير انتقائي للفرد حيث يمتص الأفراد – خاصة الأفراد – المعاني المتضمنة في عالم التلفزيون بشكل غير واع تماما، كما تعرض التراكمي للمضامين التلفزيونية يعمل على غرس وتنمية وجهات نظر معينة ليست حقيقية بل هي واقع تلفزيوني مصطنع، ولا تهتم كذلك نظرية الغرس بالسلوك العدواني لدى الطفل قدر اهتماما الكبير بالمشاعر المصاحبة لمشاهدة ذلك السلوك العدواني عبر شاشات التلفزيون، مثل الخوف والقلق والانسحاب والعزلة والتي يمكن إن يمارسها الأطفال المشاهدون لعالم " غير واقعي " يعتقدون من طوال فترة تعرضهم له انه واقعي وبذلك فإنه لما لرسائل التلفزيون من تأثير في تنمية الصور الذهنية التي تشكل دورا هاما في حياة معظم الأفراد حيث تجعل المشاهد يعتقد إن العالم التلفزيون هو العالم الحقيقي الواقعي الذي يعيش فيه.

مما تقدم يتضح إن ما يقدم في التلفزيون مضمون واحد على فترات طويلة مع وجود صور متكررة حيث يعتقد المشاهدون إن العالم الحقيقي يماثل العالم الذي يعكسه التلفزيون وتنظر نظرية الغرس الثقافي الى وسائل الإعلام وخاصة التلفزيون كوسيلة للتنشئة الاجتماعية فمن خلاص التفاعل الشديد مع التلفزيون يدرك الأطفال الواقع الاجتماعي بصورة قريبة مما تعكسه الشاشة السحرية وتذهب هذه النظرية الى القول بأن استمرار التعرض للتلفزيون ولفترات طويلة تغرس وتنمى لدى المشاهد اعتقاداً بأن العالم التلفزيوني إن هو إلا صورة مطابقة للعالم الواقعي الذي يحياه.

وانطلاقا من هذا الفرض الرئيسي قامت نظرية الغرس الثقافي على مجموعة من الافتراضات تتمثل فيما يلي:

أولا: يعد التلفزيون وسيلة اتصال فريدة لتطبيق نظرية الغرس الثقافي مقارنة بوسائل الاتصال الجماهيرية الأخرى: يرى البعض إن التلفزيون يتميز عن وسائل الاتصال الأخرى حيث انه يتمتع بالعديد من المزايا فهو الوسيلة الوحيدة القادرة على اقتحام المنازل، ولا يتطلب معرفة القراءة والكتابة مثل الكتب والجرائد والمجلات كما يوجد التلفزيون في معظم المنازل إن لم يكن كلها ويسهل استخدامه ولا يتطلب مهارات مسبقة للتعرض إليه، كذلك لا يتطلب الانتقال من المنزل لمشاهدته كالسينما والمسرح وهو يستخدم بصفة مستمرة ويتميز على الراديو بأنه يجمع بين الصوت والصورة معا.

ويوافق أصحاب النظرية على وجهة نظر فيشاباك ١٩٨٧ في إن التلفزيون له تأثير ايديولوجى في إثارة بعض المعاني عن العالم وانه يناقش أو يثير بعض المعاني أكثر من الأخرى بهدف التأثير على الناس في تلك المعانى عن الأخرى ويوافق مؤيدو نظرية الغرس الثقافي على إن التلفزيون وسيلة لغرس العديد من العادات والتقاليد.

ويعتقد البعض انه بالإضافة للميزات السابقة للتلفزيون فإنه قد يتميز عن وسائل الاتصال الأخرى بالاستخدام غيرالانتقائى من قبل المشاهدين وذلك لما يتمتع به من مميزات تجعله وسيلة فريدة ومسيطرة يصعب التغلب عليها.

كما يعتبر التلفزيون من أكثر الوسائل الجماهيرية التي تقوم بها بدور راوي القصص بل وقد يتنافس مع رواه القصص الآخرين في إمداد الطفل بالمعلومات المحيطة به، وهو أكثرها ترويجا للصور الذهنية والأفكار والآراء والاتجاهات كمما إن التلفزيون يقدم لنا الحقائق الأساسية عن الحياة ويضيف الى معلوماتنا عن الحياة والناس والأماكن والسلطة ويسهم بذلك في معرفتنا بالعالم الخارجي، ويتميز عن الوسائل الأخرى لأنه يشكل الواقع على المستوى الاجتماعي لكل الطبقات والجماعات والأعمار من منظور واحد، وفى نفس الوقت فهو وسيلة أساسية لنقل المعايير الشائعة لدى كل أفراد المجتمع.

ثانيا: تشكيل وسائل التلفزيون نظاما متسقا يعبر عن الاتجاهاه السائد في ثقافتنا:

يلعب التلفزيون دورا كبيـرا في تقليل الاختلافـات الاجتماعيـة والاتجاهات والآراء السياسـية في اماكن جغرافية مختلفة، وتكمن طاقة التلفزيون الهائلة في قدرته على إرسـال رسـائله الى الناس وجذب اكبر عدد منة المشـاهدين نحو ما يذيعه، ولديه القدرة على نشر العديد من الصـور الذهنيـة والرسـائل والآراء والاتجاهانت لكل المنزل، كمـا أكد البعض ومنهم هيرسـتش (١٩٧٩)إن التلفزيـون يقوم بخلق كثافـة واحدة متجانسـة كأحد تأثيرات التلفزيون الهامـة، وقام مياروتينـز (١٩٨٥)بتأكيـد إن التجانس أو الوحدة فـي التكنولوجيا المستخدمة أهم من الرسـالة نفسـها، وتوصلت نتائج العديد من الدراسـات الى إن الأفراد كثيفي المشـاهدة التلفزيونيـة متقاربين في الأفـكار والآراء والاتجاهـات والمعتقدات أكثر قليلي المشـاهدة التلفزيونية وذلـك بالرغم من اختـلاف المناطق الجغرافية التـي يقطنونها نتيجة للرسائل التلفزيونية وما تصنعه من تجانس.

ويتشكل الاتجاه السـائد الذي يغرسـه التلفزيون في النماذج المشـتركة من الصور الذهنية وينسج المعتقدات والقيم والممارسـات التي يقدمها التلفزيون في صور مختلفة يتبناها ويتوحد معها كثيفو المشـاهدة بصورة تراكمية مما يؤدى الى عدم ظهور الفروق الكثيرة في اكتساب هذه الصور والافـكار باختلاف وتنوع الظـروف الثقافيـة والاجتماعية والسياسـية، بين المشـاهدين الى الحد الأدنى الذي يعتقدون معه إن الواقع الاجتماعي مشـابة للواقـع التلفزيون وذلك نتيجة العلاقة الايجابية بين حجم تعرض المشـاهدين لمحتوى برامج التلفزيون من ناحية وبين غرس وتشكيل تصور ذهني للوقائع والأشياء التي يعكسها هذا المحتوى من ناحية أخرى.

وبعبارة أخـرى فـإن الفـروق التي توجـد بيـن المبحوثيـن عـن جماعات المشـاهدة المختلفة نتيجة تنوع الظـروف الثقافية والاجتماعية والسياسـية لهـذه الجماعات يمكن إن تقل أو تختفي من كثيفي المشاهدة من نفس الجماعات.

ونجد إن الأفراد كثيفى المشاهدة التلفزيونية متقاربون من الآراء والمعتقدات والتفكير أكثر من قليلي المشاهدة التلفزيونية وذلك بالرغم من اختلاف المناطق الجغرافية التي يقطنونها.

ويلعب التلفزيـون دورا هاما في حياة الأفراد حيث يمكن اعتباره آداه أساسـية في تكوين الاتجاه السـائد في ثقافتهم، وهو أيضا أداة الرابط بين الصفوة وعامـة الناس حيث يقدم العالم التلفزيون العديد من الآراء الاتجاهات والأفـكار والصور الذهنية لكي يراها الملايين يوميا من كل الأعمار وفى كل المناطق ولجميع الطبقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية.

ومن ثم فإن التلفزيون هو الوسيلة الأساسية لنقل الآراء والأفكار والخبرات المشابهة الى الأطفال فـي مناطـق جغرافية مختلفـة، وبهذا يصبـح التلفزيـون نقطة التقـاء للفكر في مناطق مختلفة على الأقل بالنسبة للأطفال حيث يتعامل التلفزيون مع قدرة الفهم والإدراك لدى الأفراد مما يعمل على تكوين الاتجاه السائد *Mainstreaming*.

إن الغرس الثقافي هي محاولة لفهم وشـرح ديناميات التلفزيون كوسيلة مميزة للعصر الذي نعيش فيه، وهى ليسـت نظريـة خاصة، ولكنهـا مكملة للاتجاهـات التقليدية لبحوث اسـر وسـائل الإعلام، كما يركز تحليل الغـرس الثقافي على نتائـج التعايش مـع التلفزيون فتراكم الصـور الذهنية والمفاهيم المنعكسـة عبر التلفزيـون تعبر عن البيئة الرمزية الشـائعة التي تتفاعل مع معظم الأشياء التي نفكر فيها أو ننقلها.

ثالثا: يقدم تحليل رسائل التلفزيون دليلا على حدوث عملية الغرس الثقافي:

يجب إجـراء تحليل منتظـم لمضمـون التلفزيون لتحديـد الأفكار السـائدة والصور المتكررة والقيـم والاتجاهـات المتضمنة في المعالجـة التلفزيونية كمـا يجب إن تعكس اسـئلة المسـح المسـتخدمة في تحليل الغـرس الاتجـاه السـائد *Mainstreaming* الذي تقدمة رسـائل التلفزيـون لجماعـات ضخمة من المشـاهدين. وعلـى فتـرات متابعة وأن تهتم الأسـئلة بقياس حجم المشـاهدة الكلية وليس بقياس أفضليات المشاهدة أو تفضيل برامج معينة عن غيرها لما قد يؤدى إلية ذلك من نتائـج مضللة أو غامضة ويجب أن تتجه الأسئلة نحو اعتبارات" العالم الواقعي".

رابعا: يركـز تحليل الغـرس على إسـهامات التلفزيـون في نقـل الصـور الذهنية على المدى البعيد:

إن نظرية الغرس الثقافي لا تسـتخدم النموذج الخطى البسـيط الذي يعتمد على فكرة وجود (مثير واستجابة) في دراسة العلاقة بين محتوى وسـائل الإعلام والمهور وإنما تقدم نتائج التعرض التراكمي علـى المدى البعيـد*Long – Term cumulative consequences* للتعرض لنظام متكرر وثابت من الرسـائل حيث يعتمد على تحليل الغرس على قياس الأثر التدريجي بدلا من التعبير الفجائي أو الاستجابة الفورية قصيرة المدى.

ويكشـف تحليل الغرس عـن المقارنـات والارتباطات بيـن الأفراد كثيفي المشـاهدة وقليلـي المشـاهدة للتليفزيـون في إطـار تجانس نسـبي وتتم المقارنـة بين الإجابـات التي أدلى بها المبحوثين والصور الرمزية الشـائعة في عالم التليفزيون وعادة ما يتم التوصل الى الأثر الفوري الذي يقع بعد التعرض الفوري للرسـالة مباشـرة من خلال البحوث التقليدية ويتم القياس غالبا في سـياق اصطناعي ولنوعية محددة من الجمهـور، وعلى النقيض وهذا يعكس نظرية الغرس التي تعتمـد علي نتائج التعرض التراكمي علـى المدي البعيد بدلا من الاستجابة الفورية قصيرة المدي.

خامسا: يركز تحليل الغرس على تدعيم الاستقرار وتجانس النتائج *Homogenizing*:

تري نظريـة الغرس أن العالم الرمزي الـذي يقدمه التليفزيون من خلال رسـائله يعمل على تكوين معتقدات وأفـكار واتجاهات وثبـات المفاهيم عن الواقـع الاجتماعي، كما لا تعكـس نتائج تحليـل الغـرس الاتجاة نحـو التكامـل والتجانس فقـط، وإنما تعكـس أيضا مقاومة التعبير الذي قد يقع في جوانب أخرى من الحياة والثقافة.

وهكذا فان مسـاهمة التليفزيون تبدو كأنها تحقق التجانس داخـل الفئات الاجتماعية المختلفة وذلك من خلال تحقيقه اتجاهاً ثقافياً سـائداً ونافذاً يعمل علـى تنمية المفاهيم والسـلوكيات المتماسـكة في المجتمع ويمكن ملاحظة هذا التماسـك بوضوح عند مقارنة

كثيفي المشـاهدة التليفزيونيـة بقليلي المشـاهدة التليفزيونية من نفـس الجماعات، ومن ثم ترسيخ الاتجاة السائد في معظم الحالات.

هذا ويلخص ستانلي باران ودينيس دانيس فروض الغرس في خمسة فروض:

١- يختلـف التليفزيـون أساسـاً عن وسـائل الاتصـال الأخـرى، لأنه يوجـد في كل المنازل، ولا يتطلب معرفة القراءة والكتابة مثل الكتب أو الجرائد أو المجلات، يختلف عـن السـينما لأنه بالمجـان، ويختلـف عن الراديـو لأنه يجمـع الصوت والصورة، ولا يتطلب منك أن تتحرك وتترك المنزل مثل المسرح أو السينما وهو الوسيلة الوحيدة في التاريخ التي يتفاعل معها الناس طول حياتهم.

٢- بسـبب وصول التليفزيون للجميع ووسـائله المتاحة، فإن الافتـراض الثاني ينبع معبراً عن قـوة هذه الوسـيلة، باعتبـاره مكوناً أساسـياً وصانعـاً للأنمـاط الثقافية الموجـودة (سـواء كانـت تسـلية أو معلومـات) للجماهيـر العامـة مـن مختلف الجماعات التي لم تشارك في أي من أنظمة الوسائل ا العامة الشائعة.

٣- ينبـع الافتـراض الثالث مـن هـذا الواقـع المشـترك، فجوهـر الوعي الـذي يغره التليفزيون لا يعـد اتجاهـاً، أو آراء أكثر من كونهـا افتراضات عـن حقائق الحياة ومعايير للحكم والتي عليها بنيت هذه الاستنتاجات.

٤- لأن معظـم محطـات التليفزيـون تسـتهدف نفـس الجماهيـر، فإنها تعتمـد على نفس الأنواع والأشـكال المتكـررة والقصص لجذب الجماهيـر، ومن ثم يصبح الافتراض الرابع أن وظيفة التليفزيون الثقافية الأساسـية إن تحافظ على اسـتقرار الأنماط الاجتماعية وأن تغـرس مقاومة التغير وبهذا يعد التليفزيون أداة للتنشـئة الاجتماعية لأن ما يرونه في التليفزيون يمثل الاتجاه السائد.

٥- إسهامات التليفزيون في الثقافة قليلة نسـبية ومستقلة ويمكن ملاحظتها وقياسها. ويسـتخدم جربنر التناظر الوظيفـي للعصر الجليـدي لتوضيح فكرتـه، فيذكر أن

مجرد التحرك ولو لدرجات قليلة في الحرارة يمكن أن تؤدي إلى ذوبان الجليد، فبالرغم من أن تأثيرات التليفزيون قليلة إلا أنها على المدى البعيد ستؤدي إلى اختلافات حاسمة، فالتأثير موجود وهام.

متغيرات بحوث الغرس الثقافي:

تعتمد بحوث الغرس الثقافي في متغيراتها على حجم التعرض للوسيلة الإعلامية كمتغير مستقل، والاعتقادات والأفكار والصور الذهنية وغيرها كمتغير تابع وإضافة إلى ذلك العديد من المتغيرات الوسيطة التي تحكم العلاقة بني المتغير وبين المستقل والتابع.

(١) المتغير المستقل:

يقصد به حجم التعرض لوسائل الإعلام، ويتم قياس هذا المتغير بطرق مختلفة مثل السؤال المباشر عن عدد ساعات التعرض لوسائل الإعلام، أو توزيع قوائم بالمضامين الإعلامية لتحديد المضمون الذي يتم التعرض له بانتظام مثل توزيع قوائم بالبرامج التليفزيونية لتحديد البرامج التي تتم مشاهدتها بانتظام في التليفزيون.

(٢) المتغير التابع:

يتمثل في الغرس ويكون عبارة عن الصور الذهنية ووجهات النظر والأفكار حول موضوع الدراسة، ويتمثل في استجابات المبحوثين حول موضوع الدراسة.

(٣) المتغير الوسيط:

يشمل العوامل المتداخلة والتي يمكن أن تحدد تأثير وسائل الإعلام على إدراك الواقع ومنها المتغيرات الديموجرافية (السن - النوع - المستوى الاقتصادي والاجتماعي -..) بالإضافة إلى بعض المتغيرات التنشئة الاجتماعية مثل دوافع المشاهدة لدى المبحوث.

قياس الغرس الثقافي:

يهتم تحليل الغرس بالآثار العامة والواسعة النطاق للتعرض المتراكم لوسائل الاتصال، ويمكن تطبيق الإطار النظري للنموذج على اى شكل من أشكال الاتصال.

ذلك إن بحوث الغرس الثقافي استهدف قياس نتائج التعرض التراكمي لوسائل الاتصال الثقافية *cultural media*، وخاصة التلفزيون بوصفه وسيلة تنفرد بقابلية الرسائل للتكرار والتجانس، كما يتميز بقدرات تأثيرية تفوق وسائل الاتصال الأخرى.

ويبدأ تحليل الإنماء عاده بالتعريف على الأنماط التي يتم تكررها في المحتوى التلفزيون، مع التأكيد على اتساق وتجانس الصور الذهنية *Images* والصور المنعكسة *Portrayals* والقيم*Values* التي تبثها البرامج، ويحاول تحليل الغرس إن يستنبط ما إذا كان هؤلاء الذين يمضون وقتا طويلا في التعرض للتلفزيون يدركون الواقع بنفس الطريقة التي تعكسها البرامج ومقارناتهم بالذين يمضون وقتا طويلا في التعرض للتلفزيون مع مراعاة مقارنة الخصائص الديموجرافية للجمهور.

وتفترض نظرية الغرس أن قليل التعرض للتليفزيون لديهم مصادر معلومات أكثر تنوعا في حين يتجه كثيفو المشاهدة الى الاعتماد على التليفزيون بقدر اكبر للحصول على المعلومات، ويتم تحديد حجم التعرض لوسائل الإعلام من خلال اسئلة تقيس كثافة التعرض في إطار ثلاثة مستويات نسبية هي: كثيفو التعرض، متوسطي التعرض، وقليلا التعرض، وتوضع كل فئة في قائمة مستقلة ويستخدم في ذلك أسلوب الاستبانة، أو بحوث اليوميات أو التقارير الذاتية للجمهور.

وتأسيسا على ذلك فان منهجية قياس الغرس تعتمد على تحليل المضمون الاعلامى، ثم إجراء دراسة مسحيه عليجمهور لمعرفة حدود التوافق والنشابة بين ملامح الواقع كما تقدمه وسائل الإعلام وملامح الواقع كما يدركه الأفراد، وبناء على درجة التوافق يمكن القول بحدوث الغرس من عدمه.

وعلى ذلك يمكـن القول أن الدراسـات الخاصة بالغـرس الثقافي تعتمد فـي إجرائها على الخطوات التالية:

١- تحليل المحتوى الاعلامى:يتم تحليل نص الرسـالة من خلال التحليل المتعمق للمضمون الاعلامى وما يعرضه من أفكار وقيم وصور منعكسة تتكرر في غالبية أنواع المضمون.

٢- إعداد صحيفة الاستبيان وعرضها على المبحوثين: وفى هذة الخطوة يتم تشكيل وصياغة مجموعة من الأسـئلة عن الواقع الاجتماعي الـذي يدركه الجمهور تبعا للهدف من الدراسة ثم إجراء مسح للجمهور.

وفى هـذة المرحلـة يتـم استنباط مـا اذا كان الأفـراد الذين يمضـون وقتـا طويلا في التعرض لوسـائل الإعلام يدركون الواقـع بنفس الطريقة التي تعكسـها الرسـائل الإعلامية ومقارنتهم بالذين يمضون وقتا طويلا في التعرض.

وعـادة ما تشـمل صحيفـة الاسـتبيان علـى نوعين مـن الأسـئلة وهما: أسـئلة عن توقعـات المبحوثيـن الكميـة عن حـدوث بعض الظواهـر فـي المجتمع وأسـئلة تقيس معتقـدات المبحوثيـن عـن إحـدى ظواهـر المجتمع، ويتـم عرض هـذة الأسـئلة على المبحوثين، هـذا بالإضافة الى معرفة حجـم تعرض هؤلاء المبحوثين لوسـائل الإعلام للتمييز بين كثيفي وقليلي التعرض.

٣- تحليل البيانات واستخراج النتائج: بعد الحصول على استجابات المبحوثين يتم تحليل البيانات لتتـم المقارنة بين الواقـع الاجتماعي كما يدركـه كثيفو التعرض والواقع الاجتماعي كما يدركه قليلو التعرض لوسـائل الإعلام، لتحديد مساهمة هذة الوسائل في التأثير وهو ما يعرف بفروق الإنماء *Cultivation Differences*.

تقييم نظرية الغرس الثقافي:

النظرية الغرس العديد من الإيجابيات التي تمثل أوجه القوة لها ولكن لا تخلو هذه النظرية من السلبيات أيضاً وفيما يلي عرض يمثل هذه الإيجابيات والسلبيات كلاً على حدة.

أولاً: سلبيات نظرية الغرس الثقافي:

وجه العديد من الباحثين بعض الانتقادات لنظرية الغرس الثقافي تمثلت في:

- لم تستطيع نظرية الغرس أن تحدد السبب والتأثير، فهل من الممكن أن نرجع جريمة قتل إلى مشاهدة تليفزيون أو ترجع خوف الناس من السير في الشوارع ليلاً إلى مشاهدة التليفزيون لفترات طويلة.
- أرجعت نظرية الغرس الثقافي إدراك الفرد للواقع الاجتماعي وتبني صور ذهنية ومعتقدات وأفكار ووجهات النظر حول هذا الواقع إلى كثافة المشاهدة وجلوس الفرد أمام التليفزيون لعدة ساعات دون الالتفات إلى الفروق الفردية وعناصر الموقف الاتصالي.
- لم تضع نظرية الغرس الثقافي نوعية البرامج والمضامين الإعلامية التي يتم التعرض لها، حيث يرى هاوكنز وبنجري، أن الغرس يمكن أن يحدث نتيجة مشاهدة برامج ومضامين إعلامية معينة (محددة) ولا يحدث الغرس نتيجة التعرض لكل البرامج والمضامين المعروضة في وسائل الإعلام.

فمثلاً: قد يحدث الغرس نتيجة تعرض الفرد للبرامج الحوارية المقدمة في القنوات الفضائية المصرية، في حين أنه لا يحدث نتيجة لتعرض الفرد للدراما المقدمة في القنوات الفضائية المصرية. بل ومن الممكن أن يحدث الغرس نتيجة لتعرض الفرد لبرنامج حواري واحد ضمن قائمة البرامج الحوارية المقدمة في القنوات الفضائية المصرية.

وقد اتفق هذا الرأي مع رأي البعض بأن العلاقة بين مشاهدة التليفزيون والغرس

الثقافي عند مشاهدية يمكن أن ترجع إلى بعض محتوى مواد برامج التليفزيون، ولا تنطبق على البعض الآخر من البرامج، وكذلك فإن العلاقة لا تنطبق على مشاهدة محتوى جميع مواد أو برامج التليفزيون في عمومها، ولكنها قد تحدث نتيجة مشاهدة برامج محددة.

- يرى أنصار مدخل الاستخدامات والإشاعات أن جربنر لم يبذل جهداً للتفرقة بين أولئك الذين يشاهدون التليفزيون بطريقة طقوسية أو روتينية، وأولئك الذين يشاهدون التليفزيون بطريقة انتقائية نشطة وأن الغرس بذلك يصبح بذلك يصبح تابعاً لمتغير الدوافع وليس متغير بحجم التعرض.
- هاجم زعماء الحركة الإنسانية جربنر لإساءة تطبيق قيم هذه الحركة ويوجه نيوكومب ثلاثة انتقادات لجربنر:

١. يزعم جربنر أن أفكار التليفزيون ورموزه المعبرة عن الأفراد يخلقها التليفزيون بالرغم من أن هذه الرموز لها تاريخ ومعان مختلفة في الثقافة وموجودة حتى قبل وجود التليفزيون.
٢. تجاهل منظور الغر التنوع الكبير لمنظمات أخرى غير التليفزيون، فالعنف مثلاً موجود ولا يقدم فقط من خلال التليفزيون.
٣. لم تسمع بحوث جربنر لإمكانية ظهور السمات الفردية للمشاهدين، ولا لإعطائهم تفسيرات فردية لما يرونه ف بالتليفزيون.

- تجاهل منظور الفرس المشاهد الذي يمكن أن يفسر مضمون ما يشاهده بطرق مختلفة عما يحتويه النص، فهناك فروق بين الواقع كما يعبر عنه المضمون التليفزيوني والواقع كما يستوعبه المشاهد، فالرسالة التليفزيونية في رأي بعض الباحثين تعني أشياء مختلفة لجماهير مختلفة، أما الرؤية الاجتماعية العامة التي تنطبع في أذهان الجمهور عن الواقع الاجتماعي ربما لا تكون واقعية.
- كثيراً ما يتم الشك في منهجية بحوث الغرس وربما يعود هذا إلى:

أ- تأثيرات الغرس ربما تعكس ميل إلى المبالغة في التقديرات لوقوع الأفراد ضحية في جريمة أو مبالغتهم في تقدير تعرضهم للتليفزيون.

ب- نتائج الغرس ربما تعكس تأثيرات بارزة لأدوات القياس نفسها، فوضع السؤال نفسه ربما يزيد وعي المبحوث مما يجعله يغالي في إجاباته.

ج- تظهر بعض النتائج أن لصيغة الأسئلة المثبتة أو المنفية تأثيرات على إجابة المبحوثين.

- أهملت نظرية الغرس "الآلية" أو "الميكانيزم" الذي يحدث من خلاله الغرس ويرى مؤيدي هذا الانتقاد أن بحث الغرس يحتاج إلى نوعين من الصدق:

أ- الصدق الداخلي: حيث يتحقق بوجود علاقة ارتباط ضعيفة بين التعرض والغرس.

ب- الصدق الخارجي: وهو مرتبط بالعمليات المعرفية وكيفية الاستفادة من خبرة التليفزيون وتطبيقها على الواقع الاجتماعي.

يرى البعض أن العلاقة بين مشاهدة التليفزيون والغرس الثقافي عند مشاهديه يمكن أن ترجع الى بعض محتوى مواد برامج التليفزيون، ولا تنطبق على البعض الأخر من البرامج، وكلك فان العلاقة لا تنطبق على مشاهدة محتوى جميع مواد أو برامج التليفزيون في عمومها، ولكنها قد تحدث نتيجة مشاهدة برامج محدودة.

ومن خلال استعراض الدراسات التي أجريت على هذا الموضوع أمكن استنتاج عدة نتائج يمكن إجمالها فيما يلي:

أولا: المشاهدون الذين يعتقدون إن المضمون التليفزيوني واقعي يمكنهم أن يتأثروا به أكثر من هؤلاء الذين يعتقدون انه خيالي.

ثانيا: ليس كل المشاهدين مشاركين بشكل متساو في الاعتقاد بان الواقع هو المقدم

على شاشة التليفزيون خاصة إذا لم يرشدوا لدرجة واقعية المادة المقدمة.

ثالثا: تؤثر الاختلافات الفردية (السن – الطبقة الاجتماعية.) في الدرجة التي يدرك بها المشاهدون واقعية المضمون التليفزيوني.

رابعا:الأطفال هم أكثر تأثرا في إدراك الواقع وهناك أيضا ما يثبت إن البالغين متفاوتون في إدراكهم لدرجة واقعية الرسائل التليفزيونية.

ويرد مؤيدو نظرية الغرس على هذا الانتقاد بان متغير اجمالى المشاهدة يمكن إن يستبدل به متغيرا أخرى كالتعرض لأنماط برامجية محددة والتعرض النسبي لبعض البرامج.

ثانياً: إيجابيات الغرس الثقافي:

رغم أن لنظرية الغرس الثقافي سلبياتها إلا أنها لها أيضاً إيجابياتها والتي تتمثل في:

- اهتمت نظرية الغرس بدراسة التأثير طويل المدى وهو ما يجعل النتائج صادق في حالة إتمام الإجراءات بالطريقة الصحيحة وتتميز كذلك بأنها تهتم بدراسة التأثير بطريقة تتسم بالعموم، بدلاً من التركيز على مضمون واحد مما يعطي نتائج شاملة، وهي بذلك تختلف عن النماذج والنظريات الأخرى التي تهتم بدراسة حالة فردية مثل دراسة نوعية رسالة إعلامية معينة.
- استفادت نظرية الغرس من العديد من المداخل الأخرى مما زاد من قوة منطقها وتماسكها المنهجي والنظري في تفسير الآثار المعرفية والوجدانية للاتصال الجماهيري بل إن نظرية الغرس تحظى بتطبيقات في مجتمعات غير الولايات المتحدة الأمريكية فيما يمكن أن يسمى الغرس على مستوى الثقافات المتباينة.
- استخدام التصميم التجريبي لدراسة تأثيرات الغرس فعلى الرغم من أن مدخل الغرس التقليدي يرفض دراسة تأثيرات الغرس بهذا التصحيح إلا أن "روسلون وبروسيوس" استخدما هذا التصحيح في دراستها الخاصة بتأثيرات الغرس التي

تحدث للمراهقين من مشاهدة البرامج الحوارية، وأوضحت النتائج إن تأثيرات الغرس تحدث على مستوى كل من المطلبين: الأول والثاني، كما أوضحت النتائج ان هذه التأثيرات خاصة بقضايا معينة دون قضايا أخرى.

- تتميز نظرية الغرس الثقافي بقدرتها على الجمع بين خصائص النظريات المذهبية من حيث قدرتها على وصف الظاهرة وتفسيرها والتنبؤ بنتائجها، وخصائص النظريات المنهجية من خلال احتوائها على خطوات منهجية ثابتة ومنظمة وكذلك استخدامها لأدوات بحثية تمكنها من الوصول إلى نتائج والتأكد من تحقيق فروضها بطريقة تطبيقية.
- من شروط نجاح أي نظرية في المجال العلمي هي القدرة على الوصف والتنبؤ وتقديم العروض التي يمكن اختيارها، وبساطة نسبية في مفاهيمها وإمكانية توظيفها في تطوير العلم، والمعرفة فإن هذه الشروط تنطبق على نظرية الغرس الثقافي.



نظرية ترتيب الأجندة

ترجع اصول هذه النظرية الأساسية – إلي الباحث«ولتر ليبمان» في كتابه الرأي العام الذي ظهر في العشرينات من القرن الماضي. وتشير فكرة هذه النظرية إلى أن هناك علاقة طردية موجبة بين درجة تركيز وسائل الإعلام على قضية من القضايا، وبين درجة اهتمام الجماهير بتلك القضية. أي كلما زاد تركيز وسائل الإعلام على تلك القضية، زاد اهتمام المتلقين بها والعكس صحيح .

تنطلق هذه النظرية من فرضية أن لوسائل الاعلام تأثيرا كبيرا في تركيز انتباه الجمهور نحو الاهتمام بموضوعات وأحداث وقضايا معينة، وطرح رؤى تراعي المساواة في النوع، يمكن أن يؤدي إلي اهتمام الجمهور بهذه القضايا .

وفق هذه النظرية يرتب الإعلام أولويات الجمهور من حيث أولويات القضايا (المستوى الأول)، ومن حيث وجهة النظر وجزئيات القضايا (المستوي الثاني). وهذه النظرية تدعمها نظريتا «الإبراز» *Priming* و «التأطير» *Framing*. وهي بمجموعها تؤكد بشكل يصعب التشكيك فيه، أن الإعلام يحدد الأولويات ويرسم الصور الذهنية ويؤطر وجهات النظر، وأن الناس عبر الزمن تتشرب هذه الرؤى بشكل كبير، ويصبح كثير منهم أسيرا لها في تفكيره وقراراته.

تدّعي نظرية الأجندة أن لوسائل الإعلام تأثيرا كبيرا علي المشاهد والحياة الاجتماعية، فوسائل الإعلام هي التي تحدّد المواضيع التي تقف على الأجندة الجماهيرية، وتقرر اهميتها.

وسائل الإعلام تصمم واقعا رمزيا. ان منح الاعلام التغطية الإعلامية الواسعة لمواضيع معينة، وتجاهل مواضيع أخرى، امر له تأثير على الأهمية التي يعطيها الجمهور للموضوع.

وسائل الإعلام توجه اهتمام الجمهور لمواضيع معينة وتحدّد أهميتها : تشديد الإعلام

علـى مواضيع معينـة، يوحي للجمهـور بأهمية هـذه المواضيـع، ومن جهة أخـرى، تجاهل الإعلام لمواضيع معينة يوحي للجمهور بأن هذه المواضيع عديمة الأهمية وهامشية.

الجانب الآخر لنظرية الاجندة يؤكد على وجود أكثر من أجندة. فكما أن هناك أجندة لوسـائل الإعلام تحاول فرضها علي الجماهير، هناك أجندة للجماهير تحاول فرضها على وسـائل الإعلام. وكلما كانـت القضية التي تشـغل بـال الجماهيـر خطيرة وتهـم قطاعات واسـعة من الناس، اسـتطاعت أن تفرضهـا علي وسـائل الإعلام التـي تعمل علـي تغطيتها بمختلف فنون العمل الصحفـي، وتحاول تناولهـا والتعليق عليها من أجـل إيجاد الحلول المناسـبة لها. ولو عدنا إلي قضية بيع الممتلكات الحكومية، فإننا لـم نلحظ ذلك الاهتمام الكبير بها من قبل وسائل الإعلام – خصوصا الرسمية منها وكذلك الصحافة اليومية – فهل يعني ذلك مرة أخرى خطأ النظرية المشار إليها أم إن هناك تفسيرا آخر؟

أن النظرية لم تخطيء بـل انها تحمل درجة عالية من الصحة، ولكن الأمر أن وسـائلنا الإعلامية – مع شديد الأسـف – لا تلتفت في كثير من الأحيان إلى ما يشغل بال المواطن، ولا تحاول تلمـس قضاياه وهمومـه، فتحصل الفجوة بين هـذه الوسـائل وجماهيرها التي تهرب إلي الوسـائل الخارجيـة، علها تلبي مـا تتطلع إليه وتسـد الفجـوة المعلوماتية لما لم تستطع وسـائلناُ الإعلامية أن تؤمنه لهذه الجماهير، ربما بفعل عوامل خارجة عن إرادة هذه الوسـائل، والتي تأتي في مقدمتها البيئة المحيطة وما تمثله هذه البيئة من ضغوطات سياسية واجتماعية وثقافية واقتصادية .

ولعـل تدفـق المعلومـات الدقيقـة والصحيحـة مـن مصادرهـا الأصليـة وفـي وقتها وزمانها المحددين، وعدم التلكؤ في نشـر هذه المعلومات – مهما كانت قاسية وموجعة – وعدم حجب هـذه المعلومات عن وسـائل الإعلام مـا يمكن أن يقضي علي أي تفسـيرات وتحليـلات قـد تكـون خطيـرة وليسـت فـي صالـح الوطـن والمواطن. تلـك التفسـيرات والتحليلات قد تتحـول إلى إشـاعات تفتك بصلابـة وتماسـك الجبهة الداخليـة وتجعلها عرضة للدعايـة الخارجيـة المغرضة، هذا من جهـة. ومن جهة أخـرى، فإن متابعة وسـائل

الإعلام لأي قضية تشغل بال الرأي العام تجعل التلاحم بينها وبين جماهيرها من القوة بمكان، فتزيد بذلك مصداقيتها وحضورها لدى جماهيرها .

ومن هنا فان وسائل الإعلام –حسب نظرية الأجندة تقرر للجمهور بماذا يفكر وبماذا لا يفكر. وبحسب نظرية الأجندة – يدور الحديث حول ثلاثة أجندات:

١. الأجندة الإعلامية : جدول الأعمال اليومي لوسائل الإعلام، والذي يقرر أي المواضيع ستحظى بتغطية إعلامية، أي المواضيع سيتم التشديد عليها، وأي المواضيع سيتم تجاهلها. أي المواضيع المتناولة في وسائل الإعلام .

٢. الأجندة السياسية : هو جدول الأعمال على المستوى السياسي، المواضيع التي يتناولها السياسيون، والتي تتوافق مع الحاجات والاحتياجات الوطنية الواسعة أو مصالح ضيقة.

٣. الأجندة الجماهيرية : المواضيع التي يتحدث بها الناس فيما بينهم، في البيوت مثلا.

هنالك تأثيرات متبادلة بين الأجندات الثلاثة :

١. الأجندة الإعلامية تصمم الأجندة الجماهيرية : وذلك نتيجة لقدرتها على جذب الجمهور لها.

٢. الأجندة الإعلامية تصمم الأجندة السياسية : السياسيون متأثرون جدا بالأجندة الإعلامية، لأنهم يعتبرون الأجندة الإعلامية تعبيرا للرأي العام .

٣. الأجندة السياسية تصمم الأجندة الإعلامية : خاصة في المواضيع المتعلقة بالسياسة والحكومة والتي يتوجب على الإعلام تغطيتها بهدف نقل المعلومات للجمهور، واطلاعه على ما يجري في الدولة على المستوى السياسي.

٤. الأجندة الجماهيرية تصمم الأجندة السياسية : السياسيون يهمهم معرفة الرأي

العام ومتأثـرون بالجمهـور، لذلك الجمهور في هـذه الحالة يصمم للسياسـيين جدول أعمالهم.

٥. الأجنـدة الجماهيرية تصمـم الأجندة الإعلاميـة : هنالك مواضيع على المسـتوى الجماهيـري التـي توجب وسـائل الإعـلام علـى تغطيتها بسـبب أهميتهـا : مثل الكوارث الطبيعية.

كما ذكرنا فان وسـائل الإعلام تحدد للجمهور أهمية المواضيـع. كيف نعرف ما هو «المهم»؟

١. الموضوع التي تمت تغطيته أكثر من مرة في وسائل الإعلام.

٢. الموقع والمـكان الذي ينشـر فيه الخبـر : الموضوع الذي ينشـر علـى الصفحات الأولي في الجريدة أو في بداية نشرة الأخبار يعتبر موضوعا هاما بنظر الجمهور.

٣. مدى الصراع في التغطية.

٤. وتيرة التغطية.

حسـب هـذه الاعتبارات فـان الموضـوع الـذي يتصـدر عناويـن الصحف ونشـرات الأخبـار، يعتبـر موضوعـا مهمـا بنظـر الجمهور وذلـك من خـلال تحديـد حجـم التغطية للمواضيـع فـي وسـائل الإعـلام : عـرض المواضيع والزمـن المخصـص لها في نشـرات الأخبار، يمكـن أن تبلور وجهة نظـر الجمهور لأهميـة الموضوع، ومعالجة مسـألة وقضية معينة بشكل مكثف في وسـائل الإعلام سيكسـبها أهمية كبيرة في نظر الجمهور. بالمقابل التطرق المقتضب (القليل) لقضية معينة يجعلها عديمة الأهمية بنظر الجمهور .

تطبيقات السبين (spin)

هي عبارة عن مبادرة من قبل السياسي لاشغال الإعلام بموضوع معين والتغاضي عن مواضيع أخـرى مهمة، بحيث يريد السياسـي من خلال ظاهرة « السـبين « اشـغال الأجندة

الإعلاميـة والجماهيرية بالاتجاهـات المريحة لـه، وكل ذلك بهدف «تغطيـة» أو «تصليح» نتائج لأحداث غير مُرضيـة قد حدثت. ويمكـن ذلك عن طريق تأليف قصـص تتوافق مع أهداف السياسي. فالسياسي يحاول من خلال « السبين « تشـريد وإبعاد الانتباه والاهتمام بأمور هامـة، وبالمقابل مـدح وتمجيد السياسـي بالطريقـة المرغوب فيها، وبذلك يكسـب السياسي دعم وتأييد الجمهور له.

من يقـرر الجدول اليومـي لوسـائل الاعلام؟ مـن يقرر مضاميـن الأخبار في وسـائل الاعلام؟ هل وسـائل الاعلام نفسـها هي المبادرة الي المواضيع أم أنها تتأثر بعوامل أخرى مثـل: رئيس الحكومـه، الـوزراء، أم مجموعات لها مصالـح؟ هل لجدول وسـائل الاعلام اليومي تأثير على جدول السياسـه اليومي، أو ربما العكس، أي أن رجال السياسـه يفرضون تصرفاتهم على وسـائل الاعلام بما تنشـغل وماذا تغطي؟ ففي نهاية الأمر، المفروض على وسـائل الإعلام أن تغطي أعمال الشـخصيات العامة وأن تنقل تصريحاتهـم، وهؤلاء بهذه الحال يلمحون لوسائل الاعلام عن سلم الأفضليات في المجتمع.

هنالـك علاقـة سـببيه بيـن مـا يـدور فـي الحلبـه السياسـيه مـن أحـداث، خطابـات وتصريحات وبين ما تقوم وسائل الاعلام بنشره.

يمكن أن نميز خمسة أشـكال من التأثير المتبادل بين الجدول اليومي الخاص بوسائل الاعلام، الجدول الخاص بالجمهور والجدول الخاص بالسياسة:-

- جدول الإعلام اليومي يؤثر تأثيرا مباشرا على جدول الجمهور اليومي، على الأقل نتيجة قدرة وأهلية وسائل الاعلام على جذب انتباه الجمهور.
- السياسـيون ينصتون الى رأي الجمهور، ومن المفروض أن يتصرفوا كرُسله. فمن شـأن جدول الجمهور اليومي أن يشـكل/ يحدد جدول السياسـه اليومي. فمثلا: مشكلة البطاله، مشكلة الاسـكان التي تقلق الشـباب والقادمين الجدد، يمكنها أن تصل الى جدول السياسيين اليومي.

- يؤثر جدول الاعلام اليومي تأثيرا مباشـرا على جدول السياسه اليومي أيضا، حيث يمكن اعتباره أحيانا كمُعّبر عي الرأي العام، وعن جدول الجمهور اليومي.
- هنالك مواضيع وظـروف يكون فيها لجـدول السياسـه اليومي تأثير مباشـر وقوي على الجـدول اليومـي للاعلام فمثلا: جـدول العمـل اليومي للحكومه- مناقشـة ميزانيـة الدوله أو وضـع الكيبوتسـات الاقتصادي- لـه تأثير على وسـائل الاعلام وكلاهمـا ينشـغل بنفـس المواضيـع، ان كان قبل مناقشـتها فـي الحكومـه أو بعد (التلاؤم أكثر بعد المناقشه).
- مجموعة عوامل أو أحداث عالمية- مثلا: كـوارث اصابات، أزمات أو انقلابات، يمكنها بشـكل مباشـر أو غير مباشـر أن تحدد جدول عمل الجمهور. في حالات ليست قليلة، تفرض الأحداث نفسها على وسائل الاعلام وتضطر هذه أن تهتم بها نظرا لضخامتها.

ان التنظيمـات الاعلاميـه تقـوم بمراقبـة بعضهـا البعض باسـتمرار. هـذا النهـج تفرضه المنافسـة بينهم، لذا ففي كثير مـن الأحيان تجدد وسـائل الاعلام الجـدول اليومي للاعلام أو بكلمات أخرى، فإن وسيلة إعلام معينة تشـكل مصدر مواضيع لجدول أعمال اخر. التلفزيون في اسرائيل وصحيفة هارتس أكثر من يقوم بتحديد الجدول اليومي لوسائل الاعلام.

وسـائل الاعـلام الجماهيريـة تعمـل كمن يقـرر الجـدول اليومـي للمجتمـع. معظم الابحاث تنصب في قياس تأثير وسـائل الاعلام الجماهيريه على الجدول اليومي للجمهور خلال فترة الانتخابات.

نجاح وسائل الاعلام في تحديد الجدول اليومي السياسي يعبر عن القوة التي تملكها وسـائل الاعلام الجماهيريه. لكن وسـائل الاعلام لا تملك قوه مطلقه، فالسياسيون أحيانا يتجاهلون اقوال صحف معينه ويقتبسـون من أخرى. لكل مؤسسـه سياسـية هنالك جدول أعمال يومـي مقرر، عـادةً هنالك عوامل مـن داخل وخارج المؤسسـة السياسـيه تؤثر علي الجدول اليومي لها، وأحيانا هنالك ضغوط من جهات خارجية.

تطرق السياسه لموضوع معين معروض في وسائل الاعلام يدل على تغير في الجدول اليومي السياسي.

- هنالك تنافس بين السياسيين على التأثير علي الجدول اليومي لوسائل الاعلام خاصةً في فترة الانتخابات، ذلك ان للجدول الاعلامي تأثير على الجدول اليومي للجمهور، من هنا يظهر تأثير متعدد المراحل.

الحملات الانتخابيه بمثابة تنافس جهات سياسيه على تحديد الجدول اليومي لوسائل الاعلام.

في البحث الي أجراه كاسبي (١٩٨١) حول تأثير وسائل الاعلام الجماهيريه على تحديد الجدول اليومي للكنيست. كاسبي اعتمد في البحث علي فرضيتين أساسيتين:

أ- أعضاء الكنيست بحاجه لوسائل الاعلام الجماهيريه ومتعلقون بها، لأنها تزودهم بمعلومات قيمة وضروريه بالنسبه لهم. هذه العلاقه مبررة كلما كان الواقع السياسي أكثر تعقيدا. اعضاء الكنيست ينبغي عليهم التأقلم مع عدد من المعطيات الاخذ بالازدياد، لكن ليس لديهم قوى استشارية ومساعدون يساعدونهم في جمع المعلومات المطلوبة، لذلك فان وسائل الاعلام الجماهيريه تنجح في تحديد جدول الاعمال للكنيست.

ب- بالاضافه للحاجات المعرفيه، فان كل سياسي يطمح بان تحظى أعماله بتغطية صحفية واسعة. وبذلك يلمع اسمه عبر العناوين. وسائل الإعلام تكثر من التقارير الصحفية حول أعماله وانجازاته. وحتى يضمن التغطية القصوى، يقوم السياسي بنسج علاقات وتبادل معلومات مع الصحيفة والصحفي. ذلك يتجلي باستجابة السياسي وطرح مواضيع تعرض في وسائل الاعلام.

مدرسة أو مذهب تحديد الجدول اليومي تبرز بطريقه غير مباشرة دور الإعلاميين الجماهيرية في سير تصميم الرأي العام. وسائل الاعلام ليسوا مجبرين بالتأثير بصوره مباشرة

على رأي المواطنين، وسائل الاعلام الجماهيريه تنجح في تحديد الجدول اليومي للسياسه.

وسائل الإعلام الجماهيرية قدرتها على التأثير علي العمليات السياسيه محدودة ومرتبطة بعدة عوامل، قوتها تكمن في استخداماتها السياسيه والجماهيريه. كلما كان تطرق رجال السياسة لما ينشر في وسائل الاعلام الجماهيرية هكذا تقوى قدرتهم في تحديد الجدول اليومي للسياسة، وبهذا يقوى منصبهم في الوسط السياسي.

وجوب تطرق السياسيين لما ينشر في وسائل الاعلام الجماهيرية تنبع في أحيان كثيرة من الحاجات الاتصاليه المختلفه للمؤسسه السياسية. وبانعدام مصادر معلومات كافيه للتواصل مع جمهور المواطنين، يضطر السياسيون للاعتماد على وسائل الاعلام الجماهيرية.

لكن استخدامات السياسيين لوسائل الإعلام الجماهيرية من شأنه أن يضع الحدود لتأثير وسائل الاعلام على الجدول اليومي السياسي. باستطاعة أعضاء الكنيست مثلا: تفضيل صحف معينة والتطرق للمعلومات التي نشرت فيها وتجاهل أخرى. اقتباس السياسي لوسائل الاعلام هو ما يعطي وسائل الاعلام دورا وأهمية في الحلبه السياسيه/ الجهاز السياسي.

لذلك بوسع السياسيين أن يتحكموا في التدخل السياسي لوسائل الاعلام في اللعبة السياسية، وأيضا في استغلال وسائل الاعلام لاحداث تزييفات وتشويشات بنقل المعلومات بشكل يخدم مصالحهم. لذلك من الواجب أن يكبح السياسيون جماحهم في استخدامهم واستغلالهم لوسائل الاعلام الجماهيرية في تحقيق مآربهم.

وسائل الاعلام في أعين السياسيين لها معنى اضافي مرتبطة بعلاقات متبادلة «أخذ وعطاء» بينهم. هذه العلاقات تلبي حاجات السياسيين في التعبير والشرح عن مواقفهم واعمالهم. ووسائل الاعلام بدورها تقوم ايضا هي بتحديد الجدول اليومي السياسي. في فترة الانتخابات تتعاظم المنافسه في الحلبه السياسيه على تحديد الجدول اليومي لوسائل الاعلام، لكن أيضا وسائل الاعلام تؤثر علي الجدول اليومي للسياسة.

في البحث الذي أجراه «يسحاق كيدمان» حول دور الصحافة بتحديد الجدول اليومي

للكنيست في مواضيع الرفاه الاجتماعي، كشف علاقه سببية متعددة المراحل تصف العلاقه بين الصحافة والكنيست. الصحف ولأسباب مختلفة، تقرر التركز بموضوع معين وتغطيته لقيمته الإخبارية أو لتدفقه من مصدر سياسي. بمده قصيرة نشر الخبر في المصادر الإعلامية يؤثر على الجهاز السياسي وتساهم في تحديد الجدول اليومي له. انتباه السياسيين للموضوع يدفع تيارا اخر من انتباه واهتمام وسائل الإعلام بنفس الموضوع. وهكذا دور الجهاز السياسي مهم جدا من حيث مساهمته باعطاء أهميه للموضوع بعد تطرقه واقتباسه له.

لوسائل الاعلام تأثير على تحديد الجدول اليومي، ليس فقط علي الرأي العام، انما أيضا علي مجموعات خاصه مثل مجموعة المشُرّعين. هنالك أهمية أيضا للمواضيع التي تخطت بوابة الحراسه الاعلاميه في الماضي باثباتها قيمتها الاخباريه وتواصل مستقبلي دخولها الجدول اليومي الاعلامي السياسي واهتمام الجمهور بها.

السبن الاعلامي (SPIN)

في الاونة الأخيرة يكثر استخدام مصطلح «السبين» في العالم السياسي والاعلامي. مصدر التسمية أصله من الحركه الدورانية للكرة التي يلقيها احد اللاعبين باتجاه اللاعب مع المضرب في لعبة البيسبول. سرعة السبين تمثل مقياس لقدرة رامي الكرات.

ما معنى المصطلح؟ سبين ليس حقيقة لكنه ايضا ليس كذبا، هو بين الحقيقة والكذب، ومحاولة لتشويش الحقيقة من أجل جعل الأحداث تظهر بشكل جيد أو سلبي قدر الامكان، العلاقة بين العلاقات العامة، السياسة، الأعمال والصحافة، لكن استخدام «السبين» ولد منذ بداية التاريخ الإنساني، ملوك، فلاسفة ورجال الكنيسة استخدموا «السبين» من أجل إعطاء الأمور طابعا أخلاقيا. حذف كلمات ومصطلحات وتبديلها بأخرى من أجل تغير مواقف وآراء حول نفس الموضوع. البشر لا يقولون ما يفكرون به، ولا حتي ما ينوون قوله. في غالب الأحيان هم يقولون ما يريد الناس سماعه، وربما لو كررنا اقوالنا لصدقونا ايضاً.

تعريف السبين:

هو خطه مدروسة، مقصوده وقصيرة المدى، يقوم بإعدادها أشخاص أو جهات جماهيرية بهدف تركيز الانتباه أثناء التغطية الاعلامية بشيء اخر، أو لصرف النظر أو القيام بالتضليل حول حقائق القصة أو تفسيراتها. «السبين» موجود على حد دقيق بين الحقيقة والكذب، ويتميز بكونه كذب أبيض، يهدف عادةَ الى صرف أنظار وسائل الاعلام. خلق «ضوء» يبهر «أعين» وسائل الاعلام ويصرف انتباهها عن موضوع أو في تضليل في تغطية قصة إعلامية.

لكل مسؤول أو شخص شهير، هنالك خبير مختص للسبين(*Spin Doctor*) يقوم بمساعدته على الخروج من المواقف الحرجه، للوصول لمنصب أو وظيفة ما من اجل كسب مؤيدين والتأثير عليهم، وفي وقت الحروب يمكن أن يساعد في وصف العدو بأنه متخلف. «السبين» بمثابة وسيلة ضرورية للبقاء في زماننا المعاصر. هنالك ادعاء أن كل من يعمل في المجال الاعلامي هو خبير «سبين» وايضاً من يعمل في العلاقات العامة والتسويق.

استراتيجيات السبين

نشير هنا الى ابرز استراتيجيات «السبين» المتعارف عليها

١) عرض الأخبار السيئة بشكل ايجابي.

٢) قول عكس ما تنوي قوله.

٣) «القناع»

٤) تبرير ما حدث بكونك صغير السن، حيث يسمح للصغير التصرف بقلة مسؤولية.

٥) تذنيب شخص آخر.

٦) تحليل الحدث يتعلق بالتفسير - مثال: الرئيس كلينتون قال: «لم أقم بممارسة الجنس مع هذه المرأة» لكن السؤال الآن ما هو تعريفة «للعلاقة الجنسية».

٧) اعطاء انطباع أن كل شئ مجاني- وفي الحقيقة الأمر ليس كذلك.

٨)معلومات احصائية- الناس ينبهرون عادةً من الأرقام، ولا يقفون لحظه لمراجعة صدق وشفافية هذه الأرقام.

٩) الضحية- الظهور بدور الضحية وبالتالي كسب تعاطف الجمهور.

١٠) اخفاء الحقيقة.

السبين الاعلامي في الحلبة السياسية:

السبين الاعلامي في الأوساط السياسية هو بمثابة «الخبز» الذي يأكله السياسيون. اعتاد السياسيون علي استخدامه كثيرا للنيل من أعدائهم و»تشويه» صورتهم أمام وسائل الاعلام والجمهور، أو لصرف انتباه وسائل الاعلام عن حقائق فشلهم وزلاتهم، وبذلك يكسب السياسي الرأي العام.

بسبب اعتماد أفراد الجمهور على وسائل الإعلام، أصبحت وسائل الإعلام الجماهيرية وبالذات التلفزيون (لحد الان في مجتمعاتنا) أهم الوسائل الإعلامية تأثيراً في تشكيل أفكار وآراء الجمهور، وبالتالي تؤثر حتى في تحديد أولويات الجمهور وفيما يظنه مهم أو غير مهم، وذلك بالتركيز علي موضوعات معينة أو التعتيم على موضوعات أخرى، مما يجعل الجمهور يتفاعل مع القضايا المثارة إعلامياً ويتناسى أو ينسى القضايا غير المثارة إعلامياً.

و هذا ما أثار اهتمام الباحث الإعلامي لازرفيلد في عام ١٩٤٤ عندما بحث في قدرة وسائل الإعلام الجماهيرية على صياغة وتشكيل أولويات الناس تجاه القضايا المختلفة في المجتمع، بحيث أنه إذا تم التركيز علي قضية معينة في الإعلام، فإنها ستحظى بنفس الإهتمام لدى لجمهور،والعكس صحيح.

بمعنى أنه إذا ركزت وسائل الإعلام على قضية معينة وأبرزتها، فإن هذه القضية تكتسب نفس الأهمية لدى الجمهور، وهذا ما يعرف بنظرية «تحديد الأوليات» أو نظرية «تحديد الأجندة» *Agenda Setting Theory* والتي أثارها الباحثان الإعلاميان مكومبس، وشو.

و نظرية ترتيب الأوليات- تحديد الأجندة، تفيد بـ «وجود علاقة إيجابية بين ما تؤكده وسائل الإعلام في رسائلها، وبين ما يراه الجمهور هاماً. أي أن دور وسائل الإعلام يسهم في ترتيب الأولويات عند الجمهور. ومن ثم فإن وسائل الإعلام بهذا المعنى تقوم بمهمة تعليمية».

لقد أصبحت وسائل الإعلام الجماهيرية الرئيسة (الإذاعة، التلفزيون، الصحافة)

هي الوسيط بين الأحداث وبين أفراد الجمهور، فهي تنقل الأخبار والمعلومات والرأي والتفسير والتحليل، وهي بذلك تساهم في خلق «واقع اجتماعي» يعيش فيه أفراد الجمهور، ولذلك تبدو أي عملية تغيير في المنظومة الفكرية والثقافية لدى الفرد غير ناجعة إذا لم تُوظف وسائل الإعلام التوظيف الصحيح.

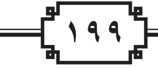
فكرة النظرية أنه مثلما يحُدِد جدول الأعمال في أي لقاء ترتيب الموضوعات التي سوف تُناقش بناءً علي أهميتها، فإن وسائل الإعلام لها جدول أعمالها الخاص التي تحدد الأهم والأقل أهمية من الموضوعات والأحداث.

الناس تتحدث في حياتها اليومية عن الموضوعات أو الأحداث التي تظهر في الوسائل الإعلامية، وبمجرد اختفاء هذه الأحداث من واجهة الصحف مثلاً، فإن الناس سوف تنساها تدريجياً.

هذه النظرية تهتم بدراسة العلاقة التبادلية بين وسائل الإعلام والجماهير التي تتعرض لتلك الوسائل في تحديد أولويات القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تهم المجتمع. كما تفترض النظرية أن وسائل الإعلام لا تستطيع تغطية جميع الموضوعات، لذا يختار القائمون على هذه الوسائل بعض الموضوعات التي يتم التركيز عليها بشدة والتحكم في طبيعتها ومحتواها. وهذه الموضوعات تثير إهتمامات الناس تدريجياً، وتجعلهم يدركونها، ويفكرون فيها، ويقلقون بشأنها. وبالتالي تمثل هذه الموضوعات لدى الجماهير أهمية أكبر نسبياً من الموضوعات الأخرى التي لا تطرحها وسائل الإعلام.

وسائل الإعلام هي التي توجه الاهتمام نحو قضايا بعينها، فهي التي تطرح الموضوعات، وتقترح ما الذي ينبغي أن يفكر فيه الأفراد باعتبارهم أعضاء في الحشد، وما الذي ينبغي أن يعرفوه، وما الذي ينبغي أن يشعروه به.

حين تقرر وسائل الإعلام تخصيص معظم الوقت والمساحة في التغطية الإخبارية لقضية ما، فإن هذه القضية سوف تكتسب أهمية قصوى لدى الجماهير التي تتعرض لتلك الوسائل.



كيف تسهم وسائل الاعلام في ترتيب الاولويات عند الجمهور؟

- تتشابه هذه النظرية مع (نظرية حارس البوابة) في أن كلتا النظريتين تقرران ما يصل الى الجمهور من معلومات.

حارس البوابة: يقررون ماذا سوف (يمر او يحذف) خلال بواباتهم

تحديد الأجندة: وسائل الاعلام تحدد لنا ماذا نقرأ او ماذا نشاهد

- تختلف هذه النظرية مع (نظرية حارس البوابة) في:

حارس البوابة: يقوم بمنع أو تعديل معلومة معينة حسبما يريد

تحديد الأجندة: وسائل الاعلام ترتب المواضيع حسب نظرتها.

(الأكثر أهمية - المهم - الأقل أهمية)

إن صناعة القرار للقائم بالاتصال اوللفرد والمجتمع عملية معقدة تشترك فيها العديد من العوامل والمتغيرات والاتجاهات والقيم سواء للفرد او المجتمع، والتي تساهم في مجموعها في اعطاء الصورة الحقيقية لصناعة القرار. ولأن عالم اليوم هو عبار عن قرية صغيرة يمكن فيها للمتلقي التاثر والتأثير في صناعة القرار ورسم الواقع المتخيل بفضل التكنولوجية الحديثة والمحدثة، والتي ساهمت في التأثير الكبير لوسائل الاعلام والاتصال على المتلقين (الفرد اوالمجتمع). وبذلك اصبح لابد من القائمين عليها والدارسين لها من وضع الاسس والنظريات المُفسِرة لسلوك هذه الوسائل وتأثيرها على المتلقين في احداث التغير المطلوب لصالح القائم بالأتصال، ومن ثم فان صناعة القرار لكلا طرفي عملية الاتصال تأخذ شكل سيناريو في ثلاث احتمالات مفترضه:-

الاول:

- تكون السيطرة لوسائل الاعلام على المتلقي بشكل مباشرة من خلال اثارة الخوف لديه من المجهول المتوقع، وكذلك استعمال الاثارة الموقتة في تلبية حاجات ضرورية له.

- المتلقـي يكـن منعـزلا، مسـلوب الارادة يعانـي مـن ضعـف العـادات والتقاليـد والاعراف.
- يتسلم المتلقي المعلومات بشكل فردي ورد الفعل لديه فردي ايضاً.
- صناعة القرار تكون مرتبطة بوسائل الاعلام واهدافها بشكل مباشر.
- نظرية الرصاصة السـحرية والمجتمـع الجماهيري ودوامة او لولـب الصمت، هي المعتمدة في رسم صورة المشهد هذا.

الثاني:

- تكون السيطرة لوسائل الاعلام على المتلقي بشكل انتقائي حيث تقدم رسائلها الى المتلقي وتسـتقبل ردود الافعال بشـكل انتقائي، ويرجع ذلك الى اختلاف الافراد فيما بينهم في العادات والاعراف والتقاليد.
- المتلقـي فيهـا ليس منعـزلا بـل اجتماعي ويؤثـر في الاخريـن وبذلـك يجب على وسائل الاعلام ادراك حاجات ورغبات المتلقين وتقديمها اليهم من غير استخدام اسلوب الاثارة الرخيصة.
- يتسلم المتلقي المعلومات بشكل فردي وجماعي، ورد الفعل لديه فردي وجماعي.
- صناعة القرار تكون مشتركة بين وسائل الاعلام والمتلقي، ويمكن ترجيح احدهما على الاخر حسب قوة الرسالة ومدى ذكاء المتلقي.
- نظريـة الاسـتخدامات والاشـباعات وانتشـار المبتكرات هـي المعتمدة في رسـم صورة هذا المشهد.

الثالث:

- تكون السيطرة للمتلقين علي وسائل الاعلام من خلال استخدامات المتلقين لهذه الوسـائل ومدى اعتماد الفـرد عليها وذكائـه في معرفـة كيفية اسـتخدامها وبذلك

تكون هناك علاقة تفاعلية بين المتلقي ووسيلة الاتصال.

- صناعة القرار تكون مشتركة بين وسـائل الاعلام والمتلقي ويمكن ترجيح احدهما علي الاخر حسب قوة الرسالة ومدى ذكاء المتلقي.
- يتسلم المتلقي المعلومات بشكل فردي وجماعي ورد الفعل لديه فردي وجماعي.
- نظرية الغرس الثقافي وترتيب الاولويات والفجوة المعرفية هي المعتمدة في رسم صورة هذا المشهد.

وبذلك نجد ان هذه النظريات تحاول الاجابة عن سؤال أو اشكالية صناعة القرار، مع الاهتمام بالعوامل الاخرى المتعلقة بالمرسل والرسـالة والوسيلة ورجع الصدى. ان الفهم الواعي لهذه النظريات يؤدي الي نجاح عملية الاتصال.



نظرية تحليل الاطر الاعلامية

Analysis of the media frame theory

نظرية تحليـل الاطر الاعلامية، التي تعد واحـدة من الروافد الحديثة في دراسـات الاتصال، حيث تسـمح للباحث بقياس المحتوى الضمني للرسـائل الاعلامية التي تعكسها وسائل الاعلام، وتقدم هـذه النظرية تفسـيراً منتظماً لدور وسـائل الاعلام في تشـكيل الأفـكار والاتجاهات حيال القضايا البارزة، وعلاقة ذلك باستجابات الجمهور المعرفية والوجدانية لتلك القضايا.

وتقوم هـذه النظرية على أسـاس أن أحـداث ومضامين وسـائل الاعـلام لا يكون لها مغزى في حـد ذاتها، إلا اذا وضعـت في تنظيم وسـياق وأطر اعلامية محـددة، وهذه الأطر تنظم الألفاظ والنصوص والمعاني، وتسـتخدم الخبرات والقيم الاجتماعية السائدة. ويوفر تأطير الرسـائل الاعلامية القدرة على قياس محتوى هذه الرسـائل ويفسـر دورها في التأثير على الآراء والاتجاهات المختلفة. أي أن هذه النظرية ما هـي الا بناء محدد للتوقعات التي تسـتخدمها وسـائل الاعلام لتجعل الناس أكثـر ادراكا للمواقـف الاجتماعية فـي وقت ما، فهي اذن عملية هادفة مـن القائم بالاتصال عندما يعيد تنظيم الرسـالة حتـى تصب في خانة ادراكات الناس ومؤثراتهم الاقناعية.

وتشـير الدراسـات في مجـال الأطـر الإعلاميـة إلى أن وسـائل الإعـلام تقدم مسـاعدة للجمهور لفهم وتفسـير الأحداث أو القضايا التي تقوم بتغطيتهـا، وخصوصا تلك التي تحظى بالإهتمام والمتابعة الأكبر من قبل الأفراد، حيث "يتلخص دور وسـائل الإعلام في وضع هذه الأحداث أو القضايا ضمن اطر إخبارية، لجعلها ذات بروز وأهمية مقارنة بباقي الموضوعات المطروحة في هذه الوسائل، وذلك لتسهيل فهم محتواها، وربط هذه الأطر تلقائيا بمواضيعها من قبل الأفراد، فيمكن على ضوء ذلك إدراكها وتفسيرها وإبداء التقويمات والأحكام بشأنها، وبهذا يمكن أن تطبق هذه النظرية على الجانبين التحليلي والميداني.

أما مفهـوم البروز فـيعد جوهريـا في تأطير النصـوص الإخبارية، وقـد تناوله عدد من الباحثين في هذا المجال على اعتبار أنه "عملية يتم استخدام عدد من العناصر فيها، بغرض إظهار معنى رئيس محـدد، يبدو واضحاً للمتلقي، بحيث يتم الحصـول على هذا البروز من خلال توظيف كلمـات أو مصطلحـات أو جمل، أو التركيـز على جانب معيـن عند عرض الحدث بصورة أو رسم كاريكاتيري، فيتكون لدى هذا الملتقى حقائق أو أفكار أو وجهات نظر، تساعده على تطوير فهم معين للأحداث.

وإذا نظرنـا للتأطيـر مـن خـلال المسـتوى التحليلـي المتمثل فـي النـص الإعلامي، سـيتضح ان لهذه الآليـات بعديـن، أولهمـا شـكلي ويتمثل فـي موقـع التغطيـة وحجمها، ومدى اسـتخدام عناصر تيبوغرافية معينة، كالصـور والعناوين وغيرهـا، وثانيهما مضموني يتعلق بالمحتـوى كالإسـتعارات، والتلميحات، وربط أُطـر التغطية بنماذج سـابقة، ونوعية الموضوعات الرئيسية والفرعية وغيرها.

ان نظرية تحليـل الاطر الاعلامية (منظرها الرئيسـي انتمان)هـي نظرية تدرس ظروف تأثير الرسالة

تقوم هـذه النظريـة منظر النظريـة الرئيسـي انتمان على أسـاس أن أحـداث ومضامين وسـائل الاعلام لا يكون لهـا مغزى في حد ذاتهـا' الا اذا وضعـت في تنظيم وسـياق وأطر اعلاميـة هـذه الأطـر تنظـم الألفـاظ والنصـوص والمعانـي وتسـتخدم الخبـرات والقيـم الاجتماعية السائدة

تأطير الرسالة الاعلامية كما يشير سي موسـى يوفر القدرة على قياس محتوى الرسالة ويفسـر دورها في التأثير على الآراء والاتجاهات ويعني عندما يقع حـادث معين فالحدث قد لا تكـون لـه دلالة كبـرى عنـد النـاس ولكن وسـائل الاعـلام تصفه فـي اطـار اعلامي من حيـث اللغـة والصياغـة والتركيز علـى عنصر معيـن حتى يصبـح هاما في قلـب الاطار الاجتماعي كله.

وهكذا يستخدم الاعلام جزءا من المضمون لوضعه في أنساق اجتماعية عامة وهامة ليحدد ويضخم الحدث ثم يبسطه ويضع له الحل

ويعرف جوفمان الاطار الاعلامي بأنه: بناء محدد للتوقعات التي تستخدمها وسائل الاعلام لتجعل الناس أكثر ادراكا للمواقف الاجتماعية في وقت ما فهي اذن عملية هادفة من القائم بالاتصال عندما يعيد تنظيم الرسالة حتى تصب في خانة ادراكات الناس ومؤثراتهم الاقناعية.

والاطار الاعلامي يحاول أن يشابه ويماثل بين ما يدركه الناس في حياتهم اليومية وبين بناء الرسالة وتشكيلها كما تفعل الوسيلة الاعلامية بمعنى أن الوسيلة الاعلامية لا تهدف الى التغيير أو بناء قيم جديدة ولكنها تهدف أكثر الى الاستفادة من الفهم العام الموجود.

وكما يرى انتمان المنظر الأبرز لهذه النظرية أن تأثير الأطر الاعلامية على الرسالة لا يتم عبر تشكيل الاطار بشكل متعمد فقط بل يتحقق بالحذف والتجاهل والأغفال المقصود وربما غير المقصود من القائم بالاتصال أي أن عملية التأطير تؤثر في: القائم بالاتصال- نص الرسالة- جماهير المتلقين- الاطار الثقافي والاجتماعي

أنواع الأطر الإعلامية

قدم العلماء كما يشير سي موسى عدة أنواع للأطر الاعلامية المرتبطة غالبا بتغطية الاعلام للأخبار من ذلك:

١. الاطار المحدد بقضية: حيث يتم التركيز على قضية أو حدث جوانبه واضحة عند الجمهور لانه حدث مرتبط بوقائع ملموسة عندئذ يركز الاطار على المدخل الشخصي أو تقديم عناصر الحدث وتداعياته(مثل أنفلونزا الطيور الحدث انتشار مظاهر الاصابة نصائح اجراءات سلوكية وطبية أدوار وقرارات المسئولين قصص اخبارية عن الاصابات أو صناعة سلعة ما التي تضررت ، البدائل المتاحة عند الحكومة والشعب)

٢. الاطـار العام: يـرى الاحداث في سـياق عام مجـرد يقدم تفسـيرات عامـة للوقائع يربطها بالمعايير الثقافية والسياسـية وقد تكون ثقيلة على نفسية المتلقي من الناحية المهنية الا أنها هامة لفهم المشـكلات وتقديم الحلول والاقناع على المدى البعيد (فحادث انتحار الرجل الذي عجز عن دفع رسوم الجامعة لأولاده يعالج في اطار: البطالـة أو الفقر الذي يهدد المجتمـع 'غياب التضامن الاجتماعـي' مجانية التعليم التي ذهبت مع الريح' هل يدفع الآباء حياتهم ثمنا لأولادهم وهكذا)

٣. اطار الإسـتراتيجية: يـرى الاحـداث في سـياقها الاسـتراتيجي المؤثـر على أمن الدولـة القومـي' يتلاءم هـذا الاطار مـع الاحـداث السياسـية والعسـكرية ويركز على قيم مثل:

- مبدأ الفوز والخسارة والتقدم والتأخر والنهضة أو الانهيار
- لغة الحروب والصراعات والتنافس الوطني والدولي
- مبدأ النفوذ والقوة ومصادره وأشخاصه ومظاهره
- تقديم الانجازات الضخمة أو الاخفاقات والانتقادات الكبرى

٤-اطار الاهتمامات الانسانية: يرى الأحداث في سـياق تأثيراتها الانسانية والعاطفية العامة' تصاغ الرسائل في قوالب وقصص درامية ذات نزعة عاطفية مؤثرة.

٥- اطار النتائـج الاقتصادية: يضع هـذا الاطار الوقائع في سـياق النتائـج الاقتصادية التي نتجت عـن الأحداث' يشـير للتأثير المتوقـع أو القائم على الأفـراد والدول والمؤسسـات القائمـون بالاتصـال يسـتخدمون الناتـج المـادي لجعل الرسـالة الإعلامية أكثر فاعلية على الناس وأكثر ارتباطا بمصالحهم.

٦-اطار المسئولية: يضع القائم بالاتصال الرسـالة للإجابة عن السؤال "من المسئول عـن؟" الأفـراد والمؤسسـات والدولـة معنيـون بمعرفة المسـئول عـن الحدث وتحديده في شخص أو مؤسسة أو قانون أو سلوك أو حكومة محددة.

٧- اطار الصراع: تقدم الأحداث في اطار تنافسي صراعي حاد قد تتجاهل الرسائل الإعلامية عناصر هامة في سبيل إبراز سياق الصراع، تبرز الفساد وعدم الثقة في المسئولين، ترى الأشخاص قبل أن ترى الأحداث وترصد المصالح قبل أن ترصد الأهداف وتقيس الرسالة غالبا بمقياس الخاسر والرابح والمنتصر والمهزوم وهو بعد يبالغ الصحفيون والمذيعون كثيرا في جعله إطارا للاحداث.

٨- اطار المبادئ الأخلاقية: عرض الوقائع في السياق الأخلاقي والقيمي للمجتمع، يخاطب المعتقدات والمبادئ الراسخة عند المتلقي، القائم بالاتصال يرد الحدث ردا مباشرا لوعاء المجتمع الأخلاقي، قد يستشهد بالاقتباسات والأدلة الدينية التي تدعم سوقه للوقائع أو بالمصادر والجماعات المرجعية التي تؤكد هذا الاطار.

مراحل تكوين الإطار:

تتم عملية التأطير الإعلامي للمضمون من خلال أربع خطوات رئيسية:

١- يصدر القائمون بالاتصال أحكاما واعية أو غير واعية وبطريقة معتمدة أو غير معتمدة على الرسالة من خلال البناءات المعرفية والإدراكية للاعلاميين

٢- تتشكل الرسالة في أطر مهنية من ناحية الشكل أو المضمون، في عبارات ومفاهيم واقتباسات المصدر هنا له أطره المتحكمة ليس في ذاته بل في الرسالة فوجود أو عدم وجود صور للحدث، مساحة النشر والإذاعة، يسر أو عدم يسر الحصول على المعلومة والجزاء الناتج عن العمل كل هذا وغيره يؤثر في خطوات بناء الاطار

٣- يتوقع المرسل أطرا خاصة للمتلقي فترشده وتؤثر في عملية التأطير الحالية والمتوقعة

٤- الرسالة المؤطرة تمثل المخزون المشترك لكل خطوات وضع الاطار، هي في الغالب التمثيل المشترك للإطار الاجتماعي العام

إذن فالإطار الإعلامي ليس الوسيلة الإعلامية (التليفزيون مثلا) بل هو وليد السياسات والممارسات الإعلامية الموجودة وثقافة القائم بالاتصال ونوع ومصادر الأخبار والاتجاهات الأيديولوجية والثقافية الشائعة ودرجة الحرية السياسية الحاكمة وطبيعة الأحداث وحجمها وارتباطها بالجماهير

وظائف الأطر وأهميتها:

تبرز أهمية الأطر الإعلامية وأهميتها كما يشير سي موسى في التالي:

١- كَشَفَ اهتمام الباحثين بدراسة إنتاج الأخبار والخطاب الإخباري عن أنَّ الصحفيين يعتمدون على التأطير في إنتاج القصص الخبرية، ووفقاً لأولئك الباحثين فإنَّ الصحفيين يحاولون كتابة تقارير إخبارية موضوعية، وتنظيم المادة الإخبارية بطريقة فاعلة، ويميلون إلى المشاركة في عملية التأطير من خلال البناء والتركيب، وإبرازِ جوانب معينة من الواقع، وعزل جوانب أخرى، ويُسَلِّم الباحثون الذين يستخدمون تحليل الإطار بأنَّ علاقاتِ القوة غالباً ما تنعكس في تلك الأطر المتبناة، وتفترض بعض بحوث التأطير أنَّ الإطارَ يمكن أنْ يُسيطرَ على التغطية لفترات طويلة من الوقت.

٢- تُعرِّف الأطر المشكلات، وتشخِّصُ الأسباب، وتحدِّد قوتها التي تخلق المشكلة، وتضع الأحكام أو التقييمات الأخلاقية، وتقيِّم العوامل غير المقصودة وتأثيرها، وتقترح المعالجات وتسوغها، كما تتنبأ بتأثيراتها المختلفة، ويرى *Entman* أنَّ الإطارَ في أي نص محدد قد لا يتضمن بالضرورة الوظائف السابقة جميعها، واتساقاً مع الوظائف السابقة كشفت دراسة *Gamson* (١٩٩٢) عن أنَّ إطار الحرب الباردة هيْمن على الأخبار الخارجية في الصحافة الأمريكية، مركزاً على أحداث خارجية معينة مثل: الحروب الأهلية، ومقدِّماً أحكاماً أخلاقية، وموصياً بحلول معينة، أي أن الإطار هنا حقق وظائف الإطار السابقة.

٣- يحدد الإطار مدى ملاحظة وفهم الأفراد للمشكلة، وكيفية تقييمهم لها وتصرفهم إزاءها واتفق *Scheufele* مع ذلك حيث ذَكَرَ أنَّ تأطير الأحداث والأخبار في وسائل الإعلام يمكن أنْ يؤثرَ بشكلٍ منظَّم في كيفية فهم المتلقين للأخبار المتعلقة بهذه الأحداث كما أنَّ تركيزَ الإطار على إبراز معلوماتٍ معينة يزيد من إمكانية إدراك المتلقي لها، وإدراك معناها ومن ثمَّ معالجتها وتخزينها في ذاكرته، إلا أنَّ *Entman* رأى أنَّ تأطير النص لا يضمن تأثيره في تفكير المتلقين.

٤- أوضحت أدبيات التأطير تأثيراتِه القوية في الإدراك الاجتماعي والتفضيلات السياسية للأفراد، ونَبَع هذا الأمر من خلال دراسة التقارير الصحفية والتليفزيونية، واختيار الأطر مهم في تحديد مدى قارئية الموضوعات الصحفية.

٥- تؤكد نظرية الإطار على أنَّ تأطيرَ الأخبار يتوسط الطريقة التي يستخدم فيها الناس المعرفة الاجتماعية والخبرات السابقة، ولهذا فإن الافتراض الأساسي في نموذج *Rhee* يتمثل في: أنَّ تركيب الرسالة في النصوص الإخبارية يُقيّد الطريقة التي يستخدم بها الأفراد معرفتهم في تفسيرها، وتوصلت دراسة الباحث إلى أنَّ الأطرَ الإخبارية تساعد الأفراد في بناء نماذج خطاب معينة *Corrsponding Discourse Models* من خلال تزويدهم بمجموعات من المفاهيم المستخدمة في عملية تفسير الحدث أو القضية.

وعلى الصعيد نفسه يؤسسُ الإطار لسبيلٍ مترابط بين القضية المستهدفة ومجموعة المفاهيم المحددة من خلال تنشيط أو اقتراح بعض الأفكار على حساب الأخرى.

٦- لا يتطور التأطير الصحفي للقضايا والأحداث من فراغ، بل يتشكل من خلال التأثر بعوامل اجتماعية متعددة متضمنة العوامل السياسية، ودور المنظمات والحركات الاجتماعية.

٧- تؤثر الأطر في الاتجاهات من خلال التركيز على قيم وحقائق معينة واعتبارات أخرى، وتمنحها صلة أكبر بالموضوع أو القضية١، كما أنَّ وسائل الإعلام تبني أطراً متعددة لتغطية أحداث مختلفة، ويتأثر ذلك باتجاهات المحررين وتأثير القِيَم في الأسلوب الذي يكتبون به.

٨- تقوم الأطر بأدوارٍ استراتيجية في المؤسسات والحركات الاجتماعية، وتؤثر في السلوك، وتجذب الأعضاء والمصادر، كما تساعد في ربط الفرد بالجماعة، وقيمها وأيديولوجيتها، وهو الأمر الذي يتوافق مع أنَّ الإطار له قوة اجتماعية.

وتَستخدمُ المؤسسات والحركات الاجتماعية الأطرَ في محاولة التأثير في إدراك مبادئ ومعتقدات وأفعال المجموعات المستهدَفة على اختلافها، وجزءٌ من هذه القوة يأتي من خلال قدرة وسائل الإعلام على تحديد الإطار دون معرفة الجمهور به، إلا أنَّ تعدد الأطر قد يشوب القوة الكامنة في تأثير أي إطار في التغطية الإعلامية أو إخضاع الرأي العام.

عناصر الإطار الإعلامي:

يعتبر *Entman* أنَّ العناصرَ الأربعة في العملية الاتصالية هي: القائم بالاتصال (الصحفي) *Communicator*، والنص *Text*، والمتلقي *Receiver*، والثقافة *Culture*..

١- القائم بالاتصال (الصحفي): قد يُقدِّم -عن عَمدٍ أو غير عَمد- أحكامًا من خلال أطر تَحْكُمها تسمى *Schemata* تنظِّم قيمَه ومعتقداته، ويمارس دورًا هامًا في بناء وتشكيل الأخبار من حيث الاختيارات اللغوية، والاقتباسات، والمعلومات التي تقود للتأكيد على عناصر أو جوانب معينة في القصة الخبرية، ويؤطّر الصحفيون القصص الخبرية من خلال اختياراتهم التي يقومون بها أثناء كتابتهم وتحريرهم لتلك القصص، وهذه الاختيارات تؤثر بدورها في الطريقة التي يفسّر القراء القصص من خلالها.

ويرسم الصحفيون أنماطًا أو أطرًا تصب معرفيًا في المناقشات العامة، وتؤثر في

مستوى معلومات الأفراد، وهذا يتم من خلال الاختيار الانتقائي لتغطية جانب أو الجانبين كليهما لحدث أو قضية ما، مع وضع تفسير مبسطٍ للأحداث والقصص، أو من خلال تغطيةٍ أكبرَ لقضيةٍ واحدة على حساب الأخرى، وهم محكومون بدورهم بالأطر التي تنظِّم أنساقهم المعرفية والضغوط المهنية التي يعملون في ظلها مثل: ضغوط السيطرة والملكية والتمويل، والتي تحدد السياسة التحريرية، بالإضافة إلى ضغوط المساحة وسرعة العمل الإعلامي، والمشكلة التي تحدث في عمل التحرير اليومي تتعلق بعملية الإدراك الانتقائي التي تقود إلى أطرٍ بديلة تصطبغ بالأيديولوجية عن وعي أو عدم وعي بذلك.

وتؤثر المصادر الإخبارية في الكتابة الصحفية، حيث يَعتمد الصحفيون عليها في الموضوعات القصصية، ومضمونها، كما أنَّ اختيار المصدر قد يعكس الأحكام الفردية أو العوامل المؤسسية والتنظيمية.

ويتعلق بما سبق ما توصل إليه *Chyi&McCombs* من أنَّ الصحفيين ومصادرهم يعززون إبراز القضية في الأجندة الإعلامية من خلال تغيير الإطار، وأنَّ المغزى المحتمل المرتبط بطبيعة الحدث الإخباري يجعلُ التأطيرَ ممكنًا على مستويات متعددة، كما أنَّ الاختلاف في التغطية ينتج عن اختلاف القيم الشخصية والمهنية للصحفيين الذي يعملون في غُرَف الأخبار.

٢- النص: يتضمن الأطر التي تبرز من خلال حضور أو غياب كلمات أساسية، وتراكيب معينة، وصور نمطية، ومصادر المعلومات، والجمل التي تتضمن حقائقَ وأحكامًا معينة.

٣- المتلقي: حيث قد يعكس تفكير المتلقي واستنتاجه الأطر في النص، ونية أو قصد التأطير لدى القائم بالاتصال، وقد لا يعكس.

٤- الثقافة: وهي "مجموعة من الأطر المشتركة المقدَّمة في خطاب الأفراد أو تفكيرهم في جماعة اجتماعية معينة"، وهي كما عرَّفها *Entman* "مجموعة من

الأطر التي يتم الاستشهاد بها"، ومن الممكن أن تعرَّف إمبريقياً بأنَّها "مجموعة من الأطر الشائعة التي تظهر في خطاب وتفكير معظم الناس، أو جماعة اجتماعية معينة"، ويذكر الأخير أنَّ التأطيرَ في العناصر أو المواقع الأربعة يتضمن وظائف متشابهة هي: الاختيار والإبراز، واستخدام تلك العناصر لبناء الجدل حول المشكلات ومسبباتها، انتهاءً بتقييمها وتقديم حلولٍ لها

وبصفةٍ عامة تُعتبر وسائل الإعلام مشاركًا نشطًا في اختيار وتأطير العالم، حيث تَنقلُ ذلك الاختيار من خلال ممارساتٍ ثقافية، وتُمثِّل شبكاتٍ اتصالية لتطور الخطاب، مؤديةً ذلك بطرق تُبنى على أساس عمليات نفسية لغوية *Psycholinguistic Processes* مهمة في المعرفة الإنسانية.

وتخلق الضغوط الخارجية التي تتعرض لها هذه الوسائل الحاجة إلى تسوية الاختلافات -ليس فقط على مستوى المهنيين في غرف الأخبار-، ولكن أيضاً على مستوى ثقافة غرف الأخبار، وقد تتمثل الضغوط الخارجية في "المالكين الذي ينطلق حافزهم من الاعتبارات السياسية والاقتصادية".

العوامل المؤثرة في الإطار الإعلامي:

هناك خمسة عوامل داخلية وخارجية تؤثر في كيفية تأطير الصحفيين كما يشير موسى لموضوع معين وهي:

١- العادات والتقاليد الاجتماعية.

٢- القيود والضغوطات المؤسسية أو التنظيمية.

٣- جماعات الضغط والمصالح.

٤- القيود الصحفية الروتينية.

٥- الاتجاهات الأيديولوجية والسياسية للصحفيين.

ووفقاً لنموذج *Gans* (١٩٧٩)، ودراسة *Shoemaker&Reese* (١٩٩٦) هناك على الأقل ثلاثة مصادر للتأثير في الإطار الإعلامي تتمثل في:

- المصدر الأول: التأثيرات التي مصدرها الصحفي: حيث أنَّ تشكيل الأطر يتوسطه متغيرات مثل: الأيديولوجية، والاتجاهات، وتعكس الطريقة التي يؤطر بها الصحفيون التغطية الإعلامية.
- المصدر الثاني للتأثير: اختيار الأطر كنتيجة لعوامل مثل: نوع الاتجاه السياسي للوسيلة، والقيود المؤسسية أو التنظيمية.
- المصدر الثالث للتأثير: العوامل الخارجية المتمثلة في العوامل السياسية مثل: السلطة، وجماعات المصالح، والنخب الأخرى، و"السياق الاقتصادي بما فيه من ضغوط عناصر الملكية والتمويل والإعلان، بالإضافة إلى الأنماط والقيم الاجتماعية والثقافية الموجودة في المجتمع"

أدوات وآليات الإطار الإعلامي:

١- يقصد بآليات الإطار *Frame Mechanisms* الموقع الذي تحتله القصة الخبرية في الصحيفة، وكذلك وجود رموز أو إشارات تشير إلى أهمية القصة الخبرية، واستخدام العناصر الشكلية المرافقة مثل: الصور والرسوم البيانية، العناوين الفرعية وأخيرًا حجم الخبر، أي احتوى التعريف السابق على آليات للتأطير هي:

أ- موقع الخبر أو القصة الخبرية.

ب- الرموز والإشارات.

ج- الصور والرسوم البيانية.

د- العناوين الفرعية.

هـ- حجم الخبر.

٢- ووفقاً ل Entman (١٩٩١) فإنَّ أطر وسائل الإعلام غالباً ما تتضمن:

أ- الكلمات الرئيسية Keywords.

ب- المجاز أو الاستعارة Metaphors.

ج- المفاهيم Concepts.

د- الرموز Symbols.

هـ- الصور البصرية (المرئية) Visual Images.

٣- وأشار Entman (١٩٩٣) إلى الانتقاء والبروز Selection&Salience نقلا عن موسى كأدواتٍ للتأطير، حيث أنَّ التأطير يتضمن بالضرورة الاختيار والإبراز، وذلك لتعزيزِ مشكلةٍ معينة، أو تفسيرٍ متفق عليه، أو تقييمٍ أخلاقي، أو معالجةٍ للموضوع وفي السياق نفسه فإنَّ استبعاد واستثناء معلوماتٍ أو جوانب معينة من الموضوع يعتبر من أدوات الإطار

٤- قام Pan&Kosicki باقتراح أدوات عدة لصنع الإطار وبنائه وهي:

أ- البناء التركيبي للقصة الخبرية.

ب- الأفكار الرئيسية المتضمنة في سياق القصة الخبرية.

ج- البناء الموضوعي للنص.

د- الاستنتاجات الضمنية.

٥- وتعتبر العناصر النصية مثل: الكلمات والصور من أدوات الإطار.

٦- ومن آليات الإطار:

أ- آلية بناء السياقات Contextualization.

ب- شخصنة المواقف والأحداث Personalization.

ج- إضفاء الطابع الدرامي على المواقف والأحداث *Dramatization*.

د- تجزئة المواقف والأحداث *Fregmentation*.

هـ- تنميط المواقف والأحداث *Normalization*.

و- التجريد من الإنسانية *Dehumanization*.

ز- التحويل إلى شيطان *Demonizatin*.

ح- المساواة *Equalization*.

ط- الاستئصال والتطهير *Sanitization*.

٧- ومن آليات التأطير كذلك:

- العناوين الرئيسية والترويسات.
- العناوين الفرعية.
- الصور الفوتوغرافية.
- تعليقات الصور الفوتوغرافية.
- المقدمات الاستهلالية.
- الاختيار الخاص بالمصادر.
- الاختيار الخاص بالاقتباسات.
- الاقتباسات المؤكدة.
- السمات الطباعية للنص مثل: الرموز والأشكال التخطيطية المستخدمة عادة في تمييز نصوص معينة.
- البيانات الإحصائية أو الرسوم البيانية والأشكال التخطيطية.
- العبارات الخاتمة أو الفقرات التلخيصية للنص الخبري.

٨- ومن آليات الإطار:

- التلميحات الاجتماعية *Social Cues*.
- نغمة (نبرة) التغطية *Tone of Coverage*.
- إعادة التأطير *Reframing*.
- آليات خاصة بالعناصر الشكلية في النصوص الصحفية مثل: الصور، وموقع التغطية الصحفية، وحجمها، والمساحة، وكلمات التدعيم والتكرار.
- آليات اعتمدت على توظيف خصائص التحرير الصحفي مثل: البناء الفني، ونوع الشكل التحريري.
- القضايا الفرعية التي يتضمنها النص الإخباري.

ويلاحظ مما سبق وفقا لموسى التداخل والخلط بين الباحثين في تحديد أدوات وآليات الإطار الإعلامي، ولعل ذلك يرجع إلى الاختلاف الموجود أصلاً فيما بينهم في تعريف الإطار وتحديد ماهيته، وهو الأمر الذي ينبري على محددات أخرى للإطار، وعملية التأطير الإعلامي.

ما هو التأطير؟

هو اختيار الاسس والقواعد المقبولة لتمثيل (عرض) المواد وتحليلها بشكل منظم.

طريقة تأطير المواد الاخبارية هي طريقة روتينية ومقبولة بنقل الرسائل بالطرق التي تؤثر على فهم هذه الرسائل بالنسبة للجمهورعلى اختلافه.

يدّعي باحثو الاجتماع بان كل انسان يجب عليه ان يضع الواقع اليومي في اطار كي يستطيع فهم الوضع الاجتماعي، ويعمل حسب ما يفهم ويرى.

ان مصطلح "تأطير" يتطرق لكيفية عرض الوقائع في الاعلام وتاثيرها علينا، التأطير يساعد الجمهور على الفهم وتحليل وترتيب الاحداث او المعلومات.

وُجد التأطير ليساعد ويشير الى المسببات التي يمكن ان تكون مشكلة، والى الجهات التي يمكن ان تكون الحل.

اذا الحديث يدور عن تنظيم المعلومـات التي يجلبها المحرر او الكاتب (المرسـل). ولكل كاتب وجهة نظر خاصة به تعتمد على قيم، معلومات مسبقة، وخلفيه ثقافيه تؤثر على التغطية الاخبارية للخبر،

ان التغطية الاخبارية تخبر القارئ او المشاهد (المستقبِل) ماذا حدث، والمقصود هنا ليس فقط نقـل المعلومات بصورة موضوعية. فبواسـطة التأطير تضـاف للتغطية الاخبارية، الايديولوجية التي يتلقاها المستقبل.

ما هي اطر الاعلام؟

ان اطر الاعلام هي نمط متتالي للتفكير،التحليل،التمثيل، الاختيار، واخراج الشاذ. اذ انه بواسـطة الاطر يمكن خلق اشـارات ورموز التي بدورها تنظم(ترتب) الحديث الكلامي او الصوري.وتُمكن اطر الاعلام الصحفيين من العمل على معلومات كثيرة بشـكل سريع، وان يكونوا جاهزين دائما للحدث غير المتوقع.

ان اطر الاعلام فكرة رئيسية لتنظيم مفهوم الاحداث، وبحسبه يتم تعريف ما هو موضوع البحث حسب النص، وكيف يمكن التطرق له: موقف سلبي، موقف ايجابي، حيادية.

امثلة لاطر اعلامية:

سباق الاحصنة هو اطار اعلامي منتشر في تغطية الحملة الانتخابية.

الاحتجاجات الخطيرة هي بمثابة اطار اعلامي منتشر لتغطية المظاهرات.

الاقوياء هم مرتشـون: شـكل اعلامي منتشـر لتغطية فعاليـات سياسـيين، عكس هذا النموذج، الضحية صادقة، تميز وتمثل الطبقات الضعيفة في المجتمع.

قصة الصراع هـي اطار اعلامي منتشـر لتغطية احـداث الانتفاضة الاولـى في الاعلام

الدولـي، كل قصة هي حدث مكـون من عدة تفاصيل ليـس بمقدورها ان تُعـرض جميعها. لكل قصة يوجـد زوايا رؤيا مختلفة وعـدة تصنيفات وتحليل. ان اختيـار زاوية معينة وليس اخرى، هو اختيار في اطار معين على اساسه يعطي الصحفي تقريره.

صعود، هجرة، نزوح من البلاد،تساقط شـعر: كل مصطلح من هـؤلاء يتطرق لعملية نقل من بلد الى اخـر، لكل مصطلح يوجد الكثير من القيـم والمعاني. فمثلا كلمة "صعود" يوجد لها معنـى ايجابي في عيـون اليهود، وهـي ترمز الى نقـل يهود مـن اراضٍ اخرى الى ارض اسـرائيل. هجرة: تعني الانتقال من دولـة الى اخرى. وهو مصطلـح محايد لا يتخلله راي او حكم في الهجرة من...الـى. وهو مصطلح نقدي اوجده رابيـن، وهو يعبر عن النقد الاجتماعي الصعب ضد الاسـرائيليين الذين يهاجرون من البلاد الى خارجها. نزول: تعني الهجرة بالمفهوم السلبي، اي ان اليهود يتركون اسرائيل وبذلك يساعدون على اضعافها.

من وراء اختيار كل تعريف رمـزي، كلمات، او صور، تختبئ دائما افـكار، فنون، اراء وقيم. الاختيار باستعمال صفات وافعال غير مقارنة معينة، تعكس راي وقيم من وجهة نظر المرسل.

الاعلام يتاثر بشكل كبير بمميزات الحدث والظرف المنسوب له، فمثلا:

مظاهرة عنيفـة تحظى بتغطيـة مختلفة عن مظاهـرة سـلمية، وايضا اطر الاعـلام تتاثر بالظرف الثقافي/ السياسي.

وعمليـة تفجير فـي زمن الحـرب وعمليـة تفجير فـي زمن السـلم، لا تحظيـان بنفس التحليل والتفسير في وسائل الاعلام.

ان انتقال الاسرائليين للعيش خارج اسـرائيل في يومنا هذا لم يعد له مفهوم سلبي كما كان في السـابق، فعملية العولمة وخروج العديد من الاسـرائيليين بعـد الخدمة في الجيش الى خارج اسـرائيل، عكَسَ التعبير، اذ انه من حق كل فرد اليـوم ان يتصرف بحرية من اجل مصلحته الشخصية، وهذا ايضا يدخل ضمن اطار ترك البلاد.

آليات عملية التأطير

تجري عمليـة التأطير على يـد محرر واحيانـا على يد كاتـب الذي يكتـب الخبر، انها تكنولوجيا تضـم اسـتعمال القولبـة، مطبوعات معروفـة، قصة تبيـن من المسـؤول، اظهار الماسـي يمكن التأطير من نقـل المعلومات المركبة بصورة بسـيطة وسـريعة مثـل القولبة. اضافة الـى ان عملية التأطير تعتمـد على طريقة تفكيـر مقبولة، وايضا تدعـم نظرية القولبة. التأطير هو عملية مقبولة من ناحية الموضوعية،

وبمسـاعدة الادوات الموضوعيـة، يمكـن تحديـد التأطيـر. مثـل العنـوان والتحليـلات المرافقة للصـورة ان وجدت. الخبـر لا يدعم دائما العنـوان، لانه احيانا المحـرر هو من يعطي عنوان الخبر وليس الكاتب، وذلك يعود الى عامل الريتنج لجذب اكبر عدد ممكن لقراء الخبر.

من يبادر الى التأطير؟

المحرر: وهو الذي ينفذ عملية تأطير الاخبار، احيانا يكون الكاتب، او الذين يعملون في اطار العمل الصحفي المقبولة في الصحافة. مثل:

١: حسب المقاييس الاخبارية (١٢ مقياس ل جالتونج وروجيه)(*) الذين يساعدون في اختيار المواضيع التي ستحظى بتغطية صحفية.

٢: المحرر الذي يعمل حسـب كونـه " كلب الحراسـة للديمقراطية "، وهو اسـلوب كتابة مقبول في الصحيفة مثل " افتتاحية ايديولوجية او نهاية ايديولوجية".

معيار جالتونج وروجيه للعوامل المهنية:

مكون من ١٢ شرطا

١. العامل الزمني

٢. الصحافة

٣. القرب الثقافي،

٤. الوضوح،

٥. ملائمة توقعات مستقبلية،

٦. كون الحدث غير متوقع كالقضايا المفاجئة كالكوارث،

٧. الاستمرارية (الوقائع تبدأ قوية وتستمر، كالأحداث في سوريا، الى ان يحدث اشباع، مثلا الموضوع الان عادي)،

٨. المبنى،

٩. احداث تتعلق بشخصيات معروفة،

١٠. احداث لها علاقة بالدول العظمى،

١١. احداث ذات عامل انساني،

١٢. احداث سلبية او ذات تأثير سلبي.

وقد ركز فريدمان على ثمانية من هذه العوامل هي: ١،٢،٣،٤،٥،٦،٧، و١١.

التأطير والتمويه

الجهات الخارجية الذين يهتمون بالتأطير وايضا هم قادرون على التاثير عليه، انهم مستشارو الاعلام، الناطقون او الدعائيون الذين يعملون تحت امرة السياسيين، هذه الجهات تلقب ب المستشارين الاعلاميين. ان هذا اللقب يصف القدرة للاخصائيين الذين يعملون خارج اطار الصحافة بمدى تاثيرهم على الصحافة، وبالتالي التاثير على الراي العام. ويسمى هذا التاثير(التمويه الاعلامي)، وهو يعبر عن ارادة السياسي اظهار احداث هو نفسه يرغب بظهورها حسب مصلحته الشخصية، عن طريق نقل خبر معين.

- التمويه الاعلامي: هو مبادرة من قبل جهة خارجية تحاول جذب الاعلام لموضوع معين والتغاضي عن موضوع اخر فمثلا:

السياسي الذي واجه مشاكل داخلية يمكن ان يستعين بالمستشارين الاعلاميين، وبهذه الطريقة فانه يجذب الاجندة الاعلامية والجماهيرية للاتجاهات التي يريدها، فمثلا من المريح له لفت انتباه الاجندة الى القضايا الامنية، واحيانا من المريح له لفت الانتباه الى القضايا الاجتماعية والسياسية.

مثال: بعد ثلاث ساعات من وجود رئيس الحكومة في المستشفى، وبعد ان تبين بان وضعه الصحي بشكل عام جيد، نصحه مستشاروه الاعلاميون بان يبادر الى عقد مؤتمر صحفي قصير او ظهور قصير امام الجمهور. رئيس الوزراء بادر الى الاتصال بكل الصحفيين المحليين، وامام كل واحد ادلى بهذه المقولة: الو، انا جيد، من الواضح انني كنت بحاجة الى فترة راحة قصيرة. سنواصل الى الامام".

كان واضحا لمستشاري الاعلام لرئيس الوزراء، شارون، ماذا ستكون عناوين الصحف في اليوم التالي. انهم لا يريدون ابراز " جلطة دماغية" باللون الاحمر على الصحف، لقد كانوا متأملين بانهم سيجدون في الصحف " كل شيء جيد، مسيطرون على الوضع"، وبالطبع ان لا ينسوا " الى الامام سنكمل المشوار، الى الامام".

الاجندة وعلاقتها مع التأطير

يستعمل التأطير لتسويق المبادرات السياسية، اذ ان التسويق السياسي يهدف الى اقناع اكبر عدد من الجمهور، لذلك يتم استعمال التأطير المناسب لهذه السياسة، بهدف قبول الجمهور بها. مثال:

اجري بحث فحص تأطير عملية السلام في اسرائيل بين تاثير التأطير على الجمهور الاسرائيلي، ولذلك تم اظهار الاهمية السياسية لتسويق التأطير في الصراع العالمي.

تأطير الاخبار في التلفزيون:

لاطر التلفزيون هنالك تاثير كبير على راي الجمهور حسب تعريف الجهات المسؤولة عن خلق المشكلة وحلها. ومن الممكن تقسيم اخبار التلفزيون لفئتين اساسيتين من الاطر:

الاطار الاحداثـي: يتم عـرض الموضوع حسـب حدث منفـرد، وتصنـف المواضيع الجماهيرية مع استعمال امثلة معينة. هذه الاطر يُكثر من استعمالها التلفزيون. مثال

تقرير تلفزيوني عن مشـكلة الفقر، تتمركز في قصة عائلة واحدة تعيش هذا الوضع دون التطرق الى مواضيع اجتماعية ادت الى الوصول للفقر، مثل انخفاض في اماكن العمل.

الاطار الموضوعي: تُعرض المواضيع الجماهيرية بصورة عامة وواضحة، مع التركيز الكبير على خلفية الموضوع، واعطاء تفسيرات وتحليلات عديدة عن الموضوع. مثلا

تقرير تلفزيوني عـن الفقر يتم التركيـز على المختصيـن والممثلين عن المؤسسـات، والبحث معهم حول اسـباب الفقر، المفهوم الجماهيري للفقر في اسـرائيل، محاولة اعطاء بعض الحلول الممكنة.

اعلاميـو التلفزيـون لا يحبـذون العمـل بهذا الاطـار، لانه ليـس هنالك صـور خاصة ملائمة له، الا انه يوجد فقط اناس مختصون يتكلمون.

الاطـار الاحداثي اكثر ملائمـة لقوانين التلفزيون مـن الاطار الموضوعـي، لذلك فان التلفزيون يكثر التطرق الى الواقع، عن طريق تحليله بطريقة الاطار الحداثي.

تأثير تأطير الحدث والموضوع على تصميم راي الجمهور:

المشاهدون للتقرير الاخباري الذي يَعرض قضية معينة مع استعمال تأطير الاحداث، يميلـون بالقاء المسـؤولية الشـخصية علـى الاطراف المشـتركة فـي الحدث. مثـال: اتهام الفقراء لما وصلوا اليه من فقر، وبـأن عليهم الخروج من هذا الوضع. مقابل ذلك مشـاهدة تقرير يتطرق لنفـس الموضوع (الفقر) مع اسـتعمال اطر موضوعية، مـن المحتمل ان يُلقي المشاهدون المسـؤولية واللوم على المجتمع. مثال: الحكومة مسـؤولة عن وصول الناس الى الفقر، بعدم اتخاذها اية قرارات ذات اهمية لاصلاح الوضع.

معالم القوة والضعف في نظرية تحليل الإطار الإعلامي:

١- معالم القوة في نظرية تحليل الإطار الإعلامي:

أ- وفقاً لـ *Baran&Davis* تتجلى معالم القوة في النظرية من خلال:

- تركيزها على الأفراد في عملية الاتصال الجماهيري.
- رغم تركيزها على مجتمع واحد في الدراسة فهي من الدراسات ال *Micro*، إلا أنَّها أسهل وأقدر على الوصول إلى موضوعات أو قضايا التأثيرات على المستوى ال *Macro* أي الأوسع والأشمل.
- مرونتها الشديدة "حيث يمكن تطبيقها في مجالات عدة سياسية وثقافية واجتماعية واقتصادية".
- تناسقها مع النتائج الحالية لدراسات علم النفس المعرفي.

ب- يعتبر مفهوم تحليل الإطار من أبرز المفاهيم الحديثة التي تفسر دور وسائل الإعلام في تشكيل معارف الجمهور واتجاهاته نحو القضايا المختلفة، وبذلك يمكن دراسة الاتجاهات والمعارف من خلال تلك النظرية.

ج- تتمثل نقاط القوة في النظرية فيما يلي:

- إمكاناتها في اقتحام مجال رصد وقياس التأثيرات السلوكية للتأطير الإعلامي في الجمهور.
- ثراء وخصوبة التطبيقات البحثية لها بالتوازي مع محاور عملية الاتصال الجماهيري متمثلة في القائم بالاتصال، والرسالة الإعلامية، والجمهور، والسياق الثقافي، ورجع الصدى.
- مرونتها حيث يمكن جمعها بأطر إعلامية أخرى، أو اعتماد مدخل نظري تكاملي من جهة، وصلاحيتها للتطبيق في فروع العلوم الإعلامية على اختلافها مثل: التحرير، والإعلام الدولي، والإعلان، والعلاقات العامة، ودراسات الصورة من جهة أخرى.

- يمكن تطبيقها في أنواع مختلفة من الدراسات مثل: الدراسات التاريخية والآنية.
- يمكن لتطبيقاتها البحثية الاستعانة بأي كمٍ أو نوع من المناهج والأساليب والأدوات في جمع وتحليل وتفسير البيانات المختلفة.
- تتميز بقدرتها على التطوير الذاتي من خلال نماذج مقترحة في تيارات بحثية معاصرة ومستقبلية، واتساعها لتشمل نماذج بناء الأطر، ووضع الأطر، والتأطير الاستراتيجي، والتي من الممكن أن تنفصل مستقبلاً عن هذه النظرية لتصبح أطراً نظرية مستقلة بذاتها.

د- تقدم النظرية فوائد لدراسات الرأي العام، والسلوك الانتخابي، والدراسات المعرفية والثقافية ودراسات علم الاجتماع

٢- معالم الضعف في نظرية تحليل الإطار الإعلامي:

أ- يرى كل من *Baran&Davis* أن نقاط الضعف في النظرية تتجلى فيما يلي:

- مرونتها تجعلها تفتقر إلى التحديد.
- ليست لديها القدرة على تحديد مدى وجود أو غياب التأثيرات.
- تَحُول دون التفسيرات السببية بسبب اعتمادها الأكبر على المناهج الكيفية.
- تنتقص من قيمة قدرات الأفراد حيث تفترض أنَّ الأفراد يرتكبون أخطاء كثيرة في التأطير.

ب- يؤخذ على النظرية عدم وجود نموذج فكري مشترك متفق عليه من قبل الباحثين في دراسة النظرية، نظراً للجدل القائم حول مفهوم الإطار وطرق قياسه.

ج- هناك عدد من الاتجاهات في بحوث التأطير تجاهلت العلاقة بين أطر وسائل الإعلام والعوامل المتعلقة بالسلطة السياسية والاجتماعية، وهذا الإغفال ناجمٌ عن عوامل عدة تتضمن مشكلة تعريف الأطر، والفشل في دراسة سياقات

التأطير من سـياقات اجتماعية وسياسية أوسـع، والتقليل من شأن التأطير كشكل للتأثيرات الإعلامية

د- غزارة وتنـوع العناصر ومصـادر المؤثرات فـي عملية بنـاء الأطر، وآليـات التأثير والفهم والإدراك للمتلقين، وصعوبة حصرها، وضبطها وتفسـيرها، يطرح الكثير من التساؤلات حول مدى قابلية نتائج دراسات النظرية للتعميم

هـ- عدم وجود تحديد دقيـق للحدود الفاصلة بين أنواع الأطـر المختلفة مما يجعلها مسألة تخضع لانطباعات الباحثين

ر- الإطار يبقى قائماً بتأثير عوامل مختلفة.

نظرية الأطر الخبرية

تعتمد هذه الدراسة على نظرية لها أهمية في مجال الدراسات الإعلامية وذات صلة بموضوع الدراسة وهي نظرية الأطر الخبرية التي يتم تناولها على النحو التالي:

نظرية الأطر الخبرية *News Framing Theory*:

يعد تحليل الإطار الإعلامي أحد الروافد النظرية الحديثة في دراسات الاتصال، ويعتبر مفهوم الإطار مفهوما له مغزى ودلالة إعلامية حيث إنه يسهم في التعرف على دور وسائل الإعلام في بناء وتشكيل اتجاهات الرأي العام إزاء القضايا والموضوعات المختلفة التي تقدمها وسائل الإعلام، وترجع أهمية نظرية الأطر الخبرية إلى أنها تقدم تفسيرا عمليا ومنتظما لكيفية حدوث التأثيرات المعرفية والوجدانية لوسائل الإعلام على الجمهور بمختلف فئاته وخصائصه . الديموغرافية *(Pippa Norris,1995,Pp357 - 360)*.

ويعرف انتمان *Entman* ١٩٩٣ الإطار بأنه تحديد جوانب معينة من الواقع يتعلق بحدث ما أو قضية وجعلها أكثر بروزا في النص الإعلامي، فالأطر الإعلامية تسهم في بناء اطر الجمهور فيما يتعلق بالموضوع أو القضية التي يتم إبرازها في المحتوى الإعلامي ويعني ذلك كما أشار انتمان إلى أن الأطر تنقسم إلى نوعين: *(Robert Entman,1993,P85)*

يتعلق النوع الأول بإطار المعالجة الإعلامية والتي يتميز بها النص الإعلامي، ويشير النوع الثاني إلى الأطر التي يتبناها الجمهور ويكونها تجاه الحدث أو القضية المطروحة في وسائل الإعلام.

وقد أجريت الدراسات التي أهتمت بقياس أطر المعالجة الإعلامية للقضايا المختلفة بوسائل الإعلام واعتمدت هذه الدراسات على التحليل الكيفي والكمي للمضمون الإعلامي وأشارت إلى أن هناك مجموعة من العوامل تكمن وراء الأطر الإعلامية التي

تتبناها وسائل الإعلام وتقدم منها التوجه الإيديولوجي للوسيلة وأيضا طبيعة المعالجة الإعلامية للقضية أو الحدث بمعنى هل تتم في فضلا عن توظيف وسائل *(Kevin M Carrage.1991.Pp.1--31)* إطار ايجابي أم سلبي.

الإعلام لبعض الأساليب والاستراتيجيات لتدعيم الأطر التي تقدمها مثل استخدام الكلمات ذات الدلالة (كلمات محورية)، والصور والعناوين والرسوم والجرافيك... الخ.

كذلك أجرى الكثير من الدراسات التي عنيت بدراسة تأثير الأطر الإعلامية للأحداث والقضايا المختلفة على بناء أطر الجمهور نحو هذه القضايا كانت أهم نتائجها تشير إلى مدى أهمية تأثير الأطر الإعلامية في بناء وتشكيل الرأي العام إزاء القضايا والسياسات المطروحة داخل هذه الأطر المشار إليها التي تنعكس على الأطر التي يكونها الجمهور بشأن هذه القضايا. *(122-Dietram Scheufele.1999. Pp.103)*

وتطرح النظرية نماذج تفسيرية يتم توظيفها في التحليل الكيفي لتمثيل الجوانب والسمات البارزة الواردة في الرسالة الإعلامية، أي تحديد أطر التغطية الخبرية للقضايا والأحداث المختلفة، **ومن أبرز هذه النماذج ما يلي:**

أولا: نموذج روبرت إنتمان *Robert Entman*

(Robert Entman. 1993. Pp. 51 – 85)

وضع روبرت إنتمان أربعة وظائف أساسية للأطر الإعلامية تتمثل في:

١- تعرف الأطر المشكلة أو القضية والأسباب الكامنة وراءها.

٢- تقوم الأطر بتشخيص الأسباب وتحديد القوى الفاعلة في القضية أو الحدث.

٣- تشير الأطر إلى التقييمات الأخلاقية للقضية أو الحدث.

٤- تقترح الأطر الإعلامية حلولا للقضية ومحاولة علاجها.

تبرز أهمية هذا النموذج في أنه يستخدم لتحديد القوى الفاعلة في القضايا

أوالأحـداث الدوليـة المعنيـة والتعـرف علـى طبيعـة الأدوار المنسـوبة إليهـم ومـدى انعكاسهاعلى صورتهم في وسائل الإعلام مثلا.

ثانيا: نموذج بان وكويسكي

قدم بان وكويسـكي نموذجا يتضمـن مجموعة مـن الأدوات لتحليل الأطـر الخبرية. تتمثل في:

الذي يشير إلى تسلسل

١- *Syntactical Structure* البنـاء التركيبـي للقصـة الإخبارية: العناصـر والفقرات داخل القصة الخبرية وكذلك الاسـتراتيجيات التي يتبعها القائم بالاتصـال في بناء الحدث الإخباري والمصادر الإخبارية التي توظف في النص الخبري.

٢- *thematic Structure* الأفـكار الرئيسـية (الفكرة المحوريـة) المتضمنة في النص الخبري تتضمن الأفكار الرئيسية السمات الرئيسية للموضوع والفكرة المحورية التي يدور حولها النص الخبري.التي تساعد في تدعيم الفكرة المحورية.

٣- *Phetroical Structure* الاسـتخلاصات الضمنيـة للحـدث أو القضية التي تركز عليها وسائل الإعلام.

وترجع أهمية هذا النمـوذج إلى أن الباحثين رصدا الأفكار الرئيسـية الفكرة المحورية التي يتضمنها النص فيما يتعلق بالقضايا والاحداث الدولية المعنية بالدراسة.

ثالثا: نموذج لينجر وسيمون

يتناول هذا النموذج تصنيفا للأطر الخبرية يتضمن نوعين هما على النحو التالي:

١- *Episodic Frame* الإطار المحدد المرتبط بأحداث محددة.

٢- *Thematic Frame* الإطـار العام أو المجـرد فالإطار المحـدد، يصف الأحداث والقضايا المشـارة من خـلال وقائع وأحداث معينـة مثال ذلك محـاولات اغتيال

كما حـدث فـي الأزمـة السـورية – اللبنانيـة، مقتـل وإصابـة العديد مـن الأفراد في أحـداث هجومية كما هـو الحال فـي القضية الفلسـطينية وتطـورات الصراع العربي – الإسـرائيلي، وأيضا قضيـة تطورات الأوضاع بعـد الاحتلال الأمريكي للعراق....الخ

ويقدم الإطار العـام أو المجرد القضايـا أو الأحداث المثارة في سـياق عـام ومجرد، مثال ذلك السياسـة الأمريكية في منطقة الشـرق الأوسـط، دور الولايـات المتحدة في دفع عملية السلام.

رابعا: النموذج الذي طرحه ماكسويل ماكومبس وآخرون:

وقدم فيه تفسـيرا لكيفية بناء الصور النمطية عن الشـعوب والشـخصيات البارزة لدى الجماهير بوصف ذلك يمثل التأثير الأهم لوسائل الإعلام في الآونة الأخيرة،

ويشير ماكومبس وآخرون في هذا النموذج إلى أن الرسالة الإعلامية تتضمن "سمات موضوعية وهي تلك التي تتعلق بالمعلومات المجردة حول القضية وشـخصياتها وأطرافها وأسـباب الموقف أي كيفية تناول "*Affective Attributes* المشـكل فيهـا وبدائل حلولها، "والسمات العاطفية الأطراف والشخصيات الواردة ضمن سياق القضية بشكل موات أو غير موات بكلمة أخرى تقدم الأطراف والشخصيات بصورة ايجابية أو سلبية.



نظرية الاعتماد على وسائل الإعلام

فى ظل تزايد المعلومات في العصر الحديث، أصبحت المعلومات تمثل مصدر قوة وتميز لمن يمتلكها ولمن يستطيع الوصول إليها، فعلى المستوي العام للمجتمع، تسعي معظم الأنظمة، كالنظام السياسي والاقتصادي وغيرها إلى الحصول على المعلومات من أجل بقاء النظام وقدرته على التفاعل مع المجتمع والأنظمة الأخرى، وعلى المستوي الخاص للأفراد يسعى كل فرد إلى الحصول على المعلومات لتحقيق الأهداف الاجتماعية والنفسية وتعتبر وسائل الإعلام أحد مصادر المعلومات الهامة والرئيسية التي يعتمد عليها الأفراد في العصر الحديث.

وقد اعتمد واضعو نظريات وسائل الإعلام الأوائل على منطق "دوركهايم" في صياغة الرأي القائم بأن خليطاً من التعقيد الاجتماعي، وتوافق الرأي المحدود، وعدم وجود قواعد، والابتعاد النفسي أو العزلة، هي العوامل التي يمكن أن تصنع وسائل إتصال جماهيرية قوية، والمعتقد أنه في مثل تلك الظروف يمكن إقناع الأشخاص بسهولة وتغيير مواقفهم بواسطة وسائل الإعلام.

ويعتبر الاعتماد على وسائل الإعلام ضرورة أساسية في المجتمعات الحديثة، حيث يستطيع الفرد إدراك هذا الاعتماد بالتدريج منذ الحاجة إلى معرفة أفضل المشتريات في الأسواق وانتقالاً إلى احتياجات أكثر شمولاً واكثر تعقيداً كالرغبة في الحصول على معلومات عن العالم الخارجي لكي يتفاعل معه ونظراً لاختلاف الأفراد في أهدافهم ومصالحهم فإنهم أيضاً يختلفوا في درجة الاعتماد على وسائل الإعلام، وبالتالي يشكلون نظماً خاصة لوسائل الأعلام ترتبط بالأهداف والحاجات الفردية لكل منهم وطبيعة الاعتماد ودرجته على كل وسيلة من الوسائل في علاقتها بهذه الأهداف، ويترتب على اشتراك الأفراد في بعض الأهداف ودرجة الاعتماد على الوسائل التي تحقق هذه الأهداف ظهور نظم مشتركة لوسائل الإعلام بين الفئات أو الجماعات، وعلى سبيل المثال يجتمع

الأفراد الذين يهتمون بالشئون المحلية بدرجة كبيرة في فئة لها نظامها الإعلامي الخاص عندما تري أن هذا الاهتمام يتحقق من خلال قراءة الصحف المحلية، وغيرهم في فئات تبحث عن التسلية والاسترخاء من خلال برامج معينة في التليفزيون... وهكذا يوحي هذا التقسيم فئات بوجود نظم متفاوتة لوسائل الإعلام بالنسبة للأفراد تحددها طبيعة الأهداف، ودرجة الاهتمام بها وطبيعة الاعتماد على وسائل معينة ودرجته في تحقيق هذه الأهداف.

خلفية نظرية الاعتماد:

مع تعقد الحياة في المجتمعات الحديثة، والتقدم المستمر في تكنولوجيا وسائل الإعلام، تتزايد أهمية وسائل الإعلام في نقل المعلومات، ففي المجتمع الأمريكي على سبيل المثال، فإن وسائل الإعلام تقوم بمجموعة متنوعة من الوظائف منها تقديم معلومات عن الحكومة، والخدمة في حالة الطوارئ، كما تعتبر المصدر الأساسي لإدراك المواطن العادي للأحداث القومية والعالمية، كما توفر أيضاً كماً هائل من البرامج الترفيهية لمساعدة الجمهور على الاسترخاء والهروب من مشاكل الحياة اليومية.

ومن أجل الحصول على المعلومات تتفاعل وسائل الإعلام مع النظم الأخرى كالنظام الاقتصادي، السياسي، والديني حيث تنشأ علاقة متبادلة بين وسائل الإعلام وهذه الأنظمة، ومن هنا وضع " ديفلير وركتيش" نموذج لتوضيح العلاقة بين وسائل الإعلام والقوي الاجتماعية الأخرى، وهو ما عرف بنظرية الاعتماد.

ويمكن تلخيص الفكرة الأساسية لنظرية الاعتماد على النحو التالي " أن قدرة وسائل الاتصال على تحقيق قدر أكبر من التأثير المعرفي والعاطفي والسلوكي، سوف يزداد عندما تقوم هذه الوسائل بوظائف نقل المعلومات بشكل متميز مكثف، وهذا الاحتمال سوف تزيد قوته في حالة تواجد عدم استقرار بنائي في المجتمع بسبب الصراع والتغيير. بالإضافة إلى ذلك فإن فكرة تغيير سلوك ومعارف ووجدان الجمهور يمكن أن تصبح تأثيراً مرتداً لتغيير كل من المجتمع ووسائل الاتصال، وهذا هو معني العلاقة الثلاثية بين وسائل الاتصال والجمهور والمجتمع.

المنشأ السيسيولوجي الوظيفي للنظرية:

نظرية بيئية تنظر إلـى المجتمع باعتبـاره تركيباً عضويـاً، فهي تبحث فـي كيفية ارتباط أجزاء مـن النظم الاجتماعية صغيـرة وكبيرة ببعضها، ثم تحاول تفسـير سـلوك الأجزاء فما يتعلق بتلك العلاقات.

نظرية الاعتماد على وسائل الإعلام نموذج طارئ *Contingency* من حيث كون أي تأثير محتمل من جراء ذلك الاعتماد يعتمد بشكل ما على الظروف المصاحبة لموقف محدد.

النظرية جزء من نظرية الاعتماد المتبادل بين وسائل الإعلام والنظم الاجتماعية.

نشأة وتطور نظرية الاعتماد:

اهتـم بعـض الباحثين فـي العشـرينات بدراسـة تأثير وسـائل الإعـلام على المسـتوي المعرفـي *Cognitive Level*، وأكـد بعضهـم أن اختلاف المسـتوي المعرفي للأفـراد يرجع أساسـاً إلـى التفاعـل بين متغيـرات مرتبطـة بطبيعـة وسـائل الإعـلام بالإضافة إلى سـمات الجمهور وخصائصه المختلفة. كما أوضح الكثير من الخبراء في الغرب العلاقة بين وسائل الإعلام والنظم الاجتماعية ومؤسساتها في المجتمع على أساس من الاعتماد المتبادل.

ومن ثم كانت البدايات الأولى لنظرية الاعتماد على وسـائل الأعـلام على يد الباحثة سـاندرا بول روكيتـش وزملائهـا عـام ١٩٧٤ عندمـا قدموا ورقـة بحثيـه بعنـوان " منظور المعلومات " وطالبوا فيها بضـرورة الانتقال من مفهوم الاقناع لوسـائل الإعلام إلى وجهة النظر التي ترى قوة وسـائل الإعـلام كنظام معلوماتي يسـتمد من اعتمـادات الآخرين على المصادر النادرة للمعلومات التي تسـيطر عليها وسـائل الإعلام أي أن هنـاك علاقة اعتماد بين وسائل الإعلام والأنظمة الإعلامية الأخرى.

مـن هـذا المنطلـق تركـز نظريـة الاعتمـاد علـى أن العلاقـات بيـن وسـائل الإعـلام والجمهـور والنظام الاجتماعـي تتسـم بخصائـص اجتماعية مـن الاعتماد المتبـادل الذي

تفرضه سـمات المجتمع الحديث، حيث يعتمد أفراد الجمهور على وسـائل الإعلام كنظام فرعـي لإدراك وفهـم نظام فرعي آخـر هو المحيـط الاجتماعي مـن حولهـم، وبذلك تمثل وسـائل الإعلام مصـادر رئيسـية يعتمد عليهـا أفـراد الجمهور فـي اسـتقاء المعلومات عن الأحداث الجاريـة، وتتزايد درجة الاعتماد بتعـرض المجتمع لحالات من عدم الاسـتقرار والتحـول والصراع الذي يدفع أفـراد الجمهور لاسـتقاء المزيد من المعلومات من وسـائل الإعلام لفهم الواقع الاجتماعي من حولهم

وطور نموذج الاعتماد في صور متعددة منذ ظهور أول مرة على النحو التالي:

أ- النموذج الأول لنظرية الاعتماد (١٩٧٦):

قدم ميلفـن ديفلير وسـاندرا بول روكيتش نمـوذج الاعتماد الأول عـام ١٩٧٦، حيث عرض النمـوذج العلاقـة بين العناصـر الثـلاث لمكونـات النظريـة (الإعـلام ـ المجتمع ـ الجمهـور) بشـكل متداخل وتختلـف هـذه العلاقة مـن مجتمع إلى آخـر، وطبيعة وسـائل الإعلام، وتنوع واختلاف حاجات الجمهور، بالإضافة إلى التأثيـرات المعرفية والوجدانية والسلوكية التي يحدثها اعتماد أفراد الجمهور على وسائل الإعلام

ويفسر الشكل التالي طبيعة العلاقة القائمة بين العناصر الثلاثة:

العلاقة المتبادلة بين المجتمع ووسائل الإعلام والجمهور

يفسر النموذج السابق طبيعة العلاقة المتبادلة بين وسـائل الإعلام والنظام الاجتماعي والجمهور كالتالي:

١- وسائل الإعلام

يختلف تطور وسـائل الإعلام مـن مجتمع إلى آخر مـن حيث درجة تطورهـا، وكلما كانت وسـائل الإعلام لديها القدرة على إشـباع احتياجات الجمهور، وكانـت أكثر مركزية وتنوع وأهمية للمجتمع، ومن ثم يزداد اعتماد المجتمع عليها.

٢- النظام الاجتماعي

تختلف طبيعة كل مجتمع عن الآخر، من حيث درجة الاستقرار أو القدرة على مواجهة الأزمات الطارئة، أو تبعاً لحالة انهياره نتيجة الأزمات الاقتصادية أو ثورات أو حروب فكلما زادت حالة عدم الاستقرار في المجتمع، زادت حاجة الأفراد إلى المعلومات وبالتالي الاعتماد على وسائل الإعلام، أي الجمهور ويصبح أكثر اعتماداً على وسائل الإعلام الموجودة في المجتمع في فترات التغيير وعدم الاستقرار.

وبالتالي فإن الاعتماد المتبادل بين وسائل الإعلام والنظم الاجتماعية يتعدد بتعدد هذه النظم كالأسرة والدين والمؤسسة التعليمية والاقتصادية والعسكرية، وأهمها النظم السياسية للإعلام في الجوانب التالية:.

١-غرس وتدعيم القيم السياسية والمعايير المتنوعة (حرية، فاعلية، تصويت (.

٢-حفظ النظام والطاعة للدولة.

٣- تعبئة المواطنين وتدعيم الشعور بالمواطنة.

٤-التحكم والفوز بالصراع داخل الدولة كصراع الأنظمة ومعاركها وانتصار الحقوق التشريعية والتنفيذية.

أما علاقة النظام الإعلامي بالسياسة فتنشأ لأن الأهداف الإعلامية تنال مكاسب عدة من مصادر النظام السياسي مثل:

- **حماية للسلطة القضائية وتسهيل نيل الحقوق الإعلامية.**
- **حماية السلطة التشريعية.**
- **الحصول على الشرعية.**

يختلف الجمهور في درجه الاعتماد على وسائل الإعلام، فمثلا جمهور الصفوة يتمتع بمصادر معلومات متنوعة بصورة أكثر من الجمهور العام الذي يعتمد على وسائل الإعلام باعتبارها أحد مصادره الأساسية.

ويختلف الجمهور المصري في درجة اعتماده على وسائل الإعلام نتيجة الاختلاف في الأهداف والمصالح والحاجات الفردية.

فالأفراد يعتمدون على وسائل الإعلام باعتبارها مصدراً من مصادر تحقيق أهدافهم، فالفرد يهدف إلى تأييد حقه في المعرفة لاتخاذ القرارات الشخصية والاجتماعية المختلفة، ويحتاج إلى التسلية والترفيه كهدف أيضاً في نفس الوقت إلا أن الأفراد لا يستطيعون ضبط أو تحديد نوع الرسائل التي تبثها وسائل الإعلام أكثر مما هي عليه، ولكنهم يستطيعون تحديد ما لم ينشر من رسائل، لأن وسائل الإعلام تحدد ما ينشر أو لا ينشر بناء على العلاقة الدائرية مع أفراد المتلقين مثلها مثل النظم الاجتماعية، ويظهر بالتالي تأثير الخصائص والسمات الفردية والاجتماعية على تطوير هذه العلاقة الدائرية مع وسائل الإعلام

ويعتمد الأفراد على وسائل الإعلام لتحقيق الأهداف التالية:

١- الفهم: مثل معرفة الذات من خلال التعلم والحصول على الخبرات، الفهم الاجتماعي من خلال معرفة أشياء عن العالم أو الجماعة المحلية وتفسيرها.

٢- التوجيه: ويشتمل على توجيه العمل مثل: أن تقرر ماذا تشتري؟ وكيف ترتدي ثيابك؟ وكيف تحتفظ برشاقتك؟ وتوجيه تفاعلي مثل: الحصول عل دلالات عن كيفية التعامل مع مواقف جديدة أو صعبة.

٣- التسلية: وتشتمل على التسلية المنعزلة مثل: الراحة والاسترخاء والاستثارة والتسلية الاجتماعية مثل: الذهاب إلى السينما أو الاستماع إلى الموسيقي مع الأصدقاء، أو مشاهدة التليفزيون مع الأسرة.

ومع ذلك، فإنه ينبغي ألا نبالغ في أهمية وسائل الإعلام الجماهيري، فهي تجعل بالفعل تحقيق الفهم والتوجيه وأهداف التسلية أكثر سهولة، ولكنها ليست الوسيلة الوحيدة لبلوغ هذه الأهداف، فالأفراد يتصلون في نهاية الأمر بشبكات داخلية من الأصدقاء والأسرة، وكذلك بنظم تربوية ودينية وسياسية وغيرها، تساعد الناس أيضاً على بلوغ

أهدافهم، ونظرية الاعتماد على وسائل الإعلام لا تشارك فكرة المجتمع الجماهيري في أن وسائل الإعلام قوية لأن الأفراد منعزلون بدون روابط جماعية، والأصح أنها تتصور أن قوة وسائل الأعلام تكمن في السيطرة على مصادر معلومات معينة تلزم الأفراد لبلوغ أهدافهم الشخصية، وذلك علاوة على أنه كلما زاد المجتمع تعقيداً، زاد اتساع مجال الأهداف الشخصية التي تتطلب الوصول إلى مصادر معلومات وسائل الإعلام.

فالفرد في حاجة إلى فهم وإدراك الذات بما يساعده في الكشف عن قدراته ودعمها وتفسير معتقداته وسلوكه وإدراكه لجوانب الشخصية بشكل عام، وكذلك الحاجة إلى فهم العالم الاجتماعي المحيط بالفرد، والمعاني التي تقوم بتشكيلها وسائل الإعلام عن هذا العالم واستخدام هذه المعاني في إدراك الحقائق وتشكيل التوقعات.

ولذلك قام الباحثان ميلفن وروكيتش بتطوير هذا النموذج عام ١٩٨٢، ليوضح كيفية اعتماد الأفراد على وسائل الإعلام من أجل تحقيق أهداف الأفراد الخاصة بالفهم والتوجيه والتسلية، وعرف باسم **الاطار العام لنظرية الاعتماد على وسائل الإعلام.**

ب- الاطار العام لنظرية الاعتماد على وسائل الإعلام (١٩٨٢):

يوضح النموذج المتكامل لنظرية الاعتماد التداخل الكبير بين العناصر الرئيسية للعملية الاتصالية (وسائل الإعلام ـ المجتمع ـ الجمهور) ويقدم مجموعة معقدة من المتغيرات التي تؤدي إلى تأثير وسائل الإعلام التي تظهر نتيجة الاعتماد المتبادل بين وسائل الجمهور والنظم الاجتماعية الأخرى.

الاطار العام لنظرية الاعتماد على وسائل الإعلام

ويمكن تلخيص العلاقات التي ترمز لها النظرية على النحو التالي:

أولاً: ينشأ تدفق الأحداث من المجتمع الذي يضم مجموعة من النظم الاجتماعية التي يحكمها الوظيفة البنائية، وتحدث علاقات اعتماد متبادلة بين هذه النظم الاجتماعية ووسائل الإعلام، ويتميز كل مجتمع بثقافة خاصة تعبر عن القيم والتقاليد والعادات وأنماط السلوك

التي يتم نقلها عبر رموز لفظية وغير لفظية تحدث العمليات الدينامية لنشر الثقافة، وتشتمل هذه الفعاليات على قوي تدعو إلى ثبات المجتمع والحفاظ على استقراره من خلال الإجماع والسيطرة، والتكيف الاجتماعي، وتوجد أيضاً في المجتمع قوي أخرى تدعو للصراع والتغيير، وتتم هذه العمليات على مستوي البناء الكلي للمجتمع، أو بين الجماعات، أو المراكز الاجتماعية المرتبة بشكل تصاعدي، ويتضمن هذا البناء عناصر رسمية وغير رسمية.

ثانيا: تؤثر عناصر الثقافة والبناء الاجتماعي للمجتمع على وسائل الإعلام إيجاباً وسلباً، وهي التي تحدد خصائص وسائل الإعلام التي تتضمن: الأهداف والموارد، والتنظيم، والبناء، والعلاقات المتبادلة وتتحكم هذه الخصائص في وظائف تسليم المعلومات التي يتحكم فيها عدد الوسائل الإعلامية المتاحة، ودرجة مركزيتها، ويؤثر ذلك بالتالي على الأنشطة التي تمارسها وسائل الإعلام أو ما يطلق عليها تحديد السياسات.

كذلك تؤثر عناصر الثقافة وبناء المجتمع على الأفراد، ويساهم ذلك في تشكيل الفروق الفردية والفئات الاجتماعية، والعلاقات الاجتماعية، ويعمل النظام الاجتماعي أيضاً على خلق حاجات للأفراد مثل الفهم والتوجيه والتسلية.

ويحدد الاعتماد المتبادل بين النظم الاجتماعية ونظم وسائل الإعلام كيفية تطوير الناس اعتمادهم على وسائل الإعلام لإشباع حاجتهم النفسية والاجتماعية، مما يخلق التنوع في تأثيرات وسائل الإعلام على الأفراد.

ثالثا: تقوم وسائل الإعلام بتغطية الأحداث التي تقع داخل النظم الاجتماعية المختلفة، ومن الأشخاص داخل هذه النظم، وتنتقي وسائل الإعلام التركيز على بعض القضايا والموضوعات التي تشكل رسائل وسائل الإعلام المتاحة للجماهير.

رابعاً: العنصر الرئيسي في هذا الإطار المتكامل هو الأفراد كأعضاء في الجمهور المتلقي لوسائل الإعلام، هؤلاء الأفراد لديهم بناء متكامل للواقع الاجتماعي تم تشكيله عبر التنشئة الاجتماعية والتعليم والانتماء إلى جماعات ديموغرافية، وعوامل التكيف

الاجتماعي، والخبرة المباشـرة، ويسـتخدم هؤلاء الأفراد وسـائل الإعلام لاسـتكمال بناء الواقع الاجتماعي الذي لا يدركونه بالخبرة المباشـرة، وتتحكم علاقات الاعتماد المتبادل بين وسائل الإعلام والنظم الاجتماعية الأخرى في تشكيل رسائل المعلومات للجماهير.

خامسـاً: حين يكـون الواقع الاجتماعـي محـدداً ومفهوماً للأفـراد، ويلبـي حاجاتهم وتطلعاتهم قبـل وأثناء اسـتقبال الرسـائل الإعلامية، لن يكون لرسـائل الإعـلام تأثير يذكر سوي تدعيم المعتقدات والقيم وأنماط السلوك الموجودة بالفعل.

وعلـى النقيض، حيـن لا يكـون لدي الأفـراد واقـع اجتماعـي حقيقي يسـمح بالفهم والتوجيـه والسـلوك، فإنهـم يعتمـدون علـى وسـائل الإعـلام بقـدر أكبـر لفهـم الواقـع الاجتماعي، وبالتالي يكون لهذه الوسـائل تأثير أكبر على المعرفة والاتجاهات والسـلوك، لذلك يجب الأخذ في الاعتبـار درجة اعتماد الأفراد على وسـائل الأعـلام للحصول على المعلومات كوسيلة للتنبؤ بآثار هذه الوسائل على الأفراد.

سادسـاً: تتدفـق المعلومـات من وسـائل الإعلام لكـي تؤثر فـي الأفـراد، وفي بعض الحالات تتدفق المعلومات أيضـاً من الأفراد لكي تؤثر في وسـائل الإعلام، وفي المجتمع ككل، ويتخذ ذلك بعض الأشـكال ... مثل الاعتراض الجماهيري الذي يزيد من مسـتوي الصراع في المجتمـع، أو يؤدي إلى تكوين جماعات اجتماعيـة جديدة. مثل هذه الأحداث قد تؤدي إلى تغييرات فـي طبيعة العلاقات بين النظـم الاجتماعية، ونظم وسـائل الإعلام، مثل تمرير قوانين جديدة يتم تصميمها لتغير سياسات تشغيل وسائل الإعلام.

لذلك فإن علاقات الاعتمـاد المتبادل بين وسـائل الإعلام وأجزاء أخـري من الكيان الاجتماعي، يجب أن تمر بتغييـر من أجل أن تبقـي المجتمعات في بيئـات متغيرة، ويكون مثل هـذا التغيير المتكيـف بطيئاً في العـادة، وغالبـاً ما يكون غيـر مخطط ومن ثـم فإنه من الصعب إدراكه في الوقت الذي يقع فيه

واهتم الباحثان مليفـن وروكيتش بتوضيح كيف تسـاعد علاقات الاعتماد في تفسـير

آثار التعرض لرسائل وسائل الإعلام الخاصة بمعتقدات وسلوك الفرد، وهو اهتمام مركزي بالنسبة لأولئك الذين يستخدمون نهجاً إدراكياً لتفسير تأثيرات وسائل الاتصال الجماهيرية على جمهورها، فالأشخاص الذين اعتمدوا على التليفزيون لتحقيق تفاهم اجتماعي على سبيل المثال عليهم أن يختاروا أنواع مختلفة من البرامج التليفزيونية، وذلك بخلاف أشخاص يعتمدون أساساً على التليفزيون من أجل التسلية، وبالتالي فإن التأثير يختلف باختلاف الهدف، وفي دراسة لبول روكتيش وزملاؤها لمعرفة آثار التعرض لبرنامج تليفزيوني يستهدف التأثير على معتقدات سياسة وسلوكية، قدمت الباحثة أدلة تؤيد هذه الطريقة من التفكير عن التعرض الانتقائي، وأثار وسائل الإعلام، حيث وجدوا أن الأشخاص يختارون بالفعل تعريض أنفسهم على أساس علاقات اعتمادهم الراسخ على التليفزيون، وأن المشاهدين الذين لديهم أنواعاً معينة من علاقات الاعتماد كانوا يتأثرون بشكل مختلف عن أولئك الذين ليست لديهم هذه الأنواع

ومن هنا طور الباحثان ميلفن وروكتيش نظرية الاعتماد، لتوضيح الآلية التي تعمل بها نظرية الاعتماد، حيث قدم نموذجاً جديداً عام ١٩٨٩، لتفسير العلاقة بين نظم وسائل الإعلام العام، والنظام الاجتماعي، الذي ينبع من نموذج الإدراك العقلي الذي يفترض وجود ربط منطقي بين مضمون الوسيلة ودوافع الانتباه، وعرف باسم النموذج الإدراكي لنظرية الاعتماد.

جـ - النموذج الإدراكي لنظرية الاعتماد (١٩٨٩)

يبدأ هذا النموذج بفرد يتفحص وسائل الإعلام بدقة، ليقرر بفعالية ما يرغب في الاستماع إليه، أو مشاهدته، أو قراءته، أو بشخص يتصل بشكل عرضي بمحتويات وسيلة إعلامية.

عملية تأثير محتويات وسائل الإعلام على الأفراد ويفسر النموذج الخطوات التالية:

- الخطوة الأولي:

إن الجمهور القائم بالاختيار النشيط الذي يستخدم وسائل الإعلام، سيقوم بالتعرض

إلى مضمون الوسـائل من خلال توقع سبق بأنه سـوف يسـاعدهم في تحقيق هدف أو أكثر من الفهم، أن التوجيه، أو التسلية بناء على تجربتهم السابقة.

- محادثتهم مع آخرين (أصدقاء أو زملاء عمل).
- إشارات يحصلون عليها من وسائل الإعلام (إعلانات أو مجلات أدبية).

أمـا الأفـراد الذيـن يتعرضـون مصادفـة أو بطريقة غيـر مقصـودة لمحتويات وسـائل الإعلام مثل (دخول سوبر ماركت به تليفزيون مفتوح) فقد تستثار لدي هؤلاء الأفراد علاقة الاعتماد وتحفزهم على الاستمرار في التعرض، أو ينهون تعرضهم للوسائل.

- الخطوة الثانية:

كلمـا زادت شـدة الحاجـة أو قـوة الاعتمـاد زادت الاسـتثارة المعرفيـة والوجدانية، وتتمثـل هـذه الاسـتثارة فـي جـذب الانتبـاه إلـى مضمـون الرسـالة أو الإعجـاب أو عدم الإعجاب مثلاً، وتختلف قوة الاعتماد على الوسائل وفقاً لاختلاف:-

- الأهداف الشخصية.
- المستويات الاجتماعية للأفراد.
- توقعات الأفراد فيما يتعلق بالفائدة المحتملة من محتويات وسائل الإعلام.
- مدى سهولة الوصول إلى المضمون.

والمتغيرات في أهداف الأفراد كثيراً ما تعكس متغيرات في بيئاتهم، وعندما تكون هـذه البيئات حافلـة بالغمـوض أو التهديد مثـلاً، فإن اعتمـاد الأفراد على نظام وسـائل الإعلام يجب أن تكون قوية تماماً، إذ أن الوصول إلى مصادر معلومات وسائل الإعلام غالباً ما يكـون ضرورياً لحل غموضهـا، وتقليل تهديدها الحقيقـي أو المحتمل، وهناك مثال آخر عن: كيـف تؤثر المتغيرات فـي البيئات الشـخصية والاجتماعية للأشـخاص على قـوة اهتمامـات التبعية بمشـكلات صحية خطيـرة، فالأشـخاص الذيـن يكونون،

هم أنفسهم أو أحباؤهم مصابين بمرض خطير، كثيراً ما ينشئون علاقات اعتماد قوية بوسائل الإعلام، من أجل التمكن من الوصول إلى معلومات مناسبة قد تسهم في عثورهم على أفضل خدمات طبية ومساعدة.

وأثناء اعتماد الأفراد على وسائل الإعلام يحدث نوعين من التأثير هما:

- الإثارة العاطفية: يقصد بها ميل الأفراد وحبهم للوسيلة والمضمون المقدم.
- الإثارة الادراكية: ويقصد بها تعرض الأفراد للوسيلة الإعلامية مع ما يتفق باهتماماته وحاجاته وأهدافه.

ففي الدراسة التي أجرتها ساندرا بول روكيتش وزملائها، ذكر المشاهدون الأكثر اعتماداً على التليفزيون أنهم كانوا منتبهين للغاية في مشاهدة البرنامج التليفزيوني، وأحبوا البرنامج، وعندما يكون اعتماد الأشخاص على برنامج تليفزيوني ـ مثلا ـ منخفضاً أو منعدماً، فإننا سوف نتوقع أن نجدهم يتحدثون أو يفعلون أشياء أخرى في أثناء تشغيل جهاز التليفزيون، وبالتالي لا يحتمل أن يكون شعورهم قوياً تجاه البرنامج أو سلباً.

- الخطوة الثالثة:

وفيها تزداد درجة المشاركة النشطة في مدي استيعاب المعلومات وفقاً لوجود تأثيرات معرفية وعاطفية سابقة، فالأشخاص الذين أثيروا إدراكياً وعاطفياً سوف يشتركون في نوع التنسيق الدقيق للمعلومات بعد التعرض، مثل: الإقلاع عن التدخين، أو بدء التدريبات الرياضية أو إجراء فحوص طبية.

- الخطوة الرابعة:

كلما زادت درجة المشاركة في تنسيق المعلومات، زاد الاحتمال في حدوث التأثيرات المعرفية أو العاطفية أو السلوكية نتيجة الاعتماد على وسائل الإعلام في الحصول على المعلومات، فالأفراد الذين يشتركون بشكل مكثف في تنسيق المعلومات أكثر احتمالاً بالتأثر بتعرضهم لمحتويات وسائل الإعلام.

الفـروض الرئيسـية لنظريـة الاعتمـاد علـى وسـائل الإعلام يتمثـل الفرض الرئيسـي لنظرية الاعتمـاد في قيام الفرد بالاعتماد على وسـائل الإعلام لإشـباع احتياجاته من خلال استخدام الوسـيلة، وكلما لعبت الوسيلة دوراً هاماً في حياة الأشـخاص زاد تأثيرها وأصبح دورها أكثر أهمية ومركزية وبذلك تنشأ العلاقة بين شدة الاعتماد ودرجة تأثير الوسيلة لدي الأشخاص، وكلما ازدادت المجتمعات تعقيداً ازداد اعتماد الأفراد على وسائل الإعلام

كما يقوم النموذج على عدة فروض فرعية أخري هي:

تؤثر درجـة اسـتقرار النظـام الاجتماعـي علـى زيـادة الاعتمـاد أو قلته علـى مصادر معلومـات وسـائل الإعـلام، وكلمـا زادت درجة عـدم الاسـتقرار فـي المجتمـع كلما زاد الاعتماد لدى الأفراد على وسائل الأعلام.

تزداد درجة الاعتماد على وسائل الإعلام في حالة قلة القنوات البديلة للمعلومات أما في حالة وجود مصادر معلومات بديلة تقدمها شـبكات خاصة أو رسمية أو مصادر إعلامية خارج المجتمع سيقل اعتماد الجمهور على وسائل الإعلام.

يختلف الجمهور في درجـة اعتماده على وسـائل الإعلام نتيجة لوجـود اختلاف في الأهداف الشخصية والمصالح والحاجات الفردية.

الآثار المترتبة على اعتماد الجمهور على وسائل الإعلام:

يري بعـض الباحثين أن التسـاؤل الأساسـي لنظرية الاعتماد هو تفسـير متـى؟ ولماذا يعـرض الأفـراد أنفسـهم لوسـائل؟ وتأثيرات هـذا التعـرض علـى معتقداتهم وسـلوكهم، وإجابة ذلك يعد تفسيراً للطرق التي يستخدم بها الجمهور وسائل الإعلام لتحقيق أهدافهم الشـخصية، حيث ينتج عن اعتمـاد الجمهور على وسـائل الإعلام مجموعة مـن التأثيرات يمكن تصنيفها على النحو التالي:

أولاً: التأثيرات المعرفية:

وتتضمن التأثيرات المعرفية لوسائل الإعلام عدة أثار هي:

الغموض

ويحدث الغمـوض نتيجـة لتناقـض المعلومات التـي يتعرض لهـا الأفـراد، أو نقص المعلومات أو عدم كفايتها لفهم معاني الأحداث أو تحديد التفسيرات الممكنة والصحيحة لهذه الأحداث، فالغموض يمكن أن يحدث لأن الناس يفتقرون إلـى معلومات كافية لفهم معني حدث، أو يفتقـرون إلى المعلومـات التي تحدد التفسـير الصحيح من بين تفسـيرات عديدة تقدمها وسـائل الإعلام، وتشـير البحوث السـابقة إلى أن نسـبة الغموض تزداد حين تقع أحـداث غير متوقعـة مثل: كارثـة طبيعـة أو اغتيال زعيم سياسـي، وحين تقدم وسـائل الإعلام معلومات غير متكاملة أو معلومات متضاربة بشـأن هذه الأحـداث، في هذه الحالة يتولـد الإحسـاس بالغموض لـدى أعضـاء الجمهور، وفـي حـالات عديدة تكون وسـائل الإعلام هي المصـدر الوحيد المتاح للحصـول على المعلومات، ويحـدث الغموض حين تقع هذه المعلومات غير مكتملة أو يكتنفها الغموض أو التضارب.

تلعب وسـائل الإعلام دوراً هاماً في تشـكيل اتجاهـات الأفراد نحـو القضايا الجدلية المثارة فـي المجتمع مثل مشـكلات البيئـة، وأزمـات الطاقة، والفسـاد السياسـي، وتنظيم الأسرة وقادة الدين، وتتشكل الاتجاهات الجديدة كلما اكتسـب الأفراد المعلومات العامة من خلال وسائل الإعلام.

تقوم وسـائل الأعلام بترتيـب أولويـات الجمهور تجـاه القضايـا البـارزة دون غيرها ويقـوم الجمهور بتصنيف اهتماماتـه نحو هذه القضايـا ويركز على المعلومـات التي يمكن توظيفها وفقاً لاختلافاته الفردية.

تسـاهم وسـائل الإعلام في توسـيع المعتقـدات التي يدركهـا أفراد الجمهـور، لأنهم يتعلمون عن أناس وأماكن وأشـياء عديدة من وسـائل الإعلام، ويتم تنظيم هذه المعتقدات في فئات تنتمي إلى: الأسرة أو الدين أو السياسـة بما يعكس الاهتمامات الرئيسية للأنشطة الاجتماعية.

القيم هي مجموعة المعتقدات التي يشترك فيها أفراد جماعة ما ويرغبون في ترويجها والحفاظ عليها مثـل: الأمانة ـ الحرية ـ المسـاواة ـ التسـامح، وتقوم وسـائل الإعلام بدور كبير في توضيح أهمية القيم.

ثانياً: التأثيرات العاطفية (الوجدانية)

ويقصد بالتأثيـرات العاطفية المشـاعر والعواطف التي يكونها الإنسـان تجاه ما يحيط بـه، ويظهر هـذا التأثير عندما تقـدم معلومـات معينة من خلال وسـائل الإعـلام، تؤثر على مشـاعر الأفراد واسـتجاباتهم بالتالي فـي الاتجاه الذي تسـتهدفه الرسـائل الإعلامية، ومن أمثلة هذه التأثيرات:

ويرى الباحثون أن التعرض المكثف إلى موضوعات العنف في وسائل الإعلام يؤدي إلى الفتور العاطفي وعدم الرغبة في تقديم المسـاعدة للآخرين في أوقات العنف الحقيقي الذي يتصـرف الفـرد تجاهه كما لـو كان عنفاً تلفزيونياً، وتشـير بعـض الدراسـات إلى أن الاسـتثارة الناتجة عن مشـاهدة أعمال العنف في وسـائل الإعلام، تتناقص تدريجياً بمرور الوقت وتؤدي في النهاية إلى الفتور العاطفي.

كما يقرر كثيـر مـن الباحثين بـأن التليفزيون يسـاعد علـى أن يصرف عن الفـرد تذكر الأحداث السـلبية، ويقصد بها تلك الأحداث التي يعتبرها مسـئولة مثلاً عن فشـله أو تشير إلى ظلم الناس لغيرهم، لأن تذكر هذه الأحداث تسبب له حالات مزاجية غير سارة

إن التعرض المستمر للرسـائل أو الدراما التليفزيونية لأعمال العنف والكوارث يؤدي إلى إثارة الخوف والقلق من الوقع ضحايا لأعمال العنف في الواقع.

أن اعتماد الأفراد على وسائل الإعلام قدي يؤدي إلى إثارة الخوف والتوتر بسبب ما تقدمه هذه الوسائل من أخبار عن انتشـار وباء أو مرض معدي مثل مرض سارس، إلا أنه قد يؤدي أيضاً إلى تقليل مشـاعر الخوف والتوتر من انتشـار هـذا المرض فـي المنطقة الموجود بهـا من خلال المعلومات التي تقدمها وسائل الإعلام عن كيفية الوقاية من هذا المرض والقضاء عليه مستقبلاً.

تؤثر وسائل الإعلام على معنويات الأفراد بالسلب أو الإيجاب، فقد أكد " كلاب " أن المجتمعات التي تقوم وسائل الإعلام فيها بأدوار اتصال رئيسية، ترفع الروح المعنوية لدي الأفراد نتيجة زيادة الشعور الجمعي والتوحيد والاندماج، وخاصة إذا كانت وسائل الإعلام تعكس الفئات الاجتماعية التي ينتمي إليها الفرد، ويلاحظ أن اغتراب الفرد يزداد حين لا يجد معلومات وسائل الإعلام معبرة عن نفسه وثقافته وانتماءاته العرقية والدينية والسياسية.

ثالثاً: التأثيرات السلوكية:

تعتبر التأثيرات السلوكية الأثر الذي يشغل اهتمام العديد من الناس، فالتغيرات الخاصة بالاتجاه والمعتقدات والمشاعر مهما، فالسلوك يحدث نتيجة لحدوث التأثيرات المعرفية والعاطفية.

ومن أهم التأثيرات السلوكية هي

(١) التنشيط:

يعني قيام الفرد بعمل ما نتيجة التعرض للوسيلة الإعلامية، وهو الناتج الأخير للتأثيرات المعرفية والعاطفية مثل اتخاذ مواقف سلوكية مؤيدة أو معارضة نتيجة التعرض المكثف لوسائل الإعلام، وقد يتمثل التنشيط في اتخاذ مواقف مؤيدة للإقلاع عن التدخين أو التبرع المادي أو المعنوي لفئات معينة والتنشيط يكون مفيداً اجتماعياً في هذه الحالة، ولكن التنشيط الناتج عن التعرض لسوائل الإعلام قد يكون ضاراً اجتماعياً مثل التورط في أعمال ضد المجتمع مثل العنف والجرائم والاضطرابات.

(٢) الخمول:

يعني عدم النشاط وتجنب القيام بالفعل، مما يؤدي إلى اللامبالاة والسلبية والامتناع عن المشاركة في المجتمع، ويحدث ذلك نتيجة التعرض لرسائل الإعلام المبالغ فيها، تدفع الفرد إلى عدم المشاركة نتيجة الملل مثل عدم القيام بالتصويت في الانتخابات.

علاقة نظرية الاعتماد وتأثيرها على بعض النظريات:

تعتبر نظرية الاعتماد من النظريات التي ترتبط ببعض نظريات الاتصال وتساعد على وجود علاقة ارتباطيه بينهما وهي كالتالي:

١- نظرية ترتيب الأولويات:

تقوم نظرية الأولويات على ترتيب الأولويات الشخصية للأفراد تجاه بعض الموضوعات، وتساعد نظرية الاعتماد على تفسير هذه الأولويات، فالأفراد يعتمدون على وسائل الإعلام في اختيارهم للموضوعات التي تقدمها وسائل الإعلام، بشكل يتوافق إلى حد كبير مع خصائصهم الشخصية، والمشكلات التي يعانون منها بالإضافة إلى احتياجاتهم.

٢- نظرية فجوة المعرفة:

تفترض نظرية فجوة المعرفة أن الجمهور ذوي المستوي الاجتماعي الاقتصادي المرتفع يميل إلى اكتساب المعلومات بمعدل أسرع من الجمهور الأقل في المستوي الاجتماعي الاقتصادي ومن هنا تنشأ الفجوة المعرفية في المعلومات.

وتساهم نظرية الاعتماد هنا في فهم هذه النظرية، فالأفراد الأكثر اعتماداً على وسائل الإعلام يحصلون على معلومات أكثر من غيرهم تنشأ الفجوة المعرفية، وتقل الفجوة المعرفية تجاه بعض القضايا التي يتساوى فيها اعتماد الجمهور على وسائل الإعلام.

٣- نظرية الاستخدامات والاشباعات:

يفترض مدخل الاستخدامات والاشباعات أن الأفراد يحتاجوا إلى إشباع احتياجاتهم من وسائل الإعلام، كما يقوم الأفراد باستخدام المعلومات التي تنقلها وسائل الإعلام، تختلف أهميتها وفقاً لاحتياجاتهم.

وعلى الرغم من أن مدخل الاستخدامات والإشباعات ونظرية الاعتماد يركز كل منهما على العلاقة بين الأفراد ووسائل الإعلام، فكل منهما يركز على التساؤل الخاص: ماذا يفعل الناس بوسائل الإعلام؟.

والاستخدام لوسيلة إعلامية يعني معدل القراءة أو المشاهدة أو الاستماع لها، أما الاعتماد فيعني درجة الاهتمام لهذه الوسيلة باعتبارها مصدراً هاماً للمعلومات، ورغم وجود بعض التشابه بين مدخل الاستخدامات والاشباعات ونظرية الاعتماد إلا إنه توجد بعض الاختلافات بينهما هي كالتالي:

يركز مدخل الاستخدامات والاشباعات على تحديد الاحتياجات المختلفة والاشباعات الناتجة عن استخدام الأفراد لوسائل الإعلام، بينما تركز نظرية الاعتماد على العلاقة بين الجمهور ووسائل الإعلام والمجتمع.

يهتم مدخل الاستخدامات والاشباعات بالإجابة على السؤال الأساسي وهو: أين يذهب الأفراد لإشباع احتياجاتهم؟ في حين تركز نظرية الاعتماد على الإجابة على سؤال: لماذا يلجأ الأفراد إلى وسيلة معينة لإشباع احتياجاتهم؟

يركز مدخل الاستخدامات الاشباعات على المستوي الفردي فقط، في حين تستخدم نظرية الاعتماد لقياس العلاقات الاعتمادية كل المستويات الفردية والاجتماعية.

يقدم مدخل الاستخدامات والاشباعات تصميماً معقداً من الناحية الإجرائية لقياس متغير استخدام الوسيلة، بينما تقدم نظرية الاعتماد تصميماً سهلاً من الناحية الإجرائية لقياس متغير الاعتماد على وسائل الإعلام.

يؤكد مدخل الاستخدامات والإشباعات على أهمية فكرة الجمهور القوي والتي تؤكد ضرورة اختبارات الجمهور بينما تركز نظرية الاعتماد على قوة وسائل الإعلام التي يعتمد عليها الأفراد، وتزداد الاعتماد أثناء الأزمات.

الانتقادات الموجهة لنظرية الاعتماد على وسائل الإعلام:

تعرضت نظرية الاعتماد لمجموعة الانتقادات يمكن تلخيصها على النحو التالي:

يبالغ نموذج الاعتماد في تصوير حجم الاعتماد الفعلى للعناصر المختلفة وخاصة المتعلقة بوسائل الإعلام، واستقلالها عن النظام الاجتماعي، فوسائل الإعلام غالباً ما

تكون محايدة، حيث أنها مصدر غير سياسي، تستطيع أن تجده عند الضرورة، ويجب أن ترتبط وسائل الإعلام بشكل أساسي بالمؤسسات الأكثر هيمنة وسيطرة في المجتمع..

على الرغم من أن الاعتماد الشديد على وسائل الإعلام قد يزيد من التأثيرات الإداركية والسلوكية على الفرد، فإنه للأسف ليست كل تأثيرات وسائل الإعلام الجماهيرية هي تأثيرات لمحتويات وسائل أو أنها تؤثر على الأفراد، حيث أن الأفراد يتأثروا بالأصدقاء والمعارف وغيرهم.

رغم أنه كان يقصد بمدخل الاعتماد أساساً الاعتماد على مستوي النظام الاجتماعي ككل، لكن معظم الدراسات الإعلامية تعاملت مع مدخل الاعتماد على المستوي الفردي فقط، بمعني أنها ركزت على الآثار الناجمة عن اعتماد الأفراد على الوسائل المختلفة، مع هذا لا تزال روكيتش تري أن المستقبل سيكون للتركيز على أهداف الجماعات من الاعتماد.

معظم الباحثين عرفوا الاعتماد إجرائياً بالتعرض، رغم انه ليس كل من يتعرض لوسيلة يعتمد عليها، فعلى سبيل المثال قد يتعرض الفرد لفترة طويلة في مشاهدة التليفزيون في حين يعتمد على وسيلة أخرى مثل الصحف في اكتسابه للمعلومات السياسية، أو في موضوع ما.

المميزات الخاصة بنظرية الاعتماد على وسائل الإعلام:

تتمتع نظرية الاعتماد على وسائل الإعلام بمجموعة من المزايا أهمها:

تعتبر نظرية الاعتماد نموذج مفتوح لمجموعة من التأثيرات المحتملة، وتجنب النموذج عدم وجود تأثيرات لوسائل الإعلام، ووجود تأثير غير محدود، لذلك يطلق عليها نظرية شاملة، حيث تقدم نظرية كلية للعلاقة بين الاتصال والرأي العام، وتتجنب الأسئلة البسيطة عما إذا كانت وسائل الاتصال لها تأثير كبير على المجتمع تهتم نظرية الاعتماد بالظروف التاريخية والبناء الاجتماعي أكثر من المتغيرات الشخصية والفردية، لذلك فهي أكثر ملائمة في التعامل مع النظام الاجتماعي بصورة أكبر من النماذج الأخرى المرتبطة بوسائل الإعلام.

تؤكد نظرية الاعتماد على أن تأثير وسائل الإعلام على الجمهور، يؤدي إلى التأثير على النظام الاجتماعي وعلى نظام وسائل الإعلام نفسها، وبالتالي فإن أداء وسائل الإعلام، قد يؤدي إلى المطالبة بالتغيير أو إصلاح نظام وسائل الإعلام، سواء من خلال النظام السياسي أو من خلال آلية السوق الحر أو من خلال ظهور وسائل إعلام بديلة.



نظرية الاستخدامات والإشباعات

تعتبر نظرية او مدخل الاستخدامات والإشباعات احدي المداخل الوظيفية التي تنظر في العلاقة بين مضمون أجهزة الإعلام والجمهور بنظرة جديدة تفترض أن قيم الناس، واهتماماتهم، ومصالحهم، وميولهم، وأدوارهم الاجتماعية وهي الأكثر تأثيراً وفاعلية علي سلوكهم الاتصالي، فهو يهتم بدراسة الاتصال الجماهيري دراسة وظيفية منتظمة مركزة علي الوظائف الأساسية التي تقوم بها وسائل الإعلام من وجهة نظر الأفراد المستخدمين لها والمستهلكين لمحتواها.

ويرتكز الاتجاه البحثي بهذا المدخل علي أن الفرد يستخدم وسيلة اتصال بعينها لتحقيق إشباعات لحاجات معينة لديه، وقد حدد الباحثون العشرات من الأسباب التي تدفع الجمهور لاستخدام وسائل الاتصال ومن بينها مراقبة البيئة، والتفاعل الاجتماعي، والترفيه والتسلية.

وبصفة أساسية فإن هذا المدخل مؤداه الإجابة علي سؤال أساسي وهو كيف ولماذا يستخدم الناس وسائل الإعلام؟ وبعبارة آخري ما هي الدوافع التي تجعل الناس يتعرضون لوسائل الإعلام؟ وما هي الإشباعات التي تتحقق لهم نتيجة لهذا التعرض؟ وما هي طبيعة هذه الإشباعات؟ ويري مؤيدو هذا المدخل أنه بدلا من الاهتمام بدراسة ما تفعله وسائل الإعلام بالناس، فإن ما ينبغي دراسته هو ما الذي يفعله الناس بوسائل الإعلام.

يعد مدخل الاستخدامات والإشباعات من المداخل الهامة والعريقة التي اعتمدت عليها بحوث الإعلام، وساعدت على توفير معلومات قيمة عن الجمهور ونتائج عملية الاتصال ويعتبر مدخلاً خاصاً بالجمهور، وقد حدثت عليه تطورات كثيرة منذ البداية وحتى الآن، فالتطوير فيه مستمر، ولا يتوقف عند حد معين

ويحظى مدخل الاستخدامات والإشباعات في الدراسات الإعلامية باهتمام خاص

نظراً لتركيزه على الجمهور كمتلقي إيجابي ونشط لرسائل الاتصال، على عكس دراسات التأثير التقليدية التي تناولت الجمهور كمستقبل سلبي لرسائل الاتصال، ولذلك يمثل مدخل الاستخدامات والإشباعات على حد تعبير ليتل جون *Little john* متنفساً للهواء النقي في بحوث الاتصال فهو مدخل لا يكتفي بقياس حجم التعرض لوسائل الاتصال، ولكن يهتم أيضاً بما يحصل عليه الأفراد من استخدام وسائل الاتصال، أي دراسة تأثير وسائل الاتصال ومضمونها من وجهة نظر الجمهور. وبعد مدخل الاستخدامات والإشباعات تطبيقياً لمدخل" الوظيفة الفردية". *Individualistic Functionalism* والذي يتعامل مع وسائل الاتصال من وجهة نظر الفرد على أساس أنه لا وظائف لوسائل الاتصال يقدمها للمجتمع إلا من خلال الوظائف المقدمة للأفراد.

ويعتبر مدخل الاستخدامات والإشباعات بمثابة نقلة فكرية في مجال دراسة تأثير وسائل الاتصال، حيث يعتبر النموذج البديل لنموذج التأثيرات التقليدي والذي يركز على كيف تؤثر وسائل الاتصال على تغير المعرفة والاتجاه والسلوك، بينما يركز مدخل الاستخدامات والإشباعات على كيفية استجابة وسائل الاتصال لدوافع واحتياجات الجمهور الإنسانية.

أولاً: نشأة وتطور نظرية الاستخدامات والإشباعات:

تعد هيرتا هيرزوج "*Herta Herzog*" أول من قام بدراسة استخدام ربات البيوت للراديو في دراسة عام ١٩٤٤ بعنوان: دوافع وإشباعات الاستماع للمسلسلات الصباحية في الإذاعة المسموعة، حيث حاولت التعرف على إشباعات ربات البيوت من الاستماع للراديو، حيث أظهرت نتائج الدراسة أن هذه الإشباعات تتمثل في ثلاث فئات رئيسية هي: التحرر العاطفي، إثارة الخيال، والحصول على المعلومات.

وبدأت محاولات تطوير بحوث الاستخدامات والإشباعات من دراسة *(Macquail&Blume،1969)* للانتخابات العامة البريطانية، وكان الهدف الرئيسي لها هو التعرف على أسباب مشاهدة أو تجنب مشاهدة أفراد معينة من الإرسال، وتطور المفهوم

من خلال دراسة(*Mcquail&Blumer*) حول البرامج السياسة كمصدر للمعلومات حول الأمور السياسية وما نوع القنوات السياسية التي يريدها المشاهد. واقترح بتقسيم المشاهدين تبعاً لدوافع المشاهدة.

ويعد مدخل الاستخدامات والإشباعات بمثابة نقلة فكرية أوتحولاً للرؤية *Shift of focus* في مجال الدراسات الإعلامية، حيث تحول الانتباه من الاهتمام بدوافع المرسل أو الرسالة الإعلامية إلى الاهتمام بدوافع الجمهور الذي يستقبل هذه الرسالة، كما ألى الضوء على ماهية الوظائف التي يمكن أن تؤديها وسائل الإعلام لخدمة الجمهور المستقبل، وبذلك انتفى مفهوم قوة وسائل الإعلام الطاغية والذي كانت تنادي به النظريات المبكرة مثل نظرية الرصاصة السحرية (*The Bullet Theory*) والتي تقوم على فكرة أن سلوك الأفراد يتحدد وفقاً للآلية البيولوجية الموروثة ونتيجة لأن الطبيعة الأساسية للكائن الحي متشابهة تقريباً بين كائن وأخر حيث تكون استجاباتهم للمثيرات المختلفة متشابهة، خاصة مع الاعتقاد بأن متابعة أفراد الجمهور لوسائل الإعلام تتم وفقاً للتعود وليس لأسباب منطقيه لكن مدخل الاستخدامات والإشباعات له رؤية مختلفة تكمن في إدراك أهمية الفروق الفردية والتباين الاجتماعي على إدراك السلوك المرتبط بوسائل الإعلام.

ويعد الياهو كاتز *Katz Elihu* أول من وضع اللبنة الأولى في بناء مدخل الاستخدامات والإشباعات، عندما كتب مقالاً عن هذا المدخل عام ١٩٥٩ رداً على ادعاء قام به الباحث "برنارد بيرلسون *Bernard Berlson*" ذكر فيه بأن مجال البحث في الدراسات الإعلامية قد أوشك على الانتهاء، فقد أوضح "كاتز" في مقاله بأن مجال البحث فيما يتعلق بدراسة وسائل الإعلام كوسائل إقناعية ودعائية قد انتهى بالفعل، مشيراً إلى أن معظم الأبحاث في ذاك الوقت كانت تهدف إلى معرفة تأثير الحملات الدعائية على الجمهور أوماذا تفعل وسائل الإعلام للجمهور، وبأنه ينبغي علي الباحثين إنقاذ مجال الدراسات الإعلامية وذلك عن طريق تحويل السؤال إلى ماذا يفعل الجمهور بوسائل الإعلام وما هي الحاجات التي يسعى إلى تحقيقها من هذه الوسائل.

ومن هنـا فقد ظهـر مفهوم الجمهـور النشـط الذي حول دراسـة علاقـة الجمهور بوسـائل الإعلام مـن الإجابة على سـؤال (مـاذا) إلـى الإجابة على سـؤال (لمـاذا)، وذلـك للتعرف على أسـباب تعرض الجمهور لوسـائل الإعـلام وهو مـا يعرف بدوافـع المشـاهدة، كما أنهـا تحاول التعرف على الإشـباعات التـي يحققها التعرض لوسـائل الإعلام بالنسـبة للجمهـور، وبذلك تم تحويل اهتمام الباحثين الإعلامين بما تفعله الرسالة بالجمهور إلي ما يفعله الجمهور في الرسالة.

ولهذا فقد أصبح على الإعلاميين جهداً مضاعفاً وهـو التعرف على اتجاهات وأذواق المشـاهدين، بالإضافة إلـى صنع الرسـالة الإعلاميـة التي تتـواءم مع رغبـات واحتياجات الجمهـور، ولذلـك تحـاول النظريـة الربـط بيـن حاجـات ورغبـات الجمهـور ورغبـات واحتياجات الإعلامي.

وقد تطـور المدخـل عـام ١٩٧٤ عندمـا قدم بشـكل متكامـل بواسـطة كاتـز وبلومر وجورفيتـش *Katz،Blumer and Gurevitch* وبذلـك تطـور المدخـل بجهودهـم البحثية وانتشر إلى أنحاء العالم.

ولقد مر مدخل الاسـتخدامات والإشـباعات بثلاث مراحل متميزة فـي تطوره يمكن تقسيمها زمنياً كالأتي:

١. مرحلـة الطفولـة (المرحلـة الوصفيـة): اهتمـت هـذه المرحلـة بتقديـم وصف لتوجهـات الجماعـات الفرعيـة لجمهـور وسـائل الاتصـال وذلـك فيمـا يتعلق باختيارهـا للأشـكال المختلفة من محتوى وسـائل الاتصـال، وقـد امتدت هذه المرحلة خلال عصري الأربعينات والخمسينات من القرن الماضي

٢. مرحلـة المراهقة (المرحلـة التطبيقيـة): وهي مرحلـة ذات توجـه ميداني، حيث كانت تركز على المتغيرات النفسية والتي تؤدي إلى نمط من استخدامات وسائل الإعلام وكان من أهـم نتائجها أن الجمهور يسـتخدم الوسـيلة لإشـباع حاجات معينة لديه، وقد امتدت هذه المرحلة خلال عقد الستينيات من القرن الماضي

٣. مرحلة البلوغ (المرحلة التفسيرية): وكان التركيز فيها على الإشباعات المتحققة نتيجة التعرض لوسائل الاتصال، وتم إعداد قوائم الاستخدامات والإشباعات، وقد امتدت هذه المرحلة منذ عقد السبعينات من القرن الماضي حتى الآن. وخلال هذه المرحلة قام بعض علماء الاتصال بالعمل على توسيع المسارات النظرية *Theoretical Trajectories* المأخوذة من الدراسات الأولى لوسائل الإعلام وإعادة غربلتها "*Refine*"، حيث برز تطوران أساسيان أسهما في مولد ما أصبح يعرف بعد ذلك ب "الاستخدامات والإشباعات".

- التطور الأول: ويشير إلى تقسيم علاقات الجمهور مع "وسائل الإعلام"، إلى مجموعة من المفاهيم، التي أدت إلى خلق مجموعة من نماذج "*Typologies*" الإشباعات التي يمكن لهذه الوسائل المساعدة في تحقيقها.
- التطور الثاني: ويشير إلى المحاولات الرامية التي تهدف إلى شرح كيف يستخدم الجمهور "وسائل الإعلام" لإشباع احتياجاتهم الإنسانية

كذلك اهتمت الدراسات في هذه المرحلة بالأصول النفسية والاجتماعية للحاجات التي تولد توقعات معينة من وسائل الإعلام، والمصادر الأخرى، مما يؤدي إلى أنماط مختلفة، ثم التعرض لوسائل الإعلام أو الاشتراك في نشاطات أخرى ينتج عنها إشباع الحاجات وبعض النتائج الأخرى غير المقصودة، ويتم ذلك في إطار الخصائص الفردية والإطار الاجتماعي للفرد.

- كما يمكن أيضاً تقسيم بحوث مدخل الاستخدامات والإشباعات إلى قسمين هما:

١- البحوث التقليدية *Classical Research*: وهى الدراسات التي أجريت خلال عقد الأربعينات من القرن الماضي بواسطة "مكتب البحوث الاجتماعية التطبيقية *The Bureau of applied social Research* في نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية، والتي أدت إلي تحديد دوافع أفراد الجمهور للاستماع إلي مسلسلات

الراديو وبرامج المسابقات مثل دراسة لازارسيفيلد، ستانتون (*lazarsfeld and Stanton, 1944*) والفكرة التي كانت تقوم عليها هذه الدراسات هي: التعرف علي أسباب الإعجاب بوسائل الاتصال أو بمضامين معينة.

٢- البحوث الحديثة *Modern Research*: وتتمثل في الابتعاد عن ظل أبحاث التأثير، حيث بدأت دراسة الجمهور خلال عقد الستينات وبدراسة عقد السبعينات من القرن الماضي، بالتركيز علي اختيارات أفراد الجمهور والعمليات الانتقائية التي يقومون بها وردود أفعالهم واستجابتهم لمضمون وسائل الإعلام.

تعريف مدخل الاستخدامات والإشباعات:

نشأ مفهوم الاستخدامات والإشباعات في مجال الدراسات الإعلامية كبديل لتلك الأبحاث التي تتعامل مع مفهوم التأثير المباشر لوسائل الاتصال مع جمهور المتلقين ويعرف بأنه دراسة جمهور وسائل الاتصال الذين يتعرضون بدوافع معينة لإشباع حاجات فردية معينة

ويعرفه كلا من الياهو كاتز وبلوملر *Hkatz & J.G Blumler* مدخل الاستخدامات والإشباعات بأنه " استراتيجية بحثية يمكنها أن تمدنا ببناء أو هيكل لفروض متنوعة حول ظاهرة اتصالية معينة، ويعد المدخل أرضية خصبة لإقتراحات الفروض المتعلقة بتوجيهات الجمهور التي تنشأ عن أكثر من نظرية سيكولوجية

أهداف مدخل الاستخدامات والإشباعات:-

١- تفسير استخدام الجمهور لوسائل الاتصال المختلفة لإشباع احتياجاتهم، وذلك بافتراض أنه جمهور نشط يختار الوسيلة المناسبة التي تشجع حاجاته ودوافعه.

٢- تفسير دوافع التعرض لوسيلة معينة من وسائل الاتصال والتفاعل الذي يحدث نتيجة هذا التعرض.

٣- التأكيد علي نتائج استخدام وسائل الاتصال بهدف الفهم الأعمق لعملية الاتصال الجماهيري.

ويربط ألان روبن *Rubin* الأهداف الثلاثة السابقة بمنظور التحليل الوظيفي من خلال التأكيد علي نمط السلوك الفردي، حيث يكون الفرد هو وحدة التحليل *Unit*، وتكون علاقات الفرد بمحيطة الاجتماعي هي البناء *Structure*، وتكون ملاحظة سلوك الأفراد عند استخدامهم لوسائل الاتصال هو الأنشطة *Activities*، ويكون نتائج نمط السلوك الفردي في علاقاته مع كل من: وسائل الاتصال، والمحتوى، والاهتمامات العامة للجماهير هي الوظائف *Functions*.

فروض مدخل الاستخدامات والإشباعات:-

يعتمد مدخل الاستخدامات والإشباعات علي الفروض التالية:-

يهتم مدخل الاستخدامات والإشباعات بدراسة الاتصال الجماهيري دراسة وظيفة منتظمة، وفي عام ١٩٦٨ قدم باحثان سويديان بحثاً يتعلق بوضع أسس علمية لمدخل الاستخدامات والإشباعات، اشتمل البحث على عدة فروض أساسية هي:

١- يستطيع أفراد الجمهور دائما تحديد حاجاتهم ودوافعهم، وبالتالي يختارون الوسائل التي تشبع تلك الحاجات.

وهذا الفرض يتفق مع اختيار الباحث لتلك النظرية حيث أن الباحث يؤكد علي ان الشباب يحددون الأغانى التي يريدون سماعها فى وسائل الإعلام.

٢- ينظر إلي جمهور وسائل الإعلام بإعتباره جمهور إيجابي ونشط يشارك بفاعلية في عملية الاتصال الجماهيري، ويستخدم وسائل الإعلام إستخدام موجه لتحقيق أهداف معينة وتلبية حاجات مقصودة.

وبالنظر إلي هذا الفرض نجد أن الشباب المستمعين للأغانى يستخدمون وسائل الإعلام بغرض معين أما بالايجابية في الاستخدام أو السلبية وهذا ما نود الاشارة إليه في تلك الدراسة توجيه الاستخدام.

٣- يمكن الاستدلال علي المعايير الثقافية السائدة من خلال استخدامات الجمهور لوسائل الاتصال وليس من خلال محتوي الرسائل فقط.

٤- الفـروق الفرديـة للأفراد هـي التي تتحكـم فـي حاجاتهـم، واختيارهم لوسـائل الإعلام ورسائلها.

٥- التأكيـد علـي أن الجمهور هـو الـذي يختـار الرسـائل والمضمون الذي يشـبع حاجاته فالأفراد هم الذين يستخدمون وسـائل الاتصال وليست وسائل الاتصال هي التي تستخدم الأفراد.

ومـا إذا أردنـا تطبيق هـذه الفروض علـي موضوع الدراسـة فسـوف نجد أن الشـباب جمهور نشط يسـعى أفراده إلي التعرض إلي وسـائل الإعلام المرئية والمسموعة، وكذلك اختيارهم لنوع المضمون المقدم من هذه الوسيلة سـواء كان تثقيفي، أو ترفيهي أو سياسي، أو ديني، فالشـباب في مركز قوة في عملية الاتصال، إذ يختارون الوسـائل والمضامين التي يرون أنها تشبع احتياجاتهم وتلبي رغباتهم.

النماذج العلمية لمدخل الاستخدامات والإشباعات:-

يعد مدخل الاسـتخدامات والإشـباعات منظومـة علمية تتضمـن العديد من النمـاذج التي اجتهد الباحثين أمثال " كاتز" "*Kats*"، وبلومر "*Blumler*" وماكويل " *Mcquail*" وروزنجرين " *Rosngern*" وغيرهـم فـي صياغتها ودراسـتها بأسـلوب علمي واسـتخدامها فـي العديد من الأبحاث والدراسات وسوف يقوم الباحث بعرض لأشهر وأهم هذه النماذج والتي تتمثل في:

أولا: نموذج «كاتز *Kats*» للاستخدامات والإشباعات:

يعد نموذج كاتـز وزملائه أول نموذج تم اسـتخلاصه من الدراسـات التي أجريت في مجـال الاسـتخدامات والإشـباعات، حيـث توجد جـذور هـذا النموذج في دراسـات الإشـباع التي أجريت فـي حقبـة "الأربعينات" مـن القرن العشـرين فقـد أهتم كاتـز *Kats* بدراسـة العلاقة بين حاجات الفرد واتجاهاته السلوكية والإشـباعات التي يسعى للحصول عليها من بين البدائـل الوظيفية المختلفة بما فيها وسـائل الإعلام، وبناء علـي نتائج العديد من البحوث صاغ كاتز وزملائه نموذجا للعلاقة بين اسـتخدام الأفراد لوسـائل الإعلام وما

يمكن أن تشـبعه من حاجات لدي هؤلاء الأفراد مقارنة بالبدائل الأخـرى الوظيفية التي قد يتجه إليها لتلبية الحاجات مثل الأنشطة الثقافية الأخرى.

ويري أن لكل فرد عدداً من العوامل الاجتماعية والنفسـية التي تولد حاجات معينة للفرد، ومن خلال خبرة الفرد يبدأ في رسم توقعاته عن تلبية وسائل الإعلام لهذه الحاجات مقارنة بمصادر أخري لإشـباع هـذه الحاجـات فيترتب علي ذلـك اتخاذ قراره بيـن اختيار وسـائل الإعلام أو المصادر الأخرى، ونتيجة للتعرض يتم إشـباع بعض الحاجات بجانب نتائج أخـرى كامنة، وهو يؤدي مـرة أخرى إلي نشـوء حاجات أو توقعات تبـدأ في التفاعل الاجتماعي مع العناصر الاجتماعية والنفسية.

وهكذا تتم دورة العلاقة بين نشوء الحاجة وقرار الفرد بالتعرض لوسائل الإعلام أملا في إشباعها وتتمثل العناصر الأساسية لنموذج كاتز وزملائه فيما يلي:

١- الأصول النفسية والاجتماعية *Social and Psychological origcol origins*

٢- الاحتياجات الناشئة عنها.

٣- التوقعات الناتجة عـن الاحتياجات، وهي إما توقعات من وسـائل الإعلام أو من مصادر أخري.

٤- ينتج مـن التوقعـات السـابقة أنمـاط مختلفـة مـن التعرض لوسـائل الإعـلام أو الاندماج في أنشطة أخري.

٥- إشباع الاحتياجات، نتيجة التعرض والاندماج السابقين.

٦- نتائج أخري غير مقصودة غالباً ما تنتج عن التعرض والاندماج السابقين.

ويعكـس النمـوذج الفـروض الأساسـية التـي يقـوم عليهـا مدخـل الإسـتخدمات الإشباعات من وجهة نظر "كاتز" وزملائه.

ثانياً: نموذج روزنجرين *Rosngern*:

قام روزنجرين " بيناء نموذج للاستخدامات والإشباعات يحدد فيه أهمية الحاجات الإنسانية التي تقع في أعلي "هرم ماسلو" مثل الحاجة إلي الصحبة والحب والقبول، وتحقيق الذات مقارنة بالحاجات العضوية والحاجات النفسية الأساسية مثل تحقيق الأمن.

ويضم نموذج روزنجرين أحد عشر عنصراً ترتبط ببعضها البعض في إطار مدخل الاستخدامات والإشباعات كما يوضح الشكل التالي.

ثالثاً: نموذج بالمجرين وروبن (*Robin,palmgreen1982*):

يطلق علي هذا النموذج "توقع الفائدة" إذ يهتم هذا النموذج بالربط بين استخدام الفرد لوسائل الإعلام والإشباعات المتوقعة من هذا الاستخدام، حيث يتم مقارنه الإشباعات المتوقعة بالإشباعات المتحققه فعليا، ويقسم هذا النموذج إيجابية وفاعلية مدخل الاستخدامات والإشباعات إلى ثلاث مستويات:

- الانتقائية: وهى سابقة علي التعرض لوسائل الاتصال.
- الاستغراق: ويحدث أثناء التعرض لوسائل الاتصال.
- الإيجابية: وتحدث بعد التعرض لوسائل الاتصال، وتتمثل في تعليقات ومناقشات الفرد بعد التعرض للرسالة، كما تتمثل في إحساس الفرد بزيادة المعلومات بعد التعرض

رابعاً: نموذج ويندال *(Windhal,1986)*:

اختبر النموذج افتراض "الجمهور النشط حيث يعرض العلاقة بين الاستخدامات والتأثيرات والربط بينهما، فقرار استخدام وسائل الإعلام يأتي نتيجة عدة مراحل تتمثل فيما يلي:

- تفاعل العلاقات الخارجية والذاتية بما فيها الاهتمامات والاحتياجات.

- رسم التوقعات وإدراك مضمون الرسالة الإعلامية.
- قرار استخدام الوسيلة الإعلامية يأتي بعد المفاضلة بينها وبين وسائل شغل أوقات الفراغ الأخرى.

عناصر مدخل الاستخدامات والإشباعات:-

هناك مجموعة عناصر تمثل المفاهيم الأساسية وتشكل الهيكل النظري لمدخل الاستخدامات والإشباعات والتي تتمثل في الآتي:-

١- الجمهور النشط.

٢- الأصول النفسية والاجتماعية لاستخدام وسائل الإعلام.

٣- التعرض لوسائل الإعلام.

٤- دوافع التعرض لجمهور وسائل الإعلام.

٥- توقعات الجمهور من وسائل الإعلام.

٦- إشباعات الجمهور من وسائل الإعلام.

أولاً: الجمهور النشط «*Active Audience*»:-

يمثل إفتراض "الجمهور النشط" أحد أهم الافتراضات الأساسية لمدخل الاستخدامات والإشباعات حيث يري باحثي الاستخدامات والإشباعات أن جمهور وسائل الإعلام مشاركاً نشطاً وليس خاملاً في عملية الاتصال، حيث يأخذ الجمهور من محتوي وسائل الإعلام ما يحقق له إشباعات لاحتياجات معينة كما أنه يدرك القدرات المتباينة لوسائل الإعلام علي تحقيق هذه الإشباعات

وربما يرجع الفضل إلي "الياهو كانز" في تحويل أبحاث الاتصال إلي تقليل الاهتمام بما تفعله وسائل الإعلام بالناس، وزيادة الاهتمام بما يفعله الناس بتلك الوسائل فمنذ ذلك

الحين تم إدراك جماهير وسائل الإعلام باعتبارهم نشيطين ويختارون التعرض للوسائل التي تلبي حاجاتهم والمضمون الذي يتفق مع توقعاتهم

ويتحدد مفهوم نشاط الجمهور في عدة أبعاد من أهمها:

- الانتقائية *Selectivity*: وتتمثل في اختيار وسيلة اتصال معينة واختيار التعرض لمضمون معين بها، ويمتد مفهوم الانتقائية ليشمل مرحلتي الإدراك والتذكر الانتقائي
- النفعية*Utilitanism*: فجمهور وسائل الاتصال لا يختار فقط ما يتعرض له من وسائل ولكنه يختار- فضلاً عن ذلك – المضمون الذي يحقق له إشباع حاجات ودوافع معينة
- العمدية *Intentionality*: فالجمهور النشيط طبقاً لهذا المفهوم هم الأفراد الذين يرتبطون بعمليات التمثيل المعرفي النشيط للمعلومات التي يحصلون عليها من وسائل الاتصال، ثم القيام بالعمليات الانتقائية الواعية على هذا الأساس
- الاستغراق *Involvement*: ويحدث هذا الاستغراق على المستوى الادراكي وبالتالي فإن استغراق الجمهور مع المضامين الإعلامية وخاصة التليفزيون يعتمد على مدى توحد الجمهور مع الشخصيات التليفزيونية
- مناعة التأثير:*Imperviausness To Influence* فمفهوم النشاط هنا يدل على مستوى أفراد الجمهور في وضع حدود للتأثيرات غير المرغوب فيها لوسائل الاتصال عليهم، فإما أن ينتقي أفراد الجمهور أسلوب السيطرة أو التحكم في هذه التأثيرات أي يختارون ألا يتأثروا أو يتأثروا بما يتعرضون له من خلال وسائل الاتصال طبقاً للخيار الشخصي لهم
- كما تبين أن نشاط الجمهور ينقسم إلى نوعين رئيسين هما:

١- النشاط المساعد*Facilitative Activity*: وهو يشجع ويزيد من تأثيرات وسائل

الاتصال ويشـمل العمليات الانتقائية المختلفـة التي تزيد من تأثير الرسـالة على الجمهور لأنه اختارها بقصد.

٢- النشـاط المانـع *Inhibitory Activity*: وهـو يقلـل مـن تأثيـرات وسـائل الاتصال ويشـمل العمليات التاليـة: التجنـب، الإلهـاء، الشـك... وكلها عمليـات تعوق تأثيرات الاتصال.

ويؤكد ريتشـارد هاريس، أن تأثر وسـائل الاتصال يتم من خلال الانتقـاء الذي يعتمد على الفـروق الفردية، حيث يتبايـن الناس فـي إدراكهم لنفس الرسـالة، كما يتشـابهون في صيغة استجاباتهم لها

ثانياً: الأصول الاجتماعية والنفسية «*Social and Psychological*»

إن شخصية الفرد تؤثر في نوعية ودرجة تقبله لمادة الاتصال، وقد كان البعض يظن أن القابلية للتأثر الاتصال هي نفسها سمات شخصية

كذلك فإن عدد من الاحتياجات التي يرغب الجمهور في تحقيقها من خلال التعرض لوسـائل الإعلام ترتبط بوجودهم داخل مجتمع وعلاقاتهم بالأفراد الذين يشاركون الحياة فيها وتفاعلهم معهم، واختـلاف الجمهور بالطبع يؤدي إلي اسـتخدامهم لوسـائل الإعلام ولمضمونه بشكل مختلف ولأسباب مختلفة.

ولذلك تفترض الباحثة في دراسـتها أن اختلاف الشباب سـوف يؤدي إلي اختلافات في أسباب استخدامهم للمضمون المقدم لهم من خلال تعرضهم لوسائل الاعلام، ومن ثم يستخدمونه بأشكال مختلفة.

أ- الأصول الاجتماعية:

تؤكد معظم الدراسـات علي وجود علاقة وثيقة بين الظـروف الاجتماعية للفرد وبين اسـتخدامه لوسـائل الإعلام، فأعضاء الجمهور لا يتعاملون مع وسـائل الإعلام بإعتبارهم

أفـراد معزولين عن واقعهـم الاجتماعي، وإنمـا بإعتبارهـم أعضاء في جماعـات اجتماعية منتظمة وشركاء في بيئة ثقافية واحدة.

وقد توصـل "*Roe*" إلـي أن الاحتياجـات الاجتماعيـة والتوقعـات يمكن أن تيسـر اسـتخدام وسـائل الإعلام لدعم التكامل الاجتماعي، وقدمت دراسـات أخـري دليلا علي أن كثير من اسـتخدامات وسـائل الإعلام تكمـن أصولها فـي البناء المجتمعـي والعمليات الاجتماعية

كما أظهرت العديد من الدراسـات دور الحالـة الاجتماعية في دفع الأفـراد للتعرض لوسـائل الإعـلام، وتحديـد شـكل هـذا التعـرض، وقدمـت الدلائـل علـي دور العوامـل الاجتماعيـة (كالأسـرة، الأصدقـاء) والعوامـل الديموجرافية (النـوع، السـن، الجنس) في التعرض لوسائل الإعلام.

ب- الأصول النفسية:

بجانـب الأصـول الاجتماعيـة التـي يمكن أن تـؤدي إلـي اسـتخدام الأفراد لوسـائل الإعلام توجد الأصول النفسـية والتي يمكن أن تؤدي إلي وجود دوافع وتحدد أصول كثير من استخدامات وسائل الإعلام.

وقد أدي ظهور مفهـوم الإدراك الانتقائـي *Selective Perception* القائـم علي الفروق الفرديـة إلـي افتـراض أن الأنمـاط المختلفة من البشـر يختـارون ويفسـرون محتوي وسـائل الإعلام بطرق متنوعة ومتباينة وأن العوامل النفسـية يمكن أن تؤدي إلي خلق حافز لاستخدام وسـائل الإعلام كما يمكنها أن تحـدد أصول الكثيـر من هذه الاسـتخدامات، ومـن ثم أقترح الباحثون ضرورة تفسير الدور الذي تلعبه المتغيرات النفسية والسلوكية لأعضاء الجمهور.

وقد أكـدت دراسـة لجوزيـف كونـواي وروبيـن (١٩٩١) دور العوامـل والمتغيرات النفسية كدوافع لاستخدام الوسـيلة الإعلامية، وأظهرت دور هذه المتغيرات في المساعدة علي تحديد دوافع التعرض للوسـيلة بشـكل عام، وجاء من أهمها المتغير النفسي الخاص

بالحصول علي تفاعل شبه اجتماعي، والذي يعد من أقوي المتغيرات النفسية التي يمكن في إطارها تفسير معظم دوافع المشاهدة باستثناء دافع الهرب، واعتبرت الدافع النفسي مكوناً داخلياً يدفع الفرد لاختيار ما يشاهده، ويساعد علي ارتباط الفرد بالوسيلة

ثالثاً: التعرض لوسائل الإعلام *Exposure*:

أكدت العديد من الدراسات علي أن هناك علاقة ارتباطية بين كل من البحث عن الإشباعات والتعرض لوسائل الإعلام، فدوافع الأفراد قد تؤدي بهم إلي التعرض لوسائل الإعلام من أجل تحقيق الإشباع وتلبية الاحتياجات ووفقاً لنموذج الاستخدامات والإشباعات فإن الفرد يعرض نفسه انتقائياً لوسائل الإعلام التي يدرك قدراتها علي إشباع الحاجات التي يشعر بها وفقاً لخبرته السابقة حول خصائص كل وسيلة من الوسائل ومضمونها والسياق الاجتماعي الذي يتم استخدام الوسيلة في إطاره

إن التعرض لوسائل الاتصال أو عملية استخدام الوسيلة هو نشاط اجتماعي، فهو يتضمن استغراق الأفراد في أنواع معينة من العمل أو الفعل (شراء أو استخدام الوسيلة) في أماكن معينة وغالبا مع أفراد آخرين، وكانت أحد أكثر الملاحظات العامة لمعظم الدراسات بشان استخدام الأفراد لوسائل الاتصال في حياتهم العمومية، هو أن هذه الوسائل تقوم في الغالب بوظيفة الربط بأنشطة وعلاقات اجتماعية أخرى، فمن الواضح إن ما تفعله أثناء استهلاك منتجات الوسيلة أو مضامنيها يعبر عن كيفية استهلاكنا أو استخدامنا لهذه الوسيلة.

- وبما أن مدخل الاستخدامات والإشباعات يقوم أساسا تصور الوظائف التي تقوم بها وسائل الإعلام ومحتواها من جانب، ودوافع الفرد من التعرض إليها من جانب أخر فان على البحوث والدراسات التي تمت في هذا المجال كانت تقوم على اختبار العلاقة بين الوظائف التي تم صياغتها في إطار الدوافع والحاجات، وبين تعرض الفرد وكثافة هذا التعرض، بناء على إطار نظري أساسه التحليل الوظيفي *Functional Analysis* من جانب ونظرية الدوافع من جانب.

وللتعرض عدة معاني يمكن توضيحها كما يلي:

- التعـرض بمعنـى الاختيـار أو (الانتقـاء) *Selection*: حيـث ينتقـى الجمهـور مـا يتعرض له من مدى واسـع من وسـائل الإعـلام أو الأنشـطة الممكنـة، وقد أظهر الباحثون أن التعرض بمعنى (الانتقاء) فشـل في قياس المفاهيم النظرية أو المفيدة للتعرض.
- التعرض بمعنى الانتباه *Attention*: حيث وجد أنه أثناء التعرض لوسـائل الإعلام، ينهمك الناس في أنشطة أخرى تحد من درجة الانتباه.
- التعـرض بمعنـى التفضيـل *Preference*: بمعنـى أن تعـرض الشـخص إلـى محتـوى برنامج معيـن يعبر عـن تفضيلـه بالصورة لخصائـص محتـوى البرنامج. *(Webster&Wakshlag, 1965)*.

ويرى *(Macquail,1997)* أن سلوك استخدام الوسيلة يتشـكل بطريقة أساسية من عناصر شـديدة الارتباط ببعضها من البنـاء الاجتماعي وبيئة وسـائل الاتصـال التي يعيش فـي إطارها الفرد، وبقصد بالبنـاء الاجتماعي *Social structure* الحقائق الاجتماعيـة مثل التعليم والدخل والنوع والسـن والمنطقة الإقامـة.... والتي لها تأثيرات قويـة محددة على السـلوك العام للفرد وبالطبع على سـلوكه الاتصالي، أما بنية وسـائل الاتصـال *Media structure* فيقصـد بها عدد قنوات التليفزيون والخيارات والبدائل المتاحة من مضامين وسائل الاتصال المختلفة للفرد.

رابعاً دوافع تعرض الجمهور لوسائل الإعلام:-

يفتـرض مدخـل الاسـتخدامات والإشـباعات أن دوافـع التعـرض لوسـائل الإعلام ينتج أساسـاً عن الحاجات النفسـية والاجتماعية لأفراد الجمهور والتـي بدورها تؤدي إلي توقعات معينـة يمكن إشـباعها من خلال اسـتخدام هـذه الوسـائل أو من خلال اسـتخدام وسـائل آخري غير اتصالية لإشـباع تلك الحاجات وبناءاً عليه فإننا سـوف نستعرض دوافع الجمهور لوسائل الإعلام.

لقد حدد روبن *RUBIN* دوافع التعرض لوسائل الإعلام في مبحثين هما: -

أ) دوافع نفعية *Instrumental Motives*:-

وهي تستهدف التعرف علي الذات واكتساب المعارف والمعلومات والخبرات وجميع أشكال التعليم بوجه عام، والتي يمكن أن تدفع الشباب عينة الدراسة إلي التعرض للأغانى بوسائل الإعلام المسموعة والمرئية.

ب) دوافع طقوسية *Ritualized motives*:-

وهي تستهدف تمضية الوقت والاسترخاء والصداقة والألفة مع الوسيلة والهروب من المشكلات، والتي يمكن أن تدفع الشباب عينة الدراسة إلي التعرض للأغانى بوسائل الإعلام المسموعة والمرئية.

رابعاً توقعات الجمهور من وسائل الإعلام *Expectations*:

يري كاتز أن التوقعات هي الإشباعات التي يبحث عنها الجمهور كما تختلف توقعات الأفراد بين وسائل الإعلام وفقاً للفروق الفردية، وكذلك وفقاً لاختلاف الثقافات.

ولا يتوقف اختلاف التوقعات باختلاف الأفراد داخل سياق اجتماعي واحد، ولكن اختلاف المجتمع نفسه يؤدي إلي اختلاف التوقعات وفقاً لتعود الأفراد وإدراكهم لما تحققه لهم الوسيلة من إشباع لاحتياجات محددة.

- تنتج التوقعات عن دوافع الجمهور للتعرض لوسائل الاتصال حسب حالة الفرد الداخلية وميوله النفسية، والتي تخلق توقعات لإشباع حاجاته، والتي تلبيها وسائل الاتصال، وتعد التوقعات خطوة هامة في عملية التعرض لوسائل الاتصال.
- وتشير بحوث الاستخدامات والإشباعات إلى أن استخدام وسائل الإعلام يحقق مكافآت يمكن توقعها أو التنبؤ بها من جانب أعضاء الجمهور على أساس تجاربهم الماضية مع هذه الوسائل، وهذه المكافآت تمكن اعتبارها تأثيرات نفسية قام الأفراد بتقسيمها.

- ويعد مفهوم "توقعات الجمهور" فيما يتعلق بخصائص وسائل الإعلام وسماتها مفهوماً أساسيا للجمهور النشيط ولازما له طبقاً لمدخل الاستخدامات والإشباعات فإذا ما أتيح للجمهور الاختيار من بين وسائل الإعلام، المختلفة أو أي بدائل أخرى – طبقا لاحتياجاتهم فلابد وأن يكون لدى هؤلاء الأفراد إدراكا للبدائل التي يمكنها أن تفي باحتياجاتهم أكثر من غيرها.

- كما يندفع المتلقي أو المستخدم لوسائل الإعلام إلى استخدام هذه الوسائل انطلاقا من إدراكه- أو توقعه لنتيجة ما من المحتوى الإعلامي الذي يتعرض له ومن ثم تقييمه لهذا المحتوى

- ويفيد مدخل التوقع- القيمة في إمداد الباحثين بوسائل لتجسير الفجوات *Buidge The Gaps* بين المعرفة والسلوك، فهو يربط سلوك الفرد في موقف معين بالتوقعات التي يبنيها الفرد ولتقييمه للنتائج المترتبة على قيامة بالفعل. وهذه النواتج المحتملة*Potential outcomes* قد يتم إدراكها على أنها جذابة *Attractive* أو منفرة *Avensive* او خليط منها

- وبذلك تعد عملية التوقع والتقسيم في استخدام وسائل الاتصال مدخلها هاماً للكشف عن طبيعة المحتوى الاتصالي الذي يبحث عنه الفرد لإشباع حاجاته، وهو مفهوم مبنى على أسس اجتماعية ونفسية حيث يعتبر السلوك الفردي نحو وسائل الاتصال ناتج هذين الشقين:

  - التوقع *Expectancy*: وهو اعتقاد الفرد أو إدراكه أن موضوعاً ما أو سلوكاً ما له خاصة معينة سوف تؤدى إلى نتائج معينة.

  - التقييم *Evaluation*: وهو التقدير السلبي أو الإيجابي لخواص معينة أو نتائج معينة للمضمون وعليه يرى ويندال *Windhal* أن المنتج النهائي الاستخدام مضمون الاتصال هو تراكم التأثير أو تتابعة

خامساً إشباعات الجمهور من وسائل الإعلام:

أن خلاصة أبحاث الاستخدامات والإشباعات تؤكد أن الدوافع أو الإشباعات المطلوبة (أي تلك التي يسعى الأفراد الحصول عليها من استخدام الوسيلة) تدفع الأفراد إلى استخدام وسائل الاتصال معينة، والإشباعات المطلوبة يتم التعبير عنها في صورة معتقدات وتقيمات لإفراد الجمهور تبحث عن نتيجة أو نهاية (الإشباعات المتحققة)، ويؤثر عليها توقع الفرد الحصول على هذه النتيجة، فالإشباعات المتحققة يتم النظر إليها على أنها نتائج أو نهايات يدركها أفراد الجمهور كما يدركون ارتباطها بسلوك معين (سلوك الاستخدام أو التعرض)

- ووفقاً لمدخل الاستخدامات والإشباعات فانه يتم وصف الأفراد باعتبارهم مدفوعين بمؤثرات نفسية واجتماعية وثقافية لاستخدام وسائل الاتصال الجماهيري بغية الحصول على نتائج خاصة يطلق عليها "الإشباعات"(*Gratifications*).

وقد أشارت بعض الدراسات إلى أن البحث عن الإشباعات وتحقيق تلك الإشباعات يرتبطان ببعض المتغيرات مثل: حجم التعرض لوسائل الاتصال، أفضليات البرامج، مدى الاعتماد على تلك الوسائل وتقييم الفرد لتلك الوسائل

وقد ربط سوانسون (*Swanson*،١٩٨٧) بين محتوى الرسالة والإشباعات المتحققة فبرامج الترفية والدراما يمكن أن تحقق إشباع (التنفيس*Divension*) والذي يتلخص في التخلص من التوتر والقلق والهروب من المشكلات اليومية أما برامج الأخبار والمعلومات والشئون الجارية فإنها تحقق إشباع (مراقبة البيئة *Surveillance* (الذي يتمثل في الحصول على المعلومات والخبرات والمهارات.

يفرق *L*،*Wenner* بين نوعين من الإشباعات الناتجة عن التعرض لوسائل الإعلام وهما:

إشباعات المحتوي إشباعات العملية

إشباعات المحتوي *Content Gratifications*:

وهي الإشـباعات الناتجة عن التعرض لمضمون أو محتوي وسـائل الإعلام، وتنقسم إلي نوعين وهما:

١ - الإشباعات التوجيهية *Oriental Gratifications*

وتتمثل في مراقبة البيئة والحصول علي المعلومات.

٢- الإشباعات الاجتماعية *Social Gratifications*

ويقصـد بها ربـط المعلومـات التي يحصـل عليها الفـرد بشـبكة علاقاتـه الاجتماعية وتتمثـل فـي التحـدث مـع الآخريـن والإحسـاس بالتميـز عـن الآخريـن ولإدراك الواقـع الاجتماعي والقدرة علي حل المشكلات.

إشباعات العملية *Process Gratifications*

وهي الإشـباعات التي تتحقق للفـرد من خلال التعرض بشـكل عام للوسـيلة في حد ذاتها، وليس من خلال التعرض لمحتوي معين، وتنقسم إلي نوعين هما:-

١ - إشباعات شبه توجيهية *Para – Orientational*

وهي إشـباعات بديلة أو مكملـة للإشـباعات التوجيهيـة وتتمثل في الشـعور بالراحة والاسترخاء والمتعة، وتتحقق من خلال تخفيف الإحساس بالتوتر والدفاع عن الذات.

٢- إشباعات شبه اجتماعية *Para–Social*

وهي إشـباعات بديلـة أو مكملـة للإشـباعات الاجتماعيـة وتتمثل فـي التخلص من الإحسـاس بالملل والضيـق والإحسـاس بالعزلـة والتوحد مع الشـخصيات التي تعكسـها وسائل الإعلام.

الانتقادات الموجهة لمدخل الاستخدامات والإشباعات:

رغم وصول دراسات الاستخدامات والإشباعات إلي درجة عالية من النضج والرسوخ ورغم تطبيقاته العديدة في دراسة الاتصال الجماهيري إلا أنه تعرض لعدد من الانتقادات تركزت حول متابعة الوظيفة، وغموض بعض مفاهيمه وصعوبة تعميم نتائجه وعدم عقلانيته وصعوبة التأكد من صحة المقياس المستخدم وغيرها من الانتقادات، ولعل (إليوت *Ellioit 1975*) من أكثر الباحثين الذين وجهوا انتقادات لمدخل الاستخدامات والإشباعات.

وفيما يلي سنتعرض لعدد من الانتقادات التي تعرض لها مدخل الاستخدامات والإشباعات:

يري بعض النقاد أن مدخل الاستخدامات والإشباعات أقل من أن يكون نظرية مستقلة بذاتها وإنما هو صياغة معادة لجوانب معينة من نظريات التأثير الانتقائي وبالتالي فإنه ليس منهج متكامل، ولكن في الواقع عبارة عن مجموعة من المناهج والقضايا البحثية

يري عدد من الباحثين أن مدخل الاستخدامات والإشباعات لا يزيد عن كونه استراتيجية لجمع المعلومات من خلال التقارير الذاتية للحالة التي يكون عليها الفرد وقت التعامل مع الاستقصاءات، وبالتالي فإن المدخل ينطلق من إطار وصفي *Descriptive* محدود يعتمد علي تكرار الألفاظ واختيار مجموعة من الأفراد لوصف أسباب استخدامهم لوسائل الإعلام من خلال مجموعة من الفئات وضعت بطريقة تعسفية وبما أن الناس ليسوا موضوعات سهلة للدراسة، فإن الإجابات التي يعطونها تعبر فقط عن الإجابة المطلوبة أو السلوك المطلوب وليس السلوك الواقعي

يفترض المدخل أن استخدام وسائل الإعلام يتم بشكل متعمد وهادف وأن عملية تعرض الجمهور لوسائل الإعلام عملية منظمة ومحسوبة ولم يأخذ المدخل في الاعتبار أن الجمهور في أحياناً كثيرة يتعرض لوسائل الإعلام بشكل آلي، فبعض الأفراد يكون تعرضهم لوسائل الإعلام فعال أحياناً وسلبي في أوقات آخري كما أن الفرد قد يحصل علي إشباعات جديدة لم تكن مقصودة وقت التعرض.

يشـير كلا من أرينبرج وبيروس *Ehrenberg & Barwise* إلي أن المدخل يغالي كثيراً في التأكيد علي نشـاط الجمهور *Active* واختيـاره الواعي، في حين أن وسـائل الإعلام قد تكون مفروضة علي بعض الناس أكثر من كونهـا اختياراً حراً منهم كما أن فكرة النشـاط لا تتحقق مع المجتمع الجماهيري ومفهوم النشاط مفهوم غامض وغير محدد

صعوبة قياس استخدام الجمهور لوسـائل الإعلام كما أن هناك تسـاؤلات حول كيفية قياس الاستخدام فهل يكفي الوقت الذي يقضيه الفرد في التعرض لمحتوي وسائل الإعلام في قياس كثافة التعرض أو الاستخدام إلي قوة الدافع وزيادة الحاجات لدي الفرد المتلقي.

عدم صلاحية المدخل للتعميم علي جميع أفراد الجمهـور أو في أقل التقديرات علي مجموعة كبيـرة منه وذلـك لأن نتائـج البحوث تختلـف بإختـلاف الثقافات، كمـا تختلف بإختلاف العوامل الديموجرافية لأفراد الجمهور

فشل بحوث الاستخدامات والإشباعات في ربط " إشباعات " وسائل الإعلام بأصولها النفسـية والاجتماعية بصـورة منظمـة، وذلـك لأن الباحثين مازالـوا يضعون دوافع اسـتخدام وسـائل الإعلام والإشـباعات المتحققة منهـا علي أسـاس معتقداتهم وقيمهم مـع إغفال دور العوامل النفسية والاجتماعية التي تقود الفرد إلي الاتصال واستخدام وسائل الإعلام.

وجه مندلسـون " *Mendelson*" مجموعة انتقادات تركزت حـول مفهوم الحاجات حيث يري أن ذلك المفهوم تلازمه عدة مشكلات تتمثل في:-

١- رسـوخ مفهوم الحاجات في النظـم القيمة لهـؤلاء الذيـن يضعون التعريـف في حين تتداخل هذه الحاجات في الواقع أثناء ممارسة كل من هؤلاء لمهام عمله وتخصصه.

٢- هناك حاجـات كثيرة للفـرد والمجتمـع لا ترتبط بوسـائل الإعلام وتؤثر بشـكل مباشر في دراسات الاستخدامات والإشباعات.

٣- صعوبة تصنيف الحاجات بشكل دقيق ومقنع وذلك بسـبب تعددها وتعقدها واختلافها بإختلاف المجتمعات الإنسانية، وعدم وضوحها عند مناقشة وسائل الإعلام.

الرد علي الانتقادات الموجهة إلى نظرية الاستخدامات والإشباعات:-

بالرغم من الانتقادات الكثيرة التي وجهت لمدخل الاستخدامات والإشباعات إلا أننا نجد مجموعة من الحجج والبراهين قدمت للرد علي هذه الانتقادات يجب وضعها في الاعتبار وتتمثل هذه الحجج والبراهين في النقاط التالية:-

بالنسبة للمبالغة في وصف نشاط الجمهور وغموض مفهوم الجمهور النشط فيمكن التغلب عليه إذا تم تعريفه إجرائياً وقياسه علي أسس بنائية سليمة أما بالنسبة للشك في أن تعرض أفراد الجمهور لوسائل الإعلام يتم بشكل متعمد وهادف فإن هذا الدخل يعتمد علي مبدأ إيجابية الجمهور ونشاطه بمعني أن أفراد الجمهور يتعرضون لمضامين وسائل الإعلام بناءاً علي تخطيط مسبق لتحقيق أهداف معينة سبق تحديدها أي أن الجمهور يتميز بانتقائية للمضامين التي يتعرض لها

قدم مندلسون *Mendelson* عدة مقترحات لتحديد مفهوم الحاجات، حيث يمكن تحويل الانتباه إلي مفهوم آخر متوسط المدى مثل أن يطلق عليها مطالب الجماهير أو توقعاتهم، ولذلك لتفادي ما يرتبط بمفهوم الحاجات *Needs* من مشاكل وصعوبات حيث يشير مفهوم المطالب إلي أحاسيس ومشاعر بخصوص ظواهر معينة، ويشير مفهوم التوقعات إلي المساعدة علي فهم استخدام الجمهور للوسيلة، وما ينتج عن ذلك الاستخدام من إشباع.

بالنسبة لكون المدخل استراتيجية بحثية لجمع البيانات من خلال اعتماده علي مجموعة من الفئات التي وضعت بطريقة عفوية أو تعسفية، فعلي العكس من ذلك فإن هذه الفئات قد بنيت من خلال أبحاث إمبريقية عديدة استغرق إجراؤها وتطويرها سنوات عدة حتي استقرت علي نحوها الحالي، كما أن دور هذه الفئات لا يعدو أن تكون مساعدة للمبحوثين إما علي تذكر "أسباب استخدامهم لوسائل الإعلام" أو في التعبير عن دوافعهم إلي حد كبير.

بالنسبة لاعتبار المدخل فردي في الأسلوب والمفهوم، فإنه غير صحيح ما يشاع من أن الباحثين في مجال الاستخدامات والإشباعات ملتزمون بمنهج فردي حيث يؤكد رايت *Wright*

في سياق حديثه عن التحليل الوصفي أن العبارات الخاصة بوظائف وسائل الإعلام علي المستوي الفردي يمكن أن تكون لها عبارات موازية علي المستوي الجمعي أو المجتمع ككل.

بالنسبة لصعوبة قياس استخدام الجمهور لوسائل الإعلام فإن هناك تطوير مستمر للإجراءات البحثية مثل مشكلات الصدق عن طريق استخدام أكثر من أسلوب أو منهج للدراسة للوصول لاحتياجات وإشباعات الجمهور، وهو ما يطلق عليه "الأسلوب التعددي" حتي نضمن الاستفادة من مميزات هذه الأساليب مجتمعة

ولكون المدخل ذهني أو عقلاني لاعتماده علي التقارير الذاتية التي يدلي بها أفراد الجمهور فإن مشكلة السلوكيات والاتجاهات هي مشكلة منهجية وهي مشكلة ملازمة لمناهج البحث الاجتماعية، ولكن هذا التلازم يمكن حله من خلال تحقيق متطلبات الصدق والثبات في بحوث الاستخدامات والإشباعات.

ومن العرض السابق يتضح لنا أن مدخل الاستخدامات والإشباعات يفترض أن الأفراد ليسوا ضحايا لتأثيرات وسائل الإعلام وإنما هم يختارون بوعي وإتقان وسائل الإعلام التي يرغبون في التعرض لها ونوع المضمون الذي يلبي حاجاتهم النفسية والاجتماعية من خلال قنوات المعلومات المتاحة في المجتمع ومن ثم فإن الأفراد يقومون بدور إيجابي في عملية الاتصال.

حيث أنهم يطوعون وسائل الإعلام من أجل تلبية احتياجاتهم إذ أن الفرد يولي اهتماما للرسائل التي تحقق له البهجة وتساعده علي إشباع رغباته وتلبية حاجاته، ويسعى مدخل الاستخدامات والإشباعات إلي تحقيق مجموعة من الأهداف تتمثل في محاولة تفسير كيفية استخدام أفراد الجمهور لوسائل الإعلام باعتبارهم جمهور نشط يستطيع أن يختار بوعي ويستخدم الوسائل التي تشبع حاجاته وتوقعاته وكذلك شرح دوافع التعرض لوسيلة معينة من وسائل الإعلام والتفاعل الذي يحدث نتيجة هذا التعرض وكذلك الإشباعات المطلوبة التي يسعى الفرد إلي تلبيتها من خلال استخدامه لوسائل الإعلام والإشباعات المتحققة من هذا الاستخدام

الأهمية المعاصرة لنظريات التأثير الانتقائي:

كان التحول مـن نظرية القذيفة السـحرية إلى مفهـوم نظريات التأثيـر الانتقائي تحولاً مـن مفاهيـم بسـيطة نسـبياً إلـى مفاهيـم مركبـة، وفجـأة أصبحـت كل العوامل- النفسـية والاجتماعية-التـي تميز الناس من فرد لآخـر متغيرات متداخلة، وقد عملـت هذه العوامل بين الباحث أوعامـل التنبيه (*S*) على طـرف - أي المحتوى الذي تقدمه وسـائل الإعلام- والاسـتجابة (*R*) أو التغيرات في الشـعور، أو التفكيـر، أوالتصرف الذي يحـدث بين أفراد الجمهـور الذيـن يتعرضون لذلـك المحتـوى بدلاً مـن حالـة (التنبيـه والاسـتجابة) *R-S* البسـيطة بصيغة القذيفة السـحرية، حيث لاعوامل تتدخل بين وسـائل الإعلام والجمهور، وأصبحت توجد الآن مجموعات متعددة لمتغيرات متداخلة تغير من شكل العلاقة

وبينما بـدأت تلك الصيـغ تسـتخدم كأداة في إجراء البحـوث، أصبح واضحـاً أن كل مجموعة من العوامل كانت تسـاهم بطريقة مـا في الانتقائيـة التي اهتم أفـراد الجمهور من خلالها بمشـاهدة وسـائل الإعـلام، وقد فسـروا ما تعرضـوا له وتذكـروا ذلـك المحتوى، وبالتالي تأثروا به في تصرفاتهم.

ويمكن فهـم هـذه الفكـرة إذا نظرنا إلـى أربع قواعـد أساسـية تحكم تصرفـات أفراد الجمهور الذين يتأثرون بهـذه المجموعات الثلاث من المتغيـرات المتداخلة، وتتعلق هذه القواعد بالاهتمـام الانتقائـي، والادراك، والتذكـر، والتصرف، وهي تقع في بـؤرة نظريات التاثير الانتقائي.

مبـدأ الاهتمام الانتقائـي: فالاختلافـات الفردية في هيـكل المعرفة تـؤدي إلى نماذج مميزة مـن الاهتمام بالمضمـون الاعلامي، كمـا أن مجتمعاتنا الاعلامية مشـبعة بالرسـائل المتنافسـة لدرجـة أن النـاس قـد لا يسـتطيعون الاهتمـام بـكل شـيء يوجـه لهـم، وحتى إذا حاولـوا ذلـك فسـيعانون مـن حمـل زائـد، ولتجنـب ذلك يصـل النـاس إلـى حالة من

(المرشحات العقلية) تضفي كميات كبيرة من المعلومات، وينحصر اهتمامهم في جزء محدود مما هو متاح يومياً.

مبدأ الإدراك الانتقائي: ويعمل هذا المبدأ بنفس الأسلوب، فبسبب الفوارق في العوامل المتصلة بالمعرفة مثل الاهتمامات، والعقائد، والمعرفة السابقة، والمواقف، والحاجات، والقيم، فإن الأفراد سيدركون- أو يعزون المعنى- فعلياً إلى أي باعث مركب بطريقة مختلفة، ويرمز الإدراك إلى النشاط النفسي الذي ينظم الأفراد من خلاله التفسيرات ذات المعنى للمؤثرات أو المنبهات الحسية التي يستقبلونها من بيئتهم، وتدفع التغيرات في هيكل المعرفة الأفراد إلى تجميع نماذج مختلفة لمعنى وتفسير أي نموذج معين للمؤثرات أو المنبهات كغرض إعلامي مثلاً.

مبدأ التذكر الانتقائي: فهناك أنواع معينة من المحتوى (الرسالة الإعلامية) لأنواع معينة من الناس يتم تذكرها بسرعة ولوقت طويل، وللآخرين، ممن لهم هياكل معرفة مختلفة، وانتماءات فئوية، وروابط اجتماعية، فإن نفس المادة الإعلامية قد تنسى بسرعة. وهكذا فإن مبدأ التذكر الانتقائي يوازي مبدأ الاهتمام والادراك الانتقائي.

مبدأ التصرف الانتقائي: بمعنى أن كل فرد لن يتصرف بنفس الأسلوب نتيجة التعرض لرسالة إعلامية معينة، والتصرف هو الحلقة الأخيرة في السلسلة وقبل أن يمكن حدوثه، فإن أحد أفراد الجمهور يجب أن يهتم بالغرض الإعلامي ويدرك معناه، ويتذكر مضمونه، وكل هذه الاستجابات ستكون معتمدة على التأثيرات المتداخلة للمتغيرات المعروفة، ومنها الفئات وأساليبهم السلوكية الخاصة، والروابط الاجتماعية مع الآخرين.



نظرية المعالجة المعلوماتية

قبل الدخول في مضامين هذه النظرية لابد من الاشارة الى وجود ثلاث أشكال من النظريات:

١- نظريات تخصصية

٢- نظريات تحاكي نظريات اختصاصات اخرى مثل المعالجة المعلوماتية، ظاهرها يتعلق بالمعلوماتية ولكنها محاكاة بين النظريات الاعلامية والمعلومات.

٣- نظريات علم اجتماع او نفس بُحثت في اطار من المعلومات الاخرى، او انها تمد جسورا مع الاختصاصات الاخرى. وبعض النظريات ممكن استخدامها في الاعلام مع انها غير اعلامية، وقد تكون سياسية مثل افكار مدرسة فرانكفورت.

المعالجة المعلوماتية تجمع بين ثلاثة علوم والمهم معالجتها وكيفية تناولها والاستفادة منها.

ما يهمنا هو استخدام او توظيف الكم الهائل من المعلومات في مجال الاعلام، دون ان نغفل ان لها امتدادات اخرى سياسية، اجتماعية، اقتصادية، اي تجذير المعلومة ودخولها في عمق المجتمع. وهذا هو الاتجاه العمودي. اما الاتجاه الافقي فهو تداخل المعلومة مع بقية العلوم.

والغاية من هذا الكم الهائل من المعلومات هو تطوير البنية الاعلامية بحيث تؤدي اغراضها بشكل افضل وتعطينا مدلولات اضافية اكثر.

طريقة تقبل الجمهور للمعلومات: هذا الكم الهائل من المعلومات، هل يأتي من مصدر واحد؟ في وقت واحد؟ من خلال وسيلة واحدة؟ هناك مصادر عديدة للمعلومات، فكم مصدر يعتبر موثوقا؟ ان الوقت له اهميته: هل الخبر طازج ام قديم؟

الوسيلة: مثلا الانترنت ربما مصداقيته افضل، التلفزيون والاذاعة اقل مصداقية من الصحيفة، حيث انها بمثابة وثيقة او دليل خطي.

المتلقي: ما هي مصادر تكوينه المعلوماتي؟ اي المرجعية المعرفية وهي الاسرة، التعليم، الخبرات، وهذه عملية منظمة ودقيقة وخطيرة، اذ ان المتلقي ليس عبارة عن لوحة بيضاء.

كيف نعرف؟ بالدراسة، وكلما زاد التأثير في المتلقي كلما كانت معلومات المصدر جيدة والعكس بالعكس.

التعليم والمعرفة: مجموعة تراكمات الخبرات والدراسات، والمعرفة يجب ان تكون ايجابية ولكن ليس بالضرورة. واحيانا قد يكون شخص ما كثير المعرفة ولكنها معرفة سلبية، قد تخدمه هو وتضر الاخرين.

التسجيل الحسي: نتحسس هذه المعلومات بالنظر والسمع او الشم، ونربطها بالخبرة/ تحسس ادراكي، اي اننا نعرف ما هي هذه المعلومات، او ان لدينا جزءا معرفيا ممكن الاستدلال من خلاله على جوهر هذه المعلومة.

الذاكرة قصيرة المدى:١ ٪ فقط من تجاربنا يتم تذكرها وذلك بحسب التكوين الفسيولوجي للانسان وطبيعة المعلومة، وميول الانسان تحدد بقاء المعلومة او زوالها.

الذاكرة طويلة المدى: حين يرى الانسان ان هذه المعلومات يجب ان تتوطن وتترسخ في دماغه، شيء ملزم له ان يحتفظ به، يتعلق بمستقبله او بأحبائه. وهي ما يعتقد كل منا انها تستحق ان تبقى.

بعض استراتيجيات التذكر: تكوين صورة ذهنية، تدوين ملاحظات.

نظرية المعالجة المعلوماتية *Information Processing Model*

تبحث نظرية المعالجة المعلوماتية في الكيفية التي يستقبل بها الجمهور المعلومات ويختزنها في ذهنه ومن ثم يطوعها ويستخدمها بما ينسجم مع رغباته وتوجهاته.

والفكرة الرئيسية لهذه النظرية تقوم على فرضية ان الأشخاص لديهم وجهات نظر منمطة ومترسبة حول بعض الأفكار أو الأشخاص أو الأحداث التي تقع حولهم، وهذه

الصور الذهنية المترسبة في العقل والذهن تساعد على تفسير ما يدور في محيط الشخص وبيئته. كما تقول ان لدى الجمهور انطباعات مترسبة عن وسائل الإعلام أو بعض القائمين بالاتصال من خلال المضامين التي يتحدثون عنها، وهذه الانطباعات تؤثر سلباً أو إيجاباً على الجمهور في تعامله مع هذه الوسيلة ومضامينها بالرفض أو القبول، وبالتالي فإن الأفكار المترسبة في الذاكرة تؤثر على الشخص بحيث يتجاهل الأفكار التي تتعارض معه ويركز على الأفكار التي تعزز أفكاره.

وقد يكون هناك تغيير للأفكار المترسبة في حالة تدفق المعلومات وتركيزها وطريقة عرضها للأفكار والأحداث، وهذه العملية لا تتم بسهولة فهي تواجه بمقاومة صعبة من الأشخاص.

وتعد نظرية المعالجة المعلوماتية على أنها أفضل النماذج المعرفية التي تقدم تفسيرات جديدة ومقنعة للتعلم المعرفي ومحدداته، كما انها تهتم بالدور الذي تلعبه العمليات المعرفية الداخلية والميكانيزمات التي تحكم عملها من ناحية، وعلى المحتوى المعرفي الذي تعالجه هذه العمليات من ناحية أخرى.

وقد أسهم التطور المذهل لعلوم الحاسبات الآلية والذكاء الاصطناعي على تصور وبناء وتطوير العديد من نماذج تجهيز ومعالجة المعلومات، وقد كانت عمليات محاكاة الحاسبات الآلية من حيث استقبال المعلومات وترميزها وتجهيزها ومعالجتها وإخراجها بالإضافة إلى تصورات علماء علم النفس المعرفي عنها كانت أهم الأسس التي قامت عليها عمليات بناء وتطوير النماذج.ويتضح ذلك من مقارنة مراحل أو أوجه تجهيز ومعالجة المعلومات في الحاسبات الآلية بهذه المراحل أو الأوجه لدى الإنسان.

أن هذه النظرية استوحت فكرتها الأساسية من عمل الحاسب الآلي- الكمبيوتر، فنلاحظ أن للحاسب قابلية عالية علي معالجة المشكلات المعقدة، والخروج بحلول لها في وقت قصير جدا، كذلك أن وظيفة العقل الإنساني هو التعامل مع المواقف والمشكلات التي تواجه الإنسان، ويخرج بحلول لها، هذا بالإضافة إلى وظيفته في استقاء المعلمات الخارجية وتوظيفها لخدمة الفرد، وعلي الرغم من أن عقل الإنسان يختلف في

تكوينه عن تكوين الحاسب الأ أن كلا منهما يشبه الأخر في وظيفته، حيث يؤدي الحاسب وظيفته من خلال المرور بثلاث مراحل وهي:

- مرحلة إدخال المعلومات:حيث يستقبل الحاسب المعلومات من الخارج.
- مرحلة المعالجة وتنفيذ البرنامج: وفيها يتعامل الحاسب مع المعلومات بلغته الخاصة، ويعيد تنظيمها، ثم يخزنها.
- مرحلة إخراج المعلومات: حيث يقوم الحاسب بإخراج النتائج وهي المحصلة النهائية لعمله. يشابه الإنسان في تعاملة مع المعلومات عمل الحاسب، من حيث عدد المراحل التي تتم فيها معالجة المعلومات وهذه المراحل هي:
- مرحلة تسجيل المعلومات: حيث يستقبل الإنسان المثيرات الخارجية من خلال الحواس الخمسة.
- مرحلة التخزين: حيث يقوم الإنسان بترميز المعلومات وتخزينها بطريقة منظمه.
- مرحلة الاسترجاع: حيث يسترجع الإنسان المعلومات من مكان التخزين.

النمط العام لأسلوب معالجة المعلومات يتم في المراحل التالية التي يطلق عليها مراحل الذاكرة:

أولا: استقبال المعلومات التسجيل الحسي:

يستقبل الإنسان عددا هائلا من المثيرات الحسية من خلال حواسه الخمس في الوقت الواحد (وهي اللمس، التذوق، الشم، السمع، البصر) ولا توجد قيود محددة لهذه الحواس في استلامها الرسائل الخارجية، فالعين تري كل ما في مجال البصر، والأذن تسمع كل الأصوات ذات الذبذبات القابلة للسمع، والأنف يشم كل ما يعلق بالهواء من روائح، والجلد يحس بجميع المثيرات التي تلامسه، وهذا يؤدي إلى صعوبة الاحتفاظ بجميع الرسائل لذلك يختفي معظمها بعد مرور فترة بسيطة قد تستغرق ثانية واحده أو ثانيتين.

إن وظيفة التسجيل الحسي هو الاحتفاظ بالرسائل الحسية لبعض الوقت حتى يتمكن الفرد من أن ينتقي منها رسائل معينه، ويرسلها إلى مرحلة المعالجة، والمعروف إن عملية انتقاء بعض الرسائل دون بعضها الآخر عملية مقصودة حيث ينتقي الإنسان ما يريد من رسائل ويترك البقية منها، وهناك عمليتان من وظيفتهما مساعدة الإنسان على انتقاء الرسائل وهما الانتباه والادراك.

ثانيا: تخزين المعلومات

١- الذاكرة ذات المدى القصير:ومدة الاحتفاظ بالمعلومات ٢٠-٣٠ ثانية بعدها تتلاشى المعلومات لعامل الزمن،إضافة الى دخول معلومات اخرى.

٢- الذاكرة طويلة المدى: هي ذلك المخزن الكبير الذي يحتوي علي الخبرات التي يحتفظ بها الإنسان طوال حياته، فبعد أن تتم معالجة المعلومات في الذاكرة ذات المدى القصير تحول إلى الذاكرة ذات المدى الطويل.

تختلف طريقة تخزين كل نوع من الأنواع الثلاثة من الذاكرة فتختزن الذاكرة الخاصة بالأحداث بشكل صور ذهنية. أما ذاكرة المعاني تختزن بشكل شبكة مترابطة من المعاني والمفاهيم والمبادئ المختلفة.أما الذاكرة الخاصة بالإجراءات تحتفظ عن طريق ربط مجموعة من المثيرات والاستجابات.

ثالثا: استرجاع المعلومات

برزت نظرية معالجة المعلومات كأحد الأبعاد الجديدة لتطور الاتجاه المعرفي في نظرته لعملية التعلم. وتنطلق هذه النظرية من أن التعلم محكوم بالطريقة التي نستقبل فيها المعلومات وكيفية تخزين هذه المعلومات واسترجاعها مرة أخرى. ان كل مرحلة من المراحل السابقة تعد ضرورية لعملية التعلم فإذا لم يكن هناك أسلوب لتخزين المعلومات لن يحدث التعلم، واذا لم نتمكن من استدعاء المعلومات لكي نستخدمها لن يحدث تعلم، فكيف يمكن أن نتعلم إذا لم نستقبل المعلومات بشكل منظم.

وحددت النظرية عددا من الخصائص التي تشكل أهم الأسس التي يقوم عليها التعلم المعرفي بصفة عامة ونظرية تجهيز المعلومات بصفة خاصة وهي:

- أن العمليات المعرفية نشطة وفعالة وإيجابية وليست خاملة أو سلبية فقد نظر السلوكيون أو أصحاب الفكر السلوكي إلى الأفراد باعتبارهم كائنات خاملة أو سلبية تنتظر ظهور المثير ثم تستجيب، أما أصحاب الاتجاه المعرفي فيرون أن الناس بطبيعتهم تواقون أو متلهفون لاكتساب المعلومات، والذاكرة عملية حية تستخدم أبنية أو تراكيب نشطة وليست مخزنا خاملا.

- العمليات المعرفية فعالة ودقيقة، فحجم المعلومات المحمولة في الذاكرة أو التي يتم توظيفها في التفاعل اليومي مع البيئة على درجة عالية من الفعالية والدقة، من خلال قاموس المفردات اللغوية والأفكار والجمل والحقائق والقوانين والتواريخ والأسماء التي يتعامل من خلالها الفرد ويستخدمها لكفاءة وفاعلية ودقة في صياغة واتخاذ مختلف القرارات. فنظام تجهيز ومعالجة المعلومات لدى الإنسان ينطوي على إمكانات مرنة وفاعلة في أداء العمليات المعرفية لكافة وظائفها بالفعالية والدقة المرجوتين، ومن هذه الإمكانات: محدودية السعة، التعاقب والتزامن، الترابط والتكامل، القابلية للتغير والنمو والحذف والإضافة.

العمليات المعرفية يرتبط كل منها بالآخر أي مترابطة فيما بينها ولا يعمل أي منها منعزلا عن باقي العمليات الأخرى وإنما تعتمد في أدائها لوظائفها على الترابط والتكامل والاتساق، فمثلا اتخاذ القرار يعتمد على الإدراك والذاكرة والمعلومات العامة واللغة والتفكير كما أن العمليات العقلية العليا تعتمد على تكامل العمليات المعرفية الأساسية، فحل المشكلات والاستدلال المنطقي واتخاذ القرار مهام على درجة عالية من التعقيد. كما أن العمليات المعرفية تعمل بسرعة ودقة عالية على نطاق واسع في مجال علم النفس التربوي، وعلم النفس المعرفي إلا أنه لا ينطوي على معنى واحدا يحظى بالاتفاق أو التقبل العام. وهناك قدر من الاتفاق اليوم على أن البنية المعرفية تعني شيئا مختلفا عن المحتوى المعرفي.

من جهتهما، اكد الكاتبـان الدكتور رافع النصيـر الزغول والدكتور عمـاد عبد الرحيم الزغول في مؤلفها علـم النفس التربـوي على اهمية نظريـة معالجة المعلومـات، باعتبارها احدى النظريات المعرفية الحديثة، التي تعد ثورة علمية في مجال دراسة الذاكرة وعمليات التعلم الانساني، اضافة الى دراسة اللغة والتفكير.

ان نموذج معالجة المعلومات يختلف عن النظريـات المعرفية من حيث انه لم يكتف بوصف العمليات المعرفية التي تحدث داخل الانسـان فقط، وانما حاول توضيح وتفسـير الية حدوث هذه العمليات ودورها في معالجة المعلومات وانتاج السلوك.

وقد ظهرت نظريـة معالجـة المعلومات فـي اواخر الخمسـينيات من القـرن الماضي مسـتفيدة من التطـورات التـي حدثت فـي مجـال هندسـة الاتصـالات والحاسـوب. وقد فسـر اصحاب هذا الاتجاة داخل نظـام معالجة المعلومات لدى الانسـان علـى نحو مناظر لما يحث في اجهـزة الاتصالات مـن حيث تحويـل الطاقة المسـتقبلة من شـكل الى اخر. حيـث يعمل الدماغ البشـري على نحـو مماثل لما يحدث فـي الحاسـب الالكتروني حيث ان المعلومـات اثنـاء معالجتها تمـر في مراحـل تتمثل فـي الاسـتقبال والترميـز والتخزين والاستجابة، وفي كل مرحلة يتم تنفيذ عدد من العمليات المعرفية.

ويمكن اختصار العمليات الأساسية لنظام معالجة المعلومات بما يلي:

- الاسـتقبال *Receiving*: تسُـلم المنبهات الحسـية المرتبطة بالعالـم الخارجي من خلال الحواس المختلفة، واهميتها البالغة انها تزود النظـام المعرفي بالمدخلات التي تشكل الوقود لهذاا النظام، وبدونها لن يكون هناك سلوك.
- الترميز*Encoding*: عمليـة تكوين اثـار ذات مدلول معين للمدخلات الحسـية في الذاكرة على نحو يساعد في الاحتفاظ بها ويسـهل عملية معالجتها لاحقا. وهناك خمسة انواع من الترميز:

البصري، السمعي، اللمسي، الدلالي، والحركي.

ولا يتم ترميـز جميع المدخلات الحسـية التي يتـم ادخالها في لحظة مـن اللحظات، حيث ان حجم المدخلات الحسـية غالبا ما يفوق سـعة الذاكرة العاملـة. فالمدخلات التي لا يتم ترميزها لا تدخل في المعالجات المعرفيـة. وبالتالي لا تعد جزءا من الخبرة. ويرجع العلماء عدم القدرة على ترميز العديد من المدخلات الحسية الى الفشل في الانتباه.

وبشكل عام فان عملية البحث عن المعلومات تمر بثلاث مراحل:

مرحلة البحث عن المعلومات وهي اولى مراحل التذكر.

مرحلة تجميع وتنظيم المعلومات

مرحلة الأداء الذاكري



نظرية الفجوة المعرفية

تعُرف الفجوة بـأن هناك فرقـا معرفيا كبيـرا، وان هناك حاجـة لجهود جبـارة لردمها. الفجـوة المعرفية هي شـيء متـاح بشـكل محدد فـي المجتمـع الـذي يتعامل معه حسـب امكانياته التعليميـة، الاقتصادية، الاجتماعية.. مثلا اسـتخدام الانترنت فـي الاردن من قبل البعض، بينما لا يتمكن اخرون من ذلك يعد فجوة. هذا ويمكن ان تكون الفجوة بين افراد، جماعات، او دول.

الفوضى المعلوماتية: هناك كميات هائلة من المعلومـات بين ايدي الجميع. لكن من الذي يستطيع الاستفادة منها فعلا؟ انها المجموعة التي تملك قدرات ومؤهلات وخبرات اكثر.

وضع تيتشـنور نظريـة الفجـوة المعرفيـة، حيث يـرى وزملاؤه انـه مع تزايد انسياب المعلومات فـي النظـام الاجتماعي عبر وسـائل الاتصـال، تحـدث فجوة فـي المعلومات بيـن الفئـات ذات المسـتوى الاجتماعـي والاقتصـادي الاعلى، والتـي تميل الى اكتسـاب المعلومات، اكثر من الفئات ذات المستوى الاقل.

أسباب حدوث الفجوة المعرفية:

١-تباين المهارات الاتصالية بين الطبقات(تباين في التعليم).

٢-تباين قدْر المعلومات المخزنة، او الخلفية المعرفية السابقة.

٣-اهمية التواصل الاجتماعي لدى الطبقـات، فكلما يرتقي الانسـان اجتماعيا، كلما ارتفعت امكانية الاطلاع على المعرفة.

٤-تأثير الية التعـرض الانتقائي وكذلك الاهتمـام والتركيز(تحدد ما تريـد ان تقرأ، او تشاهد).

٥-طبيعة نظام وسائل الاتصال نفسه، اتجاهه نحو الطبقات الاعلى.

ان تقنيات او تكنولوجيا الاتصال هي احد مفرزات البحث العلمي، وكذلك من اهم منتجات البحث والتطوير، وعاملا يزداد اهمية في اقتصاد القرن الحادي والعشرين الذي يقوم على المعرفة. بحيث تمتلك هذه التكنولوجيا الان القدرة على توحيد او تفريق المجتمع.

ان الحديث عن الفجوة الرقمية يمثل حقيقة لا يمكن تجاهلها، الا انها ليست مشكلة تقنية في المقام الاول، بل هي قضية اجتماعية اي الانسان وقدراته وامكانياته، لأن التقنية منتوج اجتماعي.

كذلك فان وفرة المعلومات لا تعني توافر المعرفة، فهناك كم هائل من المعلومات موجودةعلى الانترنت مثلا، الا انها بدون تنظيم وترشيح (فلترة)، وتقطير(عبر الادوات العلمية)لتحويلها الى شكل مفاهيم ومعارف يمكن تطبيقها في حل المشكلات.

ان تحقيق ذلك يتطلب توسيع مفهوم المعرفة وتأطيرها خصوصا التخلص من الوهم الزائف بتوافر المعرفة للجميع من خلال الانترنت. فالمعرفة الحقيقية محاطة بأسيجة من السرية، ويتم السيطرة عليها بكل الوسائل التقنية القانونية والادارية الممكنة.

ان العديد من تقنيات الاتصال الحديثة مكلفة ماديا ومعرفيا(اي طريقة استخدامها)، كذلك تحتاج الى اللغات التي تتيح لذوي المستوى الاقتصادي والاجتماعي المرتفع الاستفادة منها. ونفس الشيء بالنسبة الى المستوى التعليمي المرتفع والمستوى اللغوي، والعكس صحيح ايضا، وهذا يؤدي الى الفجوة المعرفية. ان الفجوة المعرفية توسع الفارق المعلوماتي والمعرفي الكمي والكيفي بين الافراد والجماعات والمجتمعات.

اسباب الفجوة المعرفية في الوطن العربي:

حسب تقرير المعرفة العربية لعام ٢٠٠٩ الصادر عن مؤسسة محمد بن راشد ال مكتوم وصندوق النقد الدولي، فان معايير الحكم في اي بلد تقوم على ما يلي:

حرية التعبير والرأي/ توفر القوانين/ مكافحة الامية، مكافحة الفساد. اما في البلاد العربية وبلاد العالم النامي فان هناك غيابا للمؤسسات الحاضنة للمشاريع المعنية

بالمعرفـة. وهـذه المؤسسـات، ان وجدت، فـان القائميـن عليها علـى نقيض مـع المعرفة العلمية. والمطلوب اذن ان تعتمد ا لجهات الرسـمية جوانب محـددة للتعامل مع المعرفة، مما يحتاج الى سياسات معرفية تضعها الدول بحيث تبين كيفية التعامل مع المعرفة.

فرضية فجوة المعرفة *Knowledge Gap*

فـي الحديث عن الأُطـر المحددة لدراسـة العلاقـة بيـن الجماهير ووسـائل الإعلام، نلاحظ وجود تبايـن ملحوظ فـي المفاهيم والمصطلحات المسـتخدمة مـن أجل توصيف هذه الأُطر، إذ نجد أن الباحثين في مجال الإعلام قد اختلفوا في توصيف هذه الأُطر ففريق يسـميها مداخل أو مقتربات *Approaches* وآخر يطلق عليهـا *Models*، وثالث يرتقي بهذه لأُطر إلى مرتبة النظرية *Theory*، وكافة هذه المفاهيم والاصطلاحات تستخدم كمترادفات لبعضها البعـض. ويعتمد هذا العـرض على اصطـلاح الفرضية على اعتبـار أنه الاصطلاح الأكثر ملائمة للعرض.

تعد فرضية فجـوة المعرفـة *Knowledge Gap* مـن إحدى فرضيات بحـوث تأثيرات الإعلام الطويلة الأمـد، وهي تقـوم على فكـرة مؤداها أن تدفـق المعلومات لا يتم بشـكل متسـاو بيـن الأفـراد ومختلـف جماعـات المجتمـع، فقد تـزداد معرفـة بعـض الجماعات بموضوع معين مقارنةً بجماعـات أخرى، وتوجد الفجوات بنسـب متفاوتة، إذ أنها تختلف باختلاف الموضوعات.

ولقد ظهرت هذه الفرضية لأول مرة عام ١٩٧٠ علي يد ثلاثة من الباحثين هم تيشنور ودونوهيو وأوليـن *P.J.Tichenor، G.A.Donohue & C.N.Olien* وارتبطت أسـماؤهم بهذه الفرضية ومحاولات تطويرها.

وفرضية فـجوة الـمعرفة فرضـاً أكـثرُ منها نـموذجاً، حـاول تيشنور صياغته من خلال تقديم تعريفٍ لاصطلاح الفجوة المعرفية والتي يـرون أنه:

" يؤدي تدفق المعلومات من وسـائل الإعـلام داخل النظـام الاجتماعي إلى جعل

فئـات الجمهـور ذات المسـتوى الاقتصـادي/ الاجتماعـي المرتفـع تكتسـب المعلومات بمعدلات أسـرع من الفئات ذات المسـتوى الاقتصادي/ الاجتماعي المنخفض، وبالتالي تتجه الفجوة المعرفية إلى الزيادة بدلاً من النقصان ".

معنـى ذلـك أن هـذه الفرضيـة تؤكـد علـى أن الفئـات ذات المسـتوى الاقتصـادي/ الاجتماعي المنخفض، لا تظل فقيرة في المعلومات بوجه عام، ولكنها تكتسـب معلومات أقل نسبياً من الفئات الأعلى منها في المستوى الاقتصادي/ الاجتماعي.

ولقد اعتبر تيشـنور وزمـلاؤه أن التعليم يعد مؤشـراً أساسـياً في تصنيـف الأفراد إلى فئات اجتماعية واقتصادية، وحيث أن الطبقة الأعلى تكـتسب الـمزيد من المعلومات، فإن هذا يؤيد اتساع الفجوة المعرفية أكثر من تناقصها، وذلك الموضح بأسفل.

وبينما يؤكـد الباحثون أن وسـائل الإعلام تعد مصـدراً هاماً من مصـادر المعلومات، إلا أن وسـائل الإعلام بتعددها وتقنياتها ذات تأثير سـلبي على الكـم المعلوماتي الذي يتم تحصيله من قِبل الأفـراد، إذ أنها تؤدي - وذلـك ضمن آثارها السـلبية - إلى حدوث فجوة في المعرفة. لأنه وعلى الرغم من توافر المعلومات وتدفقها ويسـر الوصول إليها وتداولها وعدم اقتصارها على فئات بعينها، وخاصة في ظل الثورة المعرفية والتقنية - إلا أنه لا تزال هناك اختلافات معرفية موجودة، ومتزايدة باستمرار داخل المجتمع الواحد.

وتظهر الفجوة المعرفية عبر طريقتين:

الأولى: مرتبـط بعامل الزمـن فالموضوعات الأكثر صعوبة تنتشـر بين الافـراد الأكثر تعليماً، وبالتالي سيكون هناك خلل في التوازن الاجتماعي/ المعرفي فتصبح هناك ضرورة للبحث عن حل يحفظ هذا التوازن.

ولقد ورد هـذا التـوازن عندمـا تحـدث دونوهيو وزمـلاؤه عـن احتمال سـد الفجوة المعرفيـة إذا ما تمكنـت الجماعـات الأقل تميـزاً مـن الحصول علـى المعلومـات للحاق الجماعـات الأكثـر فـي الكـم المعلوماتـي والمعرفـي والتـي وصلت إلـى مرحلة التشـبع

المعرفـي. وبالتالي فهـي لا تقوم بعمليـة البحث عـن معلومات جديـدة. وفي هـذه الحالة تتحقق المسـاواة عندما تكون القضية أو المسـألة محـل الاهتمام العـام، أو عندما تظهر في مناخ مـن الصـراع الاجتماعـي *Social Conflict*، وعادة ما يحـدث هذا التسـاوي عـندما تكون الجـماعة صـغيرة الحجم أكـثر من الجـماعات الكبيرة الحجم.

الثاني:الوقت الذي تخصصه الوسيلة الإعلامية لتغطية موضوع أو قضية معينة، فكلما زاد الوقـت الذي تخصصـه الوسـيلة الإعلامية لتغطيـة موضوع معيـن زاد احتمـال تناقص الفجوة المعرفية بين الفئات الأعلى والفئات الأقل في المستوى الاجتماعي/ الاقتصادي.

والفجوة المعرفية تحدث نتيجة عدد من العوامل هي:

١. مسـتوى المهـارات الاتصاليـة *Communication Skills* التـي تختلـف مـن فـرد لآخر حسـب المسـتوى التعليمي *Educational Level*، فالأكثر تعليماً سـيكون الأكثر قـدرة على القـراءة والفهـم والمتابعـة للموضوعـات والقضايا السياسـية والاجتماعية العامـة. فالقدرة الاتصالية تختلف من فـرد لآخر، وذلك لاعتمادها على ثلاثة أنماط من الخصائص:

- الخصائص الشـخصية *Personal Characteristics* والتي تتمثل في قدرات الفرد واتجاهاته وسماته الشخصية ...ألخ.
- خصائص تعتمد علـى مركز الفـرد الاجتماعـي والتـي تحددها متغيـرات الدخل، والتعليم، والعمر،.. ألخ.
- خصائص البناء الاجتماعي الذي ينتمي إليه الفـرد. وهناك عامل هام في هذا المجال هو تحديد أدوار الأفراد في الجماعات الأولية والثانوية في عمليات الاتصال.

٢. حجم المخزون المعرفي *Amount Of Information Stored* أو الكم المعلوماتي الموجود لدى الأفراد قبل التعرض لموضوع معين من خلال وسـائل الإعلام أو من خلال التعلم.

٣. العمليات الانتقائيـة *Selectivity Processes* للتعـرض والإدراك والتذكر، وعادة ما يعود ذلك للاختلافات في الاتجاهات والتعليم.

٤. طبيعـة النظـام الإعلامـي وطبيعـة وسـائل الإعـلام نفسـها وتوجهها بالخطـاب لمستويات وفئات ثقافية دون غيرها.

والملاحظِ جيداً لهذه الفرضية يجد أنها مشـتقة من نماذج سابقة منها مدخل الاتصال علـى مرحلتيـن *Two Step Communication*، ومدخـل الاعتمـاد علـي وسـائل الإعلام *Media Dependency*، ومدخـل نشـر الأفـكار المسـتحدثة *Diffusion Of Innovations* فجميعها نماذج تحاول التعرف على وتفسير الكيفية التي يستقبل بها الجمهور للمعلومات، والأدوار المختلفة لوسـائل الإعلام في نشـر هذه المعلومات، وكذا التعرف علي المراحل التي تمر بها هذه المعلومات أثناء انتشارها.

ويري روجرز *Rogers* أن ما يحدث ليس فجوة واحدة، وانما هي عدة فجوات تتسـع يوماً بعد يـوم بين أفـراد المجتمـع الواحد. كما أكـد أن الفجـوة لا تحدث على المسـتوى المعرفـي فقط بـل أنها تشـمل الاتجاهـات والسـلوكيات. ورفـض اعتبار وسـائل الإعلام السـبب وراء حدوث الفجوات في المعرفة، لأن الاتصال الشـخصي قد يؤدي إلى حدوث نفس هذه الفجوات.

ويتم تطبيق فرضية الفجوة المعرفية علي مستويين أساسيين:

- المستوى الفردي الضيق *Micro Level*: ويتضمن اكتساب الفرد للمعارف المختلفة من خلال وسـائل الاتصـال، ويتحكم في ذلـك الأمر الفـروق الفرديـة، ومهارات الاتصال، والقدرات المعرفية، ومستوى الاهتمام، وغيرها من العوامل الفردية.
- المسـتوى المجتمعـي الأشـمل *Macro Level*: ويشـتمل طبيعـة البنـاء الاجتماعـي والمتغيرات المرتبطة بالمجتمع (أساليب نشـر وتوزيع المعلومات بين أفراد الجمهور، وسائل الاتصال المتاحة، طبيعة الصراع الاجتماعي، ملكية وسائل الإعلام).

ويمكن التعبير عن فرضية الفجوة المعرفية بطريقتين مختلفتين:

الأولى: على المدى الطويل *Over Time*: أي أن معدلات اكتساب المعلومات عن الموضوعات التي يتم نشرها وإذاعتها تكون أسرع لدى قطاعات الجمهور الأعلى في المستوى الاجتماعي/ الاقتصادي وأبطأ لدى قطاعات الجمهور الأقل في المستوى الاجتماعي/ الاقتصادي.

الثاني: في فترة محددة *At a Given Point In Time*: إذ توجد علاقة ارتباطيه طردية قوية بين المستوى الاجتماعي/ الاقتصادي للأفراد، وكم وحجم المعلومات المكتسبة من وسائل الإعلام التي تقوم بتغطية حدث أو قضية أو موضوع معين.

وتعتمد بحوث فجوة المعرفة على قياس عدد من المتغيرات والتي من أهمها:

١- المستوى الاجتماعي/ الاقتصادي للأفراد

٢- المستوى التعليمي للأفراد

٣- درجة الاهتمام بالموضوع أو القضايا المثارة

٤- حجم التعرض لوسائل الاتصال

٥- مدى الاستغراق في التعرض

٦- درجة الدافعية

٧- رصيد الخبرة الشخصية السابقة

٨- طبيعة الموضوع أو القضية المثارة

٩- كثافة التغطية الإعلامية للموضوع أو القضية.

١٠- المتغيرات الديموغرافية للأفراد (النوع، السن، المستوى الاجتماعي، المستوى الاقتصادي، درجة التعليم، الخلفية السابقة ...... ألخ).

كما أشـار عدد من الباحثيـن إلى بعـض المتغيرات الهامـة والظروف التـي تؤدي إلي خلق أو توسيع الفجوة أو الفجوات بين الأفراد ومنها:

- نوع الموضوع: فالفجـوات المعرفية تضيق فـي حالة الموضوعـات المحلية، وقد تنحسر تماما، فى حين تتسع هذه الفجوات مع الأحداث القومية أو العالمية.
- نـوع الوسـيلة: توجد اختلافـات نوية فـي قدرة كل وسـيلة علـى نقـل المعلومات ونشرها، فالصحف تعمل على توسيع الفجوات في حين ان التليفزيون يعمل على التقليل من حدتها.
- طريـقة قـيـاس المـعرفة: يفرق كثيـر من الباحثيـن بين عدة أنواع (مسـتويات) من المعرفة، حيث يشير روجرز وشوما كر إلى وجود ثلاثة مستويات هي:
  - مستوى الوعي *Awareness*: وهو معرفة الفرد بوجود شيء ما.
  - المعرفة الكيفية *Knowledge Of How To*.
  - معرفة المبادئ التي يقوم عليها الشيء *Principles Knowledge*.

ويشـير دونوهيو وزملاؤه إلى وجود نوعين من المعرفة:

- المعرفة بوجود الشيء *Knowledge Of*.
- المعرفة بخصائصه *Knowledge About*.
- وقـت القـياس: تشـير جازيانـو *Gaziano* إلى أن الأسـاليب المنهجيـة المتبعة في قياس المعرفة يمكن أن تؤثر في نتائج بحوث فجوة المعرفة، فدرجة فجوة المعرفة تختلف باختلاف وقـت قياس فجوة المعرفة بعد التعرض لوسـائل الإعلام، فكلما كان قياس المعرفـة بعد التعرض مباشـرة،كانت الفجـوة المعرفيـة أقل،وكلما كان قياس المعرفة بعد فترة كبيرة من التعرض، كلما زادت فجوة المعرفة.
- نـوع المقيـاس المسـتخدم: يـرى بعـض الباحثين أن اسـتخدام أسـلوب الأسـئلة

المفتوحة يتيح للمبحوثين فرصة التعبير بأسلوبهم الخاص عن المعلومات مما يقلل من احتمال وجود اختلافات معرفية كبيرة بين الأفراد، وبالتالي يؤدي استخدام أسلوب الأسئلة المفتوحة إلى فجوات معرفية ضيقة، وقد تظهر دراسات أخرى فجوات أكثر اتساعاً إذا ما اعتمدت على الأسئلة المغلقة.

كما أنه توجد عدة خصائص تساعد الفرد على تبادل المعلومات، وتسهل له عملية الاتصال ويمكن أن نطلق عليه مصطلح " القدرة الاتصالية ".

تقييم الفرضية:

- إن فرضية فجوة المعرفة عاجزة عن الكشف بالتحديد عن المستنتجات المنسوبة إلى إمكانية وجود وسائل التعليم بما في ذلك وسائل الإعلام، مما يمكن التسليم به هو أن هذه الإمكانية لها التأثير الفعال على علو مستوى المعرفة خاصة إذا توجت هذه الإمكانية بالاستخدام الفعلي لهذه الوسائل.
- تختلف هذه الفرضية عن منظور التغيير الإنساني الذي لن يبحث عن تحقيق المساواة في المعرفة في إطار نفس النظام الاجتماعي والإعلامي، وذلك لأنه يفترض أصلاً عدم المساواة الاجتماعية والاقتصادية والمعلوماتية في النظم الاجتماعية القائمة.
- ارتبطت فرضية الفجوة المعرفية بمرجعية المجتمعات الغربية المتقدمة وعبرت فرضيات تيشنور وزملاؤه عن ذلك حيث افترضوا:
- أن الفئات ذات المكانة الاجتماعية الدنيا لن تُحرم تماماً من المعرفة.
- أن التعليم يعد مؤشراً ثابتاً يعكس المكانة الاجتماعية الاقتصادية.

تمثل فرضية الفجوة المعرفية طريقة جديدة في دراسات التأثير والعلاقة القائمة بين الجماهير ووسائل الإعلام، حيث أنها لم تكتفي بالتعرف على دور الإعلام في تزويد

الجماهير بالمعلومات فقط، بل حرصت على دراسة استخدام الجماهير لهذه المعرفة في بناء وتشكيل الإطار المعرفي للأفراد.

جدير بالذكر أن هذه الفرضية قد ازدادت أهميتها في العقود الأخيرة نظراً للتطور التقني الهائل والثورة المعرفية التي نعيشها الآن، وخاصة مع ظهور وسائل إعلامية جديدة لم تكن معروفة من قبل مثل القنوات الفضائية، وأخيراً الشبكة العالمية للمعلومات " الإنترنت " *Internet* والتي جعلت من العالم ليس مجرد قرية كونية كبيرة كما يرى مارشال ماكلوهان، بل أن العالم قد صار مجرد بلورة يتعرض لها الإنسان ليطلع من خلالها على ما يشاء وقتما يشاء، الأمر الذي قد يؤدي على المدى الطويل إلى توسيع الهوة المعرفية والثقافية بين أفراد المجتمع الواحد، وذلك نظراً لكون وسائل الإعلام الجديدة يعتمد استخدامها على مدى اهتمام الفرد *Interest* ودوافعه وحاجاته التي تحكم تعرضه وانتقائه لوسيلة إعلامية ما دون غيرها من وسائل الإعلام، وكذلك يعتمد استخدامها على فكرة الفرد عن الوسيلة الإعلامية وخبراته السابقة معها، وجدير بالذكر أن أغلب هذه التقنيات الحديثة تكون في الغالب متاحة للأكثر تعليماً، وكذلك للأكثر ارتفاعا في المستوى الاجتماعي والاقتصادي.



تحليل للنظريات الإعلامية في التأثير

نؤكد أولاً أن الأعلام يؤثر وبشكل ملموس على الناس، والاختلاف بين الناس هو في حجم التأثير وكيفيه التأثير ومداه.

من المؤكد أن الإعلام يؤثر على الأفراد بحسب جملة من العوامل منها:

١- نوع وسائل الإعلام المستخدمة والمتاحة في المجتمع.

٢- طبيعة الرسالة الإعلامية الموجهة للأفراد (في قالب فني راق أو متدنية، مباشرة أو بالإيحاء).

٣- ثقافة المجتمع ونسبة الأمية (يزداد التأثير مع ارتفاع الأمية خصوصاً من التلفاز).

٤- الإمكانات المادية (لاقتناء أدوات الإعلام).

٥- الخلفية العقائدية للمجتمع (إسلامية – وثني...).

٦- مستوى التدين لدى الناس (محافظ – منفلت – مستغرب).

٧- مستوى التمدن (الريف – مدن كبيره – بادية...).

٨- الحرية الإعلامية (واسعة – منضبطة – مفقودة).

وعند تأمل النظريات الإعلامية يمكن ملاحظة الآتي:

١- نظرية الرصاصة شاذة، وتقع أحياناً في ظروف محدودة وبيئات محدودة، ولا يمكن بأي حال تعميمها.

٢- نظرية الإشباع تخص في بيئات مفتوحة وتمثل تصوراً لجانب من الأمر. فحتى عندما يكون سوق الإعلام مفتوحاً والإنسان يبحث عن حاجاته خلاله، فإنه يتأثر بما تقدمه هذه الوسائل. والإنسان وإن كان لديه ميول معينه أو رغبات خاصة، إلا أنه يستهويه أشياء أخرى نظراً لارتباطها ببيئته أو بحدث جديد أو مصاغة

بأسلوب مبتكر أو تذكره بتاريخ معين، بمعنى أنه لا بد أن يتعرض لأمور قد يقصدها برغبته الذاتية ولإشباع حاجاته الذاتية.

٣- بقية النظريات: كل نظرية تحاول أن تفسر جانباً من التأثير. فحارس البوابة موجود دائماً ولكنه يكون بصورة ملموسة عندما تكون وسائل الإعلام تحت السيطرة الحكومية، وتكون الرسالة الإعلامية محددة سلفاً لا مجال لتجاوزها.

الأمر يتأكد أيضاً عندما تسيطر على وسائل الإعلام شبكاتٌ ضخمةٌأخطبوطية، فيكون الحارس هنا موجوداً بكافة وسائل الإعلام المتاحة، وحيثما يفر الإنسان فأنه لاشك سيجد الحارس أمام كل باب يطرقه يقول لهذه المادة انطلقي، ويقول لتلك مكانك الأرشيف أو الزبالة.

ونظرية الأثر التراكمي (نظرية التأثير طويل المدى)، ملموسة في كافة المجتمعات سواء المنفتحة أو المغلقة، ويكون الإنسان أسيرا لما يتعرض من وسائل الإعلام المختلفة خلال فترة طويلة.

والتأثير على مرحلتين يؤكد ويؤصل التأثير التراكمي ويعطيه بعداً أكبر. حيث تتوالى مصادر الرسالة الإعلامية وتتنوع. والحقيقة أنه حتى الأفراد وقادة الرأي هم بذاتهم وسائل إعلامية تؤكد أو تعارض غيرها من الوسائل، وليسوا شيئاً منعزلاً أو منفرداً عن الوسائل الإعلامية الأخرى.

أن نظرية جدول الأعمال (الأجندة) مكملة لدور الحارس الإعلامي لكن بطريقة أخرى، حيث يرتفع دور الحارس إلى أن يكون مديراً، يقدم ما يراه مهماً بحسب مزاجه، مفضلاً له عن غيره.

أما عن نظرية التلقيح فهي لا تعدو أن تكون نظرية التأثير بعيد المدى، لكنها تعبر عن جانب من التأثير حين يفقد الإنسان القدرة على الرفض، ويكون مجمل حاله قابلاً لكل ما يعرض عليه، مخدراً بتلك الحقنة التي أعطيت له لكنها ليست إيجابية له، بل تحذيراً كي يتقبل كافة ما يعرض دون اعتراض.

تكنولوجيا وسائل الأعلام وتأثيرها على المجتمعات

نظرية مارشال ماكلوهان

مارشال ماكلوهان(١٩١١ ـ ١٩٨٠م). أستاذ وكاتب كندي أحدثت نظرياته في وسائل الاتصال الجماهيري جدلاً كبيرًا، فهو يرى أن أجهزة الاتصال الإلكترونية ـ خاصة التلفاز ـ تُسيطر على حياة الشعوب، وتؤثر على أفكارها ومؤسساتها.

ابرز مؤلفات ماكلوهان

قام ماكلوهان بتحليل التأثيرات التي تُحدِثها وسائل الإعلام في الناس والمجتمع من خلال مؤلفاته مثل العروس الميكانيكية (١٩٥١م)؛ مجرَّة جوتنبرج (١٩٦٢م)؛ فهم وسائل الاتصال (١٩٦٤م)؛ الإعلام هو الرسالة (١٩٦٧م)؛ الحرب والسلام في القرية العالمية (١٩٦٨م).

قناعات ماكلوهان

زعم ماكلوهان أن كل حقبة زمنية كبرى في التاريخ تستمد شخصيتها المميزة من الوسيلة الإعلامية المتاحة آنذاك على نطاق واسع. فهو مثلاً، يُطلق على الفترة من القرن الثامن عشر إلى العشرين عصر الطباعة، ففي ذلك الوقت كانت الطباعة الوسيلة الرئيسية لنقل المعرفة بين الناس. وأعلن ماكلوهان أن الطباعة شجعت على الفردية والنزعات القومية، والديمقراطية، والنزوع إلى الخصوصية، والتخصص في العمل، والتمييز بين العمل ووقت الفراغ.

ووفقًا لرأي ماكلوهان فإن عصر الإلكترونيات قد حلّ محل عصر الطباعة. فالوسائل الإلكترونية تجعل الاتصال سريعًا، لدرجة أن الشعوب ـ على اختلاف مواقعها في العالم ـ تنصهر في بوتقة واحدة، وتشارك بشكل عميق في حياة الآخرين. والنتيجة كما يرى أن الوسائل الإلكترونية تقضي على الفردية والقومية، ونمو مجتمع عالمي جديد.

الوسيلة هو الرّسالة

أهم مقولات مارشال ماكلوهان "الوسيلة هو الرّسالة"، وتعتبر هذه المقولة أحد أهم ما جاءت به نظريّة البيئة الإعلاميّة. يقول ماكلوهان "ينشغل الكثيرين في تفسير الرّسالة ويهملون الوسيط الذي سوف يتم عن طريقه نقل الرّسالة". فمثلا رواية "باب الشمس" للكاتب إلياس خوري، وفيلم "باب الشمس" الذي أخرجه المصري يسري نصرالله. إذا شاهدت الفيلم وقرأت الرواية فسوف تلاحظ الإختلافات بين الطرحين، والإنتقاد في هذا الصّدد ليس جائزا، لأن الكتاب لا يمكن له أن يصبح فيلما والفيلم ليس له أن يصبح كتابا، فكل وسيط له مزاياه وبيئته المختلفة تماما عن الأخرى.

و مثال آخر، المخرج جيمس كاميرون مخرج فيلمي *Avatar* و*Titanic*. لقد كتب كاميرون قصّة الفيلم *Avatar* بين عامي ١٩٧٦ و١٩٧٧، ولكنه يقول أنّه كان يؤجّل تنفيذه بسبب عدم وجود تكنولوجيا كافية آنذاك ليتم نقل الصورة بالطريقة التي كتبها كاميرون، كان لابد من الإنتظار من أجل تحديث وسيط أفضل لصناعة وطرح القصّة بالطريقة الأفضل.

مثال أيضا، عندما تم إبتكار أشرطة الفيديو ظن الناس أنها نهاية السينما، وعندما أبتكر الإنسان الملفات الصوتيّة وال *mp3* أيضا ظن أنها نهاية الراديو. ولقد تطوّرت وسائط حفظ المعلومات من *floppy disc* لل *CD* وال *DVD* و*Flash-memory*، وكان الهدف من هذا التطوّر هو إيجاد وسيلة تمكّن المنتجين من تخزين معلومات أكبر وقدرة أسرع على المعالجة مما أتاح لهم إيصال دقّة أفضل إلى المستهلكين. والأمثلة لا تنتهي.

"عند النظر في التأثير الثقافي لوسائل الإعلام، فإننا غالبا ما ننخدع بتحليل المحتوى واللإلتفات إليه أكثر من اللازم، ولكن المحتوى بالنسبة للوسيط، هو تماما مثل قطعة كبيرة من اللحم التي تلقى لكلاب الحراسة من قبل السارق ليتم إلهاء العقل عن حقيقة الرسالة".

ويصبح الآن تعريف بيئة وسائل الإعلام أكثر وضوحا: هو الدراسة التي تتناول مختلف العوامل البيئيّة لوسائل الإعلام على الصعيد الفردي والجماعي الذي يخلقه

الوسيط الذي يتم استخدامه. والوسيط قد يكون أفلام، أخبار، أغاني، كتب، ألعاب فيديو، رسائل قصيرة، أيميل، الصحافة الإلكترونيّة والمطبوعة، وكل ما يتعلّق بتكنولوجيا الإتصالات والمالتيميديا.

ورغم أن ماكلوهان هو أول من أشهر هذا المفهوم، إلا أنه لم يكن أول من يفكر في الآثار العظيمة لتقنية الاتصالات. فقد كان من أوائل من حللوا هذه الآثار المفكر نيكولاس تيسلا *Nicolas Tesla* الذي قال في مقابلة مع مجلة *Colliers* في عام ١٩٢٦م: "عندما تعم تطبيقات الاتصالات اللاسلكية سيتحول العالم إلى عقل ضخم، والذي هو كذلك في الواقع، حيث تنتظم الأجزاء الصغيرة في كل متناغم. فستتمكن من التواصل الفوري مع بعضنا البعض، بغض النظر عن المسافات الجغرافية التي تفصل بيننا. وليس هذا فقط حيث سنشاهد ونستمع لبعضنا البعض من خلال التلفاز والهاتف تمامًا كما لو كنا وجهًا لوجه، بغض النظر عن المسافات التي تفصل بيننا والتي قد تصل إلى آلاف الأميال؛ وستكون الآلات التي نستخدمها لهذا الغرض بسيطة جدًا مقارنة بأجهزة الهاتف الموجود في الوقت الراهن. فسيكون الرجل قادرًا على حمل جهاز في جيبه."

وتتلخص الرؤية الثاقبة الثانية الشهيرة لمكلوهان بالعبارة التالية: "الوسيط الناقل هو الرسالة ذاتها"، والتي تعني أن لجودة الوسيط الناقل الأثر نفسه كما هو للمعلومة التي ينقلها. فعلى سبيل المثال، قراءة لوصف مسرح حدث في جريدة له أثر مختلف جدًا في شخص عن الاستماع لذلك الوصف، أو النظر إلى صورة له، أو مشاهدة مقطع فيديو باللون الأسود والأبيض، أو مشاهدة مقطع فيديو ملون. لقد اُفتتن ماكلوهان بالتلفاز على وجه الخصوص، حيث أسماه الوسيط "البارد"، مشيرًا إلى أثره المخدر في المشاهدين. لقد حصل ماكلوهان على ارتياح كبير مؤخرًا عندما توصلت دراسات طبية إلى نتائج مفادها أن التلفاز في الحقيقة يعود الناس على أنماط موجات دماغية بليدة. ولعلنا نتساءل ماذا سيقول ماكلوهان عن الإنترنت؟

ومثله مثل نوربيرت واينر جي وسي ليكلايدر، فقد أجرى مكلوهان دراسة لاستقراء

الاتجاهات الراهنة للتقنية، وتخصص في آثارها في الاتصال الإنساني. لقد شعر بأن التطورات التي يصف إيجابية بصورة عامة، ولكنه كان قلقًا من احتمال التلاعب بالصناعة الإعلانية المتطورة.

لقد نفذت أفكار ماكلوهان إلى كيفية تفكيرنا -نحن في القرية الكونية- عن التقنية والإعلام إلى درجة أننا لم نعد نعي الأثر الثوري الذي أحدثته هذه المفاهيم عندما طُرحت لأول مرة. لقد جعل ماكلوهان فكرة نظام عصبي كوكبي متكامل جزءًا من ثقافتنا الشعبية، حتى أنه عندما دخلت الإنترنت إلى حيز التطبيق في القرية الكونية لم تكن اكتشافًا مذهلاً، حيث كانت في النطاق الطبيعي لتطور الأشياء.

أبعاد النظريّة

تبعا للنظريّة، فمن الضروري جدّا رسم صورة واضحة لمعرفة طبيعة عمل وسائل الإعلام كبيئة محيطة بالإنسان وكيفيّة تفاعله مع كل نوع من أنواع وسائل الإعلام، وغياب هذه الصورة سوف يكون مستحيلا فهم العلاقة بين التطوّر الثقافي والإجتماعي المحيط بوسائل الإعلام. ولكن المشكلة هي أن تحليل بيئة وسائل الإعلام عمليّة صعبة جدّا، لأن كل نوع من أنواع وسائل الإعلام يخلق بيئة محتلفة، وجميع هذه البيئات غير ملموسة ومتداخلة مع بعضها البعض. فالبيئة التي تخلقها الرسائل القصيرة بنقل الأخبار كالواتسأب مثلا هي مختلفة عن متابعة الأخبار عن طريق الشبكة الإجتماعيّة كتويتر، ولكنه في النهاية هي متشابكة مع بعضها لأن تعامل الإنسان يكون معهما على حد سواء، يصبح الفصل بينهما كبيئتين مختلفتين أمر بحاجة لآلاف الساعات من المراقبة والتحليل ليتم فهم كيف يعمل هذا النوع من الإعلام على الأفراد وكيف ينمّط حياتهم.

يقول ماكلوهان:

"إن الوسيط يغيّرنا ويؤثّر على البنية الفرديّة والإجتماعيّة، لأننا نتفاعل معه مرارا وتكرارا حتى يصبح جزءا من أنفسنا، فنحن اليوم لا نستطيع تخيّل حياتنا بلا الهواتف

الذكيّة والإنترنت. لأن كل وسيط يدفعنا لإستخدام حواس معيّنة ليخلق عادة نداوم على ممارستها. إن الإنخراط بشكل يومي في أحد الوسائط يوما بعد يوم يحفّز أحد الحواس لدينا لإستخدامها أكثر من غيرها. فالوسيط السمعي كالأغاني مثلا يحفّز حاسّة السمع أكثر من حاسّة النظر إذا تم إستخدامها بشكل أكبر، تماما مثل الضرير حيث تصبح حاسّة السمع متفوّقة بشكل ملحوظ. وعلى الصعيد الإجتماعي فالمجتمع يصاغ بحسب الوسيط الأكثر إنتشارا بين أفراده."

عندما تدخل تكنولوجيا إعلاميّة جديدة يمرّ المجتمع فترة تصبح هذه التكنولوجيا ظاهرة غريبة يتحدّث الجميع عنها، في هذه المرحلة يبدأ الأفراد تعلّم هذه الوسيلة. وفي المرحلة الثانية عندما تصبح هذه التكنولوجيا في متناول أيدي الجميع تصبح ظاهرة إعتياديّة وتختفي في خلفيّة عادات المجتمع وعندها ينخرط الأفراد تحت الأنماط البيئيّة التي يخلقها هذا النوع من الإعلام وتصبح جزء أساسي من تكوينه. وكأبسط مثال فكّر في دخول الهواتف الذكيّة لحياتنا وما العادات الجديدة التي اكتسبناها بسببه. ويكون الإنخراط في هذه البيئة التكنولوجيّة للأفراد الذين نشؤوا مع هذه التكنولوجيا كالأطفال الذين بدؤوا طفولتهم بالرّسم على ال *ipad*، أكبر من الذين شهدوا دخول هذه التكنولوجيا وحاولوا تعلّمها. فالأجيال التي تكبر بوجود هذه التكنولوجيا لن يستطيعوا أبدا تخيّل العالم بدونها ليس كمن شهدوا اختراعها.



النظرية التكنولوجية لوسائل الإعلام

تُعَد النظرية التكنولوجية لوسائل الإعلام، من النظريات الحديثة التي ظهرت عن دور وسائل الأعلام وطبيعة تأثيرها على مختلف المجتمعات. ومبتكر هذه النظرية(مارشال ماكلوهان) كان يعمل أستاذاً للغة الإنجليزية بجامعة تورنتو بكندا، ويعتبر من أشهر المثقفين في النصف الثاني من القرن العشرين. وبشكل عام، يمكن القول أن هناك أسلوبين أو طريقتين للنظر إلى وسائل الأعلام من حيث:

١-أنها وسائل لنشر المعلومات والترفيه والتعليم.

٢-أو أنها جزء من سلسلة التطور التكنولوجي.

إذا نظرنا أليها على أنها وسيلة لنشر المعلومات والترفيه والتعليم، فنحن نهتم أكثر بمضمونها وطريقة استخدامها، والهدف من ذلك الاستخدام. وإذا نظرنا إليها كجزء من العملية التكنولوجية التي بدأت تغير وجه المجتمع كله، شأنها في ذلك شأن التطورات الفنية الأخرى، فنحن حينئذ نهتم بتأثيرها، بصرف النظر عن مضمونها.

يقول مارشال ماكلوهان أن (مضمون) وسائل الأعلام لا يمكن النظر إليه مستقلاً عن تكنولوجية الوسائل الإعلامية نفسها. فالكيفية التي تعرض بها المؤسسات الإعلامية الموضوعات، والجمهور الذي توجه له رسالتها، يؤثران على ما تقوله تلك الوسائل. ولكن طبيعة وسائل الإعلام التي يتصل بها الإنسان تشكل المجتمعات أكثر مما يشكلها مضمون الاتصال. فحينما ينظر ماكلوهان إلى التاريخ يأخذ موقفا نستطيع أن نسميه (بالحتمية التكنولوجية) *Technoligical Determinism* فبينما كان كارل ماركس يؤمن بالحتمية الاقتصادية، وبأن التنظيم الاقتصادي للمجتمع يشكل جانباً أساسياً من جوانب حياته، وبينما كان فرويد يؤمن بان الجنس يلعب دوراً أساسياً في حياة الفرد والمجتمع، يؤمن ماكلوهان بأن الاختراعات التكنولوجية المهمة هي التي تؤثر تأثيراً أساسياً على المجتمعات.

ولهذا نجد ماكلوهان شـديد الإعجاب بعمل المؤرخين أمثال الدكتـور وايت *White Jr* صاحب كتاب (التكنولوجيا الوسيطة والتغير الاجتماعي)، الذي ظهر سـنة ١٩٦٢ وفيه يذكر المؤلف أن الاختراعـات الثلاثة التي خلقت العصور الوسيطة، هي الحلقة التي يضع فيها راكب الحصان قدمه *Stirrup* وحدوة الحصان *Nailed Horseshoe*، والسرج *Horse Collar*.. فبواسـطة الحلقة التي يضع فيها راكـب الحصان قدمه اسـتطاع الجندي أن يلبس درعاً يركب به الحصـان الحربي، وبواسـطة الحدوة والأربطـة التي تربط الحصـان بالعربة *Harness* توافرت وسـيلة أكثر فاعلية لحرث الأرض، مما جعـل النظام الإقطاعي الزراعي يظهر، وهذا النظام هو الذي دفع التكاليف التي تطلبها درع الجندي.

وقد تابع ماكلوهان هذه الفكرة بشـكل أكثر تعمقـاً ليعرف أهميتهـا التكنولوجية، مما جعله يطور فكـرة محددة عن الصلة بين وجـود الاتصال الحديث فـي المجتمع والتغيرات الاجتماعيـة التي تحـدث في ذلـك المجتمع. ويقـول ماكلوهـان أن التحول الأساسـي في الاتصال التكنولوجـي يجعل التحـولات الكبرى تبدأ، ليـس فقط في التنظيـم الاجتماعي، ولكن أيضـا فـي الحساسـيات الإنسـانية. والنظـام الاجتماعي فـي رأيه يحـدده المضمون الذي تحمله هذه الوسـائل. وبدون فهم الأسـلوب الذي تعمل بمقتضاه وسـائل الأعلام لا نسـتطيع أن نفهم التغيرات الاجتماعية والثقافية التي تطرأ على المجتمعات. فاختراع اللغة المنطوقة هو الذي ميّز بين الإنسـان والحيوان، ومكّن البشـر من إقامـة المجتمعات والنظم الاجتماعية وجعل التطور الاجتماعي ممكنا. وبدون اختراع الكتابة ما كان التحضر ممكناً، بالرغم من أن اختراع الكتابة ليس الشـرط المسـبق الوحيـد للحضارة، فالإنسـان يجب أن يأكل قبل أن يسـتطيع الكتابة، إلا أنه بفضل الكتابة تم خلق شـكل جديد للحياة الاجتماعية وأصبح الإنسان على وعي بالوقت، وأصبح التنظيم الاجتماعي يمتد إلى الخلف، (أي إلى الماضي)، وإلى الأمام، (أي إلى المسـتقبل)، بطريقة لا يمكن أن توجد في مجتمع شـفهي صـرف. فالحـروف الهجائية هـي تكنولوجيا يسـتوعبها الطفل الصغير بشـكل لا شـعوري تماما،(بالاسـتيعاب التدريجي)، والكلمات ومعانيهـا تُعد الطفل لكي يفكـر ويعمل بطرق

معينة بشكل آلي، فالحروف الهجائية وتكنولوجيا المطبوع طورت وشجعت عملية التجزئة وعملية التخصص والابتعاد بين البشر، بينما عملت تكنولوجيا الكهرباء، على تقوية وتشجيع الاشتراك والتوحيد.

ويقول ماكلوهان أن وسائل الأعلام التي يستخدمها المجتمع أو يضطر إلى استخدامها ستحدد طبيعة المجتمع، وكيف يعالج مشاكله، وأي وسيلة جديدة أو امتداد للإنسان، تشكل ظروفاً جديدة محيطة تسيطر على ما يفعله الأفراد الذين يعيشون في ظل الظروف، وتؤثر على الطريقة التي يفكرون ويعملون وفقاً لها، أي أن (الوسيلة امتداد للإنسان، فالملابس والمساكن امتداد لجهازنا العصبي المركزي، وكاميرا التليفزيون تمد أعيننا والميكروفون يمد آذاننا، والآلات الحاسبة توفر بعض أوجه النشاط التي كانت في الماضي تحدث في عقل الإنسان فقط، فهي مساوية لامتداد الوعي). وسائل الأعلام الجديدة، كامتداد لحواسنا، كما أنها توفر زمنا وإمكانيات، تشكل أيضا تهديدا في الوقت نفسه، لأنه في الوقت الذي تمتد فيه يد الإنسان، وما يمكن أن يصل إليه بحواسه في وجوده، تستطيع تلك الوسائل أيضا أن تجعل يد المجتمع تصل إليه لكي تستغله وتسيطر عليه، ولكي نمنع احتمال التهديد يؤكد ماكلوهان أهمية إحاطة الناس بأكبر قدر ممكن من المعلومات عن وسائل الأعلام لأنه (بمعرفة كيف تشكل التكنولوجيا البيئة المحيطة بنا، نستطيع أن نسيطر عليها ونتغلب تماما على نفوذها أو قدرتها الحتمية).

وفي الواقع، بدلا من الحديث عن الحتمية التكنولوجية، قد يكون من الأدق أن نقول أن المتلقي يجب أن يشعر بأنه مخلوق له كيان مستقل، قادر على التغلب على هذه الحتمية التي تنشأ نتيجة لتجاهل الناس لما يحدث حولهم، وأنه لا يجب اعتبار التغير التكنولوجي حتمياً أو لا مفر منه، ذلك لأننا إذا فهمنا عناصر التغيير، يمكننا أن نسيطر عليه ونستخدمه في أي وقت نريده بدلاً من الوقوف في وجهه.

نظرية مارشال ماكلوهان التي ظهرت قبل نحو أربعين عاما، ما تزال حتى اليوم أكثر النظريات الإعلامية انتشاراً ووضوحاً في الربط بين الرسالة والوسيلة الإعلامية، والتأكيد

على أهمية الوسـيلة في تحديد نوعيـة الاتصال وتأثيـره، حيث يرى ماكلوهان(أن الوسـيلة هي الرسالة)، ويوضح أن مضمون وسـائل الأعلام لا يمكن النظر إلية مسـتقلاً عن تقنيات الوسـائل الإعلامية فالموضوعات والجمهور التي توجه له مضمونها، يؤثران على ما تقوله تلك الوسـائل، ولكن طبيعة وسـائل الأعلام التي يتصل بها الإنسـان، تشـكل المجتمعات أكثر ما يشكلها مضمون الاتصال.

ويبيـن ماكلوهـان أن وسـائل الأعـلام التـي يسـتخدمها المجتمـع أو يضطـر إلـى استخدامها، ستحدد طبيعة المجتمع وكيف يعالج مشاكله، وأي وسيلة، أو امتداد للإنسان، تشكل ظروفاً وتؤثر على الطريقة التي يفكر بها الناس ويعلمون وفقا لها.

عرض ماكلوهان أربع مراحل تعكس – في رأيه – التاريخ الإنساني وهي:

أ) المرحلة الشفوية: أي مرحلة ما قبل التعلم، أي المرحلة القبلية.

ب) مرحلة كتابة النسخ: التي ظهرت في اليونان القديمة واستمرت ألفي عام.

ت) عصر الطباعة: من سنة ١٥٠٠ – ١٩٠٠ تقريبا.

ث) عصر وسائل الأعلام الإلكترونية من سنة ١٩٠٠ تقريباً حتى الوقت الحاضر.

إن طبيعة وسـائل الأعلام المسـتخدمة في كل مرحلة، تساعد على تشـكيل المجتمع أكثر مما يساعد مضمون تلك الوسائل على هذا التشكيل.

ومن أهم مـا جاء فـي نظرية ماكلوهـان عن وسـائل الاتصـال، أنه يُقسـم هذه الوسـائل إلى (وسائل باردة) و(وسائل ساخنة). ويقصد بالوسـائل الباردة تلك التي تتطلب من المستقبِل جهدا إيجابيا في المشاركة والمعايشـة والاندماج فيها. أما الوسائل الساخنة، فهي تلك الوسائل الجاهزة المحددة نهائياً، فلا تحتاج من المشاهدة أو المستمع إلى جهدٍ يبذل أو مشاركة أو معايشة.

فالكتابة والتلفون والتلفزيون وسائل باردة، أما الطباعة والإذاعة والسينما فهي وسائل سـاخنة. وإذا لم يكن بوسـع المرء أن يتفق مع كل ما جاء به ماكلوهان من أفكار يسميها هو

اختبارات أكثر منها نظريات،وإذا لم تكن (الوسيلة هي الرسالة) فمن الواضح أنها أخطر من مجرد أداة لزيادة عدد الجماهير من القراء والمستمعين والمشاهدين. وإذا كان من الصعب أيجاد دليل قوي لاثبات هذه الأفكار أو رفضها، فأنها على الأقل تجعلنا نتساءل عما إذا كانت وسائل الأعلام لها القدرة على تغيير الإنسان.

وفي الوقت الذي يشير فيه ماكلوهان إلى أن وسائل الأعلام الإلكترونية ساعدت في انكماش الكرة الأرضية وتقلصها في الزمان والمكان، حتى أصبحت توصف بـ (القرية العالمية،*Global Village* وبالتالي زاد وعي الإنسان بمسؤوليته إلى درجة قصوى، فأنه يرى أيضا، أن هذه الحالة الجديدة أدت إلى ما يمكن تسميته بـ(عصر القلق)، لأن الثورة الإلكترونية الفورية الجديدة تجبر الفرد على الالتزام والمشاركة بعمق. وبغض النظر عن وجهة النظر التي يتبناها، فوجهة النظر الخاصة الجزئية مهما كان مقصدها، لن تغير في عصر الكهرباء والإلكترون الآلي الفوري، وربما يكون هذا الرأي وغيره يمثل الأرضية التي نبع منها مفهوم (العولمة) الذي أصبح يتردد في السنوات الأخيرة، وكان أحد الباحثين قد اسماه من قبل (لحظنه التواصل الحضاري الإعلامي).

وإلى جانب ذلك، فأن أفكار ماكلوهان أصبحت في السنوات الأخيرة موضع انتقاد أو تعديل أو تشكيك من قبل بعض الباحثين. وفي هذا الصدد يرى (ريتشارد بلاك) أن (القرية العالمية) التي زعم ماكلوهان وجودها، لم يعدلها وجود حقيقي المجتمع المعاصر.

ويوضح (أن التطور التقني الذي استند إلية ماكلوهان عند وصفه للقرية العالمية، استمر في مزيد من التطور، بحيث أدى إلى تحطيم هذه القرية العالمية وتحويلها إلى شظايا، فالعالم الآن اقرب ما يكون إلى البناية الضخمة التي تضم عشرات الشقق السكنية التي يقيم فيها أناس كثيرون، ولكن كل منهم يعيش في عزلة، ولا يدرى شيئا عن جيرانه الذين يقيمون معه في البناية نفسها).

ويمكن أن يوصف هذا التطور بأنه تحول من(التجميع) إلى (التفتيت)،أو اللامركزية، حيث أتاحت تقنيات الاتصال الحديثة المتمثلة في الأقمار الاصطناعية والحاسبات

الإلكترونية ووصلات(المايكروويف) والألياف الضوئية، عددا كبيرا من خدمات الاتصال خلال الاتصال العقدين الماضيين،مثل التلفزيون الكابلـي التفاعلي، والتلفزيوني منخفض القوة و(الفيديو كاسيت) (الفيديويسك) وأجهزة التسـجيل الموسيقي المتطورة، وخدمات (الفديوتكـس) والتلتيكس) والاتصال المباشـر بقواعـد البيانات والهواتـف النقالة والبريد الإلكترونـي، التـي اندمجت فـي شـبكة الاتصـالات المعروفـة ب(الإنترنـت)، وجمعيها وسائل تخاطب الأفراد وتلبي حاجاتهم ورغباتهم الذاتية. وقد نتج عن هذه التقنية الجديدة تقلص أعداد الجماهير التي تشـاهد برامج الشبكات الرئيسـية وخدمات الإذاعة المسموعة والتلفزيون التي تعمل بنظام البث الهوائي التقليدي.

لقد ظل الاتجاه الرئيسـي لوسـائل الاتصـال الجماهيريـة، حتى ما قبل عشـرين عاما، يميـل إلـى توحيـد الجماهيـر *Massification*، بمعنى نقـل الرسـائل الاتصالية نفسـها إلى قطاعات جماهيرية واسعة، أو توحيد الرسائل وتعدد الجماهير المستقبلة لهذه الرسائل.

أما الاتجاه الجديد للاتصال وتدفـق المعلومات على الصعيد العالمـي، فقد بدأ يتجه نحو لا مركزية الاتصال، بمعنى تقديم رسـائل متعددة تلاءم الأفراد أو الجماعات الصغيرة المتخصصة، وتتخذ هذه اللامركزية للرسائل مظهرين:

المظهر الأول: يتحكم فيه المرسِل.

والمظهر الثاني: يتحكم فيه المستقبِل.

ويمكن إتاحة كل منهما عن طريق الربط بالحاسـبات الإلكترونية لتوفير خدمات مختلفة من الاتصال وتبادل المعلومات، تبدأ من الصحافة المطبوعة أو نقل النصوص المكتوبة، وتمتد إلى شـكل البرامج التلفزيونية والأفلام السـينمائية. ويمكن نقل هذه المعلومات عبر مسـافات شاسعة وبسرعة فائقة،عن طريق استخدام الاتصال الكابلي والأقمار الاصطناعية.

ويرى الفـن توفلر:أن البنية الأساسـية الإلكترونيـة في أقطار الاقتصاد المتقدم سـوف تتميز بست سمات تمثل مفاتيح المستقبل هي:

أ)التفاعلية *Interactivity*.

ب) قابلية التحرك أو الحركة *Mobility*.

ت) قابلية التحويل *Convertibility*.

ث)التوصيلية *Connectivity*.

ج)الشيوع والانتشار *Ubiquity*

ح)التدويل *Globalization*

ويوضح توفلر أن الآثار التجانسية لوسائل الأعلام الجماعي كانت في ذروة قوتها عندما لم تكن هناك سوى قنوات قليلة ووسائل إعلامية قليلة، ومن ثم قلة من فرص الاختيار أمام المستمعين أو المشاهدين أما في المستقبل فأن الوضع العكس هو الذي يسود ومع أن محتوى كل برنامج على حدة قد يكون جيدا أو رديئا إلا أن أهم (محتوى) جديد على الإطلاق يتمثل في وجود التنوع نفسه.

أن التحول من فرص الاختيار الأقل إلى الفرص الأكثر تعددا في مجال الأعلام لا يحمل مدلولات ثقافية فحسب بل سياسية أيضا، وتواجه حكومات الدول ذات التقنية المتقدمة مستقبلا ستتعرض فيه شعوبها إلى وابل متصل من الرسائل المتعددة المتعارضة المخصوصة، الثقافية منها والسياسية والتجارية، بدلا من رسالة واحدة ترددها قلة من الشبكات الإعلامية العملاقة في صوت واحد.

أن (سياسة التعبئة الجماعية) و(هندسة الموافقة) كلتيهما تصبحان الآن أصعب بكثير في محيط وسائل الأعلام الجديد، واتساع مجال الاختيار الإعلامي أمام المستمعين والنظارة هو حد ذاته شيء ديمقراطي لزوما فأنه يمثل مشكلة للسياسيين الذين يقدمون لأتباعهم محيطا لا اختيار فيه.

ويمكن القول أن التطورات التقنية الكبيرة في مجال الاتصال الجماهيري، وتعدد

قنوات الاتصال والمعلومات أدى إلى ما يمكن تسميته بـ(عصر الشاشة) فالوسائل المطبوعة والمقروءة والمسموعة والمرئية أصبحت مندمجة في شاشة التلفزيون أوالحاسوب (الكومبيوتر)الشخصي، حيث يستطيع المتلقي قراءة كتاب أو صحيفة أو مجلة ومشاهدة مسرحية أو فلم خطاب سياسي، على هذه الشاشة، وفي اغلب الأحيان، بصورة فردية، كما أنه يستطيع إلى حد بعيد الاختيار من بين بدائل عديدة في الوقت نفسه.

وتفترض الاتجاهات الحالية والمستقبلية لتطور وسائل الاتصال نمو أحد تصورات ثلاثة لوضع الاتصال خلال القرن الحادي والعشرين، وتشمل هذه التصورات ما يلي:

١- تكريس اللامركزية في الإرسال والاستقبال: وينبني هذا التصور على ظهور خدمات الاتصال الجديدة، التي توجه رسائل متخصصة تلبي الميول والنزعات الفريدة، مثل التلفزيون (الكابلي) التفاعلي و(الفيديو تكس) و(الفيديو كاسيت) وهناك إقبال متزايد من جانب الأفراد على امتلاك هذه الوسائل، الاستعاضة بها عن الاتصال المباشر مع أفراد آخرين وتتمثل مظاهر التفتت في فئات المستقبلين، في ميل الأفراد إلى الانعزال،كما أن وسائل الاتصال الجديدة تمنح الأفراد القدرة على خلق بيئة الاتصال التي تناسبهم، وادي ظهور هذه الوسائل الجديدة إلى تناقص المعرفة التي يحصل عليها عن طريق التعرض العشوائي لمواد الاتصال، وتناقص الاتصال الجدلي بين الجماعات والطبقات ليحل محلة اتصال متزايد داخل كل جماعة أو فئة.

٢- تكريس الهيمنة والاندماج لوسائل الاتصال ويقوم هذا التصور على اتجاه وسائل الاتصال الجماهيري إلى التركيز في كيانات ضخمة وملكية مشتركة ومتعددة الجنسية.

وهناك: أسباب عديدة لزيادة الاتجاه نحو الهيمنة والاندماج منها: قوانين الضرائب، والحاجة إلى خبرات ضخمة والرغبة في تحقيق الاستمرار المالي والوقاية ضد مخاطر المستقبل والقضاء على الشركات المنافسة.

٣-التوافق بين التقنية القديمة والحديثة، ويستند هذا التصور إلى أن تقدم التقنية الجديدة يسد جوانب النقص في التقنية القديمة وتلبية الحاجات الفردية، مع عدم إهمال الإحساس بالمشاركة العامة والأهداف القومية، في إطار عملية مستمرة من الاستكشاف العقلي والمناظرات المفيدة التي تتيح تبادل الخبرات وتدعم الديمقراطية المعلومات.

بين ماركس وماكلوهان

تعتبر نظرية العالم الكندي الامريكي - مارشال ماكلوهان - من النظريات الرأسمالية الحديثة جداً والتي يعتبر فيها ماكلوهان أن وسائل المواصلات لعبت الدور الأساسي فى مسيرة التطور الأنساني والحضاري العام ولازالت وهذا تحليل خطل وغير دقيق سيتضح يؤسه للعيان عند مقارنته بالنظريات الحديثة التي سبقته أو عاصرته لحد يومنا هذا، ومن أجل التعرف على من هي النظرية الصحيحة والأكثر دقة، والتي برهن، الواقع على صحتها بالتطبيق، وبرهنت عليها مختلف معطيات العلوم الرياضية والفيزيائية والكيماوية والأجتماعية والعلوم المختصة الأخرى، وأصبحت بمثابة قانون من القوانين العلمية والبحثية المسلم بها والمعترف بصوابها من جميع المدارس العلمية ومن مختلف الباحثين والعلماء الاختصاصين، وأصبح مثلها كمثل النظريات العلمية فى التقلص والتمد د،وقوانين نيوتن فى الجاذبية وقوانين التكامل والتفاضل الرياضية وقوانين وحدة الأضداد وغيرها، وفى سبر غور هذه النظرية وبعد التدقيق والتمحيص والمقارنات، نستطيع القول أن، نظرية ماكلوهان، نظرية صحيحة فى أكثر معطياتها فيما يختص بعلم الاتصالات وتسويق الأنتاج الرأسمالي، لكنها بذات الوقت، ركيكة وتفتقر الى الدقة فى بعض جوانبها الأخرى، ولذا سأعتمد مناقشتها بالنظريات الصحيحة المعترف بها من أكثرية العلماء والباحثين، وهنا يمكن الاشارة إلى الآتي:-

١) من حيث الأكتشاف التحليلي النظري، فأن ما جاء بنظرية العاالم الأمريكي ماكلوهان من تناول نظري لتطور الأنتاج الرأسمالي يمكن إعتباره يميل الى الدقة من جانب

التطور العلمـي والتكنلوجي الصرف، ولكن حتـى نظريته هذه فأنها لا تعود الـى بنات أفكاره الخاصة، بل هي منقولة من نظريات عديدة لفلاسـفة الثورة الصناعية الذين إستهلت بواكيرها فى منتصف القرن السـابع عشـر، ثم جاء القرنان الثامن عشـر والتاسـع عشـر حاميا الوطيس بالمعارك والصراعات الفكرية ونظريات الحداثة والتغيير الصناعي والأجتماعي والحضاري العـام، ونظريات مـا بعدهم كالتـي إختصت فى نظريـات الثـورات التحررية المختلفة، وقد إشـتهر من فلاسـفة تلك الفترة – توماس هوبر وجان جاك روسـو وكانت وديكارت وهيكل وفيوربـاخ ومارکـس وإنكلس وآخريـن وكان – ماركـس – من أبـرز إولئك الفلاسـفة الذين اعطوا فى أبحاثهم ونظرياتهم، أدلة موضوعية مقنعة عن التفسير المادي للتاريخ وعن تحليل صراع الطبقات الأجتماعية والتطور في مجال العلـوم والتكنلوجيا عبر الزمان والمكان. وقد بين ماركس أسـباب هذا الصـراع وتداعياتـه وايجابياته، وتجلـت عبقريته فـى صياغة قوانين حركـة المجتمعـات وأدوات تغيرها،وتوصـل الـى أن مـن أهـم تلك الأسـباب هـو الجانب الأقتصادي للأنسـان (أي الحصول على قوته وتطويره من أجل إدامة الحياة) وهو ما يعبر عنه فى – عمل الأنسـان – وتطوير أدواتـه من أجل تلبيـة إحتياجاته المتزايدة مـع الزمن والمكان لحيـن ولادة ظاهـرة الملكيـة الخاصة لوسـائل الأنتاج المسـروقة مـن ملكية الشـعب العامة المبـررة والمحللة بفتـاوى الوعاظ المسـتفيدين من أسـيادهم والمشـجعين لهـم على تنامي نزعاتهم الـى الربح والنمو المالي السـريع والأحتكار والأسـتغلال البشـع المعمـد بالدم فى أكثر الأحايين، ولكن مع إن ماركس أسـهب فى شـرح تأثير الجانب الأقتصادي وما جره من إسـتغلال وقهر وإسـتبداد لكنه لا يعتبره العامل المؤثر الوحيد بل إنه أكد على وجوده كعامل أسـاس متأثر ومؤثر بكافة العوامل الأخرى وشـدد على عـدم وجود عامل لوحـده قادر على خلق وولادة أية ظاهرة ونشـؤها، ولكن فى الناحية المقابلة فأن إلأستغلال البشع والأجرامي لجمهرة العمـال الأجراء الذيـن يعملون على تلك الوسـائل وما جره من قسـوة ومـرارة كان يفرزمن الإيجابيات مـا هو أهم، فقد أفرز زيادة الوعي وتطور وسـائل الأنتاج بشـكل مذهل، فلكي يضمن العماال رضا الرأسـمالي عنهم ولكي يحدوا من بطشـه وتوحشـه عليهم، كانوا يتسـابقون على تطوير وسـائل الأنتاج التـي يعملون عليهـا، فيحدثـون بذلك نقلـة نوعية فى

تطويرها، كانت فى الوقت ذاته، ترفع من مداركهم ووعيهم درجة أعلى، وتؤدي الى تراكم التطور بفضل – عملهم – الذى كان العامل الحاسم فى التطور الحضاري المتعدد الجوانب وكان للتأثير المتبادل بين تطور وسائل الأنتاج وعمل الأنسان ولايزال سر إستمرارية حركة التطور المطرد وسرمديته، وسيبقى بلا إنقطاع. ولكن حركة تطور المجتمعات كما يحدثنا التاريخ لم يك مفروشاً بالورود والرياحين، ولم يأتى، دفعة واحدة وبتلقائية، بل جاءت سيرورته متدرجة تخللتها كوارث ومآسي ودماء ما أنزل الله بها من سلطان،كما أن هذه التطورات لم تكن إحادية الجانب، ولم تكن معتمدة على تطور وسائل الأنتاج لوحدها، بل كان تطورها مترابط ومتبادل التأثير، وشمل وغطى مختلف نواحي الحياة وعلومها المادية والروحية وكان لتطور علم الأتصالات والأعلام المعاصر شأناً عظيماً فى حركة التطور، أبهرت العالم الأمريكي – مارشال مكلوهان – وزميله العالم الأمريكي – هارولدأنيس – ولوثت بعض الحقائق التاريخية فى نظريتيهما التحليلية للتطور التاريخي مقارنة بالنظريات الصحيحة الأخرى، فهما حينما يتكلمان اليوم عن محرك التطور المعاصر ويربطانه بتطور علم الأتصالات ويعتبرانه هو العامل الحاسم فى مسيرة التطور وليس هو تحصيل حاصل لعمليات التطور المتتالية،فأن هذاالتحليل المبتور لعملية التطور، هو ما شكل الجانب الركيك فى نظريتهما، فعلم الأتصالات، برغم أنه مذهل حقاً، لكنه يبقى تحصيل حاصل لتزايد حاجات الأنسان المادية والروحية وتأثير ذلك على تطور وسائل ألأنتاج ووعي الأنسان، فحتى مكلوهان وصاحبه يستدركان ويفيقان لركاكة تحليلاتهما العرجاء، ويعودان الى الأستنتاجات والتحليلات الموضوعية وتتبع خطوات طريق التطور الصحيحة التي جاء بها ماركس وما أكده الواقع فأصبح من السهل على المختصين والمهنيين إثبات أن تطور وسائل الأتصالات العملاقة والمعقدة كالأنترنيت وغيرها إنما هو تطورجرى بصورة تدريجية لعمل الأنسان إبتدأه من عمليات إرسال وإستقبال بسيطة ومن أجهزة سلكية، ثم تطور الى لاسلكية، ثم الى شبكات وأقمار صناعية وهكذا، ومثل هذا التطور الكبير الذى جرى على علم الأتصالات جرى على الناس أيضاً، وبما يتناسب مع وعيهم وثقافتهم وتنوع مصالحهم وعلاقاتهم وإسلوب خطابهم ودبلوماسيتهم.

٢) يقول ماكلوهان: إن الأشـياء التى نكتب عليها كلماتنا، لها أهمية أكبر من الكلمات ذاتها، بمعنى أن وسـائل الأتصالات هى وسـيلة وليسـت هـدف، ونجاحنا فى إسـتخدامها يتوقف على الدقـة فى إختيارنا المناسـب لهـا لتحقيق الهـدف المطلوب، فهذا الأسـتخدام هوالذى سـيصبح أكثر تأثيراً من الوسـائل وألأهداف المطلوبة الأخرى. فنحـن حينما نطبق إستخدام التكنلوجيا الجديدة فهى التي ستخلق لنا ظروفاً وأنماطاً جديدة فى حياتنا برغم أن البعض يعتبرلأول وهلة بأن هذا الأستخدام فاسد ويحط بالشـأن لعجزتلك الآلة عن تحقيق الطموح بشكل مباشر، ولكننا فيما بعد سنتعود عليها ونستشـعر بلذتها، ونعترف بأن الجديد سيمكننا من تحويل ما سـبقه من قديم الى فلكلور فني من الماضي ويبقى من أفدح الأخطاء وأكثرها ضـرراً وجريمة التمسـك بالماضـي والجمود عليـه وتكفير وذبح كل من يسـتخدم الجديد لأغـراض تطوير الحيـاة، وهو ما يفعلـه السـلفيون والتكفيريون المعاصـرون اليوم. ويقال فى هذا الصـدد أنه،حينما إكتشـفت الكتابة، حـول، أفلاطون الحوار الشـفهي القديم الى شـكل فني، وحينمـا كانت الطباعـة جديـدة، أصبحت العصور الوسـطى برمتها شـكلاً فنيناً من التراث، وبرغم ذلك فـأن الخوف والقلق بدأ يراود البعض فـى أواخر هذه المرحلة التاريخية، بسـبب سـرعة وتغلغل التطور التكنلوجي الجديد وقد تم التعبير عن هذا الخوف بفكرة مسـرحية – رقصة الموت – وجرياً على تحـول القديم الى فلكلورعلـى نمط الأفكار الأفلاطونية تلك، ونظراً لأن التكنلوجيا الحديثة قـد تغلغلت فى جميع مقومات الحياة، فقد خلقت سلسـلة كاملة من الظروف الجديـدة المربكة التى يتـم التعبير من خلالهـا عن القلق والمخاوف منها بحذر مشـابه للمخاوف من العولمة المعاصرة فقد تجسـد التعبير عن تلك المخاوف بصور شتى، فى مسرح – العبث والثقافة السادية وفى الفلسفة الوجودية واللبرالية المتحللة وغيرها –، ويعود سـبب هذه المشـاكل وتداعياتها وكل ما فيهـا من مخاوف وقلق الى أن البعض حاول تطبيق الأسـتفادة من تطور تكنلوجيا وحضارة اليوم بوسـائل وأدوات، الأمس القديمة فحـدث التناقض والصراع فرجـل الدين الجامد على نصـوص إنتهى زمانها ومفعولها وأضحت اليـوم – إكس بايـرُ *Expire* – لا يمكن لـه أن يكون متحمسـاً ومخلصاً وصادقاً للتغييـر كما مخطط له وبما يتناسـب مـع الطموح، كما أن فشـل تطبيقات الفلسـفة

الوجودية والنظريات العبثية الأخـرى، إنما هو دليل على القصور فى فهـم أن التطور فى أي جانب من جوانب الحياة إنما يعني - حل لمشـاكل الأشـياء والموجودات السـابقة -، التى فرضتها ضـرورة التطور فى حينهـا، والتي ليـس بالأمكان إيقافهـا أوالتلـكأ بتطبيقها، فتطور الطائرة كان الحل لمشاكل السيارة وتطور التلفزيون كان الحل لمشاكل الراديو ... وهكذا.

٣) إن ماكلوهان لـم يهاجم التلقائيـة فقط، ولكن أيضـآ الطبيعة التجريديـة، فبدلآ من مقدرته على التجريد، يهتـم بالمقدرة علـى التخيل ويعتبـره محور فكرته التـى يقتبس منها التفريق بين الأشـياء التى يسـميها - سـاخنة وبـاردة - وكان يقصد بالسـاخنة هي الأشـياء والوسـائل التى لا تحافظ على التوازن فى أستخدم الحواس أو الوسـيلة التى تقدم الأفكار جاهزة الى حـد ما، ممـا يقلل حاجـة الفرد للخيـال، أما الوسـيلة - البـاردة بنظـره - فهى الوسـيلة التى تحافظ على التوازن بين الحواس، وتحتاج الى خيال المكتشف، والى أقصى درجة من الجهد الخيالى من جانب المتفرجين على التلفزيون بأعتبار أن التلفزيون يحتوي على عدد كبير من نقاط الضؤ الصغيرة التى يجب أن تنظمها المحسوسات الحسية، وتصنع منها صورة للواقع. ولكن ماكلوهان، حتى فى هذه النظريات التى ينسـبها له، يعود فيناقض تحليلاته أيضآ، حيث يذهب الى إعتبار الراديو من الوسـائل السـاخنة، ويعتبر الفيلم الناطق والتلفزيون من الوسائل الباردة لكونها لا تحتاج الى جهد خيالى.وما الى ذلك.

٤) ويرى البعـض إن هذه الأفـكار الديماغوغية الخرقاء وتأرجحهـا المتخبط، ظاهرة وموجودة، فى ثقافة، أغلب المفكرين الرأسماليين، حتى ماكلوهان نفسه يعود ثانية فيصحح رأيه فى التلفزيـون مادحآ لـه، بأعتباره سـيعيد الناس الى الثقافـة الجماعية والـى التجارب الجماعيـة فى الثقافة الشـفهية، وسيسـاعدهم علـى المسـاهمة الأجتماعية بدلآ مـن العزلة والأنسـحاب السـلبي، ويدفع الناس الى الأنخراط فى العمل الجماعي بدلآ من الأنشـغال بتداعيات التفكير الأنفرادي السـقيم والمحبط، كما سيسـاعد - القوميين الشوفينين وغلاة الطائفية الى الأندماج بمواطني شـعوبهم مـن أجل الديمقراطية للجميـع، بدلآ من التطرف وإثارة النعـرات العدائيـة والأقتتال، ويقـول، بهذا الصدد، لـو كان التلفزيـون موجودآ على

نطاق واسع خلال حكم - هتلر - لساعد على إختفائه بسرعة، وهذه الوصايا الأخيرة لماكلوهان تعتبر من المساهمات الأجتماعية والتكنلوجية المفيدة التي قدمها للناس والى شركات التلفزيون، فى آن واحد.

٥) بالعودة الى ماركس وماكلوهان ثانية من أجل المزيد من الأيضحات فى هذه المقارنة المقتضبة ليس إلا: - ومنها تأكيد ماركس على أن أساس التطور التكنلوجي والذهني هو - العمل - وهوالذي خلق الوعي بسيرورة متدرجة، ويعنى هذا ان، الأنسان تعامل مع المحسوسات المادية أولاً وقبل أن تكون له أية تصورات جانبية أو أفكار محددة بمعنى أن الأنسان،حينما باشر العمل لم يكن عاقلاً، وهذه النظرة المادية فى تفسير التطور أثارت جدلاً - واسعاً، وسع الدنيا برمتها، وقسمها الى مدرستين فكريتين متناقضتين فى الرؤى - مادية - و- مثالية -

فالمدرسة المادية: تعتبر المواد والمحسوسات أولاً أي - المادة قبل الفكر -، أما المدرسة - المثالية -، فتعتبر، الفكر أولاً، أي أن الفكر موجود قبل المادة لكنه فكر غيبي وغير منظور، وإنه، أي الفكر، خلق كل شئ، من قبل أن يخلق الأنسان، ولا دخل للأنسان بالتطور إلا بقدر ما علمه ويعلمه وسيعلمه - الله - س - والله هو الفكر المطلق.

وبحسب نظرية ماركس المادية فأن عملية التطور بدأت بتلك الشذرات البسيطة من وعي الأنسان، التي دخلت رأسه بالصدفة، ومن خلال العمل الغريزي ومكنته من الأستفادة من النار التي إكتشفها وبالصدفة أيضاً ومكنته من أكل الغذاء مطبوخاً بالصدفة، ثم إستبدلت سلاحه الحجري بسلاح معدني بالصدفة، ثم علمته تدجين الحيوان والرعي ثم العيش والأستقرار فى أرض محددة وإستغلالها وزراعتها كيفما أمكن، ثم دفعته الحاجة الى الزواج والتناسل والذرية، وهكذا بدأت وترعرعت عملية التطور متلازمة بتطور المادة ثم الفكر، وبعد أن أخذت مدارك الأنسان تتطور بالتدريج، أخذت وسائل الأنتاج التى صنعها تتفاعل مع درجات وعيه، وتتطورنحو درجات أكثر رقياً وتطوراً. وتضغط بأستمرار لترفع من وعي الأنسان الذي صنعها درجة أعلى، أي تدفعه للأستجابة

الى متطلبات حاجاته الجديـدة المتلاحقة، حتى أصبحت الحاجة مثـلاً معروفاً لدى الناس البسـطاء - الحاجة أم الأختراع - كما بدا واضحاً، أن كل شـئ ينشـأ ويتطور بدافع الحاجة ويهدف الى تيسـير العيش وتحسـين وسـائل الأنتاج وقوى الأنتاج، ثم الحاجة الى وسـائل مواصلات وتسويق لتصريف ضخامة الأنتاج التى دفعت بها وسائل الأنتاج العملاقة الى ما فوق حاجة المنتجين المحليين وحاجة السـوق المحلية، ومن هنا فقد دفعت حاجة تسويق الأنتاج الهائل الحيتان الكبار الذين يمتلكون تلك الوسـائل الى التفتيش عن أسـواق خارج أماكن تواجدهم وعبر القارات الخمسة.

لكـن العالـم الأمريكـي ماكلوهـان، المتأثـر بثـورة الأتصـالات المذهلـة، يعتبـر أن الأتصالات هى سـر تطـور التكنلوجيا وسـر تطور الحضـارة والوعـي، مـن دون أن يحدد المرحلة، ربما سـيكون لما يدعيه شـئ من الصحة لو أنه حصر تحليلاته بالواقع الحضاري المعاصر، كمـا فعل زميله - هارولدأنيـس - حينما حدد بدقة المرحلة التـى يتكلم فيها عن مسـتوى تطور علم الأتصالات ووصفها قائلاً (ما هي إلا وسـائل أتصـال متحيزة لأحتكار المعرفـة والمنتـوج على حـد سـواء) لكـن ماكلوهـان، أكد أكثـر من مـرة أيضـاً أن تطور الأتصالات هو سـر التطور بـل، وهو الحيـاة بذاتها، وهـذا التحليل من وجة النظـر العلمية الدقيقة يتعثر فـى مفاهيمه وتحليلاته المتخبطـة ويتناقض مع عملية التطورالشـاملة، خاصة حينما يبحث فـى الحواس والمؤثـرات الخيالية وطبائع الأنسـان المختلفـة وكما يزعـم هو فأن لـكل وطن خصائص وسـجايا وطباع مختلفـة تتغير بتغيـر التكنلوجيا، وهـذه الصفات والسـجايا الجديدة هي عنوان حضارة البلد وعلامة التقدم فيه، وفات ماكلوهان أن بالأمس القريب لم يكـن التطور الحضاري والتقـدم العلمي فى اليابان والصيـن أو فى غيرهما على ما هو عليه الآن من التطـور المركب المعاصر، فمـا الذي تغير؟، أتغير طبع هذه الشـعوب بين عشـية وضحاها عندمـا تطـورت التكنلوجيـاً؟، كلا إنما الـذي تغير فى تلك الشـعوب هو ظروفها المادية، هـو تطور إنتاجهـا الراقي، هو أنظمتهـا التى فجرت الطاقـات الخلاقة وحـررت العقـل وأتاحت فرصـاً عظيمـة للأكتشـاف والأختـراع والعلـم وتطـور المعرفة

بشكل شـامل وعام، فالعلم بعد التطور الهائل لوعي الأنسـان، لم يعد خاضعاً للصدفة كما كان فى الجاهلية المتوحشـة، بـل الى البحـث والتجـارب والعمل الـدؤوب والغوص فى بطون المعرفة، ومن هنا نسـتطيع أن نفسـر السـر فى عجز البلدان المتخلفة، لا سـيما تلك البلدان التي تعتمد فى الأسـاس على الزراعة وتسـود فيها الأمية والجهل، الـذان يحرمانها عن اللحاق بركـب الحضـارة، فهذا التخلـف ليس له أيـة علاقة بطبـع الشـعوب المتخلفة أوسـجاياها وأصلها وفصلها أو عدم إصالة عنصرها ولونه أوالى تخلـف عقولها وأمزجتها وضعـف خيالهـا، فأبنـاء البلـدان المتخلفـة حينما تتـاح لهـم الفرصة فـى تحريـر عقولهم سيسـتطيعون من دون أدنى شـك اللحاق بأخوتهم من بني الأنسـانية فى البلدان المتطورة، ويضاهوا أقرانهم فى الأختراعات والعلوم وفى إغناء الثقافة الأنسانية بكل ما لذ وطاب.

٦) ونشـير هنا الـى إعتـراف ماكلوهـان، بتأثير الزمـان والمـكان على مجـرى التطور الأنسـاني، لكنه تناوله بشـئ من الضبابية التـي، توحي أحيانـاً بعدم الأهتمـام، ولـم يطرحه كحقيقـة موضوعية مؤثـرة وواضحـة كالقوانيـن الرياضيـة، كما فعل مـن قبلـه، المفكرون العلمانيون أمثال ديـكارت وفيورباخ وماركـس وإنكلس وأعطوا بذلك مثلاً نيـراً لبيان هذا التأثير الحاسـم، كما أن – روسـو – وهومن أفـذاذ آيديولجيي الثورة الفرنسـية، لم يسـتطع أن يتوصل فـى كتابه – العقـد الفريد – الى مفهـوم الديقراطية كما يطمح لهـا المنتجون من العمال والفلاحين، لكن الذين توصلوا الى ذلك الشـكل من الحكـم، ولو بصورته الأولية، هم عمال باريس فى ثورتهم عام ١٨٧١/ كما أن، إعلان حقوق الأنسان الذى جسد مبادئ وأهداف الثورة الفرنسية لم يستطع هو أيضاً أن يرفع تلك المبادئ والحقوق مثلما هى عليه الآن، وكما ليس ثمة من يستطيع أن يجادل، فى عبقرية الأقتصاديين الكلاسيكيين الأنكليز، فأذا لم يسـتطيع هؤلاء الأقتصاديـون النبهـاء، أن يتوصلوا الى مـا توصل إليـه رواد النظرية العلمية من كشـوفات هائلـة، فليس السـبب كان قصـوراً فـى عقلياتهم، وإنمـا هى ظروف الوعي فى الزمـان والمـكان وتأثيرهما على وعى الأنسـان العام والشـا مل اللاحـق، مثلما كان ذلك فى الدعوة الأسـلامية، فبرغـم طابعها التقدمـي إبان ظهورها، فقـد أقرت – الرق

- ولم تستطع، وهى بعد فتية من تحريمه، ولم يكن بأستطاعتها إلغاء إمتيازات الرجل على المرأة، و لم تكن قادرة على إلغاء جملة من الأمتيازات لأغنياء قريش وملكياتهم الخاصة، برغم أن نباهة الرسول وعبقريته وإنسانيته - ص - ليست موضع جدل، ولم يستطع من بعده الخليفة النابه عمر بن الخطاب - رض - أن يحقق أفكاره المثالية، كما تملكت الأمام علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - الخيبة والمرارة، عندما إصطدمت مطامحه الأنسانية بواقع الحياة والناس، وبالمثل أيضآ أخفق أبي ذر الغفاري فى نشر رسالته عن المساواة، كما أخفقت العديد من الحركات والثورات ذات الطابع الأنساني بسبب عدم ملائمة الزمان والمكان وتداخلهما بالمؤثرات والأسباب الرئيسية المؤدية للنجاح أو الفشل.

- إن هذه المقارنة النظرية الموجزة بين عمالقة الفكر ونظرياتهم التحليلية في مجالات تطور الحياة المتشعبة والمتداخلة التأثير، هو التأكيد على أن نظرية ماركس أدق من نظرية ماكلوهان وإن أساس تطورنا التاريخي كان بفعل العامل الأقتصادي المعبر عنه - بالعمل - الذي كان أساس التطور التاريخي والتكنلوجي العام والشامل ولكنه ليس العامل الأوحد بل هو العامل المؤثر والمتأثر بكافة العوامل الأخرى التى سبق شرحها فى بداية هذا المقاال وبمفردات مبسطة فأ ن التطور المادي للتاريخ كان ولم يزل يتطور بوتائر تاريخية تصاعدية متناسبة مع تقادم الزمان والمكان متبادلة التأثيير النوعي بين العقل والعمل ندركه ونحسه فى العقل بسمو الوعي التطبيقي ونتاجاته المتجسدة ١٠٠٪ فى مقتضيات حياتنا اليومية ومن خلال خزائنه الفلسفية النفيسة وموسوعاته الفكرية المتنوعة الثرآء والقيم العلمية، كما ندركه أيضآ فى العمل المتجسد فى خلق سعادتنا وتلبية حاجاتنا المتصاعدة وبأشكال وأنواع مذهلة التطور ومدهشة التقنيات بما يفوق حد التصور والخيال الميتافيزيقي المجرد، والخلاصة فأن كل ما نراه اليوم من تطور فى مختلف جوانب حياتنا بما فيه التطور الحاصل على وسائل الأتصال وعلوم الأتصالات بشكل أعم، إنما جاء نتيجة وحصيلة حاصل للتطور المادي للتاريخ الأنساني الشامل والعام.

النظرية الحتمية القيمية في الإعلام

بـرز التنظير فـي علـوم الإعـلام والاتصال فـي الغـرب منـذ العشـرينيات مـن القرن الماضي، وذلك مـن خلال الاسـتفادة والنهل من العلـوم الأخرى خصوصـا علمي النفس والاجتماع، زيادة على ظهور وسـائل الإعلام الجماهيرية التي باتت تمس شـرائح واسـعة من المجتمعات وتؤثر فيهم، لذلك فقد طبـع هذا العلم الذي لا يزال بكـرا بطابع المجتمع الغربي بكل ما يحمله من قيـم وثقافة خاصة به، وانحسـرت البحوث الإعلامية في دراسـة تأثير مضمون وسـائل الإعـلام وتطويـره، حتى أنهـا تكاثرت بشـكل مذهل وتشـعبت إلى الحد الذي جعل البعض يخشـى من حـدوث أزمة بسـبب التخمة في هذه الدراسـات التي لا تتلاءم مع تطور علم الإعلام والاتصال، إضافة إلى زيادة الانتقادات التي وجهها العلماء والباحثون للدراسات الميدانية التي تمت في هذا الإطار

من هـذا المنطلـق، فقد بـرز عالم الاتصـال الكنـدي مارشـال ماكلوهـان الذي أتـى بنظرية مخالفـة وأحـدث ثـورة حقيقية في هـذا العلم مـن خـلال تأكيده علـى الـدور الكبير الـذي تفعله الوسيلة في العملية الاتصالية وقوله بأن "الوسـيلة هي الرسالة"، وهو ما سمي في ما بعد بالحتمية التكنولوجية، حيـث يقـول ماكلوهان بأن الوسـيلة تغيـرت تاريخيا مـرات عديـدة ويصاحب هذا التغيير تغيرات في سلوكيات الناس بغض النظر عن محتوى الرسالة، فالرسالة هي الوسيلة) ولهذا فقد ظل التنظير في علوم الإعـلام والاتصال حكرا على الغرب، وكان نصيب العرب والمسـلمين لا يعدو أن يكون مجرد محاولة لإسـقاط هذه النظريات على المجتمعـات المحلية. وفي ظل هذا الواقـع الأكاديمي الذي اتّسـم بكثير مـن الجمود والخجـل من المبـادرات العلميـة الحقيقية، في مجال الاتصـال، ولذلـك فالحاجة كبيرة وملحـة لطرح مجموعة من الدراسـات العلميـة الرصينة والأبحاث التي أنتجت نظرية جديدة لم يسـبقه إليها أحد عرفت بنظرية الحتمية القيمية في وسائل الإعلام، التي أ ضافت مسـتوى من الفهم العام لرسـالة الإعلام وتفنيدا لنظرية مارشـال ماكلوهان الذي ربط الرسالة الإعلامية بالحتمية التكنولوجية، ليربط عبد الرحمن عزي الرسالة بالقيمة.

ولا شك أن هذه النظرية أضافت الكثير للدراسات التي تناولت الظاهرة الإعلامية مقارنة بالنظريات السابقة، بل وأعطت للإعلام مفهوما مغايرا للمفهوم الذي سبق وأن تعارف عليه المجتمع الأكاديمي من خلال إبراز دور وفعل القيم من خلال الرسالة الإعلامية في صناعة الرأي العام.

صاحب النظرية

حصل المفكر الجزائري عبد الرحمن عزي على شهادة الليسانس في الصحافة من جامعة الجزائر عام ١٩٧٧م، وعلى شهادة الماجستير في الصحافة عام ١٩٨٠م، وعلى الدكتوراه في سوسيولوجيا الإعلام عام ١٩٨٥م من جامعة نورث تكساس بأمريكا، وقبل ذلك عمل المفكر محرراً في جريدة "الشعب" اليومية الجزائرية لمدة سنتين.

وتتجاوز خبرته في التدريس والبحث والإشراف ٢٤ سنة، إذ عمل كمدرس لمدة ٣ سنوات في جامعة نورث تكساس، ثم كأستاذ مساعد، فأستاذ مشارك، فأستاذ لمدة ١١ سنة بمعهد علوم الإعلام والاتصال في جامعة الجزائر، فأستاذ لمدة ٣ سنوات بقسم الاتصال بالجامعة العالمية الإسلامية ماليزيا، ثم كأستاذ بقسم الإعلام بجامعة الملك سعود لمدة ٤ سنوات، وأستاذ بقسم الاتصال الجماهيري بجامعة الإمارات لمدة ٤ سنوات، ثم أستاذ بكلية الاتصال في جامعة الشارقة منذ ٢٠٠٦م.

ولا شك أن كل باحث - كما أشار عبد الرحمن لنفسه- متأثراً بخلفيته وتجربته ومجموعة من المؤثرات الثقافية المتعددة كالمكان والزمان؛ كما أن إقامته بأمريكا واحتكاكه المباشر مع اتباع مختلف النظريات، جعله يدخل إلى مجال التنظير في الاتصال تحت تأثير بعض أدوات المنهجية الغربية، وقد رأى أن ذلك أمراً عادياً إذا اعتبرنا أن المنهجية تولد أدوات أو طريقة واقعية في الوصول إلى مجموعة من الحقائق النسبية.

فالأدوات تملك مجالاً مستقلاً، أي محايداً نسبياً، وقد مكنته تلك الأدوات من النظر إلى الذات والثقافة من زاوية خارجية، ما حفّزه للنّبش في التراث، فدرس ابن

خلـدون والنظرية الغربية، واسـتوقفته إسـهامات مالك بن نبـي وإضافة عامـل الإعلام إلى العناصر الأخرى المكونة لنظريته (الإنسـان والتراب والزمان)، ورغم أن إسهامات العلماء المسـلمين الأوائل فـي نظريـة الاتصال غيـر واضحـة إلا أن عبـد الرحمن عـزي وجد في مناهجهم ما كان سنداً أساسياً في تطوير نظريته.

حول نظرية الحتمية القيمية في الإعلام

إن نظريـة الحتميـة القيميـة تختلف عـن النظريـات الغربية السـابقة، خصوصـاً نظرية مارشـال ماكلوهان، على مسـتوى القيمة التي يعتبرها الدكتور عبد الرحمـن عزي نوعاً من التعبير عن الذات والتميز الثقافـي والحضاري، حيث يعتمد عزي عبـد الرحمن على القيم لتحقيق التنـوع الثقافي الإيجابـي والوقوف كسـد منيع ضد أخطـار العولمـة ولحفظ ثقافة بعض البلدان من الذوبان.

والظاهرة الإعلامية عند مفكرنا تتألف من سـبعة مركبات متداخلة بنيويا هي: المرسل والرسـالة والجمهور والأثـر وتعود هذه للاسـويل، والوسـيلة تعـود لماكلوهـان، والنظام الاجتماعي والبعد الحضاري وهي ذات نزعة قيمية، فتعود لعبد الرحمن عزي.

والإعـلام عنـده يجـب أن يكـون دائمـاً حامـلاً للقيـم الثقافيـة والروحية التـي تدفع الإنسـان والمجتمع إلى الارتقاء والسـمو، وإذا كانت نظرية مارشـال ماكلوهان قد تطرقت إلى تكنولوجيا وسـائل الإعلام وتأثيرها على المجتمعات، فوسـائل الإعـلام عنده إما هي وسائل لنشـر المعلومات والترفيه والتعليم أو أنها جزء من التطور التكنولوجي، بينما نظرية الحتمية القيمية تهتم أكثر بمضمونها وطريقة اسـتخدامها والهدف من ذلك الاستخدام كما ترى هذه النظرية الجديدة أن وسائل الإعلام جزء من العملية التكنولوجية التي غيرت وجه المجتمع، وعليه فهي تهتم بتأثيرها بغض النظر عن مضمونها، ويؤمن عزي عبد الرحمن أن كل شيء تحكمه القيم حتى المخترعات التكنولوجية المهمة.

ولقد انتقل عزي من مرحلة التنظير لمـا ينبغي أن يكون إلى مرحلة وضع الأسـس للنظرية

بناءً على ما هو كائن، فلابد من تأطير الإعلام بما يتفق وطبيعة المجتمع كما حدد مجال البحث، وهو المجال الفكري لأن الاختلالات الموجودة اليوم في العلم والمعرفة في الجانب النظري.

ويمكن القول بأنه من بين الإضافات المهمة التي أتت بها نظرية الحتمية القيمية، هي تلك المتعلقة بالتأثير الذي تمارسه وسائل الإعلام على الجمهور، فالنظريات الإعلامية الامبريقية السابقة كالفجوة المعرفية والتأثير على مرحلتين، والتطعيم، والتلقيح، والاستخدامات والإشباعات، والحقنة تحت الجلد... الخ، تفيد في تفسير الجوانب الجزئية فقط في علوم الإعلام والاتصال ولكنها لا تضمن أبعاداً فلسفية واضحة.

ولعل هذا النقص هو الذي أدى بعزي عبد الرحمن إلى دراسة الخلفية النظرية والفلسفية لهذه النظريات من منطلق أن الاتصال ظاهرة ذات أبعاد متعددة، وتجلياتها قد تكون فكرية أكثر منها أمبريقية، لذلك فدراسة الأثر لا يتم دون مرجعية تربط محتويات وسائل الإعلام بالقيم، وكلما كانت هذه الصلة وثيقة كلما كان التأثير إيجابياً والعكس صحيح.

من هذا المنطلق، فالجديد في نظرية عزي عبد الرحمن هو تقسيمه للتأثير إلى إيجابي وسلبي على غرار ما هو معروف في الدراسات الأمبريقية من تأثيرات كامنة وأخرى ظاهرة، تأثيرات مباشرة وأخرى غير مباشرة، تأثيرات المدى البعيد وتأثيرات المدى القصير..الخ.

نشأة نظرية الحتمية القيمية في الإعلام ومفاتيح فهمها:

رغم أن جل دراسات عبد الرحمن – منذ أول دراسة كتبها عندما عاد إلى الجزائر عام ١٩٨٥م- تميزت باستناده إلى انتمائه الحضاري، إلا أن عبد الرحمن عزي صرّح أنه بدأ فعلياً تحديد مسار نظريته بتقديم النظرية الاجتماعية الغربية الحديثة، وتكييفها مع الواقع الجديد وعلاقاتها بالاتصال في كتابه: "الفكر الاجتماعي المعاصر والظاهرة الإعلامية الاتصالية: بعض الأبعاد الحضارية".

أما عن تسميتها بـ: "نظرية الحتمية القيمية في الإعلام فيعود الفضل في ذلك إلى طالبه

وزميله الآن في جامعة الشارقة الأستاذ الدكتور نصير بوعلي. وذلك بعد معارضتها بالحتمية التكنولوجية لمارشال ماكلوهان في دراسة مهمة قام خلالها بمقارنة قيمة بين النظريتين.

ولقراءة النظرية وفهمها فهماً صحيحاً قدم نصير بوعلي في إحدى دراساته ما اصطلح عليه "بمفاتيح" النظرية، وتتمثل هذه المفاتيح في:

١- إن نظرية الحتمية القيمية في الإعلام كبنية تتضمن عناصر البناء التالية:

أ- علوم الإعلام والاتصال كمادة خام.

ب- الفكر الاجتماعي المعاصر في القرن العشرين كمادة مستوردة.

ج- التراث العربي الإسلامي على سبيل الاجتهاد، وليس النقل كمادة محلية.

د- القرآن الكريم بمثابة الاسمنت الذي يمسك النظرية بإحكام.

٢- أسبقية النظرية ككل على الأجزاء: فنظرية الحتمية القيمية في الإعلام هي ذلك الكل المركب من دراسات وأبحاث نظرية عبد الرحمن عزي، ويستحيل فهمها ما لم يكن هناك إلمام بعدد معتبر من دراساته التي تزيد عن خمسين دراسة تنطلق كلها تقريباً من إشكالية واحدة هي كيفية فهم الظاهرة الاتصالية والإعلامية فهماً قيمياً وحضارياً.

٣- أسبقية العلاقة على الأجزاء أو القيمة المحددة لها: تتضح هذه النظرية أكثر عند إمعاننا النظر في العلاقة التي تحكم دراسات عزي عبد الرحمن، لأن ذلك سيقود إلى التغلغل في الدواخل وتوليد المعاني العميقة للنظرية، وتعتبر القيمة هي الحلقة أو العلاقة بنيويا التي تمسك أبحاث المفكر وتجعلها مساقط لا تتحرك إلا ضمن دائرة النظرية.

٤- إن عناصر نظرية الحتمية القيمية لا تحمل أي معنى إلا في إطار السياق العام؛ أي يجب استحضار العوامل الاجتماعية والثقافية والحضارية والتاريخية التي ساعدت على تبلور هذه النظرية.

افتراضات وركائز النظرية:

تنطلق النظرية من افتراض أساس يعتبر الإعلام رسالة، وأهم معيار في تقييم الرسالة هو القيمة التي تنبع أساساً من المعتقد، ولذلك فإن تأثير وسائل الإعلام يكون إيجابياً إذا كانت محتوياتها وثيقة الصلة بالقيم، وكلما كانت الوثائق أشد كان التأثير إيجابياً، وبالمقابل يكون التأثير سلبياً إذا كانت المحتويات لا تتقيد بأية قيمة أو تتناقض مع القيمة، وكلما كان الابتعاد عن القيمة أكبر كان التأثير السلبي أكثر.

ويعتبر مفهوم السالب والموجب من بين المفاهيم الجديدة التي قدمها عبد الرحمن عزي بالإضافة إلى الخيال الإعلامي (في مقابل الرأي العام)، والزمن الإعلامي والرأسمال الإعلامي الرمزي، والوضع والخيال "والتمعقل" (من استخدام العقل)، وفعل السمع والبصر، والبنية القيمية وغيرها، وهي بمثابة مباحث فرعية يرتكز عليها النسق الكلي وهو النظرية.

أما أهم الركائز - المبدئية- التي تقوم عليها النظرية فتتمثل حسب عبد الرحمن عزي في:

١. أن يكون الاتصال نابعا ومنبثقا من الأبعاد الثقافية الحضارية التي ينتمي إليها المجتمع.

٢. أن يكون الاتصال تكاملياً، فيتضمن الاتصال السمعي البصري، والمكتوب والشفوي الشخصي، مع التركيز على المكتوب؛ لأنه من أسس قيام الحضارات.

٣. أن يكون الاتصال قائماً على مشاركة واعية من طرف الجمهور المستقبل لا أن يكون أحادياً متسلطاً.

٤. أن يكون الاتصال دائماً حاملاً للقيم الثقافية والروحية التي تدفع الإنسان والمجتمع إلى الارتقاء والسمو.

علاقة النظرية مع الإعلام الإسلامي

تجدر الإشارة إلى أن نظرية الحتمية القيمية في الإعلام ليست هي ما اصطلح على تسميته "نظرية الإعلام الإسلامي حيث يرى عبد الرحمن عزي في معرض إجابته عن أحد الأسئلة الموجهة إليه على الموقع الالكتروني الخاص به أن الفرق بين الاتجاهين يكمن:

أولاً: في المنهجية: فالإعلام الإسلامي يقوم على سرد النصوص بذاتها دون إتباع منهجية محددة في قراءة النص أو ربطه بواقع الظاهرة الإعلامية المعاصرة، وكان ذلك عاملاً في وصول هذا الطرح إلى طريق شبه مسدود، حيث لم ينتج نصاً معرفياً بارزاً، وإنما توقف عند باب الوعي بالمشكلة، أما الحتمية القيمية في الإعلام فتوظف عدد من الأدوات المنهجية التي ولدتها النظريات الاجتماعية والاتصالية الحديثة في الغرب، فهي تسعى إلى التجديد في قراءة النصوص وربط ذلك بواقع الظاهرة الإعلامية القائمة في المنطقة العربية والإسلامية.

ثانياً: أن تقليد الإعلام الإسلامي يكاد يقصي التجربة الغربية (الأكاديمية أو الممارسة في الميدان)، أما الحتمية القيمية فهي تتفاعل مع المعرفة الإعلامية الغربية بشقيها، وتحاول أن تطرح نفسها بوصفها صوت آخر يتعايش وينافس النظريات القائمة؛ أي أنها تسعى إلى تجاوز صفة المحلية إلى إيجاد مكان لها في التراث المعرفي الأكاديمي السائد لدينا وفي الغرب.

ثالثاً: أما بالنسبة للتسمية ذاتها، فالاستخدام اللفظي المباشر في القول "الإعلام الإسلامي قد يوحي أن الأمر:

أ-خطاب أكثر منه علم.

ب-أنه أمر محلي ديني بحت كالقول "الإعلام المسيحي" مثلاً.

ج-انه أمر مطلق ليس فيه مجال كبير للجدل والنقاش.

أما تعبير "الحتمية القيمية في الإعلام" فتحل هذه المعضلة إلى حد كبير، لأنه يجعلها جزء من اللغة الأكاديمية العلمية، وهي ليست محلية إذ ترى أن القيمة هي المحرك في

التطور الحضاري لأي مجتمع. يضاف إلى ذلك أن الاستخدام اللفظي غير المباشر في الإشارة إلى "القيمة" يترك بعض المجال للخطأ المحتمل الذي ينسب في هذه الحالة إلى النظرية وليس إلى مصدر النظرية.

رابعاً: أن تقليد "الإعلام الإسلامي وبفعل التركيز على السرد النصي فحسب لم يحدث حالة من البحث العلمي التطبيقي المعتبر، ولعل نظرية الحتمية القيمية في الإعلام تدفع إلى هذا الاتجاه بالاستعانة بالأدوات المنهجية التي تطورت لظروف تاريخية في الغرب.

وتاسيسا على ما تقدم فان الحتمية القيمية في الإعلام جمعت من الخصائص والركائز ما يشدّ عودها، ويجعلها ناضجة نظرياً، ولكنها لازالت في حاجة إلى الكثير من الدراسات الأكاديمية التي تختبر افتراضاتها على الواقع، وهو المطلوب من الأكاديميين على مستوى الجامعات العربية والإسلامية.

وتبقى نظرية الحتمية القيمية في الإعلام، لما أتت به من إضافات جديرة بالاحترام والدراسة، نظرية تبحث عن إيجاد مكان لها من ناحية الممارسة والتطبيق على أرض الواقع، وتغرينا بالسعي وراء معرفتها والتوغل في فهم أبعادها ومدلولاتها، لأنها بالإمكان أن تغنينا عن النظريات الإعلامية الأخرى التي لا نرتبط بها لا عقائدياً ولا فكرياً.



نظرية التقمص الوجداني

المقدرة على التقمص الوجداني جزء لا يتجزأ من الاتصال، لأنه يربط بين ذهن المرسل وذهن المتلقي، والتقمص الوجداني هو المقدرة عن فهم الحالة الذهنية لشخص آخر، كأن تقول لشخص آخر (أنني أفهم مشاعرك)..كيف يتحقق التقمص الوجداني؟.. وما هي قيمته للاتصال في هذه العملية؟

يكتسب الفرد المقدرة على التقمص الوجداني بالتحرك المادي من مكان إلى آخر أو عن طريق التعرض لوسائل الإعلام، التي تجعل التحرك السيكولوجي يحل محل التحرك المادي أو الجغرافي، وقيمة التقمص الوجداني للاتصال يمكن تلخيصها في أنه لكي نتصل يجب أن يتوافر لنا على الأقل ثلاثة عناصر:

١ - وسائل مادية للاتصال

٢- رجع صدى

٣- مقدرة على التقمص الوجداني

والمقدرة على التقمص الوجداني، أي عمل استنتاجات عن الآخرين، وتغيير تلك الاستنتاجات لتتفق مع الظروف الجديدة، هذه المقدرة معروفة منذ ألفي عام، فقد أشار إليها أفلاطون وسان جون وسان أوجستين وسان الاكويني *Equnas* وبعد ذلك سبينوزا *Spinoza* في مؤلفاتهم، وقد اعتبرها آدم سميث وهربرت سبنسر عملية انعاكس بدائي، وفي هذا القرن ناقش الباحثون ليبس *Lipps* وريبوت *Ribot* وشلير *Scheler* التقمص الوجداني في تحليلهم للعطف، ويرجع الفضل في (نحت) كلمة الوجداني *Empathy* في اللغة الإنجليزية إلى تيوردور ليبس الذي سماها *Feeling Into*

وقد طور الباحث جورج ميد نظرية التقمص الوجداني في كتابه*Mind،self،and society* فقد افترض ميد أنه حينما نتوقع أو نستنتج مشاعر الآخرين، وما سيفعلونه، وحينما

نخرج بتنبؤات، تتضمن السلوك الخاص للإنسان، واستجاباته الخفية، وحالاته الداخلية ومعتقداته، ومعانية،حينما نطور توقعات وحينما نتنبأ نفترض أن لدينا مهارة يسميها علماء النفس بالتقمص الوجداني، أي القدرة على الإسقاط وتصور انفسنا في ظروف الآخرين، ويساعد على تطوير تلك القدرة، التحرك المادي، من مكان إلى آخر،كذلك تعمل وسائلً الإعلام على تطوير المقدرة على التقمص الوجداني بين الأفراد الذين لم ينتقلوا من مجتمعاتهم المحلية أبداً، لأن تلك الوسائل تنقل العالم الخارجي إليهم.

وهناك نظريتان عن التقمص الوجداني:

نظرية تقول أننا نجرب الأشياء مباشرة، ونفس ما يفعله الآخرون وفقاً لخبراتنا، أي نفترض ان جميع الناس سوف يتصرفون بنفس الطريقة التي نتصرف بها، وإننا لا نستطيع أن نتنبأ بما سيفعله الآخرون، إذا لم نمر نحن أنفسنا بنفس التجربة التي يمرون بها.

والنظرية الثانية تقول اننا نحاول أن نضع أنفسنا في ظروف ومواقف الآخرين، وفي اتصالنا نتحول من الاستنتاجات إلى اخذ أدوار الآخرين، على أساس تنبؤاتنا.

كيف نطور هذه المقدرة على التقمص الوجداني؟

إن هذا ه سؤال أساسي لطلبه الاتصال، ولكن للأسف ليس لدينا رد قاطع عليه، فهناك بعض النظريات المتعلقة بالتقمص الوجداني تتفق مع الأدلة التي تم التوصل إليها بالبحث، ونستطيع أن نعرف التقمص الوجداني بأنه العملية التي نتوصل بمقتضاها إلى توقعات، توقعات عن الحالات السيكولوجية الداخلية الإنسان.

كيف يحدث هذا؟..هناك ثلاث وجهات نظر أساسية عن التقمص الوجداني، فترى إحدى مدارس الفكر أنه ليس هناك تقمص وجداني، وإننا لا نستطيع أن نطور توقعات،الذين يؤيدون هذا الرأي هم من المؤمنين غالبا بنظرية التعلم البسيطة المكونة من منبه واستجابة، وأصحاب هذه النظرية يقولون أن كل ما لدينا في عملية الاتصال هو مجموعة من الوسائل، رسالة يقدمها شخص ويدركها شخص آخر، بمعنى آخر هناك

منبهات واستجابات، وهذا كل ما في الأمر. ونظرية التعلم البسيطة قد تفسر التعلم غير البشري عند الحيوان، ولكنها لا تفسر سلوك البشر، فالبشر يطورون توقعات، ولديهم المقدرة على تصور أنفسهم في حالات وظروف الآخرين النفسية، ولهذا لا نستطيع قبول الرأي الذي لا يعترف بوجود التقمص الوجداني، وأننا لا نستطيع أن نطور توقعات وتنبؤات، ذلك لأنه لا بد أن تحدث عملية تفسيرية من نوع ما قبل القيام بالاستجابة، وتطوير التوقعات يحتاج إلى موهبة من نوع ما، فنحن في حاجة إلى أن نفكر في الأشياء التي ليست أمامنا والتي لم نجربها، ولكي يكون لدينا توقعات، ولكي نتحدث عن الأشياء غير المتوفرة، نحن في حاجة إلى أن نصنع تلك الرموز ونؤثر عليها، فالإنسان يختلف عن الحيوان في أنه يطور كلتا المهارتين التين حدثنا عنهما، فهو قادر على أدراك الرموز والتأثير عليها، كما أنه يستطيع أن يصنع الرموز لتخدم أغراضه، لهذا السبب يستطيع أن يعيد تقديم الأشياء غير الموجودة أمامه، أي تقديم ما ليس هنا وما لا يحدث الآن، ومن الواضح أن الإنسان لديه تلك المهارة، بالرغم من أن هناك اختلافات فردية بين الناس.

لهذا يرفض الباحث الرأي الذي لا يعترف بمفهوم التقمص الوجداني، فنحن جميعاً نتوقع المستقبل. ونقوم بعمل تنبؤات عن العلاقات بين:

(١) السلوك الذي نقدم عليه

(٢) والسلوك الذي يقدم عليه الآخرون استجابة على سلوكنا

(٣) والاستجابة التالية التي نقدم عليها بناء على سلوك الناس.

فنحن نقوم بأكثر من الفعل ورد الفعل، لأننا نطور توقعات عن الآخرين تؤثر على أعمالنا قبل أن نقوم بتلك الأعمال، وهذا ما نعنيه بالتقمص الوجداني.

وهناك نظريتان معروفتان عن أسس التقمص الوجداني. توافق النظريتان على أن المادة الأساسية للتوقعات هي السلوك المادي الذي يقوم به الإنسان وكلتا النظريتين توافقان على أن تنبؤات الإنسان عن الحالات السيكولوجية الداخلية عنده تقوم على

السلوك المادي الذي يمكن ملاحظته، وكلتاهما تتفقان على أن الإنسان يكون تلك التنبؤات باستخدام رموز تشير إلى ذلك السلوك المادي وبالتأثير على تلك الرموز

دانييل لرنر والمقدرة على التقمص الوجداني

يعتبر عالم الاجتماع الأمريكي دانييل لرنر أن المقدرة على التقمص الوجداني من الخصائص الأساسية اللازمة لانتقال المجتمع من الشكل التقليدي إلى الشكل الحديث، ويفترض أن هذه الخاصية كانت تكتسب في الماضي بتحرك الأفراد ماديـاًن وانتقالهم من مكان إلى أخر، واختلاطهم بالآخرين، في القرن العشرين أصبحت هذه الخاصية تكتسب أساساً عن طريق وسائل الإعلام التي قامت بنقل العالم الخارجي إلى الأفراد الذين لم تتح لهم الفرصة لكي يسافروا أو يتركوا مجتمعاتهم المحلية.

وقد ربط لرنر المقدرة على التقمص الوجداني بتسلسل تاريخي حدث في المجتمعات الغربية، فأشار في استعراضه لانهيار أو زوال المجتمع التقليدي في الشرق الأوسط " بناء على المادة التي جمعها له مركز الأبحاث التطبيقية في جامعة كولومبيا الأمريكية عن ست دول في الشرق الأوسط، وبناء على المادة التعليمية التي حصل عليها عن ٥٤ دولة" على أن هناك مراحل محددة يمر بها المجتمع ليصل إلى المرحلة الحديثة، المدينة تتسع لتشمل القرى المجاورة، نسبة أكبر من الأفراد تتعلم القراءة، وتتعلم كيف تكون آراء، نسبة أكبر تشتري الصحف وتستمع إلى الراديو، ونسبة أكبر تكتسب القدرة على التقمص الوجداني أي تصور نفسها في مواقف وظروف الآخرين، ثم يتسع نطاق المساهمة السياسية والاقتصادية.

ونظرية لرنر مستخلصة من التاريخ، فقد وجد من استعراضه لتطور الديمقراطيات الغربية أن عملية التحضر أظهرت بعض التسلسل والخصائص التي يمكن أن نعتبرها عالمية، أي تحدث في جميع المجتمعات، ففي كل مكان حدث فيه الانتقال إلى المدن زادت نسبة المتعلمين، وزيادة نسبة المتعلمين رفعت نسبة من يتعرضون لوسائل الإعلام،

وزيادة التعرض لوسائل الإعلام سارت موازية لاتساع المساهمة الاقتصادية، أي الدخل القومي، والمساهمة السياسية أي الانتخاب، هذا التسلسل الذي حدث في الديمقراطيات الغربية هو حقيقة تاريخية، وقد صحب تلك التطورات التي تظهر في التطور التاريخي خاصية سيكولوجية هي مقدرة الأفراد على تصور أنفسهم في ظروف الآخرين، فقد تميز الغرب في مراحل تطوره الأولى بأنه كان يتسم بأوضاع غير ثابتة، فقد حدثت فيه هجرات مستمرة للوصول إلى أرض جديدة، يستطيع الناس أن يحققوا فيها ربحاً، وأصبح الأفراد الذين تركوا أوطانهم يتميزون بشخصيات متحركة، وبقدرة عالية على استيعاب الجوانب الجديدة في الظروف المحيطة. فقد تحركوا وهم مهيئون ومجهزون لاستيعاب مطالب جديدة عليهم، يفرضها محيطهم الخارجي الجديد، أشياء قد لا يكونون قد جربوها من قبل، هذا الاستعداد جعلهم قادرين على التقمص الوجداني.

المجتمع التقليدي مجتمع لا يساهم أفراده في أوجه النشاط السياسي، والقرابة هي أساس التعامل فيه، وجماعاته الصغيرة منعزلة بعضها عن بعض، وعن المركز العاصمة، حاجات المجتمع التقليدي قليلة، فليس هناك تبادل تجاري بين أجزائه المختلفة، وبدون الروابط التي تنشأ نتيجة لاعتماد أجزاء المجتمع بعضها عن البعض يضيق أفق الأفراد، وتقل قدراتهم على التحليل، لأن اختلاطهم بالآخرين بسيط، إن لم يكن معدوماً،لذلك فإدراك أفراد ذلك المجتمع للحوادث يقتصر على ما عرفوه من خبراتهم القليلة السابقة المحصورة في نطاق مجتمعهم الصغير، وهم غير قادرين على فهم ما لم يجربوه بشكل مباشر، كما أن معاملاتهم مقصورة على الأفراد الذين يتصلون بهم مباشرة في علاقاتهم الشخصية، لذلك لا تظهر الحاجة إلى المناقشة بين الأفراد والجماعات في الأمور العامة، التي تتصل بالدولة والنظريات السياسية، أي أن الفرد لا يحتاج للنقاش وتبادل الآراء لكي يتفق مع الآخرين الذين لا يعرفهم، كما أن المجتمع لا يحتاج إليه للوصول إلى الإجماع في الرأي حول الشؤون العامة، لأن تجربة الفرد محدودة بحدود النطاق المحلي جداً، ولا يستطيع ذهنه أن يتصور أنه ينتمي إلى دولة كبيرة.

وقد سأل لرنر في دراسته عينة مكونة من ١٣٥٧ فرداً من الشرق الأوسط تسعة أسئلة فيها إسقاط مثل:

إذا كنت رئيساً للحكومة أو محرراً في جريدة أو مديراً لمحطة إذاعة، فما هي الأشياء التي كنت تفعلها؟.. وقد وجد لرنر أن الأفراد التقليديين يصابون بصدمة من هذا النوع من الأسئلة، ويتعجبون كيف توجه إليهم، أما الذين يتميزون بمقدرة على التقمص الوجداني، فكانوا يتمتعون بشخصيات متحركة، وقد جعلهم ذلك أكثر قدرة على التعبير بآراء عن موضوعات في مجالات كثيرة.

لا شك أن وسائل الإعلام هي التي زادت من مقدرة الأفراد على التحرك النفساني أو تخيل أنفسهم في مواقف لم يجربوها، وفي أماكن غير الأماكن التي اعتادوا رؤيتها، كما عودت أذهانهم على تصور تجارب أوسع من تجاربهم المباشرة المحدودة، وعلى تخيل مناطق لم يشاهدوها.

هذه الخاصية هي التي تميز الإنسان الذي يتغير في المجتمع المتطور، فهو عادة يتميز بشخصية متحركة لها مقدرة على التقمص الوجداني.

وحينما يظهر عدد كبير من الأفراد لهم القدرة على التقمص الوجداني في مجتمع من المجتمعات، نعرف أن هذا المجتمع في سبيله إلى التطور السريع.

فليرنر يرى أن التقمص الوجداني هو الخاصية التي تمكن العناصر الجديدة المتحركة *Mobile* من العمل بكفاءة في العالم المتغير، ويرى أنها مهارة لا غنى عنها للشعب الذي يتخلص من الإطار التقليدي، فالقدرة على التقمص الوجداني هي أسلوب الحياة السائد الذي يميز الأفراد في المجتمع الحديث، المجتمع الذي يتميز بصناعة متطورة، المجتمع الذي تعيش نسبة كبيرة من سكانه في المدن، المجتمع الذي ترتفع فيه نسبة التعليم، وتزداد نسبة الذين يساهمون من أفراده في الحياة السياسية.

وسائل الإعلام وسيلة لمضاعفة التحرك *The Mobility Multiplier*:

بفضل وسـائل الإعلام أصبح في إمكان الفرد أن ينتقل من مكان إلى أخر نفسانيا، أي أصبح في إمكانه أن يتخيل نفسه في ظروف غريبة وأماكن جديدة.

فبدلاً مـن أن ينتقل الأفـراد مادياً من مـكان إلى أخر، وهو أمـر يتوفر لفئـة قليلة فقط، ويكون من أسباب نموهم النفساني والذهني، تدخل وسـائل الإعلام جميع المناطق النائية منها والقريبة، فـي المجتمعات النامية، وتنقـل الأفراد الذين لم يغادروا أبـداً مكان مولدهم نفسـانيا إلى العالم الخارجي، وتنشـط خيالهم وتثير طموحهم، أي أن وسائل الإعلام تنمي القدرة علـى التقمـص الوجداني، عنـد الأفراد لأنهـا تجعل التحـرك النفسـاني يحل محل التحرك المادي الفعلي، ونظـراً لأن التحضر حالة ذهنية واسـتعداد للتغييـر والتكيف، نجد أن وسـائل الإعلام بمسـاعدتها على تغيير تطلعـات الأفـراد وآفاقهم تقدم خدمـة ضرورية لنمو المجتمع الحديث، وتطور المجتمع التقليدي، وقد أنتشر التقمص الوجداني في وقتنا الحالي على نطاق واسـع بفضل انتشـار وسـائل الإعلام، بينمـا كانت الخبرة فـي الماضي تتوافر أساسـاً عن طريق الانتقال بوسـائل المواصلات، من مكان إلى آخر، أصبح الأساس اليوم هو الخبرة التي تنتشر عن طريق وسائل الإعلام، وربما كان هذا هو السبب الذي دفعنا للحديث عن التقمص الوجداني في الباب المخصص لوسائل الإعلام.



لولب الصمت

تعريف بصاحبة النظرية اليزابيت نويلة - نويمان

لم يعرف تاريخ الصحافة والإعلام امرأة كان لها مثل هذا التاثير على مسار علم الإعلام والإتصال الجماهيري، امرأة أثارة كل هذا الكم من الجدل الفكري والنظري والتجريبي في مجالات علم الإتصال والاجتماع والسياسة، مثل الباحثة والمنظرة الألمانية المعاصرة (إليزابيت نويلة – نويمان) التي شكلت في السبعينيات من القرن المنصرم نظريتها المعروفة ب(دوامة الصمت) أو (لولب الصمت) والتي قدمتها في كتاب صدر في العام ١٩٨٠ بعنوان (دوامة الصمت – الرأي العام باعتباره جلدنا الاجتماعي).

ولدت إليزابيث نويله – نويمان في برلين العام ١٩١٦، ودرست في جامعتها في تخصص الفلسفة والتاريخ والصحافة والدراسات الاميركية، وكانت ما بين الاعوام ١٩٤٠ – ١٩٤٥ في اميركا لاعداد أطروحة الدكتوراه عن (قياسات الرأي الجماهيري في الولايات المتحدة)، وحينما رجعت على المانيا أسست في العام ١٩٤٧ في مدينة السينباخ لأول معهد لدراسة الرأي العام الألماني، والذي ترأسه لغاية اليوم، على جانب مناصبها العلمية والادارية الأخرى.

حصلت على لقب بروفيسور في الاعلام والرأي العام من جامعة المواينز في العام ١٩٦٤. ولديها عشرات الكتب والدراسات، كما كتب عنها وعن نظريتها(لولب الصمت) عشرات الكتب والدراسات المؤيدة والمناقضة والمكملة، من مؤلفاتها المنشورة نختار العناوين التالية: التطور المنهجي في استطلاع الرأي، استطلاع الرأي في المجتمع الجماهيري، الرأي العام والرقابة الاجتماعية، استطلاعات الرأي وحرية الصحافة، النشر والاعلان كتهديد، دوامة الصمت، جواب الصحيفة على التلفزيون، الأمة الجريحة، الناس في المستشفى، أجواء تشكل الرأي العام وتأثير الاعلام.

لازالت إليزابيث نويله-نويمان رئيسة للمعهد الذي أسسته في العام ١٩٤٧ في السينباخ، رغم انهاُتعد من الكلاسيكيين ومن المراجع الفكرية الأساسية في علم الإعلام والآتصال الجماهيري والرأي العام.

لولب الصمت أو دوامة الصمت:

بدأت إليزابيث نويله- نويمان بتشكيل نظريتها في السبعينيات من القرن المنصرم، حيث دعت الى إعتبار التلفزيون من أهم وسائل الاتصال الجماهيري في تأثيره على الجمهور المستقبل وبالتالي في تشكيل الرأي العام. ان جوهر هذه النظرية قائم على الإفتراض الأساس الذي يؤكد بأن وسائل الاعلام حين تتبنى آراء أو إتجاهات معينة، وخلال فترة محددة من الزمن، فأن القسم الأكبر من الجمهور سوف يتحرك في الاتجاه الذي تدعمه وسائل الاعلام لما لها من قوة وتأثيرعلى الجمهور، وبالتالي يتشكل الرأي بما يتناسق وينسجم في معظم الاحيان مع الافكار التي تدعمها وسائل الاتصال، لاسيما التلفزيون.

فهي تؤكد بأن وسائل الاعلام والاتصال الجماهيري بشكل عام تنحاز احيانا الى جانب إحدى القضايا أو الشخصيات، بحيث يؤدي ذلك إلى تأييد القسم الأكبر من الجمهور للاتجاه الذي تتبناه وسائل الاعلام، وذلك بحثا عن التوافق الاجتماعي. أما الأفراد المعارضين لهذه القضية أو تلك الشخصية فأنهم يتخذون موقف (الصمت) تجنبا لاضطهاد الجماعة الكبيرة المؤيدة، أو خوفا من العزلة الاجتماعية، وبالتالي فانهم اذا كانوا يؤمنون بآراء مخالفة لما تعرضه وسائل الاعلام، فانهم يحجبون آرائهم الشخصية، ويكونوا أقل رغبة في التحدث عن هذه الآراء مع الآخرين، اما الذين لديهم آراء منسجمة مع ما تبثه وسائل الاعلام فانهم يكونوا أكثر نشاطا وجرأة في الاعلان عن هذه الاراء والتحدث بشأنها للحصول على القبوا الاجتماعي.

ونظرا لأن قسما كبيرا من الجمهور يعتقد ان الجانب الذي تؤيده وسائل الاعلام يعبر عن الاتجاه السائد في المجتمع، فان الرأي الذي تتبناه وسائل الاعلام يظل يقوى،

وربما يسـبب ذلك ضغطا على المخالفين للرأي الذي تتبناه وسـائل الاعـلام فيلجأون إلى الصمت، فاننا نحصل على أثر (لولبي) يزداد ميلا تجاه الجانب السـائد الذي تتبناه وسـائل الاعلام، بغض النظر عن الموقف الحقيقي للجمهور.

وتقترح (نويله- نويمـان) مجموعة مناهج في البحث تجمع بين المقاييسـس الميدانية والمسحية للجمهور وللقائمين بالاتصال، من اجل معرفة قوة وتأثير وسائل الاعلام، فضلا عن استخدام منهج تحليل المضمون.

لقد طـورت إليزابيـث نويله- نويمـان نظريتهـا إعتمادا علـى البحـوث التجريبية التي قامت بها أثناء عملها على هذه النظرية، وقد رصدت ثلاثة متغيرات أساسـية تسـاهم وتزيد من قوة تأثير وسائل الاعلام وهي:

١. التأثيـر الكمي مـن خـلال التكرار: حيـث تقوم وسـائل الاعـلام بتقديم رسـائل اعلامية متشابهة ومتكررة حول قضية ما أو موضوع ما أو شخصية محددة بحيث يؤدي هـذا العرض التراكمي إلـى التأثير علـى المتلقي على المـدى البعيد، دون إرادة منه، شاء أم أبى، ومهما كانت قوة حصانة المتلقي ضد الرسالة الاعلامية.

٢. التسـيير الـلاإرادي للمتلقـي والتأثير الشـامل عليه: ومعنـاه: إن وسـائل الاعلام تسـيطر علـى الانسـان وتحاصره فـي كل مـكان، فـي الشـارع، ومـكان العمل، والبيت، وتهيمن على بيئة المعلومات المتاحة له، وعلى مصادر المعلومات، مما ينتج عنه تأثيرات شـاملة علـى الفرد يصعـب عليه الخلاص منها، بحيث تشـكل دون إرادة منه، كل نظرته ورأيه للعالم والأشياء.

٣. التجانس والهيمنـة الاعلامية: وهذا يعنـي بأن القائمين على الاتصـال والعاملين في الوسـط الاعلامي يقدمون رسـائلهم الاعلامية انسـجاما مع موقف أصحاب المؤسسـات الاعلامية التـي يعملـون فيهـا، ووالتي هـي بدورها تقوم إنسـجاما واتفاقا مع اصحـاب المصالح الكبرى فـي توجيه الرأي العـام للجمهور، بحيث

يؤدي ذلـك الى تشـابه توجهاتهـم وتشـابه المنطـق الاخلاقي للعمـل الاعلامي الذي يقومون به، ويؤدي ذلك إلى تشابه الرسـائل الاعلامية التي تتناقلها وسائل الاعلام المختلفة، مما يزيد من قوة تأثيرها على المتلقي.

كل هـذه العوامـل تؤدي كما تـرى اليزابيـت نويلـه – نويمان إلـى تقليل فرصـة الفرد المتلقي في أن يكون لنفسه رأيا مسـتقلا حول القضايا المثارة، وبالتالي تزداد فرصة وسائل الاعلام في تكوين الافكار والاتجاهات المؤثرة في الرأي العام.

وترى نويلـه – نويمـان ان هنـاك عوامـل عديدة تجعـل النـاس يحرصون علـى إبداء وجهات نظرهم والمشاركة بآرائهم، منها:

١. إبداء الرأي يمنح المرء إحساسـا بالانتماء إلـى رأي الأغلبية، بينمـا حينما يكون للفرد رأي مخالف فأنه يصمت.

٢. يميل المرء إلى التخاطب مع من يتفقون معه بالآراء أكثر مع يختلفون معه.

٣. تقدير المرء لذاته يدفعه إلى إبداء رأيه

٤. يميل الافـراد إلى ابـداء آرائهم عندما يشـعرون انهم أكبـر عددا ويمثلـون الاغلبية، وأحيانا تشـجعهم القوانين على ذلك. بينما في غير هذه الحالات سوف يميل الفرد لالتزام الصمت، ويزداد هذا الصمت كلما إزداد الضغط لصالح رأي الأغلبية.

وفي اغلـب الأنظمـة الدكتاتورية وغيـر الدكتاتورية، يـزداد هذا الصمت ليس بسـبب وجود الأغلبية، وأنما لوجود الدولة وأجهزتها القمعية.

الانتقادات الموجهه الى النظرية:

لم يتم تقبل هذه النظرية سهلا وبسيطا ودونما آراء مضادة، إذ وجهت لها إنتقادات من قبل العلماء الألمان والأميركيين، وقد تركزت معظم هذه الانتقادات في النقاط التالية:

١. إن مفهـوم (الأقليـة الصامتة) غير دقيـق، فكثيرا ما يقـوم هؤلاء (الأقليـة) بالنقاش والاعتراض وبشكل قوي رغم الاختلاف مع رأي الاكثرية.

٢. لا يرجع (صمت) الافراد بالضرورة إلى الخوف من العزلة الاجتماعية، وانما يرجع إلى عدم اللمام الكافي بالقضية المطروحة للنقاش، أو بجهلهم بها أصلا.

٣. الشك في إفتراض التكرار والهيمنة والتسيير اللارادي للفرد من قبل وسائل الاعلام في تشكيل الرأي العام، على الأقل في ظل الديمقراطيات الغربية، التي تتعدد فيها المصالح، ويصعب على وسائل الاعلام أن تتبنى أتجاها واحدا وثابتا ودائما من القضايا المثارة، ولفترة زمنية طويلة.

٤. إن وسائل الاعلام لا تعبر بالضرورة عن رأي الأغلبية، بل تعكس احيانا رأي (الأغلبية المزيفة) التي تروج لها، كما هو الحال في وسائل الاعلام العربية وقنواتها الفضائية.

٥. من الصعب تفسير الرأي العام وتشكله بمعزل عن دور المعلومات والتجارب التي يحصل عليها الفرد من خلال البيئة السياسية والاجتماعية المحيطة به، وخاصة في القضايا المهمة.

وقد أقرت إليزابيث نويله – نويمان بعض هذه الانتقادات، واشارت الى ان هذه النظرية تحتاج الى المزيد من البحث التجريبي والمنهجي.

ومن هنا فأن بعض المنظرين في علم الاعلام والاتصال الجماهيري والرأي العام يرفضون إعتبار ما قدمته نويله – نويمان نظرية، وانما أنموذجا من النماذج المقدمة في علم الاتصال لتفسير تأثير قوة وسائل الاعلام على الجمهور وعلى الفرد. بينما اعتبرها بعض علماء الاجتماع وحتى علماء النفس الاجتماعي واحدة من الطروحات الديمقراطية المهمة في فهم الخطاب العام للمجتمع.

بالنسبة لنا شعوب الشرق الأوسط، فان هذه النظرية تساعدنا على تفكيك الخطاب الاعلامي العربي، وعلى الوصول إلى المصطلح النقيض في دراسة الرأ ي العام العربي ألا وهو (الأغلبية الصامتة)، وليس (الأقلية الصامتة)، وبالتالي يدفعنا إلى إعادة النظر بمفهوم (الرأي العام) في الشرق الأوسط.

التنافر المعرفي Cognitive Dissonance

منذ ما يقارب الخمسين عاما (عام ١٩٥٧)، قام الباحث ليون فستنغر (*Festinger*) بنشر نظرية "التنافر المعرفي" التي أصبحت ركنا مهمّا من أركان علم النفس الإجتماعي. هذه النظرية ولّدت عددا مهماّ من البحوث والنظريات الثانوية التي شرحت لنا الأسس النفسية للتصرّف والإعتقاد، وتشكيل المباديء، ونتائج القرارات التي يأخذها الإنسان، وآثار الخلاف بين الأفراد وعدد آخر من التصرفات التي لا يمكن إحصائها. ونظرية التنافر المعرفي هذه هي نظرية مهمّة في علوم الإدارة البشرية وخصوصا في فهم ديناميكية العلاقات بين المجموعات والأفراد.

والتنافر المعرفي، تعريفا، هي حالة تتضمن انشغال الفرد ذهنيا بموضوعين، أو معتقدين، أو فكرين، يحتلان نفس الأهمية لديه بيد أنهما متناقضتان في طبيعتهما.

والنظرية، كما قدّمها فستنغر، تقول بأن أزواج الفهم (شعلات المعرفة) قد تكون ذات علاقة أو غير مؤثّرة بالنسبة إلى بعضها البعض. فإذا ما كان هناك فهمان ذو علاقة، فهما إمّا متّفقان أو مختلفان (متنافران). وهما يكونان متّفقان إذا ما كان أحدها ينبع من الآخر.

وتقول النظرية أن تواجد التنافر المعرفي يخلق لدى الإنسان نوعا من الإنزعاج النفسي مما يدفع الفرد بأن يسعى الى تقليل التنافر، مما يقود الى تفادي المعلومات التي قد تؤدّي الى رفع مستوى التنافر المعرفي لدى الشخص. وكلّما أزدادت حدّة التنافر، كلّما إزدادت الحاجة الى خفض مستوى التنافر.

والتخلّص من أثقال التنافر المعرفي ادى الأفراد يمكن أن يكون عبر أكثر من وسيلة. فمن الممكن للفرد مثلا أن يضيف الى المعرفة المتوافقة لديه، أو يزيل المعرفة المتناقضة التي تسبب له الضيق، أو لأن يستبدل المعرفة المتنافرة بمعارف متوافقة، أو أن يضفي أهميّة خاصة على المعارف المتوافقة لكي يجعلها أكثر أهمية من المعرفة المتنافرة.

لنأخذ مثالا عمليا يشرح هذه النظرية: فالمدخّن المدمن الذي يعلم آثار التدخين

المضرّة على صحّته، سوف يشعر بالتنافر المعرفي إذا ما استمرّ بالتدخين. وقد يحاول هذا الفرد التخلّص من الضيق الذي يسببه التنافر عن طرق تغيير عاداته والتوقف عن التدخين. وهذا هو نوع من الإضافة الإيجابية للمعرفة المتوافقة إذا أنه أقرّ أن التدخين مضرّ بالصحة ويتوجّب الإمتناع عنه. ولكن هناك طريقة أخرى للتقليل من حدّة التنافر المعرفي لديه، وهي بأن يسعى لتغيير تصوّراته المعرفية للواقع مما يخفّف من حدّة التنافر المعرفي لديه. فقد يقوم هذا المدخّن مثلا بإقناع نفسه أن التدخين ليس له أية عواقب صحيّة يمكن إثباتها وهذا إزالة للفهم المختلف المسبب للتنافر. وقد ينظر المدخن أيضا الى الأسباب الإيجابية للتدخين فيقنع نفسه أن التدخين يقلّل من حدّة الأعصاب ويمنع الإنسان من السمنة وهذا نوع من إضافة المعارف المتوافقة. ويمكن أيضا للمدخّن أن يضيف استمتاعه بالتدخين وأن يعتبر هذا الإستمتاع عنصر مهمّ من عناصر استمتاعه بالحياة.. وهذه حالة أضافة أهمية الى معرفة المتوافقة لكي تغطّي على أهمية المعرفة المتناقضة التي تزعجه فيقلل من أهميتها.

ولو لاحظنا لوجدنا بأن نظرية التنافر المعرفي تدخل في تفسير الكثير من المتناقضات المتعلّقة بتصرفات الأنسان التي تبدو مخالفة أو متناقضة أو متنافرة بشكل صريح مع معرفته السليمة أو المباديء البديهية أو المتعارف عليها.

التنافر المعرفي هي ظاهرة الإحساس بالانزعاج، القلق، أو عدم الارتياح النفسي التي ترافق تعرّض الفرد لمعلومات جديدة تتعارض والمعلومات القديمة التي يمتلكها هذا الفرد أو "الثوابت" العلمية أو الثقافية أو الروحية.. المتركزة في فهم هذا الفرد أو في إعتقاده أو إيمانه.

هذا التنافر المعرفي، أو الإحساس بالإنزعاج أو عدم الإرتياح، يرافق حاجة الإنسان أن "يهضم" هذه المعلومات الجديدة والتعامل معها. ويصف بعض الباحثون هذا الإحساس بأنه "الشرخ المتواجد بين ما يعتقده الإنسان وبين الواقع".

هذه الظاهرة تمّ اكتشافها خلال دراسة نفسية لمجموعة دينية (*cult*) كانت تعتقد أن نهاية العالم ستكون في يوم معيّن بواسطة فيضان واسع سيدمّر الأرض. لكن، عندما مرّ التاريخ

المحدد تفاجـأ الباحثـون أن ألمتطرّفين من أتبـاع هذا المعتقد اسـتطاعوا تعليـل عدم حصول الفيضان بما يتناسـب ومعتقدهم (تـم إنقاذ الأرض بسـبب وجود بعض المؤمنيـن عليها). أما أعضاء المجموعة المعتدلين، فقد تعرّضوا لإحسـاس مؤلم عارم اسـتطاعوا بعده قبول الواقع المعاكس لما كانوا يثقون به من معتقد المعلومة الجديدة هي، طبعا، عدم قدوم الفيضان.

نظرية التنافر المعرفي

هـذه النظرية أتى بهـا ليـون فسـتنجر(*LEON FESTINGER*) فـي ١٩٦٢،تنطلق من فكرة أن الإنسان كيان نفسي يسعى دائما إلى انسـجام مواقفه وآرائه والمواضيع التي يتلقاها مع شخصيته وبنيته النفسـية،فنظرية التنافر المعرفي ترمي إلى كون الإنسان يتعارض ويقاوم كل شيء يتعارض وبناءه المعرفي.

تتركز هـذه النظرية علـى أن الفرد يحـاول بذل مجهود مـن أجل الحفاظ علـى توازنه النفسـي من خلال جعل هـذه العناصـر أكثـر توافقا،فالتنافر هـو حالة من حـالات الدافعية بحيث تدفع الفرد إلـى تغيير سـلوكياته وآرائه،فوفقا لصاحب النظرية فإن هنـاك ثلاثة أنواع من العلاقات بين عناصر معرفتنا.

١. علاقة اتفاق بين هذه العناصر.

٢. قد لا تكون هناك علاقة اتفاق بين هذه العناصر.

٣. قد تكون هناك علاقة تناقض وتعارض بين هذه العناصر.

إذ يضطر الفرد غـي الحالة الأخيـرة إلى إلغاء هـذا التناقـض أو التقليل مـن حدته إما بتبني العنصر الجديد والاستغناء عن القديم،أو عن طريق خلق نوع من الانسجام أو مقاومة العنصـر الدخيل عن طريـق التجاهـل والتغافل عن مصـدره أو تصنيفه ضمـن العناصر غير المنطقية التي لا يمكن التعاطي معها أو حتى التفكير فيها.

في هذا الإطار،يأتي ليون فسـتنجر بثلاثـة أمثلة يظهر غيها التناقـض المعرفي في أجّل صوره وهي اتخاذ القرار،آثار الكذب وآثار الإغراء:

- اتخـاذ القـرار:إن تخييـر الإنسـان بيـن شـيئين يضطـره إلـى تـرك بديـل واحـد بالضرورة،لكـن بعـد اتخـاذ القـرار يـرى بعـض الخصائـص الجيـدة فـي البديل المتروك،في سبب التنافر المعرفي ولقضاء على هذا التعارض أو التقليل من حدته أمـام الفرد حليـن،الأول يحتم عليـه إقناع نفسـه بأن البديـل المتـروك غير جذاب وأن خصائص البديل المختـار لا تملك قوة التأثيـر في قراره.أما الثانـي فيلجأ فيه إلى تبرير اختياره من خـلال إعطاء مجموعة من العوامل التـي تؤيده كالمبالغة في وصف خصائص البديل المختار.
- آثـار الكذب:يظهـر التعارض هنـا إذا أقدم الفـرد على القيـام بما يخالـف العناصر والمواقـف التي يؤمن بها وتتوقف قـوة التنافر على عنصريـن،الأول كلما تعارض قوله وقراره مع اعتقاده الشـخصي كلمـا زاد التنافر بينما في الثانـي تقل قوة التنافر كلما سعى الفرد إلى تبرير رغم معارضته الداخلية لها.
- آثار الإغراء:في هذه الحالة يظهر لـدى الفرد ميولا داخليا للحصول أو فعل شـيء يخالف اعتقاده،تتعدد هنا أسـباب النفور كأن يكون بعيد المنال أو مخالفة صريحة لمعتقداته أو غير مشروع أو يورطه في مشاكل لا نهاية لها..

في معنى التنافر المعرفى

لقـد ادت نظرية التنافـر المعرفى الى قـدر كبير من الجـدل والبحث وعلـى الرغم من سـهولتها نسـبيا فى الفهم الا أن مضمناتها واسـعة ومعقده وتقرر النظرية بصفه أساسـية ان الانسـان لديه عديد من المعارف (اتجاهات وادراكات) عن العالم يمكن ان يكون لها احد ثلاث صلات ببعضها البعض.

١ - معارف يمكـن انتكون متناغمـه بمعنى انها تاتـى بعضها البعض وتدعم السـلوك المرتبط ببعضها البعض مثل امرأة تستمتع بالطهى تطهو الطعام لأسرتها.

٢ - معـارف يمكن الاتتصل ببعضهـا البعض ويحدث هـذا عندما مثلا امراة تسـتمتع بالطهى تتصل تليفونيا بالكوافير.

٣ – واخيرا معارف يمكن ان تكون متنافرة وفى هذه الحاله فان السلوكيات التى تنتج عن المعرفتين متعارضه اوعلى الاقل لاتتصل ببعضهـا البعض افترض ان المرأه التى تسـتمتع بالطهى اسـتاجرت طاهيا وهذا يعنى انها لن تطهو الطعام بعد ذلك وهذه المرأة سوف تخبرحاله من التنافر.

وخبـرة التنافر خبرة سـالبه وهى تنتج حالـه دافعيه هدفهـا تخفيف التنافـر وهناك عدة طرق يمكن بها تخفيف التنافر عديد منها يتعلق باتجاهات الفرد المعنى بالحديث ان المراة التى اسـتاجرت طاهيا قد تبدأ فـى التركيز على الاسـباب الايجابيـه التى جعلتها تسـتأجره وتقليل التوكيد على حقيقه انها هى نفسها تحب ان تطهو الطعام.

وتتنبأ نظرية التنافر ان اشباع الفرد ورضاءه عن قرار يتصاعد كلما زاد احد العوامل الآتية:

١ – اهمية القرار.

٢ – الآثار الجانبية للقرار.

٣ – الفروق بين البدائل التي يجب على الفرد أن يختار من بينها عند اتخاذ قراره.

ان التنافـر الموفى هـو مثال علـى نظرية الأنسـاق ومـن ثم فانـه لديه عديد مـن اوجه الضعف والقوة التى تتسم بها الأساليب التوازنية.

التنافر المعرفي أو التناشـز المعرفيحالة من التوتر الداخلي ناجمـة عن أن المرء موزّع بين فكرتين أو عدة أفكار متناقضة.

لتصرفاتنا عادة تماسك يشرحه انسجام منظومتنا النفسية، حيث تتوازن آراؤنا واتجاهاتنا، وكلامنا وعواطفنا وأفكارنا. ونبحث، إذ نكون على وفاق مع أنفسـنا، على أن نكون على وفاق مع أعضاء محيطنا، وذلك أمر يشـرح على وجه الخصوص أننا نختـار أصدقاءنا المفضلين من بين الأشـخاص الذين ينتمون إلى الوسـط الاجتماعي الثقافي نفسـه. لهـم الاهتمامات عينها، والآراء ذاتها. الخ. ولكـن قد يحدث أن تصيب أحداث خارجية هذا الانسـجام بالخلل. ومثال ذلك كشوف علمية في أصل الحياة يمكنها أن تصدم قناعاتنا الدينية، أو أن أحد أصدقائي يعلن

أيضاً، على نحـو مفاجئ، آراء سياسـية تعـارض آرائي. وينجم عـن ذلك ضرب مـن الانزعاج يطلق عليه عالم النفس الأمريكي ليون فسـتنج مصطلح (التنافر المعرفي). وينبغي لي، لأقلّص هذا التوتر، أن أدخل عنصراً آخر سيسـاعدني علـى أن أتجاوز التناقض وأجـد توازني الداخلي مجدداً، فبوسـعي أن أرفض الإعلام الـذي تلقيته (يتعذر خلـق الحياة في المخبـر، لا أعتقد أن بوسـع بيير أن يخـون أفـكاره)، أو بوسـعي أن أقلل من شـأن هذا الإعـلام (سـيتبين بيير خطأه بسـرعة). ويمكنني أيضـاً أن أقطع علاقتـي بصديقي، وتلـك وسـيلة لتحويل بيئتـي، أو تعديل اتجاهي الخـاص، وتغيير اعتقـادي ورأي. وفي رأي ل. فسـتنجر أن الإنسـان موجـود عقلاني يبحث عن وسيلة استبعاد كل تناقض منطقي يحدث في منظومتنا الفكرية.

وتقـول النظريـة أن تواجـد التنافر المعرفـي يخلق لـدى الإنسـان نوعا مـن الإنزعاج النفسـي مما يدفع الفرد بأن يسـعى إلى تقليل التنافر، مما يقود إلى تفـادي المعلومات التي قد تؤدّي إلى رفع مستوى التنافر المعرفي لدى الشـخص. وكلّما أزدادت حدّة التنافر، كلّما إزدادت الحاجة إلى خفض مستوى التنافر.

والتخلّص من أثقال التنافر المعرفي أدى الأفراد يمكن أن يكون عبر أكثر من وسـيلة. فمن الممكن للفرد مثـلا أن يضيف إلى المعرفة المتوافقة لديـه، أو يزيل المعرفة المتناقضة التي تسبب له الضيق، أو لأن يستبدل المعرفة المتنافرة بمعارف متوافقة، أو أن يضفي أهميّة خاصة على المعارف المتوافقة لكي يجعلها أكثر أهمية من المعرفة المتنافرة.

لنأخذ مثالا عمليا يشـرح هذه النظرية: فالمدخّن المدمن الذي يعلم آثار التدخين المضرّة على صحّته، سـوف يشـعر بالتنافر المعرفي إذا مـا اسـتمرّ بالتدخين. وقد يحـاول هذا الفـرد التخلّص من الضيق الذي يسـببه التنافر عـن طرق تغيير عاداتـه والتوقف عـن التدخين. وهذا هو نـوع من الإضافة الإيجابية للمعرفة المتوافقة إذا أنه أقـرّ أن التدخين مضرّ بالصحة ويتوجّـب الإمتناع عنه. ولكن هناك طريقة أخرى للتقليل من حدّة التنافر المعرفي لديه، وهي بأن يسـعى لتغييـر تصوّراته المعرفية للواقع مما يخفّف من حدّة التنافر المعرفي لديه. فقد يقوم هذا المدخّن مثلا بإقناع نفسـه أن التدخين ليس له أية عواقب صحيّة يمكن إثباتها وهذا إزالة للفهم المختلف المسبب للتنافر. وقد ينظر المدخن أيضا

إلى الأسـباب الإيجابية للتدخين فيقنع نفسـه أن التدخين يقلّل من حدّة الأعصاب ويمنع الإنسان من السمنة وهذا نوع من إضافة المعارف المتوافقة. ويمكن أيضا للمدخّن أن يضيف استمتاعه بالتدخين وأن يعتبر هذا الاستمتاع عنصر مهمّ من عناصر استمتاعه بالحياة.. وهذه حالة أضافة أهمية إلى معرفة المتوافقة لكي تغطّي على أهمية المعرفة المتناقضة التي تزعجه فيقلل من أهميتها.

ولو لاحظنا لوجدنـا بأن نظرية التنافر المعرفي تدخل في تفسـير الكثيـر من المتناقضات المتعلّقة بتصرفات الأنسـان التي تبدو مخالفة أو متناقضة أو متنافرة بشـكل صريح مع معرفته السليمة أوالمباديء البديهية أو المتعارف عليهوروبا بحاجة للتخلص من تنافرها المعرفي.

في مطلع الخمسـينيات مـن القرن الماضي، أجـرى عالم أمريكـي متخصص في علم النفس الاجتماعي يدعى ليون فسـتنغر تجربة تمثل صورة قريبة مـن المتاعب التي تواجهها أوروبا في الوقت الحالي.

فقـد التقى هـذا العالم بجماعـة دينية يؤمـن أعضاؤهـا بأن المخلوقـات الفضائيـة قادمة لإنقاذهم من طوفان هائل سوف يدمر كوكب الأرض. وقد استطاع فيتنغر أن يقنعهم بأنه انضم إليهم ضمن مسـعاه لدراسـة نظرية أسـماها "التنافر المعرفي"، وهو مصطلح يشـير إلى التوتر النفسي الحاصل عندما يجد الأفراد أمامهم أدلة مثبتة تتناقض مع افتراضاتهم أو معتقداتهم.

وعندما حل يوم القيامة الموعود وانقضى دون أن تسـقط قطرة ماء ودون أن تعبر الأجواء أي أطباق طائرة، راقب فسـتنغر كيفية اسـتجابة أعضاء الجماعة لصدمة الواقع. وبما أنهم كانوا قد بذلوا الكثير في سـبيل حشـد الدعم لوجهة نظرهـم، فإن التراجع كان ببسـاطة أمـرا مكلفا. وعوضا عن ذلـك، نقل قادة الجماعـة نبوءتهم إلى تاريخ آخر في المسـتقبل، وشـجعوا الأتباع على المزيد مـن الالتزام وعلى "هدايـة" غير المؤمنيـن بالنبوءة. وقد وجد بعـض الأعضاء في ذلك وسيلة للتخفيف من ألم خيبة الأمل، لكن النتيجة الحتمية هي أن الواقع هو الذي ينتصر.

وقد عقب فسـتنغر بالقـول:" ربما يحاول هـؤلاء المؤمنـون إخفاء الحقيقـة، ولو عن أنفسـهم، لكنهم يعلمـون أن النبـوءة كانت خاطئـة وأن جميع اسـتعداداتهم كانـت عبثا في عبث. لا يمكن إزالة التنافر بالكامل بمجرد إنكار التناقض أو وضعه في إطار منطقي".

علم النفس السياسي

هذه القصة التـي تحمل فـي طياتها قدرا مـن التناقض الظاهري تتشـابه بصـورة كبيرة مع تفسـير علم النفس السياسـي لأزمة الديـون الأوروبيـة. فقد التـزم الزعماء السياسـيون بمسـار خطط الإنقاذ وبرامج التقشـف على الرغم من ضخامة تكاليفها. وهـا هي الاتفاقية التي توصـل إليهـا المجلـس الأوروبي في بروكسـل تتخـذ المنحى نفسـه: سـيولة إضافية بالمليارات، دون أي حلول هيكلية ذات معنى.

مـن المفترض أن يكـون قد اتضـح الآن بما لا يدع مجالا للشـك أن السـيولة ليسـت هي الحل. ومن الواضح أيضا أن التقشـف ليـس هو العلاج. في كل يـوم يتراكم المزيد من البيانـات المحبطة فـي المحيط الأوروبـي؛ فقد تبيـن أن الزمن هـو الخصـم، وليس مجرد حليـف يمكـن أن يشـتريه المـال. ولا شـك فـي أن الزمـن لا يتكفـل بشـفاء كل الجروح، والبيانات على ذلك خير شاهد.

نظرية التنافر المعرفي فستنجر *Festinger*

وتنطلق نظرية التنافـر المعرفي وفقًا لمبدأيـن، يعود بناء النظرية لجهود ليون فسـتنجر أساسيين هما:

- أن التنافـر المعرفي ناتـج عندما يكون على الفـرد الاختيار بين مـا يحمله من اتجاه معتقداته،معارفه.. نحو موقف معين وبين السـلوك مما يحدث لديه التنافر، بمعنى أخر النتائج المترتبة على هذا الاختيار.
- إمكانية خفض التنافر من خلال اختزال أهمية الصراع بين معتقداته وما يكتسبه من معتقدات أو من خـلال تغير الصراع بين الاتجاه والسـلوك..*Balance* جديدة مما يحدث حالة من التوازن عندئذ نجـد أن الفرد حين تواجهه حالـه من الغموض أو التنافر المعرفي، فان هـذه الحالة تدفعه إلى محاوله خفـض درجه التنافر للوصول إلى التناسق المعرفي

أهمية نظرية التنافر المعرفي

تعـود أهميـة نظريـة التنافـر المعرفـي، وبشـكل خـاص التـوازن المعرفي/ التنافـر المعرفي لفهم الظـروف التي في دراسـته للممارسـات المتكاملـة فـي *Adams* تقف وراء الدافعية للانجاز، وهذا ما توصل إليه ادم سـمث والوقت الذي يسـتغرقه *Input* المنظمات والمؤسسـات، حيث يقارن الفرد بين المدخلات مثل العائد المادي والمعنوي والاعتراف الاجتماعـي، وأوضح *Output* فـي العمل... والمخرجـات ادمز بان عدم التـوازن بين هذه المدخلات والمخرجات يؤدي إلى حالات من الدافعية السلبية كالتوتر،والذي يسعي الفرد إلى التخلص منها من خلال للجوء إلى إحدى البديل التالي:

أ- التشـويه المعرفي لمدخـلات أو مخرجات الفرد على سـبيل المثـال التقليل من أهميه المـادة العلميـة كون المدخـلات بالنسـبة للمتعلـم، أو التقليل مـن أهمية النجاح والعائد المردود من تلك المادة.

ب- الانسحاب من الموقف.

ج- التغير الفعلي أو المتصور لمقارنه الشخص بين المدخلات أو المخرجات.

د- التغير الفعلي لمدخلات أو نتائج الفرد.

وفقًا لتصـور ادمز فان المدخـلات والتي تتمثل في سـلوكيات الانجاز) سـوف تتزايد في حاله ما إذا كانـت النتائج أو المخرجات المترتبة على ذلك مرضية بالنسـبة للفر د. بينما تتناقص سلوكيات الانجاز، إذا كان العائد أو المخرجات منخفضة وغيرمرضية(

ويمكن تنشـيط التنافر المعرفي واسـتثارة السـلوك الإنجازي من خـلال تعرض الفرد إلى مواقف، هي:

- يحدث التنافر عندما لا تتسق الجوانب المعرفية للشخص مع المعايير الاجتماعية، فعلي سـبيل المثال عندما يعتبر الفرد نفسـه أمينًا ولكن ليس لديه وقت للاستذكار

من اجـل الامتحان م ا. لـذا يلجا إلـى نقل إجابـات متعددة مـن احد زملائـه أثناء الامتحان. هنـا يعيش الفرد في صـراع بين أمانـة جانب معرفي) وبين قيامه بكسـر احد المعايير (الغش)، بذا يشـعر الفرد بعدم الارتياح حتى يحل هذا ا لتنافر.وربما يحاول الفرد تغيـر اتجاه نحو الغش ليكـون مقبولا تحت ظروف معينـة، وقد يغير من أفكاره عن دواعي الأمانة في هـذا الوقت. قصارى القـول أن الفرد يكون لديه دافع ما لأزاله هذا التناقض.

- ينشأ التنافر عندما يتوقع الفرد حدوث حدث ما ويقع أخر بدلا منه.
- يحدث التنافر عندما يقوم الأفراد بسـلوك يختلف مع اتجاهات العامة. فعلي سبيل المثـال قد يجد الفرد أحيانًا انه يسـتمتع بسـماع الموسـيقى. مرة ثانية نجده يشـعر بعدم الارتياح من سماع الموسيقى الأمر الذي يدفعه إلى فض التعارض بين اتجاه الأول وسلوكه الجديد.

إلى أن مجال وتطبيقات نظرية التنافر المعرفي ترتبط بالتغير ويشير فستنجر

المعرفي لاتجاه الفرد في موقف ما، وترتبط هذه النظرية بشـكل خـاص بعملية اتخاذ القرار وحل المشكلات.



مجتمع المعلومات

على الرغم من ظهور هذا المصطلح منذ ثلاثين عاما، إلا أن التطورات الهائلة التي حدثت في تلك الفترة قد عظمت من استخدام هذا المصطلح، فضلا عن ظهور مصطلحات كالعولمة، الرقمنة وعلى الرغم من تداول هذا المصطلح إلا أنه يحمل مفاهيم غير واضحة أحيانا، وغير متفق عليها. وقد شهد العالم عبر تاريخه الطويل تطورات متلاحقة وتحولات كبيرة في طرق وأساليب الحياة والمعيشة. وقد استجدت لديه احتياجات عديدة فبعد أن كان يعتمد على الزراعة لمدة من الزمن تحول إلى الصناعة من اجل تلبية احتياجاته حيث شهدت الثورة الصناعية الكبرى الأولى في القرن الثامن عشر، الذي تميز بالتخلي عن الآلات اليدوية بعد اختراع الآلات البخارية وأساليب التعدين، وبدأت الموجة الثانية للثورة الصناعية بعد مرور عصر واحد على ذلك عندما تم استحداث الكهرباء والمحركات ذات الاحتراق الداخلي والمواد الكيميائية المستحدثة بواسطة الأبحاث العلمية وعمليات صب الصلب الفعالة، وتكنولوجيا الاتصال الأولى كنظم التلغراف والهاتف والبريد وقد أفضت الموجة الأولى إلى الثورة الزراعية والموجة الثانية إلى الثورة الصناعية التي سمحت بإتباع سبل الاستدلال والمنهجيات العلمية النسقية والمنظمة.أما العصر الحالي فهو يخضع للمعايير ويتميز بظهور تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات. فسمات المجتمع وخصائصه المتغيرة، وكذلك نظامه المتغير، تؤدي على وجه التحديد وبكل وضوح إلى نشأة مجتمع المعلومات والمعرفة.

مفهوم مجتمع المعلومات

عالم تكنولوجيا المعلومات، العالم الذي يتجه نحو التكتلات المعلوماتية ونحو شبكات الاتصالات بعيدة المدى. " الصفة التي أطلقت على العصر الذي نعيش فيه وهو عصر المعلومات " - المجتمع ما بعد الصناعي. - المجتمع المعلوماتي. - مجتمع المعرفة. رفض بعض الباحثين مصطلح " مجتمع المعلومات "؛ لأن صناعة المعلومات

أبـرز مايميز هذة الفتـرة. رغم أهمية المعلومات بشـكل واضـح في الحيـاة المعاصرة فانها ليسـت أكثر من ظاهـرة أخرى كالسـيارات والكهربـاء. ان مصطلـح مجتمـع المعرفة أرقي من مجتمع المعلومات؛ لأن مصطلح المعلومات غامض فليس هناك معلومات خام تسـير بدون منظومة فكرية ما – أما المعرفـة فهي منظومة من البيانـات ذآت دلاله ومعني. لأننا لا ننشـد المعلومات بذاتها وانما لما فيها من دلالة ومعني " مجتمـع المعلومات والمعرفة ". يأتي مجتمع المعلومات بعد مراحل متعـددة مر بها التاريخ الإنسـاني، وتميزت كل مرحلة بخصائص ومميزات، حيث شـهدت الإنسـانية مـن قبـل، تكنولوجيا الصيد ثـم تكنولوجيا الزراعة، وبعدها تكنولوجيا المعلومات، التي رسمت الملامح الأولى لمجتمع المعلومات هذا الأخيـر تميـز "بالتركيز علـى العمليات التـي تعالـج فيها المعلومـات، والمـادة الخام الأساسـية به هي المعلومة، التي يتم اسـتثمارها بحيث تولد المعرفة، معرفـة جديدة. وهذا عكس المواد الأساسـية في المجتمعات الأخرى، حيث تنضب بسـبب الاستهلاك، أما في مجتمع المعلومات فالمعلومـات تولد معلومات، مما يجعل مصـادر المجتمع المعلوماتي متجددة ولا تنضب" الأمر الذي يفسـر أهميـة المعلومات، ومكانتها كأهم مـادة أولية على الإطلاق وهوما يجعل المجتمع الجديد يعتمد في تطوره بصورة أساسـية على هذا المورد، وشبكات الاتصال والحواسيب، ويتميز بوجود سـلع وخدمات معلوماتية لم تكن موجودة من قبل، إلـى جانب اعتماده بصفة أساسـية علـى التكنولوجيـا " الفكرية" أي تعظيم شـأن الفكر والعقل الإنساني بالحواسيب، والاتصال والذكاء الاصطناعي ونظم الخبرة.

ويقصـد أيضا بمجتمـع المعلومـات التحول مـن مجتمـع صناعي الـي مجتمع تكون المعلومات فيه أكثر اتسـاعا وتنوعا وهي القوة المسـيطرة. – المجتمع الذي ينشـغل معظم أفـرادة بإنتـاج المعلومات أو جمعهـا أو اختزانهـا. – المجتمـع الذي تتاح فيـه الاتصالات العالمية وتنتج فيـه المعلومات بكميات ضخمة وتنوع بشـكل ضخم وتصبح لهـا قوة تأثير على الاقتصاد. – المجتمع الذي يقوم أساسـا علـى المعرفة وإنتاجهـا وتوظيفها بكفاءة في جميع مجالات النشـاط المجتمعي " الاقتصاد؛ المجتمع المدني؛ السياسة؛ الحياة الخاصة

" للارتقاء بالحالة الإنسانية. - البيئة الاقتصادية والاجتماعية التي تطبق الاستخدام الأمثل للتكنولوجيا المعلومات والاتصالات " الانترنت " فان أحسن استخدام المعلومات وتوزيعها يعم النفع على الأفراد في جميع نواحي الحياة. جميع الأنشطة، والتدابير، والممارسات المرتبطة بالمعلومات، إنتاجا، ونشرا، وتنظيما، واستثمارا، ويشمل إنتاج المعلومات، أنشطة البحث والجهود الإبداعية والتأليف الموجه لخدمة الأهداف التعليمية والتثقيفية. كما أعتبر العديد من الباحثين مجتمع المعلومات كوسط اجتماعي أفضل للمعلومات " وهو مجرد مجتمع رأسمالي، تعتبر المعلومات فيه سلعة أكثر منها موردا عاما" أي أن المعلومات التي كانت أساسا متاحة بالمجان من المكتبات العامة، والوثائق الحكومية أصبحت أكثر تكلفة عند الحصول عليها خصوصا بعد اختزالها في النظم المعتمدة على الحواسيب. وهذه النظم مملوكة في معظمها للقطاع الخاص، ويتم التعامل معها على أساس تجاري من أجل الربح. كما تم تعريف مجتمع المعلومات "كدائرة متحدة تهتم بالأوضاع العامة من حشود وروابط ومصادر متنوعة تتشكل ما بين المؤسسات والأفراد لرعاية اهتمامات المجتمع حول توفير وتبادل المعلومات، والمعرفة الهادفة إلى سرعة الحصول على المعلومات، وزيادة المعرفة". ورغم أن مفهوم مجتمع المعلومات لم يتبلور تماما في الفكر العالمي للعديد من الباحثين إلا أنهم اتفقوا على اعتباره المخاض العسير، الذي مرت به البشرية مند الستينيات بمناسبة خطاب النهايات، نهاية المكان، مصانع بلا عمال، نهاية المسافة، تعليم بلا معلمين نهاية المدينة، مجتمع بلا نقد، نهاية الكتاب، كتابة بلا أرقام، نهاية الورق مكتبات بلا رفوف".

في مجتمع المعلومات يشكل قطاع المعلومات المصدر الأساسي للدخل القومي والعمل والتحول البنائي ففي الولايات المتحدة فان قطاع المعلومات ينتج حوالي نصف الدخل القومي وفرص العمل، وتظهر اقتصاديات الدول المتقدمة في أوروبا ان حوالي ٤٠ بالمائة من دخلها القومي قد أنبثق من أنشطة المعلومات في منتصف السبعينات. رغم تعدد المفاهيم حول مجتمع المعلومات إلا أنه يمكن استشفاف، أن مجتمع المعلومات يتركز

أساسا على إنتاج المعلومة والحصول عليها واستغلالها في خدمة أهداف التنمية والتطوير، من خلال وضع آليات وإدارة انسيابها بواسطة بنية تحتية للمعلومات وشبكات الاتصال. ويمكن القول أن أهم عناصر قيام مجتمع معلومات مبني على قيمة المعرفة وإتاحة عادلة للوصول إلى المعلومات هي تنمية الإدراك البشري ومهارة استخدام تكنولوجيا المعلومات.

لابد من وضع التخطيط الشامل ووضع آلية التنفيذ وهي مسؤولية مشتركة تقع على عاتق النظام المؤسسي وتلك النظم التي تمثل مهن المعلومات وصناعة المعلومات والمستفيدين من المعلومات والبدء من وضع آلية مشتركة تحت رعاية وإشراف مؤسسة عليا رسمية بالدولة مع مراعاة التنسيق في المهام والواجبات والمقصود بالتنسيق وجود تشريع قانوني يحدد المهام والمسؤوليات بشكل يحد من الازدواجية ويعمل على تحقيق التكامل والتوازن من اجل تعبيد طريق المعلومات وربطه بالاقتصاد والتنمية وتحقيق التقدم والرفاه.

من هذا المنطلق لابد من إدماج البنية الأساسية للمعلومات *NII* ضمن الاستراتيجيات التنموية بصورة تتضمن معها ضرورة وصول خدمات المعلومات لكافة المناطق الريفية والنائية واستخدام الحواسيب في المدارس والجامعات على جميع المستويات، وانتشار مراكز الإنترنت العامة ووجود اتصالات ذات سمة تنافسية تنظيمية وتحقيق التقدم بالإصلاح الإداري المؤسسي مع تحديث الأنظمة الإدارية والإنتاجية وإعادة هيكلة قطاع الاتصالات وربطه بالمعلومات وتحديد المؤسسات التابعة إليها وتنمية الموارد البشرية. وبالنسبة للدول النامية فالدخول إلى مجتمع المعلومات يتطلب، ضرورة نقل وتوطين التقنيات المعلوماتية، وبالتالي توفير بنى أساسية (تحتية وفوقية) من اجل الاستثمار لتنمية صناعة الاتصالات والمعلومات وتخطى الحاجز اللغوي في تقنيات المعلومات والاتصالات، مع إعداد خطة وطنية للمعلومات وتحديد أهدافها وحصر المؤسسات ذات العلاقة وتحديد المهام والواجبات والأدوار المؤدية لتحقيق الأهداف، وذلك في إطار وضع جدول زمني للالتزام بالتنفيذ والبدء في التنفيذ والتطبيق والمتابعة والتقييم والتعديل حسب المعطيات وتطورات عصر المعلومات، وكل ذلك يكون بإشراف ورعاية جهة رسمية بالدولة.

ويقصد كذلـك بالمجتمـع ألمعلوماتي: اذا أردنـا ان نتعرف إلى المجتمـع المعلوماتي فلا بد لنا أن نتاول مواضيع عده من شأنها تسـهيل الوصول إلى ما هية المجتمع ألمعلوماتي ولا بد من مقدمة شمولية تاتي لتعميم بعض المفاهيم والمصطلحات. باتت المعلومات هي المحرك الأول لكافة الانشـطة والعمليات وهي الأساس في المرجعية التي يبنى عليها اتخاذ القرارات وعليـه اهتمت كافة المؤسسـات باقتناء مصادر المعلومات وحفظها واسـترجاعها فـي الوقـت المناسـب، أدت الثـورة المعلوماتيـة المحدثـةَجراء لانتشـار وسـائل الاتصال الحديثة والتي جعلت من المجتمع مجتمعا معلوماتيا مفتوحا هذا الانفتاح العائد...



النماذج الاتصالية

طبيعة النماذج الاتصالية

بالرغم من وجود اختلافات بين النماذج الاتصالية من حيث حجمها واختلاف التغيرات التي تظهرها أو تؤكدها، لكن هذه الاختلافات يعتبرها علماء الاتصال سطحية غير مهمة فالأمر المهم عند المقارنة مابين النماذج هو تصنيفها يقع بشكل عام من خلال مايلي:

- أولاً – النماذج البنائية: وهي النماذج التي تظهر الخصائص الرسمية للحدث أو الشيء أي المكونات وعدد وحجم وترتيب الأجزاء المنفصلة للنظام أو الظاهرة التي نصنفها.
- ثانياً – النماذج الوظيفية: وهي النماذج التي تقدم لنا صورة عن طبقة الأصل للأسلوب الذي بمقتضاه يعمل النظام وتفسر الطبيعة القوى أو التغيرات التي تؤثر على النظام أو الظاهرة.

ملامح النماذج الاتصالية

- أولاً: كل نموذج يمثل فكرة مستقلة (نظرية – مبدأ) وتتأثر بالدرجة الأولى باتجاه البحث والدراسة.
- ثانياً: إذا كان هناك اتفاق في معظم النماذج على تحديد العناصر وعلاقتها ببعضها، واتجاه حركة هذه العلاقات، إلا أنه في مجال دراسة اتجاهات التأثير يفضل عدم الاكتفاء بنموذج واحد، بل من الأفضل دراسة النماذج في إطار متكامل.
- ثالثاً: إذا كانت النماذج الخاصة بعملية الاتصال من منظور علم النفس، أو علوم اللغة وعلم النفس اللغوي بالدرجة الأولى باتصال مواجهي أو اتصال الجماعات الصغيرة، وكذلك النماذج التي يقدمها علماء الاتصال بالجماهير تهتم بوسائل الإعلام وجماهير المتلقين بالدرجة الأولى، فليس هناك مايمنع من استخدام النماذج الأولى كقاعدة أولية لبناء نماذج الاتصال في عملية الاتصال بالجماير والإعلام.

- رابعاً: أن إعـداد النماذج يتم بصورة أساسـية لتوضيـح الظاهرة أو حـدث معين أو لكي تعاون أو تساعد الباحث على التنبؤ أو لمجرد التفسير.

نماذج الاتصال

تعتبـر عمليـة الاتصـال تفاعـلاَ بيـن البشـر والوثائـق - الآلات - الطبيعة كمـا عرفنا سـابقاَ) وقسـمت الاتصالية إلـى أجـزاء صغيـرة (*parts*(أو إلى عناصـر ومتغيـرات تتمثل بالعلاقـة بيـن المراسـل والمسـتقبل) ومـدى الاسـتقبال (التأثير) ولتسـهيل تصـور عملية الاتصال وضعت فـي نماذج متنوعة هدفهـا تنظيم وترتيب هذه العناصر مـع بعضها البعض بالإضافة إلـى إظهار العلاقة فيمـا بينها وتعتبر هذه النمـاذج تصويراً للعناصر الرئيسـية التي تدخل في عملية الاتصال. قبل دراسة النماذج الموجودة لابد أن نحدد فوائد استخدام هذه النماذج التي يمكـن أن نوصفها في:أنهـا تزودنا بصورة جزئية عن أشـياء كلية هذه الأشـياء من الصعب إدراكها بدون (النماذج) التي هي عبارة عن خرائط تفصيلية للمعالـم الأساسـية لعملية الاتصال. إعداد النماذج في شـرح وتحليل العمليات الاتصاليـة المعقدة أو الصعبة أو الغامضة بطريقة مبسطة فهي ترشـد الباحث إلى التقاط الرئيسـية لعملية الاتصال تساعد في عملية التنبؤ بالنتائج أو بمسار الأحداث في عملية الاتصال وهذا الأمر يساعد في عملية وضع فرضيات البحث.

النماذج الاتصالية

- نموذج لاسويل للاتصال *lasweus model of communtion*

وضعـه العالـم السياسـة الأمريكـي (هارلـد لاسـويل)عام ١٩٤٨ وقـال إن الطريقـة المناسبة لوصف عملية الاتصال وذلك بالإجابة على الأسئلة التالية:

من \المرسل *who \sender*

ماذا يقول \الرسالة ?*message says what*

في أية قناة \الوسيلة in which channel?\medium

لمن \المستقبل to whom?\receiven

التأثير EFFECT

ونلاحظ أن لاسـويل اهتم بتأثير العملية الاتصالية على المسـتقبل وذلـك لأن تركيزه انصب على دراسـة وتحليل محتوى الدعاية الأساسـية والرأي العام فـي أمريكيا إلا أن هذا النموذج انتقد كثيراً بسبب

١- يقول لاسويل من البديهي أن للمرسل هدف للتأثير على المستقبل.

٢- يفترض أن الرسائل الاتصالية دائماً لها تأثير

٣- المبالغة في عملية التأثير على الاتصال الجماهيري بسبب اهتماماته أساسية

ويمكن اسـتخدام هذا النموذج وتطبيقه في تحليل الدعاية السياسـية وأثرها على الرأي العام وخاصة في تحليل الحروب النفسية وفي عملية الإعلان التجاري

٤- حـذف عنصر أساسـياً وهـو عنصـر الاسـتجابة أو التغذيـة الراجعة مـن نموذجه فالاتصال لديه يسـير في اتجاه واحد من المراسل إلى المسـتقبل ليحقق تأثير ما. وهذا يعكس تاريخ وضع هذا النموذج الذي يعد من أوائل النماذج.

- النموذج الدائري: لاسجود وشرام the osgeed and schramm circulan model

وضـع النمـوذج عـام ١٩٥٩ ويتكـون مـن العناصـر التالية:المرسـل – الرسـالة – المسـتقبل. كما يبين النموذج تماثلاً أو تسـاوياً بين سـلوك المرسـل والمسـتقبل من خلال عملية الاتصال ويعتمد كل من شـرام وأسـجود على دراسة سلوك المرسـل والمستقبل في تفسير عملية الاتصال كما يلي:

حيث يقوم المرسل بتحويل الأفكار إلى رموز ويصوغها في رسالة ويحولها قد تكون الرسالة مكتوبة او ناطقة او إشارة إيمائية (اليد – العين)

والرسالة لديه عبارة عن رمز واحد أو مجموعة من الرمز وقد تكون كلمة إذاعية أو تلفزيونية أو مقالة أو جريدة أو حتى شفرة عسكرية، إشارة خط شكل كتاب. أما المستقبل الذي يستقبل الرسالة ويحولها إلى رمز ويفسرها حتى يفهم معناها أما عملية الاتصال هنا تتم فكرة ما توجد في ذهن المؤلف (المرسل) يريد أن يوصلها إلى المستقبل أو حتى يشاركه فيها فيقوم بتحويلها إلى رمز على شكل كلمات منطوقة أو مكتوبة أو إشارات يضعها في رسالة للمستقبل الذي يستقبلها فيحولها أيضاً إلى رموز أو حتى يقوم بترجمتها ويفسرها ليفهم معناها وبناء على فهم المستقبل للرسالة يرد على المرسل على الشكل التالي:

يضع المستقبل فكرته أو مشاعره في رموز فيضع رسالة جديدة يرسلها للمرسل الأصلي (المستقبل الجديد) الذي بدوره يحولها إلى رموز بعد تفسيرها أو ترجمتها ليتمكن أيضاً من فهمها.

مما تقدم نرى أن نموذج اسجود وشرام يقوم المرسل والمستقبل بنفس الوظائف الاتصالية في بداية العملية الاتصالية ونهايتها وكل من المرسل والمستقبل يتبادلان الأدوار

كما يتضح من هذا النموذج أن كل من دور المرسل والمستقبل متساوية وبشكل محدود وأن وظيفة صياغة الأفكار في رموز متشابهة لإرسال الرسالة ووظيفة تحويل الرسالة إلى رموز متشابهة للاستقبال.

كما يمكن أن يستخدم هذا النموذج في وصف الاتصال الشخصي بأكثر منه في حالة الاتصال الجماهيري لأنه يقوم بدراسة المرسل والمستقبل وكيفية تبادل الرسائل بينهما

- نموذج روس: *ross model*

وضع روس هذا النموذج عام ١٩٦٥ ويحتوي على عناصر أساسية تشبه إلى حد ما عناصر نموذج لاسويل.فيها يوضح روس أن عملية الاتصال تتأثر بمشاعر واتجاهات ومعلومات كل من المرسل (المصدر – مفسر) والمستقبل (محلل ومفسر الرسالة)فإذا ما كانت الرسالة المرسلة غير دقيقة فإن المستقبل لا يستطيع أن يفسرها وحتى فهمها بشكل

دقيق وسبب ذلك أن الرسالة الواصلة إلى المستقبل مختلفة عن الرسالة الأصلية التي أرسلت من قبل المرسل.أما قنوات الاتصال فتتمثل بقنوات الحواس الرئيسة لدى الإنسان المعافى وهي "سمعية – بصرية – شعورية (احساس)"، وتكون الرسالة على شكل (رموز– لغة – صوت) مشاعر اتجاهات معلومات رموز لغة صوت مشاعر اتجاهات معلومات.

مما تقدم نجد أن الاتصال يسير باتجاهين كما يؤثر بالجو العام الذي تحدث فيه عملية الاتصال كونها عملية مستمرة،متغيرة، دناميكية والاتصال هو عبارة عن تفاعل اجتماعي بين الناس يتأثر بأحوالهم وثقافتهم وبيئتهم.

- نموذج شانون وويفر: *shannon and wever model*

وضع شانون هذا النموذج حين كان يعمل في شركة بل الأمريكية للهاتف هو ومساعده ويفر عام ١٩٤٩، فيه نجد أن عملية تسير في طريق واحد وحدد ثلاث خطوات لسير عملية كما نوه إلى عنصر التشويش الذي يعيقها على الشكل التالي:

الخطوة الأولى في الاتصال هي مصدر المعلومات الذي يقوم بإنتاج رسالة أوسلسلة رسائل اتصالية بعدها يتم تحويل الرسالة الاتصالية بواسطة إشارات إلى جهات البث أو الارسال بحيث تتناسب مع طبيعة القناة إلى جهاز الاستقبال على أن تكون وظيفة الثاني على عكس الأولى لأن جهاز الإرسال يحولها إلى إشارة الكترونية بينما الاستقبال يحولها إلى رسالة اتصالية.

لنقل بالنهاية الرسالة إلى وجهتها،بالأضافة إلى المشاكل التي تتعرض لها الرسالة الاتصالية من تشويش ويحصل ذلك عند مرور عدة إشارات عبر نفس القناة وفي نفس الوقت الأمر الذي يؤدي إلى اختلافات بين الإشارة المبثوثة والواصلة إلى المستقبل أو إلى الجهة المرجوة إلى المستقبل...إلا أن هذا النموذج تم نقده بسبب عدم احتوائه على عنصر التغذية الراجعة أو الاستجابة وتسير في طريق واحد.

إلاأن الأمر الآن تغير بتغير وسائل الاتصال...استخدم النموذج علماء المعلومات واللغة والسلوك.

- نموذج ديفلور *defleur's model*

الذي يعتبر تطوير النموذج شانون قدمه ديفلور عام ١٩٦٦ ويتم الاتصال على الشكل التالي كما يناقش ديفلور مدى التطابق بين الرسـالة المنتجة بين المصدر والرسـالة الواصلة إلى المستقبل حيث تمكن من ملاحظة أنه أثناء عملية الاتصال يتحول المعنى الموجود في ذهن المرسل إلى رسـالة اتصالية ومن ثم يقوم جهاز الإرسـال بتحويلها إلى معلومات التي تمر عبر قناة قد تكون جماهيرية لتصل إلى المستقبل الذي يقوم بتحويلها كرسالة اتصالية

و تقسم مستويات الاتصال إلى ثلاثة مستويات وهي:

١-مستوى الفرد.

٢-مستوى الموضوع.

٣-مستوى لغرض.

على مستوى الفرد

وهو أنواع:

أولا- الاتصال الذاتي:

وهو العملية الاتصالية التـي تتفاعل وتأخذ مكانها داخل المرء نفســه وذاته فهذا النوع من الاتصال لا يحتاج إلى شخصين مرسل ومستقبل.

ثانيا- الاتصال الشخصي:

وهو الاتصال الذي يكون بين شخصين أو فرد وآخر أو بين مجموعة قليلة من الأفراد.

ثالثا- الاتصال الوسيط:

وهو أحد أنماط الاتصال يتم بين نوعين من الاتصـال، الاتصال المواجهي والاتصال الجماهيري.

رابعا- الاتصال العام:

وهو وجود الفرد مع مجموعة من الأفراد.

خامسا- الاتصال الجمعي:

ويحدث هذا الاتصال بين مجموعة من الناس.

النماذج الخطية

تعريف عام

انتشرت النماذج الخطية بعد الحرب العالمية الأولى، هذه النماذج (واطلق عليها نظريات ايضا)غالبا ما تسمى بال"الحقنة" أو ب"إطلاق الرصاصة". وطريقة هذا النموذج أن المعلومات تذهب بشكل مباشر إلى الجمهور المتلقي. ومن أهم العناصر التي تستخدم للعملية الاتصالية هما: المرسل والرسالة. ويرى أن المجتمع يتأثر بشكل سريع والقت التسمية على هذا الجمهور ب"جمهور سلبي".العالم الذي اخترع هذا النوع من النموذج هو العالم هارولد لاسويل. في عام ١٩٢٧ كتب هذا العالم حول تكتيكات الدعاية وتحدث عن الظاهرة التي كانت تتحقق في السابق عن طريق العنف والقهر ولكن الآن يمكن أن يكون عن طريق الإقناع. ظن العالم لاسويل أن الشخص يتأثر بشكل سريع من وسائل الإتصال(الإعلام) كالإبرة تماما أو الرصاصة أو الحقنة. وأصبح يوجد نهوض كبير في علم الدعاية والتي تؤثر بشكل مباشر. القى انتباه الأمريكان مخاطر هذا الحقل من حقول الإتصال فقاموا بتأسيس معهد ليقومو بتحليل الدعايه في عام ١٩٣٨ بعد استدراكهم مدى التأثر الكبير لدى الناس وسهوله إقناعهم. هذا النموذج الخطي يرى أن للمرسل قوة كبيرة في التأثير بعقول الناس وتحدد اتجاهات الناس بالطريقة التي يريدها. الجماهير عباره عن "كائنات سلبية ومنفصلة" يتصرفون بشكل مماثل ولكن التباين بين الأفراد والجماعات وتصنيف الناس في علم الاجتماع وفق (نظرية التصنيف) إلى عدة فئات. توصل الأمر أن الناس مختلفون بحسب الدرجة المعرفية لديهم. فأصبحت عملية تلقيهم الرسالة الإعلامية بشكل متباين. وينسحب الأمر على عملية التأثير.

❖❖❖❖

النماذج المركزة على المعنى

تعريف عام+التركيز على مفهوم المعنى الدلالي

حتى يكون لدينا إتصال ناجح فيجب أن نركز هنا على أهمية عملية الترميز من المرسل والمستقبل، ويقصد بالترميز إمكانية صياغة المعنى المراد به من قبل المرسل في رموز تعبر عن هذا المعنى للمستمع، فاللغة ليست فقط أداة تنقل المعلومات بل تتعدى ذلك في كونها مثير ومنبه للأشخاص حتى يحققوا الإستجابة المطلوبة، وتكمن أهمية هذا المنبه في معناه وما يراد به منه ويسمى باللغة العربية بدلالة الرموز وبالإنجليزية تسمى ب*semantic*، لذلك نرى أن علماء اللغة وعلماء النفس اللغوي قاموا بالاهتمام بالعمليات الناتجة من الاطراف المشاركة في عملية الاتصال، فالفرد يقوم بتشكيل بناء أو تركيب نحوي حتى يعبر عن فكرة، أو يحلل ما يقوله الاخرين ليصل إلى الدلالات الضمنية أو البيانات النحوية للتركيب، فإذا اراد شخص ما التواصل مع صديقه فيجب أن يكونا كلاهما على علم باللغة المستخدمة بينهما فلا تستطيع إجبار رجل من السعودية الحديث مع رجل من اليابان لا توجد بينهما لغة مشتركه، لذلك يختار الفرد الرموز على حسب دلالاتها الضمنية ووضوح معناها لنقلها للأخرين، فالرسالة إذا هي التي تضم رموزاً اتصالية تعبر عن افكار واراء الشخص، وعلى الجانب الاخر نجد المستمع الذي يقوم بتفسير هذه الرموز حتى يصل إلى دلالاتها الضمنية والاستجابة المطلوبة، إذا الاتصال يتأثر بالسلوك اللغوي القائم على تفسير الفرد ورؤيته للرموز وإعطائها دلالات معينة تؤثر على عملية الاتصال.

❖❖❖❖

النماذج المركزة على الجانب الاجتماعي

مقدمة عامة+ التركيز على مفهوم الخبرة المشتركة

أثرت شبكة العلاقات الاجتماعية على اتخاذ القرارات الاتصالية وأهمية التباين والاتفاق داخل الجماعات وغيرها من النتائج التي أكدت على أن الأفراد في جمهور المتلقين ليسوا ذرات منفصلة أو وحدات منعزلة ولكنهم ينتمون بشكل أو بآخر إلى شبكة من البناءات الاجتماعية التي تؤثر على قراراتهم واتجاهاتهم نحو مخرجات عمليات الاتصال، وهناك بحوث كان لها تأثير كبير في اتجاه الباحثين في الاتصال على تأكيد الانتماء الاجتماعي لأطراف عملية الاتصال. وقد أكد الباحثان جون ريلي وماتيلدا ريلي على تأثير الجماعات الأولية والبناءات الاجتماعية الأخرى في المجتمع على كل من المرسل والمستقبل وكذلك تأثير السياق الاجتماعي العام على عملية الاتصال وقد اعتمد الباحثان بصفة خاصة بتأثير الجماعات الأولية وتقوم رؤيتهم على تحليل الاتصال الجماهيري في إطار اجتماعي على اعتبار أن الاتصال الجماهيري نظام اجتماعي بين أنظمة أخرى في السياق الاجتماعي العام. مجال الخبرة المشتركة تقع في نظام الاشارات (الرموز- الرسالة) فيؤكد شرام على الخبرة المشتركة بين المرسل والمستقبل لتحديد ما إذا كانت الرسالة ستصل إلى الهدف بالطريقة التي قصدها المصدر. فوجود الخبرة المشتركة ضمان لنجاح عملية الاتصال بحيث يعتمد فك الرموز لدى المستقبل على ثقافته التي يشارك فيها المرسل ويمكن أن تكون هذه الخبرة لغة مشتركة وخلفيات مشتركة وثقافة مشتركة في إطار دلالي واحد.



نموذج كاتزورزسفليد *Kats lazarosfeld*

يبحث هذا النمـوذج في تأثيـر أفراد المجتمـع في عمليـة الإعلام الجماهيـري، على اسـاس ان الاعلام لا يؤثر على الناس مباشـرة بل من خلال تأثيره على البعض مثل النخب وقادة الرأي العام.

حسـب النموذج الفرد يهتـم بمعلوماتـه ويتحكم في نقلها فـي إطاره الخـاص وفي حدود مجال وجـوده والمعلومات التي تقدم من وسـائل الاعـلام الجماهيرية لا تصل كمـا ينبغي لأن عملية الفهم تتنـوع من فرد إلى آخر وهي ليسـت ذات تأثيـر كبير على جمـوع المتلقين وتأثيرها ثانوي ولا يمكـن أن تصبح مؤثـرة إلا من خـلال وصولها إلى النخـب وقادة الـرأي العام الذين لديهم القدرة على اعادة صياغتها ووضعها في اطار ذات تأثير عند الجماعات التي تتبع لهم مثل ذلك تم الاسـتدلال بالناخبين في اتخاذ القرار للأنتخابات حيث تبين أنهـم يتأثرون بمن حولهم من الناس أكثر من تأثرهم بالمعلومات التي يتلقونها من خلال وسائل الاتصال الجماهيري.

وأوضـح النمـوذج أن الازواج يتاثرون ببعضهم وزمـلاء العمل يتأثـرون ببعض وهذا يؤكد تأثير الناس بمن حولهم.

- أكد النموذج أن الافـكار والمعلومـات التي تقدم من سـائل الإعلام تناسـب قاادة الرأي والنخب أكثر من عامة الجماهير على أساس قدرة النخب على فهم التحليل اكثر من الافراد العاديين.
- أكد النمـوذج على أن المعلومات التي تقدم من وسـائل الاعـلام الجماهيري تنقل علـى مرحلتين مـن وسـائل الاعلام الـى قادة الـرأي والنخـب، ومـن النخب الى الجمهور العادي الأقل نشـاطا. هذه القضيـة أوضحت الصلة بيـن الاتصال وجها لوجه والاتصال الجماهيري.
- وأصحاب النموذج هم (الياهو كاتز وبول لازارسقليد).

أهمية النموذج على الصعيد المهني

١. يجب أن يكون على علم أن الجمهور يتأثر بقادة الرأي والنخب التي نحن بحاجة لهم الى تحليل الخطـاب الاعلامي ليلائم قادة الرأي أكثر مـن الاهتمام بمخاطبة عامة الناس لأنه مهما اجتهدنا لن نسـتطيع أن نلبي احتياجـات كل الجمهور الغير متجانس أساسا.

٢. المعلومـات تنتقل على مرحلتين الاولى من وسـائل الاعلام إلـى القادة والنخب والثانية من القـادة والنخب إلأى الجمهور على أسـاس أن النخـب لديهم القدرة في توظيف المعلومات والاخبار في اطار الفرد والجمهور.

نموذج/ نيوكومب *T.Newcomb*

فكرة هذا النمـوذج قائمة على أسـاس تحديـد المواقف على اسـاس وجـود ضرورة بشـرية مسـتمرة لأن يكـون لنـا مواقف حيـال الأشـياء والقضايـا والأحداث والاشـخاص الموجودة في البيئة المحيطة بنا.

لا بد لنا من موقـف حيال الاحـداث التي تزودنا بها وسـائل الاتصال كانـت في اطار شخصي أو جماهيري وسوف تكون تجاه أحد أمرين.

- إما موضوعات الاتصال وقضاياه وهي ما نسميه (اتجاهات)
- وإما أشخاص قائمين بالاتصال وهو ما نسميه تفاعلات

على أساس أن وسـائل الظغعلام والاتصال تسـاعدنا في تحديد المواقف من القضايا والأحداث التي تدور حولنا.

حسب النموذج فان الاعلام يقوم يقوم بأحداث خمس تغيرات رئيسية.

أ. يتعثر الشعور تجاه قضايا أو أشخاص.

ب. تغير في قوة ودرجة الانجذاب.

ج. تقليل في مدى اهمية الشعور

و. نقص في درجة الصلات المشتركة التي كانت سابقة.

هذه التغيرات والتعديل في المواقف الناتج عن عمليات الاتصال والاعلام، يدخل فيها الظروف والملابسات والمراحل التي تمت فيها عمليات بناء المواقف الاتصالية وليست العناصر المحددة فقط.

نموذج تشارلس رايت charles

يركز هذا النموذج على الوظائف والادوار التي يقوم بها الاعلام في اطار الوظيفة الاتصالية والعملية الاتصالية بشكل عام.

حسب هذا النموذج فان تحديد ادوار الاعلام يفهم في سياق الفهم الشامل لطبيعة جمهور الاعلام وطبيعة التجربة الاتصالية وطبائع القائم بالاتصال والمؤسسات الاعلامية كمؤسسسات اجتماعية اساسا.

هذا النموذج يجيب على السؤال الاتي

(ما هي المهام أو النتائج الظاهرة والكامنة التي تعود على المجتمع والجماعات الفرعية والأفراد من خلال تعرضهم لمواد الإعلام المنشورة أو المبثوثة في وسائل الاعلام.

حاول صاحب هذا النموذج الربط بين الوظائف الظاهرة والكامنة وبين الوظائف المطلوبة وغير المطلوبة باعتبارها أدوار يؤديها الاعلام رغم اختلافها.

حسب رايت فان أهم الوظائف التي تؤديها وسائل الاعلام فهي:

١. الاخبار

٢. التوجيه والتفسير

٣. نقل التراث

٤. الترفيه والتسلية.

أولا وظيفة نقل الاخبار

- الأهداف المتوقعة:

نشر المعلومات والاخبار يوفر لنا غالبا انذار سريع عن المخاطر والاوبئة والحرائق والزلازل والاحداث المتنوعة بشكل عام.

هذه الانذارات يقدمها الاعلام للجميع بحيث توفر شعورا بالمساواة بين الطبقات الدنيا او الاقليات اكثر من غيرهم (على اساس ان جميع الافراد متساوين).

نشر الإخبار تحقق الاحتياجات اليومية للافراد والجماعات كما تحقق المعلومات عن الاحداث الروتينية.

الاخبار والمعلومات تساعد على تحقيق الاتصال الثقافي وتطويره بالسلب أو الايجاب.

المعلومات المنشورة او المبثوثة قد تعطي شرعية للجماعات الصغيرة او الهامشية.

- الأهداف الغير متوقعة:

(الاهداف الغير مرجوة المترتبة على عملية نشر الاخبار والمعلومات) مثلا قد تجعل الافراد يشعرون بالذعر وعدم القدرة على حل المشاكل واصابة الناس بالامبالاة السياسية والاجتماعية.

كثرة نشر الاخبار قد تستنفذ مجهودات الناس وتعلم البعض وسائل الانحراف) مثل الجرائم التي تحدث من جراء مشاهدتها عبر مواد الاعلام أفلام سينمائية أو مواد تلفزيونية أو مواقع الكترونية.

قد تتعرض النخب لضياع نفوذها بسبب كشف اسرارها لخصومها أو فقد السيطرة على اعضائها من جراء ما ينشر عنها في وسائل الاعلام.

قد يتعرض المجتمع لعدم الاستقرار، عندما تفقد السيطرة على فرض الرقابة على نوعية الاخبار ومحتواها على اساس أن أخبار المجتمعات الحديثة تؤثر على معنويات الشعوب الأقل تقدما.

مثال (نشر أخبار رفاهية المجتمعات الغربية وخاصة الرفاهية الفردية وتنوع مجالات الحياة من قبل وسائل الاعلام الفلسطينية، نتائجه الايجابية تتمثل في التواصل مع المجتمعات الغربية وتعلم مهارات جديدة أما النتائج العكسية تتمثل في ان كم كبير من الشباب الفلسطيني بدأ يفكر في التخلي عن وطنه ويكفر بعدالة قضيته ويبحث عن حلول واهية رغبة منه في تغيير واقعه الحياتي.

وظيفة التوجيه والتفسير:

الهدف الذي تسعى له وسائل الاعلام على صعيد التجيه والتفسير هو توسيع فهم الناس وتوفير الجهد عن البحث عن المعلومات والاخبار، واعطاء معاني تاريخية ومستقبلية للاخبار والمعلومات التي تقدمها وسائل الاعلام لكن الهدف الغير مرغوب فيه هو اعاقة التغير الاجتماعي نحو الافضل من خلال الحد من قدرات الافراد داخل المجتمعات.

وظيفة نقل التراث الثقافي:

وسائل الاعلام وظيفتها الاساسية هي زيادة الاندماج الاجتماعي ونشر التقاليد والقيم التي تحقق التواصل والاتصال والانفتاح على كل الثقافات لللاستفادة منها الغير متوقع من هذه الوظيفة ان يتم التقليل من دور الثقافات الفرعية أو المحلية أو الشعبية لحساب الثقافة العالمية الجماهيرية.

مثال(قد تركز وسائل الاعلام على اطارات ثقافية عالمية مثل كتاب وشعراء ومفكرين وهذا الامر ينعكس سلبا على معرفة الناس لشعرائهم وأدبائهم ومفكريهم على الصعيد المحلي).

وظيفة الترفيه والتسلية:

تسعى وسائل الاعلام لتحقيق الاسترخاء والراحة وقضاء الاوقات الممتعة وتحقيق رغبات نفسية واجتماعية واشباعات بحاجة لها الانسان على اساس أن هذه الوظيفة تتيح السيطرة بشكل كبير على انشطة الناس الغير متوع من هذه الوظيفة ان تصبح التسلية والترفيه غير بناءة ولا تتناول قضايا جادة تفيد الناس وتصبح وسيلة للغزو أو العولمة.

مثال برامج بعض الفضائيات التي تصور الترفيه والتسلية في اطار قيمي غير ملائم لمجتمعاتنا ونشر الثقافة والافكار الاستهلاكية التي لا تؤدي إلى التطور والتقدم.

نموذج ملتيزيك (القوى النفسية والاجتماعية)

هذا النموذج يركز على الظروف التي يمارس فيها القائم بالاتصال عمله ويركز على تأثير الوسيلة فهو يعطي الابعاد النفسية والاجتماعية للعمليات الاتصالية أهمية كبرى.

يركز هذا النموذج على بعدين

- البعد الأول حدود وامكانية الوسيلة الاعلامية والقيود التي تضعها على المتلقي بحكم خصوصيتها بمعنى أن التعامل مع شبكات التواصل الاجتماعي تلزم من يتعامل معها ان يكون لديه حاسوب وخط انترنت ومعرفة بلغة الوسيلة التي ستسمح له بالتواصل مع الاخرين وهذا ينعكس على المرسل كذلك، وعلى جميع وسائل الاتصال المتاحة حاليا.
- البعد الثاني أسلوب التعامل مع الوسيلة من قبل المرسل والمستقبل ودرجة التعامل معها مختلف فالوسيلة تحدد نوع وشكل الادراك المستهدف من المتلقي مثل (حدود الوقت والمكان والمسافة والتكرار الذي تحققه الوسيلة وخاصة الظرف الذي يتلقى فيه المستقبل محتوى ومضمون الوسيلة).

تصورات مستقبلية عن استخدامات نظريات الاتصال

ان صناعة القرار للقائم بالاتصال او للفرد والمجتمع عملية معقدة تشترك فيها العديد من العوامل والمتغيـرات والاتجاهات والقيم سـوى للفـرد او المجتمع،والتي تسـاهم في مجموعها في اعطـاء الصـورة الحقيقية لصناعـة القرار ولأن عالـم اليوم هو عبـار عن قرية صغيرة يمكـن فيهـا للمتلقي التاثـر والتأثير فـي في صناعـة القرار ورسـم الواقـع المتخيل بفضل التكنولوجية الحديثة والمحدثة والتي سـاهمت في التأثير الكبير في لوسائل الاعلام والاتصـال علـى المتلقيـن (الفـرد او المجتمـع)، وبذلك اصبـح لابد مـن القائميـن عليها والدارسين لها من وضع الاسس والنظريات المفسرة لسـلوك هذه الوسائل وتأثيروها على المتلقين في احداث التغيـر المطلوب لصالح القائـم بالأتصال، ومن ثم فـان صناعة القرار لكلا طرفي عملية الاتصال تأخذ احد الإشكال المفترضة:-

- تكون السيطرة لوسائل الإعلام على المتلقي بشكل مباشرة من خلال اثارة الخوف لديه من المجهـول المتوقع، وكذلك اسـتعمال الإثـارة الموقنة فـي تلبية حاجات ضرورية له.
- المتلقي يكن منعزل، مسلوب الإرادة يعاني من ضعف العادات والتقاليد والأعراف.
- يتسلم المتلقي المعلومات بشكل فردي ورد الفعل لديه فردي أيضا.
- صناعة القرار تكون مرتبطة بوسائل الإعلام وأهدافها بشكل مباشر.
- نظرية الرصاصـة السـحرية والمجتمع الجماهيـري ودوامة او لولـب الصمت هي المعتمدة في رسم صورة المشهد هذا.
- تكون السيطرة لوسائل الاعلام على المتلقي بشكل انتقائي حيث تقدم رسائلها الى المتلقي وتسـتقبل ردود الافعال بشـكل انتقائي ويرجع ذلك الـى اختلاف الافراد فيما بينهم في العادات والاعراف والتقاليد.

- المتلقي فيهـا ليـس منعزل بـل اجتماعـي ويأثر فـي الاخريـن وبذلك يجـب على وسائل الاعلام ادراك حاجات ورغبات المتلقين وتقديمها أليهم من غير استخدام اسلوب الاثارة الرخيصة.
- يتسلم المتلقي المعلومات بشكل فردي وجماعي ورد الفعل لديه فردي وجماعي.
- صناعة القرار تكون مشتركة بين وسـائل الاعلام والمتلقي ويمكن ترجيح احدهما على الاخر حسب قوة الرسالة ومدى ذكاء المتلقي.
- نظريـة الاسـتخدامات والاشـباعات وانتشـار المبتكرات هـي المعتمدة في رسـم صورة هذا المشهد.
- تكون السيطرة للمتلقين على وسائل الإعلام من خلال استخدامات المتلقين لهذه الوسـائل ومدى اعتماد الفـرد عليها وذكائـه في معرفـة كيفية اسـتخدامها وبذلك تكون هناك علاقة تفاعلية بين المتلقي ووسيلة الاتصال.
- صناعة القرار تكون مشتركة بين وسـائل الإعلام والمتلقي ويمكن ترجيح احدهما على الآخر حسب قوة الرسالة ومدى ذكاء المتلقي.
- يتسلم المتلقي المعلومات بشكل فردي وجماعي ورد الفعل لديه فردي وجماعي.
- نظرية الغرس الثقافي وترتيب الأولويات والفجوة المعرفية هي المعتمدة في رسم صورة هذا المشهد.

وبذلك نجد ان هذه النظريات تحاول الإجابة عن سـؤال او إشكالية صناعة القرار مع الاهتمام بالعوامل الأخرى المتعلقة بالمرسـل والرسالة والوسـيلة ورجع الصدى ان الفهم الواعي لهذه النظريات يؤدي الي نجاح عملية الاتصال.

❖❖❖❖

المصادر والمراجع

- د. فاروق يوسف، دراسات في علم الاجتماع السياسي، القاهرة، مكتبة القاهرة الحديثة، ١٩٧٣.
- د. جيهان أحمد رشتي، نظم الاتصال: الإعلام في الدول النامية، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٧٢.
- د. عبد الباسط عبد المعطي، الإعلام وتزييف الوعي، القاهرة، دار الثقافة الجديدة، ١٩٧٩.
- د. عبد الخبير محمود عطا، النظام الاتصالي المصري – الأدوار والمحددات والفعالية، مجلة السياسة الدولية، مؤسسة الأهرام القاهرية، ع٦٦، ١٩٨١.
- مازن لطيف علي:الحوار المتمدن–العدد: ٢٥٢١ - ٢٠٠٩/ ١/ ٩.
- حسن مصدق، يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت: النظرية النقدية التواصلية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط١، ٢٠٠٥.
- عبد القادر بليمان، دراسات فلسفية في الأخلاق والسياسة (نحو رؤية تحليلية للحالة العربية)، مؤسسة كنوز الحكمة، الأبيار الجزائر، ٢٠١٢.
- عبد القادر بليمان، الأسس العقلية للسياسة، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر.
- عصام عبد الله، يورغن هبرماس، سيرته وفلسفته، مطابع الهيئة العامة للكتاب.
- موسى عبدالله وضع الأجندة (ترتيب الأولويات *Agenda Setting* من سنة ١٩٢٢ إلى يومنا هذا.
- جيهان أحمد رشتي، الأسس العلمية لنظريات الإعلام، (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٧٨).
- د. عبد الحميد، محمد،الاتصال في مجالات الابداع الفني الجماهيري،عالم الكتب،ط١،١٩٩٣.
- د. عبد الحميد، محمد،البحث العلمي في الدراسات الإعلامية،عالم الكتب،ط١،٢٠٠٠.

- د. عماد مكاوي، حسن، نظريات الاعلام، الدار العربية للنشر والتوزيع،ط ١، ٢٠٠٧.
- د.دليو، فضيل،الاتصال،دار الفجر للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٣.
- د. الهيتي،هادي نعمان،الاتصال الجماهيري المنظور الجديد،دار الشؤون الثقافية،ط٢٠٠٦،١،ص٧٨.
- د.حسين السيد،ليلى، د. عماد مكاوي،حسن.،الاتصال ونظرياته المعاصرة، الدار المصرية اللبنانية للنشر.
- د. خليل ابو إصبع، صالح،الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة،دار المجدلاوي لنشر والتوزيع،ط٢٠٠٦،٥.
- د. حسن كامل، محمود، مبادئ علم الاتصال ونظريات التأثير،الدار العالمية للنشر والتوزيع، ط٢٠٠٣،١.
- محمد عبد الحميد، دراسة الجمهور في بحوث الإعلام (القاهرة: عالم الكتب،١٩٩٧).
- عبد الرحمن محمد سعد الشامي، استخدامات القنوات التلفزيونية المحلية والدولية: الدوافع والإشباعات، رسالة دكتوراه غير منشورة، (جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية، قسم الصحافة والإعلام، ٢٠٠٢).
- يوسف سليمان سعد، استخدامات الجمهور اليمني لوسائل الإعلام أثناء الحملات الانتخابية والإشباعات المحققة منها، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة الأزهر: كلية اللغة العربية، ٢٠٠٠)
- حبيب،راكان،واخرون.مقدمة وسائل الاتصال.جدة:مكتبة دار زهران للنشر والتوزيع،الطبعة الاولى ١٤٢٢هـ_٢٠٠١م.
- مكاوي، حسن، ليلى حسين السيد. الاتصال ونظرياته المعاصرة. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية،٢٠٠٩.
- محمود محمد قلندر ومحمد بابكر عوض: اتجاهات البحث في علم الاتصال، دار الفكر، دمشق،٢٠٠٩ م.
- محمد عبد الحميد، بحوث الاتصال واتجاهات التأثير، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٧.
- د. جيهان رشتي: الأسس العلمية لنظريات الإعلام، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣. ١٩٨٦.

- عبد الرحمن عزي دراسات في نظرية الاتصال؛ نحو فكر إعلامي متميز، مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت، ٢٠٠٣
- اريك ميغريه، سيسيولوجيا الاتصال ووسائل الإعلام: ترجمة موريس شربل) مؤسسة محمد بن ا رشد ال مكتوم (ط ١).
- إبراهيم إمام،الاتصال والاتصال بالجماهير،المكتبة الأنجلو مصرية،القاهرة١٩٦٩
- نصير بوعلي: الإعلام والقيم قراءة في نظرية المفكر الجزا ئري عبد الرحمن عزي، دار الهدى، عين ميلة الجزائر - ٢٠٠٥
- نصير بوعلي: مفاتيح نظرية الحتمية القيمية في الإعلام؛ مقاربة بنيوية، مجلة كنوز الحكمة، العدد الثاني، مؤسسة كنوز الحكمة، نوفمبر ٢٠٠٩ م.
- د. محمد منير حجاب: نظريات الاتصال. القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع، ٢٠١١.
- د. حسن عماد مكاوي: نظريات الإعلام. القاهرة: الدار العربية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩.
- بسام عبدالرحمن المشاقبة: نظريات الإعلام. عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع، ٢٠١١.
- بسام عبدالرحمن المشاقبة: نظريات الإتصال. عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع، ٢٠١١.
- محمد عبد الحميد. نظريات الإعلام واتجاهات التأثير. القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٧.
- سوزان يوسف القليني (مدى اعتماد الصفوة المصرية على التلفزيون في وقت الأزمات) المجلة المصرية لبحوث الإعلام، العدد الرابع، ديسمبر ١٩٩٨م
- شيماء ذو الفقار زغيب: نظريات في تشكيل اتجاهات الرأي العام (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٤).
- عادل عبدالغفار الإعلام والرأي العام - دراسة حول العلاقات المصرية الإسرائيلية بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية - سلسلة أطروحات الدكتوراه (٤٣)، ٢٠٠٣.
- سامي طايع، بحوث الإعلام، ط١ (القاهرة: دار النهضة العربية، ٢٠٠١م).
- أرمان وميشال ماتلار، تاريخ نظريات الاتصال، ترجمة نصر الدين لعياضي وصادق رابح، ط٣ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية)، ٢٠٠٥م
- دينس ماكويل، الإعلام وتأثيراته، ترجمة عثمان العربي، ط١ (الرياض: دار الشبل، ١٩٩٢م).

- عبد الحافظ صلـوي، تأثير وسـائل الإعلام السـعودية في ترتيب أولويـات اهتمام الجمهور بالقضايا الخارجية، رسالة دكتوراه
- غير منشـورة (جامعـة الإمام محمد بن سـعود الإسـلامية: كلية الدعـوة والإعلام، قسم الإعلام، ١٩٩٦م)،
- ملفين ديفلير وسـاندرا بـول روكتش، نظريات وسـائل الإعلام، ترجمـة كمال عبد الرؤوف، ط١ (القاهرة: الـدار الدوليـة للنشر والتوزيع، ١٩٩٢م).
- محمود حسـن إسـماعيل، مبادئ الاتصال ونظريـات التأثير، ط١ (القاهـرة: الدار العالمية، ١٩٩٨م).
- سعد آل سعود، الاتصال والإعلام السياسي، ط١(الرياض: القنوات للنشر، ٢٠٠٧م).
- بسـيوني حمادة، الاتجاهات الحديثة في بحوث وضع الأجنـدة، المجلة المصرية لبحوث الإعـلام، العـدد الرابـع، ديسـمبر،١٩٩٨م.
- أماني فهمي الاتجاهات العالميـة الحديثة لنظريات التأثير فـي الراديو والتلفزيون، المجلة المصرية لبحوث الرأي العـام، العـدد السادس، ١٩٩٩م.
- *Al - Hoqeel, A.S. Agenda-Setting Function of News Media Among Civil Servant*
- *Employees in Saudi Arabia Bowling Green State University, 1993,*
- *http://uts.cc.utexas.edu/pba077/ugTheory.htm Available At:*
- *Warner J. Severin, James W. Tankred, Jr, Communication Theories: Origins Methods and Uses in the Mass Media (New York & London, Longman, 1998) 3th ed,.*
- *Elihu Katz, Jay G. Blumur & Michael Gurevitch, Utilization of mass communication by the individual in: J. G. Blumer and E. Katz, The Uses of Mass Communications: Current Perspectives on Gratifications Research (Biverrly hills & London, Sage Publication, 1974).*
- *James Lull, Media Communication: Culture A global Approach (London, Polity Press, 1995).*
- *Stephen W. Littlejohn, Theories of Human Communication (Belmont & California, Wadsworth Publishing Company, 1983) Second edition.*

- *Jay Black & Jennings Brayant, Introduction to Communication: Understand The past, Experience The present, Marvel et The future (Medison, Brown Q. Bench Mark, 1995) 4th ed.*
- *La Galaxie Gutenberg, Paris, Maison Mame, 1967.*
- *Pour comprendre les média, Paris, Maison Mame,1968.*
- *Message et Massage, Paris , Pauvert, 1988.*
- *Guerre et paix dans le village planétaire, Paris , Laffont,1970.*
- *Counterblast, Paris, Maison Mame, 1972.*
- *Du cliché à l'archétype, Paris, Maison Mame, 1973.*
- *Barthes, Roland, Mythologies, Paris, Seuil, 1957.*
- *Breton, Philippe, L'Utopie de la communication, Paris, La Découverte, 1992.*
- *Eco, Umberto, L'OEuvre ouverte, Paris, Seuil,1965.*
- *Escarpit,Robert, Théorie générale de l'information et de la communication, Paris, Hachette Université,1976.*
- *Habermas, Jurgen, Théorie de l'agir communicationnel, Paris, Fayard, 1987.*
- *Hoggard, Richard, La Culture du pauvre, Paris,Minuit, 1970.*
- *Lazar, Judith, La Science de la communication, Paris, P.U.F. 1992.*
- *Vanoye, Francis, Expression. Communication, Paris, Armand Colin,1973.*
- *http://www.livinginternet.com/i/ii_mcluhan.htm*
- *Tan alexis mass communication theories and researsh*
- *Barran s. j. and davis d. k. mass communication theories*
- *Gerbner, G., Gross, L., Morgan, M., & Signorielli, N. (1986). "Living with television: The dynamics of the cultivation process" in J. Bryant & D. Zillman (Eds.), Perspectives on media effects) Hilldale, NJ: Lawrence Erlbaum Associates*
- *McCombs, Maxwell E.; Donald L. Shaw (1972). "The Agenda-Setting Function of Mass Media". Public Opinion Quarterly 36 (2): 176*

- *Noelle-Neumann, E. (1974). The spiral of silence: a theory of public opinion. Journal of Communication,*
- *Postman, Neil. "The Humanism of Media Ecology". Retrieved 9 November 2012*
- *McLuhan, M.; Fiore Q.; Agel J. (1996). The medium is the massage: an inventory of effects. San Francisco: HardWired. ISBN 978-1-888869-02-6*
- *Babbie, E. (2007). The practice of social research. Thomas Higher Education: Belmont, California. ISBN 0-495-09325-4*
- *Pearce, K.J. (2009). Media and Mass Communication Theories. In Encyclopedia of Communication Theory (p. 624-628). SAGE Publications.*
- *Hartley, J.: "Mass communication", in O'Sullivan; Fiske (eds): Key Concepts in Communication and Cultural Studies (Routledge, 1997).*
- *Mackay, H.; O'Sullivan T.: The Media Reader: Continuity and Transformation (Sage, 1999).*
- *McQuail, D.: McQuail's Mass Communication Theory (fifth edition) (Sage, 2005). *Thompson, John B.: The Media and Modernity (Polity, 1995).*
- *Griffin, E. (2009). A first look at communication theory. McGraw Hill: New York, NY. ISBN 978-0-07-338502-0*
- *Babbie, E. (2007). The practice of social research. Thomas Higher Education: Belmont, California. ISBN 0-495-09325-4*
- *Barzilai-Nahon, K. (2009). Gatekeeping: A critical review. Annual Review of Information Science and Technology.*
- *Lewin، Kurt. "Forces behind food habits and methods of change". Bulletin of the National Research Council*
- *Shoemaker، Pamela J.؛ Vos, Tim P. (2009). Gatekeeping Theory. New York: Routledge. ISBN 0415981395.*
- *DeFleur، Melvin؛ DeFleur, Margaret (2009). Mass Communication Theories: Explaining Origins, Processes, and Effects. Allyn & Bacon.*

- *Park، Robert (1922). The Immigrant Press and Its Control. New York: Harper & Brothers.*
- *Lewin، Kurt (1947). "Frontiers in group dynamics". Human Relations*
- *White، David Manning (1950). "The "gate keeper": A case study in the selection of news". Journalism Quarterly.*
- *Shoemaker، Pamela؛ Eichholz, Martin; Kim, Eunyi; Wrigley, Brenda (2001). "Individual and routine forces in gatekeeping". Journalism & Mass Communication Quarterly 78: 233–246.*
- *Singer، Jane B. (2003). "Campaign contributions: Online newspaper coverage of Election 2000". Journalism and Mass Communication Quarterly 80: 39–56.*
- *Singer، Jane B. (2006). "Stepping back from the gate: Online newspaper editors and the co-production of content in Campaign 2004". Journalism and Mass Communication Quarterly.*
- *Shoemaker, P. and T. Vos (2009) Gatekeeping Theory. New York: Routledge.*
- *Kwon, K. H., O. Oh, M. Agrawal, and H. R. Rao (2012) "Audience Gatekeeping in the Twitter Service: An Investigation of Tweets about the 2009 Gaza Conflict", AIS Transactions on Human-Computer Interaction (4) 4,*
- *Goode, L. (2009) "Social news, citizen journalism, and democracy", New Media and Society 11 (8), ^ Barzilai-Nahon، Karine (2008). "Toward a Theory of Network Gatekeeping: A Framework for Exploring Information Control". Journal of the American Information Science and Technology 1–20.*
- *Barzilai-Nahon، Karine (2006). "Gatekeepers, Virtual Communities and their Gated: Multidimensional Tensions in Cyberspace". International Journal of Communications, Law and Policy. Autumn (11).*
- *http://www.dailymail.co.uk*
- *Lewin, K. Field theory in social science, second imprisons London: Tailstock Publications Limited, 1963,*

- *Charles wintor, Pressures on the press: An Editor Looks at fleet street. London: Andre Deutesch, 1972*
- *Harold, Dwight Lasswell, Communication Research and Puplic Policy, (Public opinion Quarterly: 1972) P. 301.*
- *– J.Habermas(200), Apres l'Etat-Nation.*
- *J.Habermas, Après Marx , Trad.J.Ladmiral, Paris, 1985.*
- *J.Habermas, Droit et democratie, Trad.R. Rochlitz, Paris, 1997.*
- *J.Habermas, la technique et la science comme idéologie*
- *J.Habermas, Morale et communication , Paris, 1986. (ed.Flammarion)*
- *J.Habermas, Raison être légitimité.*
- *J.Habermas, Verité et justification, Trad.Rainer Roschlitz, Paris, 2001.*
- *Michel Pfau. et.al: Embedding Journalists in Military Combat Units: Impact on newspaper Story Frames And Tone, Journalism Quarterly, Spring 2004, Vol.81, No.1.*
- *Karen Callaghan&Frauke Schnel,: Assessing the Democratic Debate: How the News Media Frame Elite Policy Discourse, Political Communication, 2001, Vol.18, No.2.*
- *Tamer Liebes: Inside a news Item: A dispute over Framing, Political Communication, 2000, Vol.17, No.3,.*
- *Carol M. Lieber,.&Jacob Bendia: Old-Growth Forests on Network News: News Sources And the Framing of an Environmental Controversy, Journalism Quarterly, Spring 1996, Vol.73, No.1,*
- *Catherine A. Luther&Mark M. Miller: Framing of The 2003 U.S-Iraq War demonstrations: An Analysis of texts, Journalism Quarterly, Spring 2005, Vol.82, No.1,*
- *Andrew Arato & Eike Gebhardt (eds.) "The Essential Frankfurt School Reader" (ISBN 0-8264-0194-5)*
- *Seyla Benhabib "Critique, Norm, and Utopia: A Study of the Foundations of Critical Theory" (ISBN 0-231-06165-X)*

- *Tom Bottomore. “The Frankfurt School and its Critics” (ISBN 0-415-28539-9)*
- *Stephen Eric Bronner and Douglas MacKay Kellner (eds.) “Critical Theory and Society: A Reader” (ISBN 0-415-90041-7)*
- *Richard A. Brosio. “The Frankfurt School: An Analysis of the Contradictictions and Crises of Liberal Capitalist Societies”*
- *George Friedman. The Political Philosophy of the Frankfurt School, Ithaca & New York, Cornell University Press, 1981 ISBN 0-8014-1279-X.*
- *David Held. “Introduction to Critical Theory: Horkheimer to Habermas” (ISBN 0-520-04175-5)*
- *David Ingram and Julia Simon-Ingram. “Critical Theory: The Essential Readings” (ISBN 1-55778-353-5)*
- *Martin Jay. The Dialectical Imagination: A History of the Frankfurt School and the Institute for Social Research 1923-1950, Berkeley, University of California Press, 1996 ISBN 0-520-20423-9.*
- *Marxists Internet Archive. The Frankfort School and “Critical Theory.” www.marxists.org*
- *Neil McLaughlin - Origin Myths in the Social Sciences: Fromm, the Frankfurt School and the Emergence of Critical Theory [1]*
- *Jeremy J. Shapiro. “The Critical Theory of Frankfurt”, in: Times Literary Supplement, No. 3, Oct. 4, 1974, 787. (Material from this publication has been used or adapted for the present article with permission).*
- *Rudolf J. Siebert. “The Critical Theory of Religion: The Frankfurt School” (ISBN 0-8108-4140-1)*
- *Rolf Wiggershaus. The Frankfurt School: Its History, Theories and Political Significance, Cambridge, Mass., The MIT Press, 1995 ISBN 0-262-73113-4.*
- *www.3almani.org*
- *Jürgen Habermas: a philosophical—political profile/ Martin Matuštík.*

- *Postnational identity: critical theory and existential philosophy in Habermas، Kierkegaard، and Havel/ Matuštík.*
- *Thomas McCarthy، The Critical Theory of Jürgen Habermas، MIT Press، 1978.*
- *A highly regarded interpretation in English of Habermas's earlier work، written just as Habermas was developing his full-fledged communication theory.*
- *Raymond Geuss، The Idea of a Critical Theory، Cambridge University Press، 1981.*
- *A clear account of Habermas' early philosophical views.*
- *J.G. Finlayson، Habermas: A Very Short Introduction، Oxford University Press، 2004.*
- *A recent، brief introduction to Habermas، focusing on his communication theory of society.*
- *Jane Braaten، Habermas's Critical Theory of Society، State University of New York Press، 1991.*
- *Erik Oddvar Eriksen and Jarle Weigard، Understanding Habermas: Communicative Action and Deliberative Democracy، Continuum International Publishing، 2004 (ISBN 0-8264-7179-X).*
- *A recent and comprehensive introduction to Habermas' mature theory and its political implications both national and global.*
- *Detlef Horster. Habermas: An Introduction." Pennbridge، 1992 (ISBN 1-880055-01-5)*
- *Martin Jay، Marxism and Totality: The Adventures of a Concept from Lukacs to Habermas (Chapter 9)، University of California Press، 1986. (ISBN 0-520-05742-2*
- *Curry، Haskell B. (1977)، Foundations of Mathematical Logic، Dover، ISBN 0-486-63462-0*
- *Hempel. C.G. 1951 "Problems and Changes in the Empiricist Criterion of Meaning" in Aspects of Scientific Explanation. Glencoe: the Free*

Press. Quine, W.V.O 1952 "Two Dogmas of Empiricism" reprinted in From a Logical Point of View. Cambridge: Harvard University Press

- *Philip Kitcher 1982 Abusing Science: The Case Against Creationism Cambridge: The MIT Press*
- *http://epsppd.epfl.ch/Roma/pdf/P1_031. http://scitation.aip.org/getabs /servlet/ GetabsServlet?prog=normal&id=PHPAEN000013000011113106000001&idtype=cvips&gifs=yes&ref=no*
- *National Academy of Sciences (2005), Science, Evolution, and Creationism, a brochure on the book of the same title.*
- *See the article on Physical law, for example.*
- *Popper, Karl (1963), Conjectures and Refutations, Routledge and Kegan Paul, London, UK, pp. 33–39. Reprinted in Theodore Schick (ed., 2000), Readings in the Philosophy of Science, Mayfield Publishing Company, Mountain View, CalifChairman of Biology and Kennesaw State Ronald Matson's webpage comparing scientific laws and theories*
- *Hawking, Stephen (1996). "The Illustrated A Brief History of Time" (Updated and expanded ed.). New York: Bantam Books.*
- *Mohr, Johnathon (2008). "Revelations and Implications of the Failure of Pragmatism: The Hijacking of Knowledge Creation by the Ivory Tower". New York: Ballantine Books. pp. 87–192.*





فهرس المحتويات

